سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٩٠)

الوعد و الوعيد

في مصنفات العقيدة

وابن تيمية وابن القيم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

" مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر.

إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله به تعالى **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون **من الوعد والوعيد ولهذا** ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ؛ ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته." (١)

"نبيه ما شاء ﴾ أخرجاه في الصحيحين ؛ وكان مقصوده أنهم يؤجرون على الشفاعة وهو إنما يفعل ما أمره الله به .

وكذلك قوله : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ بين أنهم لا يعلمون من علمه إلا ما علمهم إياه كما قالت الملائكة : ﴿ لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ فكان في هذا النفي إثبات أن عباده لا يعلمون إلا ما علمهم إياه فأثبت أنه الذي علمهم لا ينالون العلم إلا منه . فإنه : ﴿ الذي خلق ﴾ ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ و ﴿ علم بالقلم ﴾ ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . ثم قال : ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما ﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله . وهذا النفي تضمن كمال قدرته فإنه مع حفظه للسموات والأرض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ فنزه نفسه عن مس اللغوب . قال أهل اللغة اللغوب الإعياء والتعب . وكذلك قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ الإدراك عند السلف والأكثرين هو الإحاطة . وقال طائفة هو الرؤية وهو ضعيف ؛ لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه فإن العدم لا يرى . وكل وصف يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمرا ثبوتيا فلا يكون فيه مدح إذ هو عدم محض بخلاف ما إذا قيل لا يحاط به فإنه يدل على عظمة الرب جل جلاله . وإن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية كما أنهم مع معرفته لا يحيطون به علما وكما أنهم مع مدحه والثناء عليه لا يحيطون ثناء عليه ؛ بل هو كما أثنى على نفسه المقدسة . ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم : ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر .

والمقصود هنا الكلام على معنى كون ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن وبيان أن الصواب القول الأول . الوجه الثالث الذي يدل على فساد القول الثاني أن يقال : قول القائل " معرفة أفعاله " إن أراد بذلك معرفة آياته الدالة عليه فهذه من تمام معرفته ويبقى معرفة وعده ووعيده وقصص الأمم المؤمنة والكافرة لم يذكره وهو القسم الثاني من أقسام معاني القرآن كما لم يذكر أمره ونهيه . وإن جعل هذه من مفعولاته فمعلوم أن **معرفة الوعد والوعيد والقصص** المطلوب فيها الإيمان باليوم الآخر وجزاء الأعمال كما أن المطلوب بالأمر والنهي طاعته فإنه لا بد من الإيمان بالله واليوم الآخر ومن العمل الصالح لكل أمة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . الوجه الرابع أن يقال : ما ذكره من نفي المثل عنه

---

(١) العقيدة التدمرية ٧٢٨، ص/٩٦

ومن نفي الولادة مذكور في غير هذه السورة فلم يختص بهذا المعنى . الوجه الخامس أن يقال : هب أنها تضمنت التنزيه كما ذكره الله فمعرفة الله ليست بمعرفة صفات السلب بل الأصل فيها صفات الإثبات والسلب تابع ومقصوده تكميل الإثبات كما أشرنا إليه من أن كل تنزيه مدح به الرب ففيه." (١)

"وقد ذكر القاضي عياض أقوالا في كون ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن وكذلك المازري قبله قال : قال الإمام يعني أبا عبد الله المازري – قيل معنى ذلك : أن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام ؛ وأوصاف الله جلت قدرته . و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تشتمل على ذكر الصفات فكانت ثلثا من هذه الجهة قال : وربما أسعد هذا التأويل ظاهر الحديث الذي ذكر أن الله جزأ القرآن . قلت : هذا هو قول ابن سريج – وهو الذي نصرناه – ذكره المازري في كلام ابن بطال كما سيأتي . قال : وقيل معنى ثلث القرآن لشخص بعينه قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره ابن بطال أيضا قال : وقيل معناه إن الله يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها ويكون منتهى التضعيف إلى مقدار ثلث ما يستحق من الأجر على قراءة القرآن من دون تضعيف أجر قال : وفي بعض روايات هذا الحديث ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الناس وقال : سأقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ﴾ . قال المازري : وهذه الرواية تقدح في تأويل من جعل ذلك لشخص بعينه . قال القاضي عياض : قال بعضهم قال الله تعالى ﴿ الر ﴾ ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ ثم بين التفصيل فقال ﴿ ألا تعبدوا إلا الله ﴾ فهذا فصل الألوهية ثم قال ﴿ إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ وهذا فصل النبوة ثم قال : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ فهذا فصل التكليف وما وراءه من الوعد والوعيد وعامة أجزاء القرآن مما فيه من القصص فمن فصل النبوة لأنها من أدلتها وفهمها أيضا وهذا يدل على أن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ جمعت الفصل الأول . قلت : مضمون هذا القول أن معاني القرآن ثلاثة أصناف : الإلهيات والنبوات والشرائع . وأن هذه السورة منها الإلهيات وجعل صاحب هذا القول الوعد والوعيد والقصص من قسم النبوة ؛ لأن ذلك مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أو مما يدل على نبوته . وهذا القول ضعيف أيضا فإنه يقال : والأمر والنهي أيضا مما جاء به النبي كما جاء بالوعد والوعيد . ويقال أيضا : القصص تدل على الأمر والنهي كما تدل على النبوة فإنها تدل على إكرامه لمن أطاعه وعقوبته لمن عصاه وهذا تقرير للأمر والنهي كما تقدم . وأيضا فإن مقصود النبوة هو الإخبار بما أمر الله به وبما أخبر به وما دل على إثبات النبوة من القصص يدل على إثبات ما جاء به النبي وما دل على إثبات ما جاء به النبي يدل على الأمر والنهي الذي جاء به النبي فهما متلازمان . ثم الإلهيات أيضا هي مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فبين الدلائل العقلية على ما يمكن أن يعرف بالعقل وأخبر عن الغيب المطلق الذي تعجز العقول عن معرفته . فلا معنى لجعل القصص داخلة في النبوة دون الإلهيات فإنه إن عني أن القصص تدل على نبوته فهي تدل من جهة إخباره بها كإخباره بغيرها من الغيب وفيما أخبر به من الإلهيات والأمور المستقبلات ما هو كالقصص في ذلك وأبلغ . وإن عني أن تعذيب المكذبين يدل على النبوة فهي تدل على جنس النبوة وعلى نبوة." (٢)

---

(١) رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، ص/٥١

(٢) رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، ص/٥٧

" ١٠٥١ - / ٢٧ - مسألة : في الذنوب الكبائر المذكورة في القرآن والحديث هل لها حد تعرف به ؟ وهل قول من قال أنها سبع أو سبعة عشر صحيح ؟ أو قول من قال أنها ما اتفقت فيها الشرائع - أعني على تحريمها - أو أنها ما تسد باب المعرفة بالله أو أنها تذهب الأموال والأبدان أو أنها إنما سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها أو أنها لا تعلم أصلا وأبهمت كليلة القدر أن ما يحكي بعضهم أنها إلى التسعين أقرب أو كل ما نهى الله عنه فهو كبير أو أنها مارتب عليها حدا وما توعد عليها بالنار

الجواب : الحمد لله رب العالمين مثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس وذكره أبو عبيدة وأحمد بن حنبل وغيرهما وهو أن الصغيرة ما دون الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة وهو معنى قول من قال ما ليس فيها حد في الدنيا وهو معنى قول القائل كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر

ومعنى قول القائل : وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة أي وعيد خاص كالوعيد بالنار والغضب واللعنة وذلك لأن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا فكما أنه يفرق في العقوبات المشروعة للناس بين العقوبات المقدرة بالقطع والقتل وجلد مائة أو ثمانين وبين العقوبات التي ليست بمقدرة وهي التعزير فكذلك يفرق في العقوبات التي يعز الله بها العباد في غير أمر العباد بها بين العقوبات المقدرة كالغضب واللعنة والنار وبين العقوبات المطلقة

وهذا الضابط يسلم من القوادح الوارة على غيره فإنه يدخل كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة : كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص كما قال في الفرار من الزحف : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ وقال : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ وقال : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ وقال : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾

وكذلك كل ذنوب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة ولا يشم رائحة الجنة وقيل فيه : من فعله فليس منا وأن صاحبه آثم فهذه كلها من الكبائر كقوله صلى الله عليه و سلم : [لا يدخل الجنة قاطع] وقوله : [لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر] وقوله : [من غشنا فليس منا] وقوله : [من حمل علينا السلاح فليس منا] وقوله : [لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو حين ينهبها مؤمن]

وذلك لأن نفي الإيمان وكونه من المؤمنين ليس المراد به ما يقوله المرجئة أنه ليس من خيارنا فإنه لو ترك ذلك لم يلزم أن يكون من خيارهم وليس المراد به ما يقوله الخوارج أنه صار كافرا ولا ما يقوله المعتزلة من أنه لم يبق معه من الإيمان شيء بل هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها

فهذه كلها أقوال باطلة قد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع ولكن المؤمن المطلق في **باب الوعد والوعيد** **وهو** المستحق لدخول الجنة بلا عقاب هو المؤدي للفرائض المجتنب المحارم وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة

وهذا معنى قول من قال : أراد به نفي حقيقة الإيمان أو نفي كمال الإيمان فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب فإن ترك الكمال المستحب لا يوجب الذم والوعيد والفقهاء يقولون : الغسل ينقسم إلى : كامل ومجزأ ثم من عدل عن الغسل الكامل إلى المجزأ لم يكن مذموما فمن أراد بقوله نفي كمال الإيمان أنه نفي الكمال المستحب فقد غلط وهو يشبه قول المرجئة ولكن يقتضي نفي الكمال الواجب وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله مثل قوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾

ومثل الحديث المأثور : [لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له] ومثل قوله صلى الله عليه و سلم : [لا صلاة إلا بأم القرآن] وأمثال ذلك فإنه لا ينفي مسمى الاسم إلا لانتفاء بعض ما يجب في ذلك لا لانتفاء بعض مستحباته فيفيد هذا الكلام أن من فعل ذلك فقد ترك الواجب الذي لا يتم الإيمان الواجب إلا به وإن كان معه بعض الإيمان فإن الإيمان يتبعض ويتفاضل كما قال صلى الله عليه و سلم : [يخرج من النار من في قلبه ذرة من الإيمان] والمقصود هنا أن نفي الإيمان أو الجنة أو كونه من المؤمنين لا يكون إلا عن كبيرة فأما الصغائر فلا تنفي هذا الاسم والحكم عن صاحبها بمجردها فيعرف أن هذا النفي لا يكون لترك مستحب ولا لفعل صغيرة بل لفعل كبيرة وإنما قلنا أن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه :

أحدها : إنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف بغير دليل شرعي وأما من قال من السلف أنها إلى التسعين أقرب منها إلى السبع فهذا لا يخالف ما ذكرناه وسنتكلم عليها إن شاء الله واحدا واحدا

الثاني : إن الله قال : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾ فقد وعد بتجنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم وكل من وعد بغضب الله أو لعنه أو نارا أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنبي الكبائر وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه والمستحق أن يقام عليه والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه

والثالث : إن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب فهو حد يتلقى من خطاب الشارع وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله بل هو قول رأي القائل ودونه من غير دليل شرعي والرأي الذوقي بدون دليل شرعي لا يجوز

الرابع : إن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر لأن تلك الصفات لا دليل عليها لأن الفرق بين ما اتفقت فيه الشرائع واختلفت لا يعلم إن لم يكن وجود عالم

بتلك الشرائع على وجهها وهذا غير معلوم لنا وكذلك ما فسر بأن المعرفة هي من الأمور النسبية والإضافية فقد يسد باب المعرفة عن زيد ما لا يسد عن عمرو وليس لذلك حد محدود

الخامس : إن تلك الأقوال فاسدة فتقول من قال إنها ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه فوجب أن تكون الحسنة من مال اليتيم ومن السرقة والخيانة والكذبة الواحدة وبعض الإحسانات الخفية ونحو ذلك كبيرة وأن يكون الفرار من الزحف ليس من الكبائر إذ الجهاد لم يجب في كل شريعة وكذلك يقتضي أن يكون التزوج بالمحرمات بالرضاعة والصهر وغيرهما ليس من الكبائر لأنه مما لم تتفق عليه الشرائع

وكذلك إمساك المرأة بعد الطلاق الثلاث ووطؤها بعد ذلك مع اعتقاد التحريم وكذلك من قال : إنها ما تسد باب المعرفة أو ذهاب النفوس أو الأموال يوجب أن يكون القليل من الغضب والخيانة كبيرة وأن يكون عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وشرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك ليس من الكبائر ومن قال إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها وإن ما عصى به فهو كبيرة فإنه يوجب أن لا تكون الذنب في نفسها تنقسم إلى كبائر وصغائر وهذا خلاف القرآن فإن الله قال : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ وقال : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ وقال : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ وقال : ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ وقال : ﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾

والأحاديث كثيرة في الذنوب الكبائر ومن قال هي سبعة عشر فهو قول بلا دليل ومن قال إنها مبهمة أو غير معلومة فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها ومن قال إنه ما توعد عليه بالنار قد يقال إن فيه تقصيرا إذ الوعيد قد يكون بالنار وقد يكون بغيرها وقد يقال إن كل وعيد فلا بد أن يستلزم الوعيد بالنار وأما من قال إنها كل ذنب فيه وعيد فهذا يندرج فيما ذكره السلف فإن كل ذنب فيه حد في الدنيا ففيه وعيد من غير عكس فإن الزنا والسرقة وشرب الخمر وقذف المحصنات ونحو ذلك فيها وعيد كمن قال إن الكبيرة ما فيها وعيد والله أعلم ." (١)

" الوجه الثالث : إن أعظم ما يحذره المنازع من آيات الصفات ما يزعم أن ظاهرها كفر وتجسيم كقوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ و قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ وقوله تعالى : ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقال تعالى : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾ وقال تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ الآية فهل سمع أن أحدا ممن يؤمن بالله ورسوله منع أن يقرأ هذه وتتلى على العامة وهل ذلك إلا بمنزلة من منع من سائر الآيات التي يزعم أن ظاهرها كفر وتجسيم وخبر يخالف رأيه كقوله : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وقوله : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ وقوله : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ وقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٥/١٣٠

﴾ وقوله : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ وقوله : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وقوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ وكذلك **آيات الوعد والوعيد وأحاديث** الوعد والوعيد هل يترك تبليغهما لمخالفتها له أو الوعيدية أو المرجئة وآيات التنزيه والتقديس كقوله : ﴿ لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وقوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ وقوله : ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ إلى قوله : ﴿ إذ نسويكم برب العالمين ﴾ وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ ونحو ذلك هل يترك تلاوتها وتبليغها لمخالفتهما لرأي أهل التشبيه والتمثيل ؟ ." (١)

"كتبه وارسل به رسله وهو من الدين فان رسالة الله اما اخبار واما انشاء

فالاخبار عن نفسه عز و جل وعن خلقه مثل التوحيد والقصص الذي يندرج **فيه الوعد والوعيد والانشاء** الامر والنهي والاباحة

وهذا كما ذكر في الحديث ان قل هو الله احد سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لتضمنها الثلث الذي هو التوحيد لأن القرآن توحيد وامر وقصص

وقوله سبحانه في صفة نبينا صلى الله عليه و سلم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث سورة الاعراف ١٥٧ هو لبيان كمال رسالته فإنه صلى الله عليه و سلم هو الذي امر الله على ." (٢)

" وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة سورة الحاقة ١٣ ١٤ الى تمام ما ذكره من امر الجنة والنار

وكذلك في سورة ن والقلم ذكر قصة اهل البستان الذين منعوا حق اموالهم وما عاقبهم به ثم قال كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون سورة القلم ٣٣

وكذلك في سورة التغابن قال ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد سورة التغابن ٥ ٦ ثم قال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن سورة التغابن ٧ وكذلك في سورة ق ذكر حال المخالفين للرسل **وذكر الوعد والوعيد في** الاخرة

وكذلك في سورة القمر ذكر هذا وهذا وكذلك في ال حم مثل حم غافر والسجدة والزخرف والدخان غير ذلك الى ." (٣)

"الله . وقوله : " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " استثناء منقطع أي من شهد بالحق وهم يعلمون هم أصحاب الشفاعة منهم الشافع ومنهم المشفوع له . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنه سأله أبو هريرة فقال : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ فقال : يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٦/٣٣٠

(٢) الاستقامة، ٢/١٩٩

(٣) الاستقامة، ٢/٢٣٩

لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ﴾ . رواه البخاري فجعل أسعد الناس بشفاعته أكملهم إخلاصا . وقال في الحديث الصحيح : ﴿ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة ﴾ . فالجزاء من جنس العمل فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا . ومن سأل الله له الوسيلة حلت عليه شفاعته يوم القيامة " . ولم يقل كان أسعد الناس بشفاعتي بل قال : ﴿ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ﴾ . فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الأعمال وإن كان صالحا كسؤاله الوسيلة للرسول فكيف بما لم يأمر به من الأعمال بل نهى عنه ؟ فذاك لا ينال به خيرا لا في الدنيا ولا في الآخرة مثل غلو النصارى في المسيح عليه السلام فإنه يضرهم ولا ينفعهم . ونظير هذا ما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا ﴾ . وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها . وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة . ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوائب . قال تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ أي بدلا عن الرحمن . هذا أصح القولين كقوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ أي لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر : فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان أي بدلا من ماء زمزم . فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله . قال تعالى : ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ﴾ ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ . ومن ظن أن أرضا معينة." (١)

" وعدله والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه

وفي باب الوعد والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد ." (٢)

" ثم إن الجهم ادعى أمرا فقال إنا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق قلنا أي آية قال قول الله

إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته

فقلنا إن الله منعكم الفهم في القرآن عيسى عليه السلام تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأن عيسى يجري عليه نسمة ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب وهو يخاطب بالأمر والنهي يجري عليه الوعد والوعيد هو من ذرية

---

(١) الجواب الباهر في زيارة المقابر، ص/٦١

(٢) الجواب الصحيح، ١/٧٤

نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال عيسى ولكن المعنى في قوله جل ثناؤه

إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان عيسى ب كن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان فالكن من الله قوله وليس الكن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته لأن الكلمة مخلوقة ." (١)

" وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها **من الوعد والوعيد فهو** في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء وإن كان ذكر المعاد موجودا في غير التوراة من النبوات ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى وقد قيل إن ذلك مذكور في التوراة أيضا لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة ." (٢)

"ص -٥٥- الله ورحمته وعدله والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه وفي **باب الوعد والوعيد بين** الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار.

وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالي في بعضهم الذي يقول بإلهية أو نبوة أو عصمة والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهم خيار هذه الأمة.." (٣)

"ص -٢٧٥- لم يذكر هنا أمه وقوله تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾. قال معمر عن قتادة وكلمته ألقاها إلى مريم هو قوله كن فكان.

وكذلك قال قتادة ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى.

وكذلك قال الإمام أحمد في مصنفه الذي صنفه في كتابه في الرد على الجهمية وذكره عنه الخلال والقاضي أبو يعلى قال أحمد ثم إن الجهم ادعى أمرا فقال إنا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق قلنا أي آية قال قول الله: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته﴾. فقلنا إن الله منعكم الفهم في القرآن عيسى عليه السلام تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأن عيسى يجري عليه نسمة ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب وهو يخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد هو** من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله

(١) الجواب الصحيح، ٢/١٧

(٢) الجواب الصحيح، ٢/٧٩

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/١٥

يقول في القرآن ما قال عيسى ولكن المعنى في قوله جل ثناؤه: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾.." (١)

"ص -٣١٣- تنتهي إليه علم النصرانية صاغرا عن كابر وفيها كتب يدرسونها وكان كثيرا ما يمر الركب فلا يكلمهم حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا منزلا قريبا من الصومعة فصنع لهم الراهب طعاما ودعاهم وإنما حمله على ذلك لشيء رآه فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وأرسل إلى القوم فقال يا معشر قريش أحب أن تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم أحدا فقال وهذا شيء تكرموني فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبي لحظا شديدا وينظر إلى جسده وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب ثم قال الراهب لأبي طالب أرجع بابن أخيك فإنه كائن له شأن عظيم فإنا نجد صفته في كتبنا ويروونه عن آبائنا فلما فرغوا من التجارة رجع أبو طالب سريعا إلى مكة فما خرج بعدها به أبو طالب خوفا عليه.

هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل دعواهم أن المسيح عليه السلام صلب وقول بعضهم أنه إله وقول بعضهم أنه ساحر وطعنهم على سليمان عليه السلام وقولهم أنه كان ساحرا وأمثال ذلك ما يبين أنه لم يأخذ عنهم.

وفي القرآن من قصص الأنبياء عليه السلام ما لا يوجد في التوراة والإنجيل مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك. وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها **من الوعد والوعيد فهو** في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء وإن كان ذكر المعاد موجودا في غير التوراة من النبوات ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى وقد قيل إن ذلك مذكور في التوراة أيضا.." (٢)

"قلت : من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . ثم قلت للوزير المغولي لأي شيء قال عن يزيد وهذا تتري ؟ قال : قد قالوا له إن أهل دمشق نواصب قلت بصوت عال : يكذب الذي قال هنا ومن قال هذا : فعليه لعنة الله ، والله ما في أهل دمشق نواصب وما علمت فيهم ناصبيا ولو تنقص أحد عليا بدمشق لقام المسلمون عليه لكن كان – قديما لما كان بنو أمية ولاة البلاد – بعض بني أمية ينصب العداوة لعلي ويسبه وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد .(١)

---

(١) – هل يجوز لعن يزيد بن معاوية ؟

الحقيقة أنني ترددت كثيرا في إدراج هذه المسألة في هذا البحث وذلك لسببين ، أولهما أن الأمر يحتاج إلى نفس عميق وبحث متأن حتى لا تزل القدم بعد ثبوتها ، والسبب الآخر أن هذه المسألة قد وقع فيها التخبط الكثير من الناس ، وأحيانا من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٨٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٣٢٢

الخواص فضلا عن العوام ، فاستعنت بالله على خوض غمار هذه المسألة ونسأل الله الهداية والرشاد

وقد صنفت المصنفات في لعن يزيد بن معاوية والتبريء منه ، فقد صنف القاضي أبو يعلى كتابا بين فيه من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد بن معاوية ، وألف ابن الجوزي كتابا سماه " الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد " ، وقد اتهم الذهبي – رحمه الله– يزيد بن معاوية فقال : "كان ناصبيا، فظا ، غليظا ، جلفا ، يتناول المسكر ويفعل المنكر " ، وكذلك الحال بالنسبة لابن كثير – رحمه الله – حينما قال : " وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم ، والحلم ، والفصاحة ، والشعر ، والشجاعة ، وحسن الرأي في الملك ، وكان ذا جمال وحسن معاشرة ، وكان فيه أيضا إقبال على الشهوات ، وترك الصلوات في بعض أوقاتها ، وإماتتها في غالب الأوقات "

قلت : الذي يجوز لعن يزيد وأمثاله ، يحتاج إلى شيئين يثبت بهما أنه كان من الفاسقين الظالمين الذين تباح لعنتهم ، وأنه مات مصرا على ذلك ، والثاني : أن لعنة المعين من هؤلاء جائزة .

وسوف نورد فيما يلي أهم الشبهات التي تعلق بها من استدل على لعن يزيد والرد عليها :

أولا: استدلوا بجواز لعن يزيد على أنه ظالم ، فباعتباره داخلا في قوله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾

الرد على هذه الشبهة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " هذه آية عامة كآيات الوعيد ، بمنزلة قوله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾وهذا يقتضي أن هذا الذنب سبب للعن والعذاب ، لكن قد يرتفع موجبه لمعارض راجح ، إما توبة ، وإما حسنات ماحية ، وإما مصائب مكفرة ، وإما شفاعة شفيع مطاع ، ومنها رحمة أرحم الراحمين " ا.هـ .

فمن أين يعلم أن يزيد لم يتب من هذا ولم يستغفر الله منه ؟ أو لم تكن له حسنات ماحية للسيئات ؟ أو لم يبتلى بمصائب وبلاء من الدنيا تكفر عنه ؟ وأن الله لا يغفر له ذلك مع قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن لعن الموصوف لا يستلزم إصابة كل واحد من أفراده إلا إذا وجدت الشروط ، وارتفعت الموانع ، وليس الأمر كذلك "

ثانيا : استدلوا بلعنه بأنه كان سببا في قتل الحسين – رضي الله عنه – :

الرد على هذه الشبهة:

الصواب أنه لم يكن ليزيد بن معاوية يد في قتل الحسين – رضي الله عنه – ، وهذا ليس دفاعا عن شخص يزيد لكنه قول الحقيقة ، فقد أرسل يزيد عبيد الله بن زياد ليمنع وصول الحسين إلى الكوفة ، ولم يأمر بقتله ، بل الحسين نفسه كان حسن الظن بيزيد حتى قال دعوني أذهب إلى يزيد فأضع يدي في يده . قال ابن الصلاح – رحمه الله – : " لم يصح عندنا أنه أمر بقتله – أي الحسين رضي الله عنه – ، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله –كرمه الله – إنما هو عبيد الله بن زياد والي العراق إذ ذاك "

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك وظهر البكاء في داره ، ولم يسب لهم

حريما بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم ، أما الروايات التي في كتب الشيعة أنه أهين نساء آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات ، وأهن هناك هذا كله كلام باطل ، بل كان بنو أمية يعظمون بني هاشم ، ولذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر ، وأمر الحجاج أن يعتزلها وأن يطلقها ، فهم كانوا يعظمون بني هاشم ، بل لم تسب هاشمية قط " ا.هـ .

قال ابن كثير – رحمه الله – : " وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله – أي قتل الحسين – بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم ولا كرهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه ، كما أوصاه أبوه ، وكما صرح هو به مخبرا عن نفسه بذلك ، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو "ا.هـ.

وقال الغزالي – رحمه الله – : " فإن قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به ؟ قلنا : هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت ، فضلا عن اللعنة ، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق "

قلت : ولو سلمنا أنه قتل الحسين ، أو أمر بقتله وأنه سر بقتله ، فإن هذا الفعل لم يكن باستحلال منه ، لكن بتأويل باطل ، وذلك فسق لا محالة وليس كفرا ، فكيف إذا لم يثبت أنه قتل الحسين ولم يثبت سروره بقتله من وجه صحيح ، بل حكي عنه خلاف ذلك .

قال الغزالي : "فإن قيل : فهل يجوز أن يقال : قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا : الصواب أن يقال : قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله ، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة ، لأن وحشيا قتل حمزة عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز أن يلعن ، والقتل كبيرة ولا تنتهي به إلى رتبة الكفر ، فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر ، وليس في السكوت خطر ، فهو أولى "

ثالثا : استدلوا بلعنه بما صنعه جيش يزيد بأهل المدينة ، وأنه أباح المدينة ثلاثا حيث استدلوا بحديث " من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله من صرفا ولا عدلا "

الرد على هذه الشبهة :

إن الذين خرجوا على يزيد بن معاوية من أهل المدينة كانوا قد بايعوه بالخلافة ، وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من أن يبايع الرجل الرجل ثم يخالف إليه ويقاتله ، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع ،فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر " ، وإن الخروج على الإمام لا يأتي بخير ، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة التي تحذر من الإقدام على مثل هذه الأمور ، لذلك قال الفضيل بن عياض– رحمه الله – : " لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في إمام ، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد " ، وهذا الذي استقرت عليه عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومعركة الحرة تعتبر فتنة عظيمة ، والفتنة يكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل ، حتى لا يتميز لكثير من الناس ، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته ،ويكون فيها ظهور قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير ، فالفتنة كما قال شيخ الإسلام : " إنما يعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت فأما إذا أقبلت فإنها تزين ، ويظن أن فيها خيرا " .

وسبب خروج أهل المدينة على يزيد ما يلي :

غلبة الظن بأن بالخروج تحصل المصلحة المطلوبة ، وترجع الشورى إلى حياة المسلمين ، ويتولى المسلمين أفضلهم .
عدم علم البعض منهم بالنصوص النبوية الخاصة بالنهي عن الخروج على الأئمة .
قال القاضي عياض بشأن خروج الحسين وأهل الحرة وابن الأشعث وغيرهم من السلف : " على أن الخلاف وهو جواز الخروج أو عدمه كان أولا ، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم والله أعلم " ، ومن المعلوم أن أهل الحرة متأولون ، والمتأول المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة ، لأنهم لا يريدون إلا الخير لأمتهم ، فقد قال العلماء : " إنه لم تكن خارجة خير من أصحاب الجماجم والحرة " ، وأهل الحرة ليسوا أفضل من علي وعائشة و طلحة و الزبير وغيرهم ، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال ، وهم أعظم قدرا عند الله ، وأحسن نية من غيرهم .
... فخروج أهل الحرة كان بتأويل ، ويزيد إنما يقاتلهم لأنه يرى أنه الإمام ، وأن من أراد أن يفرق جمع المسلمين فواجب مقاتلته وقتله ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح .وكان علي – رضي الله عنه – يقول : " لو أن رجلا ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه ، ولو أن رجلا ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه "
... أما إباحة المدينة ثلاثا لجند يزيد يعبثون بها يقتلون الرجال ويسبون الذرية وينتهكون الأعراض ، فهذه كلها أكاذيب وروايات لا تصح ، فلا يوجد في كتب السنة أو في تلك الكتب التي ألفت في الفتن خاصة ، كالفتن لنعيم بن حماد أو الفتن لأبي عمرو الداني أي إشارة لوقوع شيء من انتهاك الأعراض ، وكذلك لا يوجد في أهم المصدرين التاريخيين المهمين عن تلك الفترة (الطبري والبلاذري) أي إشارة لوقوع شيء من ذلك ، وحتى تاريخ خليفة على دقته واختصاره لم يذكر شيئا بهذه الصدد ، وكذلك إن أهم كتاب للطبقات وهو طبقات ابن سعد لم يشر إلى شيء من ذلك في طبقاته .
نعم قد ثبت أن يزيد قاتل أهل المدينة ، فقد سأل مهنا بن يحيى الشامي الإمام أحمد عن يزيد فقال : " هو فعل بالمدينة ما فعل قلت : وما فعل ؟ قال : قتل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفعل . قلت : وما فعل ؟ قال : نهبها " وإسنادها صحيح ، أما القول بأنه استباحها فإنه يحتاج إلى إثبات ، وإلا فالأمر مجرد دعوى ، لذلك ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى إنكار ذلك ، من أمثال الدكتور نبيه عاقل ، والدكتور العرينان ، والدكتور العقيلي . قال الدكتور حمد العرينان بشأن إيراد الطبري لهذه الرواية في تاريخه " ذكر أسماء الرواة متخليا عن مسئولية ما رواه ، محملا إيانا مسئولية إصدار الحكم ، يقول الطبري في مقدمة تاريخه : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت من قبلنا وإنما أتي من بعض ناقليه إلينا "ا.هـ.
... قلت : ولا يصح في إباحة المدينة شيء ، وسوف نورد فيما يلي هذه الروايات التي حصرها الدكتور عبد العزيز نور – جزاه الله خيرا – في كتابه المفيد " أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري – والتي نقلها من كتب التاريخ المعتمدة التي عنيت بهذه الوقعة :
... نقل ابن سعد خبر الحرة عن الواقدي . ونقل البلاذري عن هشام الكلبي عن أبي مخنف نصا واحدا ، وعن الواقدي ثلاثة نصوص . ونقل الطبري عن هشام الكلبي أربعة عشر مرة ، وهشام الكلبي الشيعي ينقل أحيانا من مصدر شيعي آخر وهو أبو مخنف حيث نقل عنه في خمسة مواضع .ونقل الطبري عن أبي مخنف مباشرة مرة واحدة . وعن الواقدي مرتين .

واعتمد أبو العرب على الواقدي فقط ، فقد نقل عنه أربعا وعشرين مرة .ونقل الذهبي نصين عن الواقدي . وذكرها البيهقي من طريق عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن سفيان الفسوي . وأول من أشار إلى انتهاك الأعراض هو المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ ويعتبر ابن الجوزي أول من أورد هذا الخبر في تاريخه .

قلت : مما سبق بيانه يتضح أن الاعتماد في نقل هذه الروايات تكمن في الواقدي ، وهشام الكلبي ، وأبي مخنف ، بالإضافة إلى رواية البيهقي التي من طريق عبد الله بن جعفر .

... أما الروايات التي جاءت من طريق الواقدي فهي تالفة ، فالواقدي قال عنه ابن معين : " ليس بشيء " . وقال البخاري : " سكتوا عنه ، تركه أحمد وابن نمير " . وقال أبو حاتم و النسائي : " متروك الحديث " .وقال أبو زرعة : " ضعيف " .

... أما الروايات التي من طريق أبي مخنف ، فقد قال عنه ابن معين : " ليس بثقة " ، وقال أبو حاتم : " متروك الحديث " . وقال النسائي : " إخباري ضعيف " . وقال ابن عدي : " حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ، ولا يبعد أن يتناولهم ، وهو شيعي محترق ، صاحب أخبارهم ، وإنما وصفته لأستغني عن ذكر حديثه ، فإني لا أعلم له منة الأحاديث المسندة ما أذكره ، وإنما له من الأخبار المكروهة الذي لا أستحب ذكره " . وأورده الذهبي في " ديوان الضعفاء " و " المغني في الضعفاء " . وقال الحافظ : " إخباري تالف " .

مناقشة الروايات التي جاء فيها هتك الأعراض : ...

أما الروايات التي جاء فيها هتك الأعراض ، وهي التي أخرجها ابن الجوزي من طريق المدائني عن أبي قرة عن هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج ، والرواية الأخرى التي أخرجها البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان : قال : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن المغيرة قال : أنهب مسرف بن عقبة المدينة ثلاثة أيام . فزعم المغيرة أنه افتض ألف عذراء ، فالروايتان لا تصحان للعلل التالية:

... – أما رواية المدائني فقد قال الشيباني : " ذكر ابن الجوزي حين نقل الخبر أنه نقله من كتاب الحرة للمدائني ، وهنا يبرز سؤال ملح : وهو لماذا الطبري والبلاذري ، وخليفة وابن سعد وغيرهم ، لم يوردوا هذا الخبر في كتبهم ، وهم قد نقلوا عن المدائني في كثير من المواضع من تآليفهم ؟ قد يكون هذا الخبر أقحم في تآليف المدائني ، وخاصة أن كتب المدائني منتشرة في بلاد العراق ، وفيها نسبة لا يستهان بها من الرافضة ، وقد كانت لهم دول سيطرت على بلاد العراق ، وبلاد الشام ، ومصر في آن واحد ، وذلك في القرن الرابع الهجري ، أي قبل ولادة ابن الجوزي رحمه الله ، ثم إن كتب المدائني ينقل منها وجادة بدون إسناد " ا.هـ.

... – في إسناد البيهقي عبد الله بن جعفر ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/٤٠٠) وقال : " قال الخطيب سمعت اللالكائي ذكره وضعفه . وسألت البرقاني عنه فقال : ضعفوه لأنه روى التاريخ عن يعقوب أنكروا ذلك ، وقالوا : إنما حديث يعقوب بالكتاب قديما فمتى سمع منه؟ "ا.هـ.

راوي الخبر هو : المغيرة بن مقسم ، من الطبقة التي عاصرت صغار التابعين ،ولم يكتب لهم سماع من الصحابة ، وتوفي سنة ١٣٦هـ ، فهو لم يشهد الحادثة فروايته للخبر مرسلة .

كذلك المغيرة بن مقسم مدلس ، ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين الذين لا يحتج بهم إلا إذا صرحوا بالسماع

.

الراوي عن المغيرة هو عبد الحميد بن قرط ، اختلط قبل موته ، ولا نعلم متى نقل الخبر هل هو قبل الاختلاط أم بعد الاختلاط ، فالدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

الرواية السالفة رويت بصيغة التضعيف ، والتشكيك بمدى مصداقيتها : " زعم المغيرة – راوي الخبر – أنه افتض فيها ألف عذراء .

أما الرواية الأخرى التي جاء فيها وقوع الاغتصاب ، هي ما ذكرها ابن الجوزي أن محمد بن ناصر ساق بإسناده عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشي عن خالد الكندي عن عمته أم الهيثم بنت يزيد قالت : " رأيت امرأة من قريش تطوف ، فعرض لها أسود فعانقته وقبلته ، فقلت : يا أمة الله أتفعلين بهذا الأسود ؟ فقالت : هو ابني وقع علي أبوه يوم الحرة " ا.هـ.

خالد الكندي وعمته لم أعثر لهما على ترجمة .

أما الرواية التي ذكرها ابن حجر في الإصابة أن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان ابن مطيع من رجال قريش شجاعة ونجدة ، وجلدا فلما انهزم أهل الحرة وقتل ابن حنظلة وفر ابن مطيع ونجا ، توارى في بيت امرأة ، فلما هجم أهل الشام على المدينة في بيوتهم ونهبوهم ، دخل رجل من أهل الشام دار المرأة التي توارى فيه ابن مطيع ، فرأى المرأة فأعجبته فواثبها ، فامتنعت منه ، فصرعها ، فاطلع ابن مطيع على ذلك فخلصها منه وقتله "

وهذه الرواية منقطعة ، فرواوي القصة هو مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦هـ ، والحرة كانت في سنة ٦٣هـ ، فيكون بينه وبين الحرة زمن طويل ومفاوز بعيدة .

قلت :فلم نجد لهم رواية ثابتة جاءت من طريق صحيح لإثبات إباحة المدينة ،بالرغم من أن شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن حجر – رحمهما الله – قد أقرا بوقوع الاغتصاب ، ومع ذلك لم يوردا مصادرهم التي استقيا منها معلوماتهما تلك ، ولا يمكننا التعويل على قول هذين الإمامين دون ذكر الإسناد ، فمن أراد أن يحتج بأي خبر كان فلا بد من ذكر إسناده ، وهو ما أكده شيخ الإسلام ابن تيميه حينما قال في المنهاج : " لا بد من ذكر (الإسناد) أولا ، فلو أراد إنسان أن يحتج بنقل لا يعرف إسناده في جرزة بقل لم يقبل منه ، فكيف يحتج به في مسائل الأصول " ا.هـ . فكيف نقبل الحكم الصادر على الجيش الإسلامي في القرون المفضلة بأنه ينتهك العرض دون أن تكون تلك الروايات مسندة ، أو لا يمكن الاعتماد عليها ! ثم على افتراض صحتها جدلا فأهل العلم حينما أطلقوا الإباحة فإنما يعنون بها القتل والنهب كما جاء ذلك عن الإمام أحمد ، وليس اغتصاب النساء ، فهذه ليست من شيمة العرب ، فمن المعلوم أن انتهاك العرض أعظم من ذهاب المال ، فالعرب في الجاهلية تغار على نسائها أشد الغيرة ، وجاء الإسلام ليؤكد هذا الجانب ويزيده قوة إلى قوته ، واستغل الرافضة هذه الكلمة – الإباحة – وأقحموا فيها هتك الأعراض ، حتى أن الواقدي نقل بأن عدد القتلى بلغ سبعمائة رجل من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس ، وعشرة آلاف من سائر الناس ! وهو الذي أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– فقال : لم يقتل جميع الأشراف ، ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف ، ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي – صلى الله عليه وسلم –" ا.هـ.

ثم إن المدينة كانت تضم الكثير من الصحابة والتابعين ، وبعضهم لم يشترك في المعركة من أمثال : ابن عمر ، وأبي سعيد

الخدري ، وعلي بن الحسين ، وسعيد بن المسيب ، وهؤلاء لن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يشاهدون النساء المؤمنات يفجر بهن ، حتى التبس أولاد السفاح بأولاد النكاح كما زعموا ! .

كما أننا لا نجد في كتب التراجم أو التاريخ ذكرا لأي شخص قيل إنه من سلالة أولاد الحرة (الألف) كما زعموا .

سجل لنا التاريخ صفحات مشرقة ما اتسم به الجندي المسلم والجيوش الإسلامية ، من أخلاق عالية وسلوك إسلامي عظيم ، حتى أدت في بعض الأحيان إلى ترحيب السكان بهم ، كفاتحين يحملون الأمن والسلام والعدل للناس .

لم ينقل إلينا أن المسلمين يفتحون المدن الكافرة ، ويقومون باستباحتها وانتهاك أعراض نسائها ! فكيف يتصور أن يأتي هذا المجاهد لينتهك أعراض المؤمنات ، بل أخوات وحفيدات الصحابة – رضوان الله عليهم – سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن العجيب أن هناك من نسب إلى يزيد بن معاوية أنه لما بلغته هزيمة أهل المدينة بعد معركة الحرة ، تمثل بهذا البيت :

ألا ليت أشياخي ببدر شهدوا ... ... جزع الخزرج من وقع الأسل

فهذا البيت قاله ابن الزبعري بعد معركة أحد ، وكان كافرا ويتشفى بقتل المسلمين ، وذكره ابن كثير ثم عقب بعده بالقول : " فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فعليه لعنة الله وعليه لعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه " ا.هـ. ثم أنكر – رحمه الله – في موضع آخر من كتابه نسبة هذا البيت إلى يزيد ، وقال : " إنه من وضع الرافضة " ا.هـ. ، وجزم شيخ الإسلام ببطلانه فقال : " ويعلم ببطلانه كل عاقل "

رابعا : استدلوا بجواز لعنه بما روي عن الإمام أحمد :

... وهي التي أخرجها أبو يعلى الفراء بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي : إن قوما ينسبون إلى تولية يزيد ، فقال : يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله ؟ فقلت : ولم لا تلعنه ؟ فقال : ومتى رأيتني ألعن شيئا ، ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقرأ قوله تعالى ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

قلت : وهذه الرواية لا تصح للعلل التالية :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " هذه الرواية التي ذكرت عن أحمد منقطعة ليست ثابتة عنه ، ثم إن الآية لا تدل على لعن المعين " ا.هـ.

ثبت عن الإمام أحمد النهي عن اللعن ، كما في رواية صالح نفسه ، أن أحمد قال : " ومتى رأيت أباك يلعن أحدا ، لما قيل له ألا تلعن يزيد " ، وحين سأل عصمة بن أبي عصمة أبو طالب العكبري الإمام أحمد عن لعن يزيد ، قال : " لا تتكلم في هذا . قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لعن المؤمن كقتله " ، وقال : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم " . وقد كان يزيد فيهم فأرى الإمساك أحب إلي " ا.هـ.

قال الخلال : " وما عليه أحمد هو الحق من ترك لعن المعين ، لما فيه من أحاديث كثيرة تدل على وجوب التوقي من إطلاق اللعن "

قال تقي الدين المقدسي : " إن المنصوص عن أحمد الذي قرره الخلال اللعن المطلق لا المعين ، كما قلنا في **نصوص الوعد والوعيد** ، وكما نقول في الشهادة بالجنة والنار ، فإنا نشهد بأن المؤمنين في الجنة ، وأن الكافرين في النار ، ونشهد بالجنة

والنار لمن شهد له الكتاب والسنة ، ولا نشهد بذلك لمعين إلا من شهد له النص ، أو شهدت له الاستفاضة على قول ، ثم إن النصوص التي جاءت في اللعن جميعها مطلقة ، كالراشي والمرتشي ، وآكل الربا وموكله ، وشاهديه وكاتبه " ا.هـ.

اختلاف الحنابلة – رحمهم الله – في تجويز لعن يزيد إنما جاء باعتماد بعضهم على رواية صالح المنقطعة ، والتي لا تثبت عن الإمام أحمد – رحمه الله – ، لذلك اعتمد أبو يعلى على تلك الرواية فألف كتابا ذكر فيه بيان ما يستحق من اللعن ، وذكر منهم يزيد ، وتابعه في ذلك ابن الجوزي – رحمه الله – فألف كتابا سماه " الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد " ، وأباح فيه لعن يزيد بن معاوية .ولم يقتصر ذلك على بعض فقهاء الحنابلة بل امتد إلى غيرهم ، فتابع السيوطي ابن الجوزي في ذلك ، وإلى ذلك ذهب ابن حجر – رحمه الله – وذكر أن الإمام أحمد يجيز لعن يزيد ، بينما شذ أبو المعالي حينما نقل الإتفاق على جواز لعن يزيد بن معاوية .

خامسا : استدلوا بجواز لعنه بأنه كان يقارف المسكرات ، وينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويدع الصلوات :

... نقل الطبري روايتين عن أبي مخنف . ونقل البلاذري عدة روايات عن الواقدي . ونقل ابن عساكر وابن كثير عن محمد بن زكريا الغلابي نصا واحدا .ونقل البيهقي وابن عساكر وابن كثير رواية واحدة من طريق الفسوي . ونقل ابن كثير رواية واحدة عن أبي مخنف .ونقل الطبري وخليفة بن خياط وأبو الحسن العبدي وابن كثير والذهبي وابن حجر على رواية جويرية بن أسماء عن أشياخ أهل المدينة ، ونقل ابن سعد عن الواقدي نصا واحدا .ونقل البياسي عن أبي مخنف نصا واحدا .ونقل ابن عساكر عن عمر بن شبة باتهام يزيد بشرب الخمر .

... قلت : مما سلف بيانه يتضح أن الاعتماد في نقل تلك الروايات تكمن في الواقدي ، وأبي مخنف ، وعوانة بن الحكم ، ورواية عمر بن شبة .

... فأما الروايات التي من طريق الواقدي وأبي مخنف فهما متروكا الحديث ، وأما عوانة بن الحكم فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : " فكان يضع الأخبار لبني أمية " .وأما رواية عمر بن شبة التي تشير إلى اتهام يزيد بشرب الخمر في حداثته ، فقد تكفل ابن عساكر – رحمه الله – في ردها فقال : " وهذه حكاية منقطعة ، فإن عمر بن شبة بينه وبين يزيد زمان "

... قلت : وأقوى ما يتعلق به المتهمون يزيد بشرب الخمر بروايتين :

الرواية الأولى :

... وهي التي أخرجها ابن عساكر وغيره من طريق محمد بن زكريا الغلابي ، في أن يزيد كان يشرب الخمر في حداثته ، فأرشده أبوه إلى شربها ليلا فقط!! ، وهذه الرواية لا تصح سندا ولا متنا للعلل التالية :

في سندها محمد بن زكريا الغلابي ، قال عنه الدارقطني : "كان يضع الحديث "، وذكره الذهبي في " المغني في الضعفاء " ، وساق له حديثا في ميزان الاعتدال ، وقال : " فهذا من كذب الغلابي " .

وفي سندها ابن عائشة راوي الخبر ، وهو محمد بن حفص بن عائشة ، فقد ذكره أبو حاتم و البخاري و سكتا عنه ، فهو مجهول عندهما كما قرر ذلك ابن القطان في كتابه : " بيان الوهم والإيهام " .

لم تحدد المصادر تاريخ وفاة ابن عائشة ، غير أن ابنه عبد الله الراوي عنه توفي سنة ٢٢٨هـ ، وبهذا فإن ابن عائشة ولد تقريبا بعد المائة من الهجرة ، ومن ثم تكون الرواية مرسلة ، لأن الراوي بينه وبين هذه القصة – على افتراض وقوعها – أمد بعيد

.

من ناحية المتن فكيف يرضى معاوية – رضي الله عنه – لولده بشرب الخمر ، ويشجعه عليها ليلا ، ومعاوية هو الصحابي الجليل وأخو أم المؤمنين وكاتب الوحي المبين ، وهو رواي الحديث : " من شرب الخمر فاجلدوه ".

قال الشيباني – حفظه الله – : " ومن الغريب أن ابن كثير – رحمه الله – بعد إيراده لهذا الخبر تعقبه بقوله : قلت : وهذا كما جاء في الحديث من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل " ويفهم من تعقيب ابن كثير كأنه مؤيد لهذه الرواية التي لا تحظى بأي نسبة من الصدق " ا.هـ.

الرواية الثانية :

وهي رواية يعقوب بن سفيان البسوي : سمعت ابن عفير : أخبرنا ابن فليح أن عمرو بن حفص وفد على يزيد فأكرمه ، وأحسن جائزته ، فلما قدم المدينة قام إلى جنب المنبر ، وكان مرضيا صالحا . فقال : ألم أجب ؟ ألم أكرم ؟ والله لرأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة سكرا. فأجمع الناس على خلعه بالمدينة فخلعوه "

... قلت : هذه الرواية لا تصح سندا ولا متنا ، وذلك للعلل التالية :

ابن فليح هو يحيى بن فليح بن سليمان المدني ، قال عنه ابن حزم : " مجهول " وقال مرة : " ليس بالقوي " . @@@

.

ابن فليح وأبوه أيضا لم يدركا هذه الحادثة ،فقد ولد أبوه سنة ٩٠ من الهجرة تقريبا ، وتوفي سنة ثمان وستين ومئة من الهجرة ، ومن هنا يتضح أن كان بين مولد أبيه والحادثة مفاوز طويلة وزمان بعيد ، ومن ثم تبقى الرواية منقطعة .

عندما ذهب عبد الله بن مطيع إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب ، فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة ، متحريا للخير ، يسأل عن الفقه ملازما للسنة ، قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعا ، فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لك يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا "

محمد بن الحنفية هو أخو الحسين بن علي ، وقد قتل أخوته وأقاربه في كربلاء ، وليس من المعقول أن يقف مع يزيد ، خاصة إذا علم أنه كان يشرب الخمر ويترك الصلاة .

كذلك أقام علي بن الحسين طويلا عند يزيد (قرابة الشهر) ، وذلك بعد مقتل والده وأقاربه في كربلاء ، ومع ذلك لم نجد رواية واحدة عن علي بن الحسين يتهم فيها يزيد بن معاوية بشرب الخمر .

الصحابيان الجليلان النعمان بن بشير وعبد الله بن جعفر – رضي الله عنهما – من الذين كانت لهم صلة قوية بيزيد ، فالنعمان كان أميره على الكوفة ، ثم جعله مستشارا له في أمور الدولة ، وعبد الله بن جعفر صحابي جليل كان يحبه – صلى الله عليه وسلم – وكان يقول : " وأما عبد الله فشبه خلقي وخلقي " ، ولم نر هذين الصحابيين الجليلين ذكرا يزيد بالخمر ، أو ترك الصلاة ، فكيف يكون لهما هذه المنزلة ولا يعرفون عن يزيد ما اطلع عليه المغرضون المتهمون يزيد بشربها

.

لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " ولم يكن يزيد مظهرا للفواحش كما يحكي عنه خصومه "ا.هـ.
ونورد فيما يلي أقوال أهل السنة والجماعة في مسألة لعن يزيد :
قال ابن العربي – رحمه الله – : " فإن قيل إن يزيد كلن خمارا ، قلنا : لا يحل إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه " ا.هـ.
قال ابن حجر الهيتمي : " لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه ، إلا أن يعلم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب ، ولأن اللعن هو الطرد من رحمة الله ، الملتزم لليأس منها ، وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر " ا.هـ.
قال ابن الصلاح : " لم يصح عندنا أنه أمر بقتله – أي قتل الحسين – ، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله –كرمه الله – ، إنما هو يزيد بن زياد والي العراق إذ ذاك ، وأما سب يزيد ولعنه فليس من شأن المؤمنين ، فإن صح أنه قتله أو أمر بقتله، وقد ورد في الحديث المحفوظ : " أن لعن المسلم كقتله "، وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – ، والناس في يزيد ثلاث فرق : فرقة تحبه وتتولاه ، وفرقة أخرى تسبه وتلعنه ، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه ، وتسلك به سبيل سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وشبهه ،وهذه الفرقة هي الصائبة ، ومذهبها اللائق بمن يعرف سير الماضين ،ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة ، جعلنا الله من خيار أهلها آمين "
قال الذهبي : " ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين ، وكذلك من ملوك النواحي ، بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بتسع وأربعين سنة ، والعهد قريب ، والصحابة موجودون ، كابن عمر الذي كان أولى منه ومن أبيه وجده "
وقال ابن الحداد الشافعي في عقيدته : " ونترحم على معاوية ، ونكل سريرة يزيد إلى الله تعالى "
وسئل الحافظ عبد الغني المقدسي عن يزيد بن معاوية فأجاب بقوله : " خلافته صحيحة ، وقال بعض العلماء : بايعه ستون من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن عمر ، وأما محبته : فمن أحبه فلا ينكر عليه ، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك ، لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فيلزم محبتهم إكراما لصحبتهم ، وليس ثم أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين ، كعبد الملك وبنيه ، وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه ، خوفا من التسلق إلى أبيه ، وسدا لباب الفتنة "
وأفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (فتوى رقم ١٤٦٦) :" وأما يزيد بن معاوية فالناس فيه طرفان ووسط ، وأعدل الأقوال الثلاثة فيه أنه كان ملكا من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ، ولم يولد إلا في خلافة عثمان – رضي الله عنه – ولم يكن كافرا ،ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين ، وفعل ما فعل بأهل الحرة ، ولم يكن صاحبا ، ولا من أولياء الله الصالحين ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :" وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة ، وأما بالنسبة للعنه فالناس فيه ثلاث فرق ، فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه ،.. وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين ، وهذا القول الوسط مبني على أ،ه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنه ، أو بناء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه ، إما تحريما أو تنزيها ، فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر في قصة عبد الله بن حمار الذي تكرر منه شرب الخمر ، وجلده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، لما لعنه بعض الصحابة ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لعن المؤمن كقتله " متفق عليه

وهذا كما أ، نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى والزنا والسرقة فلا يشهد بها على معين بأنه من أصحاب النار ، لجواز تخلف المقتضى عن المقتضى ، وغير ذلك من المكفرات للذنوب ، هذا بالنسبة لمنع سبه ولعنته .
وأما بالنسبة لترك المحبة ، فلأنه لم يصدر منه من الأعمال الصالحة ما يوجب محبته ، فبقي من الملوك السلاطين ، وحب أشخاص هذا النوع ليست مشروعة ، ولأنه صدر عنه ما يقتضي فسقه وظلمه في سيرته ، وفي أمر الحسين وأمر أهل الحرة " ا.هـ.
ملاحظة : إنه من العجيب والغريب حقا أن يأتي أحد طلبة العلم الغيورين متبنيا قضية معينة ، مثل هذه القضية وهي عدم صحة تلك الافتراءات على يزيد ، وتأخذه الحماسة إلى حد بعيد لدرجة أنه يطعن في بعض أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يبرأ يزيد من تلك التهم ، كما حدث لمؤلف كتاب " مواقف المعارضة في خلافة يزيد " لمحمد بن رزان الشيباني – هداه الله – فأراد أن يدافع عن يزيد فطعن في ابن الزبير – رضي الله عنه فقد اتهم الشيباني – حفظه الله – عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – أنه هو المتسبب في إلصاق التهمة بيزيد في شربه للخمر ، فقال : " ولاحظ ابن الزبير مشاعر السخط التي عمت أهل الحجاز عموما بسبب قتل الحسين ، فأخذ يدعو إلى الشورى وينال من يزيد ويشتمه ، ويذكر شربه للخمر ويثبط الناس عنه " ا.هـ. وقال في موضع آخر : " فأخذ يدع ويبدو أن يزيد قد علم بتلك التهمة التي ألصقت به ، وعرف أن ابن الزبير – رضي الله عنه – هو المتسبب في إلصاق تلك التهمة به ، مما جعل يزيد ينكر ذلك ، ويؤكد النفي بأمر عملي حين جهز الجيوش لحرب ابن الزبير ، وأهل المدينة ، وكأنه يقول لهم إن الذي يشرب الخمر لا يجهز جيشا ولا يرسل بعثا " ا.هـ.
قلت : وهذا الطعن لا يصح سندا ولا متنا ، فقد اعتمد الشيباني على رواية الطبري في تاريخه (٤٧٥/٥) عن أبي مخنف ، و الأزرقي في أخبار مكة (٢٠١/١) بسند قال عنه الشيباني في الحاشية : "كل رجاله ثقات حتى ابن جريج " ، وهذه الروايات لا تصح فأبو مخنف تالف لا تحل الرواية عنه ، وأما رواية ابن جريج ففيها جهالة قال ابن جريج : سمعت غير واحد من أهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها " ، فابن جريج لم يسم شيوخه ، وهو يروي عن الضعفاء ، فلا نقبل الرواية حتى يسمي شيوخه ، هذا من جهة السند أما من جهة المتن ففيه إساءة واضحة لصحابي جليل ، وهو الرجل الذي أول ما دخل جوفه ريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قام بتحنيكه ، وهو من فقهاء الصحابة المعدودين ، وكان إذا ذكر ابن الزبير عند ابن عباس قال : " قارئ لكتاب الله ، عفيف في الإسلام ، أبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبو بكر وعمته خديجة ، وخالته عائشة ، وجدته صفية ، والله إني لأحاسب له نفسي محاسبة لم أحاسب بها لأبي بكر وعمر "
الخاتمة ونتيجة البحث :
لا يصح حديث " حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار "
على طالب العلم مراعاة أقوال الأئمة المتقدمين ، والأخذ بعين الاعتبار أحكام أهل العلم ونقاد الحديث على الروايات المراد بحثها ، حتى لا تصطدم أحكامنا بأحكام أهل العلم ، وأن لا ندخل بسبب ذلك على الأحاديث الحسنة أحاديث لا تصح قد فرغ الأئمة من ردها .

وجوب الرجوع إلى كتب علل الحديث المتخصصة والبحث عن أقوال أهل العلم ليس أمرا للتقليد وقفل باب الاجتهاد بل هو أخذ العلم من أهله ومعرفته من أربابه .

لا يجوز الحكم على الكافر المعين بأنه من أهل النار ، إلا من مات على الكفر وعلمنا حاله قبل أن يموت مثل فرعون وهامان وأبي جهل وأمثالهم .

من معتقد أهل السنة والجماعة أن لا يلعن إلا من استحق اللعنة بنص من كتاب أو سنة .

لا يعني التوقف في الحكم والتعيين على الكافر الميت بأنه من أهل النار أنه ليس بكافر ، بل كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر ، أما التعيين في أحكام الثواب والعقاب موكول إلى علم الله وحكمته .

يجوز اللعن بوصف عام مثل : لعنة الكافرين والظالمين والمبتدعة والفاسقين لأن المراد الجنس لا الأفراد .

لا يجوز لعن الكافر المعين الحي أو الميت الذي لم يظهر من شواهد الحال أنه مات على الكفر أو الإسلام .

تحريم لعن المسلم العاصي الفاسق أو الفاجر .

عدم جواز لعن يزيد بن معاوية لأنه لم يثبت في حقه أنه كان مظهرا للفواحش كما ادعى المدعون .

لا يجوز نسبة المسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ،فالروايات التي ذكرناها لا يمكن الاعتماد على واحدة منها ، في اتهام يزيد بشرب الخمر وإباحة المدينة ، فالأمر يتعلق بعدالة خليفة المسلمين ، الذين كان فيهم العديد من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فإذا كان التحري وعدالة الشهود أساسية في إدانة أي شخص فما بالك في خليفة المسلمين في القرن المفضل .

عدم صحة إباحة المدينة ، وأن انتهاك الأعراض لا أساس لها من الصحة ،وتهدف إلى إظهار جيش الشام بأنه جيش بربري لا يستند لأسس دينية أو عقائدية أو أخلاقية .

بل هذا الاتهام لا يقصد به الجيش الأموي فقط ، بل يتعدى إلى ما هو أعظم وهو اتهام الجيش الإسلامي بأنه بربري ، فإذا كانت مدينة المصطفى – عليه أفضل الصلاة والتسليم – لم تفلت من البطش والنهب وانتهاك الأعراض – كما جاءت بذلك الروايات – فما بالك بالبلدان التي افتتحتها الجيوش الإسلامية لنشر الإسلام .

عدم إنكار معركة الحرة ، ولكن ننكر التضخيم والتهويل والكذب ، والتي ذكرتها بعض المصادر التاريخية .

على افتراض أن يزيد كان مظهرا للفواحش ، فمن أين يعلم أنه ما تاب قبل الممات .

في اللعن خطر جسيم ، وقد يفضي بصاحبه للمهالك ، بينما في السكوت النجاة .

لا يجوز سب الأموات لأنهم أفضوا إلى ما قدموا ، ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما سمع رجلا شتم أبا جهل فقال : " لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء " – سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٧٩) .

لا يصح نسبة مقارفة يزيد للمسكرات وأنه ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويدع الصلوات ، فو الله لو رميت هذه الأوصاف بمجنون لكان أولى ولصدقناها ، فكيف يعقل من خليفة للمسلمين في القرن المفضل الذين كان بهم أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تنسب إليه هذه الأوصاف القبيحة ، التي كان العربي الجاهلي يتعفف منها ، ويتنزهون منها ، فكيف يمكن أن يقع يزيد في مثل هذه العظائم ، ولم لا يتزوج أجمل النساء وأفضلهن جاها ومكانة ونسبا ؟ ويعمد

إلى الزنا بأمه وأخته وبناته ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

الرواية التي نسبت للإمام أحمد بأنه يجوز لعن يزيد ، لا تصح فهي منقطعة .

لا يجوز لعن الكافر المعين ، فمن باب أولى أن لا يلعن الفاسق المعين . كتبه سعود الزمانان." (١)

"فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج ؛ كالحرورية والرافضة ونحوهم : فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد . والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم ؛ كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد . فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة ».(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن من ضئضئ هذا – أو فى عقب هذا – قوم يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ».(٢)

وقال عمر لصبيغ بن عسل : لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك . ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه . ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض . فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة . ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل ذلك الخارجي ابتداء لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام ؛ ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا لأنهم كانوا خلقا كثيرا وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهرا لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبين له أنهم هم .

وأما تكفيرهم وتخليدهم : ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران : وهما روايتان عن أحمد . والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم . والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا . وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع ؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه . فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له . وقد بسطت هذه القاعدة في " قاعدة التكفير " .

---

(١) – أخرجه البخاري برقم(٣٦١١) ومسلم برقم(١٠٦٦)

(٢) – أخرجه البخاري برقم(٣٣٤٤) ومسلم برقم(١٠٦٤)." (٢)

---

(١) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة، ص/١٥١

(٢) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة، ص/٢١٠

" الشئ لا يقتصر في معرفته الى حد ومن لم يعرفه فانما يعرف به إذا عرف ما يشبهه ولو من بعض الوجوه فيؤلف له من الصفات المشتبهة المشتركة بينه وبين غيره ما يخص المعرف

ومن تدبر هذا وجد حقيقته وعلم معرفة الخلق بما أخبروا به من الغيب من الملائكة واليوم الاخر وما في الجنة والنار من انواع النعيم والعذاب بل عرف أيضا ما يدخل من ذلك في معرفتهم بالله تعالى وصفاته ولم قال كثير من السلف المتشابه **هو الوعد والوعيد والمحكم** هو الامر والنهى ولم قيل القرآن يعمل ب محكمة ويؤمن ب متشابهه وعلم أن تأويل المتشابه الذي هو العلم بكيفية ما أخبرنا به لا يعلمه إلا الله وإن كان العلم بتأويله الذي هو تفسيره ومعناه المراد به يعلمه الراسخون في العلم كما قد بسطناه في غير هذا الموضع

هذا كله إذا كان السائل القائل ما هو غير عالم ب المسمى

واما إن كان عالما ب المسمى ودلالة الاسم عليه فلا يحتاج الى التمييز بين المسمى وغيره ولا الى تعريفه دلالة الاسم عليه فيكون مطلوبه قدرا زائدا على التمييز بينه وبين غيره وهذا هو الذي يجعلونه مطلوبا للسائل عن المحدود وجوابه هو عندهم المقول في جواب ما هو

ومعلوم أن مطلوب هذا قد يكون ذكر خصائص له باطنة لم يطلع عليها وقد يكون مطلوبه بيان علته الفاعلية أو الغائية وقد يكون مطلوبه معرفة ما تركب منه شئ ما وقد يكون مطلوبه معرفة حقيقته التي لا يعلمها المسئول او علمها ولا عبارة تدل السائل عليها كالسائل عن حقيقة النفس وأمثال ذلك ." (١)

"ص -٣٤- ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ [يوسف : ١٠٠] . فجعل عين ما وجد في الخارج، هو تأويل الرؤيا الثاني، هو تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ، حتى يفهم معناه أو تعرف علته، أو دليله وهذا . التأويل الثالث : هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة : "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي " يتأول القرآن يعني قوله : ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ [النصر : ٣] . وقول سفيان بن عيينة : السنة هي تأويل الأمر والنهي فإن نفس الفعل المأمور به : هو تأويل الأمر به ونفس الموجود المخبر عنه، هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر، ولهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة، كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهي عنه، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما، ما لا يعلم بمجرد اللغة، ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر . إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به تعالى، من الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد، ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما

(١) الرد على المنطقيين، ص/٦٠

ولبنا وعسلا وخمرا، ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا." [١]

"كلام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية عن القرآن

قال أحمد فيما كتبه : (ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر فقال : أنا أجد آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق فقلنا : أي آية ؟ قال : قول الله عز و جل : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ وعيسى مخلوق فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن : إن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأنه يسمى مولودا رضيعا وطفلا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد ثم** هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له (كن) فكان عيسى صلى الله عليه و سلم بكن فعيسى ليس هو الكن ولكن بالكن كان فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال : إن هذه الخرقة من هذا الثوب قلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة وأما قول الله تعالى : ﴿ روح منه ﴾ يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ يقول : من أمره وتفسيره روح الله إنما معناها أنها روح يملكها الله خلقها الله كما يقال : عبد الله وسماء الله وأرض الله)

فبين الإمام أحمد أن الجهمية المعطلة والنصارى الحلولية ضلوا في هذا الموضع فإن الجهمية النفاة يشبهون الخالق تعالى بالمخلوق في صفات النقص كما ذكر الله تعالى عن اليهود أنهم وصفوه بالنقائص وكذلك الجهمية النفاة إذا قالوا : هو في نفسه لا يتكلم ولا يحب ونحو ذلك من نفيهم والحلولية يشبهون المخلوق بالخالق فيصفونه لصفات الكمال التي لا تصلح إلا لله كما فعلت النصارى في المسيح ومن جمع بين النفي والحلول كحلولية الجهمية : مثل صاحب الفصوص وغيره قالوا : (ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق فهي كلها صفات له كما أن صفات المخلوق حق الله)

فهم يصفون المخلوق بكل ما يوصف به الخالق ويصفون الخالق بكل ما يوصف به المخلوق فإن الوحدة والاتحاد والحلول العام يقتضي ذلك

ولفظ (الكلام) مثل لفظ : الرحمة والأمر والقدرة ونحو ذلك من ألفاظ الصفات التي يسمونها في اصطلاح النحاة مصادر ومن لغة العرب أن لفظ المصدر يعبر به عن المفعول كثيرا كما يقولون : درهم ضرب الأمير

---

(١) الرسالة التدمرية، ٦٢/٢

ومنه قوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله ﴾ : أي مخلوقه ؟ فالأمر يراد به نفس مسمى المصدر كقوله : ﴿ أفعصيت أمري ﴾ ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾

ويراد به المأمور به كقوله تعالى : ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ فالأول هو كلام الله وصفاته والثاني مفعول ذلك وموجبه ومقتضاه

وكذلك لفظ (الرحمة) يراد بها صفة الله التي يدل عليها اسمه : الرحمن الرحيم كقوله تعالى : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ ويراد بها ما يرحم به عباده من المخلوقات كقول النبي صلى الله عليه و سلم : [إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة]

وقوله [عن الله تعالى : يقول للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ويقول للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي]

وكذلك الكلام يراد به الكلام الذي هو الصفة كقوله تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ وقوله : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾

ويراد به ما فعل بالكلمة كالمسيح الذي قال له (كن) فكان فخلقه من غير أب على غير الوجه المعتاد المعروف في الآدميين فصار مخلوقا بمجرد الكلمة دون جمهور الآدميين كما خلق آدم وحواء أيضا على غير الوجه المعتاد فصار عيسى عليه السلام مخلوقا بمجرد الكلمة دون سائر الآدميين

وفي هذا الباب باب المضافات إلى الله تعالى ضلت طائفتان : طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك كإضافة البيت والناقة إليه وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم حتى ابن عقيل و ابن الجوزي وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك وقالوا : هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى ب نفي التشبيه وإثبات التنزيه وذكره أبو الفرج بن الجوزي في منهاج الوصول وغيره وهذا قول ابن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات وإن كانوا منتسبين إلى الحديث والسنة

وطائفة بإزاء هؤلاء يجعلون جميع المضافات إليه إضافة صفة ويقولون بقدم الروح فمنهم من يقول بقدم روح العبد لقوله : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وهم من جنس النصارى الذين يقولون بأن روح عيسى من ذات الله تعالى

ومن هؤلاء من ينتسب إلى أهل السنة والحديث إلى الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة كطائفة من أهل طبرستان وجيلان وأتباع الشيخ عدي وغيره

وطائفة ثالثة تقف في روح العبد : هل هي مخلوقة أم لا ؟ وهم منتسبون إلى السنة والحديث من أصحاب أحمد وغيرهم والنزاع بين متأخري أصحاب أحمد وغيرهم وهو في المضافات الخبرية كالوجه واليد والروح وأما المعتزلة فيطردون ذلك في الكلام وغيره وقد بين أحمد الرد على الطائفتين الأوليين وهؤلاء الطائفتان أيضا يضلون في المضاف بمن فإن المجرور بالإضافة حكمه حكم المضاف كقوله تعالى : ﴿ ولكن حق القول مني ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وروح منه ﴾ فالطائفتان يجعلون القول منه كالروح منه ثم يقتل النفاة : والروح مخلوقة بائنة عنه فالقول مخلوق بائن عنه ويقول الحلولية : القول صفة له ليس لمخلوق فالروح التي منه صفة له ليست مخلوقة

والفرق بين البابين : أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائما به وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب وإن كان المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره

فقوله تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ وقوله في عيسى : ﴿ وروح منه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ يمتنع أن يكون شيء من هذه الأعيان القائمة بنفسها صفة لله تعالى

لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين : أحدهما أن تضاف إليه من جهة كونه خلقها وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم : سماء الله وأرض الله ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عباد الله وجميع المال مال الله وجميع البيوت والنوق لله

والوجه الثاني : أن يضاف إليه لما خصه الله به من معنى يحبه ويرضاه ويأمر به كما خص البيت العتيق بعباجة فيه لا تكون في غيره وكما خص المساجد بأن يفعل فيها ما يحبه ويرضاه من العبادات وأن تصان عن المباحات التي لم متشرع فيها فضلا عن المكروهات وكما يقال عن مال الفيء والخمس : هو مال الله ورسوله

ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه وهذه الإضافة العامة لا تتضمن إلا خلقه وربوبيته

وكذلك كلماته نوعان : كلماته الدينية المتضمنة شرعه ودينه كالقرآن وكلماته الكونية التي بها كون الكائنات وهي الكلمات التي كان النبي صلى الله عليه و سلم يستعيذ بها في قوله : [أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر] فإن كلماته التي بها كون المخلوقات لا يخرج عنها بر ولا فاجر بخلاف كلماته التي شرع بها دينه فإن الفجار عصوها كما عصاها إبليس ومن اتبعه

والله تعالى لا يضيف إليه من المخلوقات شيئا إضافة تخصيص إلا لإختصاصه بأمر ويوجب الإضافة وإلا فمجرد كونه مخلوقا ومملوكا لا يجب أن يخص بالإضافة

ويهذا يتبين فساد قول النفاة الذين يقولون في قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ من الأقوال ما لا اختصاص لآدم به كقولهم : بقدرته أو بنعمته أو أن المعنى : خلقته أنا أو أنه أضافه إلى نفسه إضافة تخصيص فإن هذه المعاني كلها موجودة في الملائكة وإبليس والبهائم فلا بد أن يثبت لآدم من اختصاصه بكونه سبحانه خلقه بيديه مالا يثبت لهؤلاء

وكذلك أيضا إذا قيل عن القرآن العزيز - أو غيره - إنه كلام الله فإن هذا لا يوجب أن تكون إضافته إليه إضافة خلق وملك لوجهين : أحدهما : أنه صفة والصفات إذا أضيفت إليه كانت إضافة وصف لا إضافة خلق الثاني : أن هذا يقتضي أن يكون كل كلام خلقه الله كلام فيكون إنطاقه لما أنطقه من المخلوقات كلاما له ومن عرف أن الله خالق كل شيء لزمه أن يجعل كل كلام في الوجود كلامه كما فعل ذلك حلولية الجهمية كابن عربي وغيره حيث قالوا :

(وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه)

ولا يجوز أن تكون إضافته إليه لا ختصاصه بمعنى يحبه ويرضاه كما أضاف إليه البيت والناقة بقوله تعالى : ﴿ وطهر بيتي للطائفين والقائمين ﴾ وقوله : ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ لأن هذا يوجب أن يكون كل كلام يحبه الله فإنه كلامه فيكون الإنسان إذا أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس يكون ذلك كلام الله ويكون الشاهد إذا شهد بشهادة أمر بها تكون كلام الله ويكون كل من حدث بحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم فإنما حدث بكلام الله تعالى

والناس قد تنازعوا في مثل قوله صلى الله عليه و سلم : [أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله] هل المراد بها : الكلمة التي شرعها الله وهي عقد النكاح ؟ أو المراد كلمة التي تكلم بها وهي شرعه وإذنه وتحليله لذلك ؟

والصواب أن المراد بقوله : كلمة الله كلامه الذي تكلم به المتضمن إذنه وتحليله وشرعه لا العقد الذي هو كلام العباد ومن قال إن المراد به العقد فقد أخطأ من وجون متعددة قد بسطناها في غير هذا الموضع وتكلمنا على ذلك في مسألة مفردة ولا يعرف قط أنه أضيف إلى الله كلام إلا كلام تكلم الله به ولكن لو قدر أنه قد يراد بالكلام المضاف إلى الله ما أمر به وقدر أنه حصل نزاع في قوله : ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾ هل المراد : الكلمة التي يحبها ويأمر بها ؟ أو الكلمة التي تكلم بها وهي نفس أمره وخبره ؟

وكذلك قوله صلى الله عليه و سلم : [من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا] فمن قال : المراد بالجميع كلام الله الذي تكلم له أطردت الإضافة على قوله ولو قدر أن قائلا قال : أضيف إليه من الكلام ما يحبه ويرضاه وإن لم يكن تكلم به - لم يمكن أن يجعل كون القرآن كلامه من هذا الباب بالضرورة والاتفاق إذ لازم ذلك أن يكون القرآن بمنزلة ما أمر به من الشهادة والأخبار وتقويم السلع وخرص النخل وسائر أنواع الكلام الصادق الذي يجب التكلم به فيكون كل من تكلم بشيء من ذلك قد تكلم بكلام الله ويكون كون القرآن كلام الله هو من هذا الباب ولا يكون لله عز و جل في نفسه كلام إلاما تكلم به الخلق وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده

ثم قول القائل : الكلام الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به أو الكلام الذي يكرهه وينهى عنه - يقتضي أن هناك محبة ورضاء وامرا غير المأمور به وكلاما هو نهي غير المنهي عنه وذلك هو كلامه الذي هو أمره ونهيه فالأمر والنهي غير المأمور به والمنهي عنه

وهذا على قول من اشتبه عليه أمر الإضافة في هذا المواضع وإلا فالصواب في قوله صلى الله عليه و سلم : [واستحللتم فروجهن بكلمة الله] أنها كلمته التي تكلم بها

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾

هي كلمته التي تكلم بها وكل كلام تكلم به سبحانه مخبرا فإنه صدق كما أن كل كلام تكلم به آمرا فهو عدل وقد تمت كلماته صدقا وعدلا

فالكلام له نسبة إلى المتكلم به وهو الآمر المخبر به وله نسبة إلى المتكلم فيه وهو المأمور به والمخبر عنه فكلام الله الذي تكلم به يشبرك كله في كونه تكلم به

ثم ما أخبر به عن نفسه مثل قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وآية الكرسي وغير ذلك - أفضل مما أخبر به عن خلقه وذكر فيه أحوالهم كقوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ وهذا أصح القولين لأهل السنة وغيرهم

وهو قول جمهور العلماء من الأولين والآخرين فإن طائفة من المنتسبين إلى السنة وغيرهم يقولون : إن نفس كلام الله تعالى لا يتفاضل في نفسه بناء على أنه قديم والقديم لا يتفاضل

ويتأولون قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ أي خير لكم وأنفع والصواب الذي عليه جمهور السلف والأئمة : إن بعض كلام الله أفضل من بعض كما دل على ذلك الشرع والعقل

ففي الحديث الثابت [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لأبي سعيد بن المعلى : لأعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها] ثم أخبره أنها فاتحة الكتاب فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم أنه ليس في القرآن لها مثل فبطل قول من يقول بتماثل جميع كلام الله

وكذلك ثبت في الصحيح أنه قال لأبي بن كعب : أتدري أي آية في كتاب الله أعظم : فقال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ فضرب بيده في صدري وقال : ليهنك العلم أبا المنذر فبين أنه هذه الآية أعظم من غيرها من الآيات

وقد ثبت عنه في الصحيحين من غيره وجه أن : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن

وذلك أن القرآن : إما خبر وإما إنشاء والخبر : إما خبر عن الخالق وإما عن المخلوق فثلثه قصص وثلثه أمر وثلثه توحيد فهي تعدل ثلث القرآن بهذا الاعتبار

وأيضا فالكلام وإن اشترك من جهة المتكلم به في أنه تكلم بالجميع فقد تفاضل من جهة المتكلم فيه فإن كلامه الذي وصف به نفسه وأمر فيه بالتوحيد أعظم من كلامه الذي ذكر فيه بعض خلقه وأمر فيه بما هو دون التوحيد

وأيضا فإذا كان بعض الكلام خيرا للعباد وأنفع لزم أن يكون في نفسه أفضل من هذه الجهة فإن تفاضل ثوابه ونفعه إنما هو لتفاضله في نفسه وإلا فالشيئان المتساويان من كل وجه لا يكون ثواب أحدهما أكثر ولا نفعه أعظم

والمقصود هنا شيئان : أحدهما : أن الذين يعظمون الأشعري وأمثاله من أهل الكلام كالبيهقي و ابن عساكر وغيرهما - وقد عرفعوا ذم الشافعي وغيره من الأئمة للكلام ذكروا أن الكلام المذموم هو كلام أهل البدع وقالوا : إنما كان يعرف في عصرهم بالكلام أهل البدع وأنه أراد بذلك كلام مثل حفص الفرد وأمثاله وأنه لما حدثت طائفة سمت ما في كتاب الله من الحجة عليهم متشابها وقالوا بترك القول بالأخبار التي رواها أهل الحديث وزعموا أن الأخبار التي حملت عليهم لا تصح في عقولهم قام جماعة من أئمتنا وبينا أن جميع ما ورد في الأخبار صحيح في المعقول وما ادعوه في الكتاب من التشابه باطل في العقول وكانوا في القديم إنما يعرفون بالكلام أهل الأهواء فأما أهل السنة والجماعة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة فكانوا لا يسمون تسميتهم وإنما يعني بقوله (من ارتدى بالكلام لم يفلح) كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة وجعلوا معولهم عقولهم وأخذوا في تسوية الكتاب والسنة عليها فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالا لمذهب من زعم أنه غير مستقيم في العقل

قلت : وهذا اتفاق من علماء الأشعرية مع غيرهم من الطوائف المعظمين للسلف على أن الكلام المذموم عند السلف : كلام من يترك الكتاب والسنة ويعول في الأصول على عقله فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله ؟ ! وهذا هو الذي قصدنا إبطاله وهو حال أتباع صاحب الإرشاد الذين وافقوا المعتزلة في ذلك

وأما الرازي وأمثاله فقد زادوا في ذلك على المعتزلة فإن المعتزلة لا تقول : إن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين بل يقولون : إنها تفيد اليقين ويستدلون بها أعظم مما يستدل بها هؤلاء

الثاني : أن كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه ونحوه من الأئمة تضمن ذم كلام حفص الفرد وأمثاله في مسألة القرآن والكلام في ذلك مبني على نفي قيام الأفعال به فإن المعتزلة يقولون : الكلام لا بد له من فعل يتعلق بمشيئة المتكلم وقدرته فلو قام به الكلام لقامت به الأفعال وهي حادثة فكان يكون محلا للحوادث وبطل الدليل الذي استدللنا به على حدوث العالم

وقد بينا أن ذم الشافعي لكلام حفص وأمثاله لم يكن لأجل إنكار القدر فإن حفصا لا ينكره وإنما كان لإنكار الصفات والأفعال المبني على دليل الأعراض

وهكذا كلام الإمام أحمد – وغيره من الأئمة – في ذم الكلام كان متناولا لكلام الجهمية وكلام أحمد وأمثاله في ذلك كثير ظاهر معلوم فإن مناظرته للجهمية ورده عليهم أشهر وأكثر من أن يذكر هنا وكان من المناظرين له أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث وهو على قول حسين النجار – والنجار من المثبتة للقدر – وكذلك كانوا يذمون المريسي وغيره من المثبتين للقدر فتبين أن كلامهم في ذم أهل الكلام لم يكن لأجل إنكار القدر بل كان ذمهم للجهمية أعظم من ذمهم للقدرية ." (١)

"مضمونها .

ولهذا جوز العلماء أن تروى الأحاديث **في الوعد والوعيد إذا** كانت ضعيفة ، ولم يعلم صدقها ولا كذبها ، ولا يثبت بها استحباب ، لكن يثبت بها ظن يحرك القلب على فعل الخيرات أو ترك المنكرات . فإن كان هذا فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر ، فكذلك فيما يتعلق بالإيمان بالله ، إذا روي خبر في عظمة الله وبعض شؤونه التي لم يعلم بهذا الخبر انتفاؤها ولا ثبوتها ، والخبر مما يغلب على الظن صدقه ، اعتقدنا بموجبه ، وظننا بذلك ظنا غالبا ، فإن كان صادقا في نفس الأمر وإلا فعظمة الله أكبر . كما أن **حديث الوعد والوعيد الذي** يعلم انتفاء مضمونه ، إن كان صادقا وإلا فثواب الله أعم مما علمناه مفصلا ، إذ فيه ما لم يخطر على قلب بشر ، فهذا هذا .

وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام أن الخبر الصحيح مقبول مصدق به في جميع أبواب العلم ، لا يفرق بين المسائل العلمية والخبرية ، ولا يرد الخبر في باب من الأبواب سواء كانت أصولا أو فروعا بكونه خبر واحد ، فإن هذا من محدثات أهل البدع المخالفة للسنة والجماعة .

فإن قيل : هذا بشرط أن لا يعلم بالعقل ولا بالشرع انتفاء مضمونه .

قلنا : نعم ، لا بد من هذا الشرط ، وإلا فما قطعنا باستحالة مضمونه يستحيل أن يغلب على ظننا صدقه ، فإن هذا جمع

(١) درء التعارض، ٩/٤

بين النقيضين . لكن دعوى المعترض قيام الأدلة العقلية القطعية على انتفاء مضمون الآيات والأخبار هو السؤال الآخر ، فلهذا أخرنا الجواب إلى هناك . والواقع أنه ليس في الأخبار الصحيحة التي لا معارض لها من جنسها ما يخالف." [١]
".

قال شيخ الإسلام، وثبت أن اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات(١).
ولا أعلم أن أحدا من السلف، جعلها من المتشابه الداخل في هذه الآية(٢)

---

(١) لما تقدم في الصحيح، من حديث عائشة «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه»، وقصة صبيغ وغيرها، وقوله تعالى: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ إما أن يكون الضمير عائدا على الكتاب أو على المتشابه، فإن كان عائدا على الكتاب، فيصح أن جميع آيات الكتاب المحكمة، والمتشابهة التي فيها إخبار عن الغيب، الذي أمرنا أن نؤمن به، لا يعلم حقيقة ذلك الغيب، ومتى يقع، إلا الله، وقد يستدل لهذا: أن الله جعل التأويل للكتاب كله، مع إخباره أنه مفصل وتقدم وإن كان عائدا إلى ما تشابه منه، فلأن المخبر به من الوعد والوعيد، ونحوه متشابه قال: وما أحسن ما يعاد التأويل إلى القرآن كله، وقال: ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ ففرق بين الإحاطة بعلمه وبين إتيان تأويله، فتبين: أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والإيمان بعلمه، ولما يأتهم تأويله، فإن الإحاطة بعلمه: معرفة معاني الكلام على التمام، وإتيان التأويل: نفس وقوع المخبر به، فظهر: أن المتشابه ليس في خصوص الصفات.

(٢) وقال: أما إدخال أسماء الله وصفاته، أو بعض ذلك في المتشابه، الذي لا يعلم تأويله إلا الله، واعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين، طوائف من أصحابنا، وغيرهم فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولون، ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم.

...فالكلام على هذا من وجهين، الأول: من قال إن هذا من المتشابه، وأنه لا يفهم معناه، فنقول أما الدليل على ذلك، فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل، ولا غيره، جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته، بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا: كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية التي مضمونها: تعطيل النصوص عما دلت عليه وردوها وأبطلوها ونصوص أحمد والأئمة بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه، من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد، والفضائل وغير ذلك.

...قال: والدليل على أن هذا ليس بمتشابه، لا يعلم معناه، أن نقول: لا ريب أن الله سمى نفسه في القرآن بأسماء، مثل الرحمن والودود، والعزيز، والجبار، والعليم، والقدير والرءوف، ونحو ذلك، ووصف نفسه بصفات، مثل: سورة الإخلاص وآية الكرسي وأول الحديد، وآخر الحشر، وقوله: ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ و ﴿ على كل شيء قدير ﴾ وأنه ﴿ يحب

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية-الجواب الأول، ص/٥٠

المتقين ﴾ ويرضى عن الذين آمنوا، و ﴿ استوى على العرش ﴾
﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ إلى أمثال ذلك، فيقال لمن ادعى في هذا، أنه متشابه، لا يعلم معناه، أتقول هذا في جميع ما سمى الله، ووصف به نفسه، أم في البعض؟ فإن قلت هذا في الجميع، كان هذا عنادا ظاهرا، وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، بل كفر صريح، فإنا نفهم من قوله: ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ معنى ونفهم من قوله: ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ معنى ليس هو الأول ونفهم من قوله: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ معنى ونفهم من قوله: ﴿ إن الله عزيز ذو انتقام ﴾ معنى، وصبيان المسلمين، بل كل عاقل يفهم هذا.

...قال: ومن أقر بفهم بعض معنى هذه الأسماء والصفات، دون بعض فما الفرق بين ما أثبته وبين ما نفاه، من جهة السمع؟ بأن أحد النصين دال دلالة قطعية، أو ظاهرة، بخلاف الآخر، أو من جهة العقل، بأن أحد المعنيين يجوز، أو يجب إثباته دون الآخر، وكلاهما باطل، في أكثر المواضع.

...قال: ونكتة الكلام: أن غالب من نفى، وأثبت شيئا، مما دل عليه الكتاب والسنة، لا بد أن يثبت الشيء لقيام المقتضى وانتفاء المانع، وينفي الشيء لوجود المانع، أو لعدم المقتضى فيبين له أن المقتضى فيما نفاه، قائم كما أنه فيما أثبته قائم، إما من كل وجه، أو من وجه يجب به الإثبات، وإما المانع فيبين
أن المانع الذي يتخيله فيما نفاه، من جنس المانع الذي تخيله فيما أثبته، وعليه أن يسوي بين الأمرين في الإثبات والنفي.

...قال: وما أعلم أحد من الخارجين، عن الكتاب والسنة، من جميع فرسان الكلام، والفلسفة، إلا ولا بد أن يتناقض، فيحيل ما أوجب نظيره، ويوجب ما أحال نظيره، إذ كلامهم من عند غير الله، والصواب: ما عليه أئمة الهدى، وهو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يتجاوز القرآن، والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضيين، أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة، لا ترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يعرض عنها فيكون من باب ﴿ الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ ولا يترك تدبر القرآن، فيكون من باب الذين ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ فهذا أحد الوجهين، وهو: منع أن تكون من المتشابه.

...والوجه الثاني: إذا قيل هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نقل عن بعض الأئمة، أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها، فيقال: الذي في القرآن، أنه لا يعلم تأويله إلا الله، إما المتشابه، وإما الكتاب كله ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه، كما تقدم في القيامة، وأمور القيامة وهذا الوجه قوي إن ثبت حديث وفد نجران، ويؤيده، أنه قد ثبت أن في القرآن متشابها، وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل
الصفات، ما هو من هذا الباب، كما أن ذلك في مسائل المعاد، وأولى، فإن نفي المتشابه بين الله وبين خلقه، أعظم من نفي المتشابه بين موعود الجنة وموجود الدنيا.

...وإنما نكتة الجواب، هو ما تقدم أن نفي علم التأويل ليس نفيا لعلم المعنى، وذكر أن الله حظ على تدبره، وتفقه وتعقله والتذكر به، والتفكر فيه، وأنه تعالى لم يستثن من ذلك شيئا بل نصوص متعددة، تصرح بالعموم، وأن السلف من الصحابة

والتابعين، وسائر الأمة، قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها، ورووا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحادث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم.

...وكذلك الأئمة كانوا إذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك لما سئل عن قوله: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره، وقد بين أن الاستواء معلوم، ولكن الكيفية لا تعلم،ولا يجوز السؤال عنها، لا يقال: كيف استوى ولم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه،

ولو قيل: كيف كلم موسى؟ قلنا: التكليم معلوم، والكيف غير معلوم؛ قال: ثم السلف متفقون على تفسيره، بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم: استوى على العرش ارتفع، علا على العرش، وأما التأويلات المحرفة، مثل استولى، وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة.." (١)

"أنا أجد آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق فقلنا أي آية قال قول الله عز وجل ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ سورة النساء ١٧١ وعيسى مخلوق فقلنا إن الله منعك الفهم في القرآن إن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأنه يسمى مولودا ورضيعا وطفلا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد ثم** هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾

." (٢)

"الهوامش : المقدمة و التمهيد

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه أن يفتتحوا بها أكثر أمورهم، وقد أخرج حديث خطبة الحاجة: النسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٨٦/٦)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢٣٨/٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، حديث ١٨٩٢ (٦٠٩/١)، وأحمد في مسنده (٣٩٢/١ – ٣٩٣، ٤٣٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح (١٨٢/٢ -١٨٣)، وقد توسع الشيخ الألباني في تخريج هذا الحديث في رسالته: (خطبة الحاجة). وصححه، انظر: صحيح سنن الترمذي له ٣٢١/١.

(٢) انظر لمعرفة بدايات ظهور البدع في صدر الإسلام: الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام للعقل.

---

(١) حاشية مقدمة التفسير، ص/٣٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٨/٧

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ٤/٤٨٠ كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، والحاكم في مستدركه ٤/٥٢٢ كتاب الفتن والملاحم، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/١٢٣.

(٤) ابن الزملكاني: محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الشافعي، ابن الزملكاني، شيخ الشافعية بالشام، وانتهت إليه رئاسة المذهب في التدريس والإفتاء والمناظرة، كان جيد العبارة، حسن التقرير، قوي القريحة، كان معجبا بابن تيمية ثم تغير عليه، مات في طريقه إلى مصر، وكان في نيته أن يؤذي ابن تيمية فدعا عليه، فلم يبلغ أمله ومراده، كما يذكر ابن كثير والله أعلم بالسرائر ت سنة ٧٢٧هـ.

انظر في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٣، شذرات الذهب لابن العماد ٦/٧٨.

(٥) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص١٠٩.

(٦) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، التركماني الأصل، ولد بدمشق، وطلب العلم بها، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، له مؤلفات كثيرة ومشهورة في التاريخ والسير مثل: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء وغيرها، ت سنة ٧٤٨هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٤٢٦، شذرات الذهب لابن العماد ٦/١٥٣.

(٧) ذيل تاريخ الإسلام (ضمن ثلاث تراجم مستلة منه للعجمي ص٢٣ – ٢٥) بتصرف.

(٨) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/١٣.

(٩) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨ – ٥٧، وانظر العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣٦٤.

(١٠) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص١٠١.

(١١) هذه الفهارس موجودة في أصل الرسالة العلمية (الدكتوراه)، وقد حذفت خمسة منها، ولم أبق إلا فهرست المراجع، وفهرس الموضوعات، وذلك خشية الإطالة.

(١٢) وتشمل اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وعصره، ومحنته، ووفاته، ومؤلفاته، وبعض ثناء الناس عليه.

(١٣) ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الشيخ المحدث، الحافظ الفقيه، صنف تصانيف نافعة، وهو مكثر من الشيوخ، من أئمة السلف في الاعتقاد، ت سنة ٧٩٥هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ٢/٤٢٨، شذرات الذهب لابن العماد ٦/٣٣٩.

(١٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧.

(١٥) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٣٥.

(١٦) ابن عبد الهادي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة، أخذ عن ابن تيمية، وصنف في مناقبه، ورد على السبكي في الصارم المنكي، ت سنة ٧٤٤هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٤٢١، شذرات الذهب لابن العماد ٦/١٤١، بغية الوعاة للسيوطي ١/٢٩.

(١٧) العقود الدرية ص٢.

(١٨) انظر: العقود الدرية ص٢.

(١٩) انظر: قطعة من ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص٢٢، والأعلام العلية للبزار ص٢١.

(٢٠) انظر: القول الجلي لمحمد صفي الدين البخاري ص١٩٥.

(٢١) ابن عبد القوي: محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المرداوي المقدسي، المحدث النحوي، درس وأفتى، وصنف وبرع في العربية واللغة، كان حسن الديانة دمث الأخلاق، كثير الإفادة، قرأ عليه ابن تيمية العربية، ت سنة ٦٩٩هـ.

انظر في ترجمته: النجوم الزاهرة للأتابكي ١٩٢/٨، شذرات الذهب لابن العماد ٤٥٢/٥.

(٢٢) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، إمام النحو، وحجة العربية، طلب الفقه والحديث، ثم أقبل على العربية حتى صار أعلم المتقدمين بالنحو، ت سنة ١٨٠هـ.

انظر في ترجمته: تاريخ العلماء النحويين للمعري ص٩٠، تاريخ بغداد للخطيب ١٩٥/١٢.

(٢٣) العقود الدرية ص٣.

(٢٤) الأعلام العلية للبزار ص٢٢.

(٢٥) البزار: عمر بن علي بن موسى البغدادي الأزجي البزار، عني بالقرآن والحديث، وقرأ الكثير، ورحل إلى دمشق، وأخذ عن ابن تيمية وترجم له، وحج مرارا، كان حسن القراءة، ذا عبادة، ت سنة ٧٤٩هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ٢٥٦/٣، شذرات الذهب لابن العماد ١٦٣/٦.

(٢٦) الأعلام العلية ص٣١، ٣٢.

(٢٧) العقود الدرية ص٦ - ٧. وممن اعتنى بذكر صفات شيخ الإسلام على وجه التفصيل: الحافظ البزار في الأعلام العلية. ومحمد أبو زهرة في كتابه ابن تيمية ص٨٢ - ٩٤، وعمر فروخ في كتابه ابن تيمية المجتهد ص٥١ - ٥٤.

(٢٨) ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، سكن الموصل، وتجول في البلدان، وعاد إليها وتوفي بها سنة ٦٣٠هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٣/٣، طبقات الشافعية للسبكي ٢٩٩/٨، شذرات الذهب لابن العماد ١٣٧/٥.

(٢٩) الكامل في التاريخ ٣٢٠/٩.

(٣٠) انظر شيئا من وصف هذه الفاجعة في البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٠/١٣ - ٢٠٤ في حوادث سنة (٦٥٦هـ).

(٣١) كان هجوم التتار على العالم الإسلامي قبل سقوط بغداد بسنوات عدة، وقد ذكر ابن الأثير وهو المتوفى عام (٦٣٠هـ) في حوادث سنة (٦١٧هـ) أنه بقي عدة سنين معرضا عن ذكر أعمال التتار في المسلمين استعظاما لها، ويقدم رجلا ويؤخر أخرى قال: (فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا).

(٣٢) شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية لأبي الحسن الندوي ص١٧.

(٣٣) انظر: الأعلام العلية للبزار ص٦٤ - ٦٥، البداية والنهاية لابن كثير ٨٩/١٤ في ترجمة محمد البالسي في حوادث

سنة ٧١٨هـ.

(٣٤) انظر: ابن تيمية لأبي زهرة ص١٢٥ – ١٢٩، شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية للندوي ص٢١ – ٢٤.

(٣٥) انظر: ابن تيمية السلفي لمحمد هراس ص١٦ – ١٧.

(٣٦) انظر تفصيل ذلك في: البداية والنهاية لابن كثير ٣٦/١٤ – ٣٩، وحكاية المناظرة في العقيدة الواسطية في مجموع الفتاوى ١٦٠/٣ – ١٩٤.

(٣٧) انظر تفصيل ذلك في: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص١٩٦ – ١٩٨.

(٣٨) الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف – على الصحيح – ويرى بعض الباحثين أن بداية التصوف هو الزهد في الدنيا، والتمسك بالأخلاق مثل: زهد إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض وغيرهما، ثم بعد ذلك تعددت فرق الصوفية، وازدادت بعض الفرق بعدا عن الحق وغلوا حتى قال بعضهم بالحلول والاتحاد، وقالوا بترك الواجبات وعمل المحرمات تعبدا.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٦١، الصوفية الفقراء لابن تيمية، (ضمن مجموع الفتاوى ٥/١١ – ٢٤)، التصوف لطلعت غنام ص٥ – ٢٨، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها لعرفان عبد الحميد ص١١٥ – ١٢٤، المذاهب الصوفية ومدارسها لعبد الحكيم قاسم.

(٣٩) الملك الناصر: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولي سلطة مصر والشام وهو صغير، وخلع منها لحداثة سنه ثم عاد بالقوة إليها، كان وقورا مهيبا، يدعو رجاله بأجل ألقابهم، ت سنة ٧٤١هـ.

انظر في ترجمته: فوات الوفيات للكتبي ٣٥/٤، الدرر الكامنة لابن حجر ٢٦١/٤، النجوم الزاهرة للأتابكي ٤١/٨، ١١٥.

(٤٠) وهي فتواه رحمه الله بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة، انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٦/٣٣ – ٨٧، وانظر: رسالة تسمية المفتين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة لسليمان العمير.

(٤١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢٣/١٤.

(٤٢) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ٣٦٩، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/١٤ – ١٣٧، وانظر: في مراثيه العقود الدرية لابن عبد الهادي ٣٩٣ – ٥١٦.

(٤٣) الأعلام العلية ص٢٥.

(٤٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٣/٢.

(٤٥) انظر: العقود الدرية ص٦٤ – ٦٦، وإذا أراد القاريء معرفة خصائص ابن تيمية في التأليف فيحسن الرجوع إلى: ابن تيمية لأبي زهرة ص٤٣٤ – ٤٣٧، شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية لأبي الحسن الندوي ص١١١ – ١١٤، وابن تيمية المجتهد لعمر فروخ ص٧٠ – ٧٧.

(٤٦) ذكر ابن تيمية أنه ألف الجواب الصحيح بعد منهاج السنة كما في الجواب الصحيح ١٢٨/٥، وبعد الدرء كما فيه أيضا ١٢٩/٥ وبعد الإيمان كما فيه ٤٨٧/٦.

(٤٧) ألفه ابن تيمية رحمه الله بعد نقد المحصل بثلاثين سنة كما في الدرء ٢٢/١ وقبل الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشيطان، انظر: الفرقان ص١٩٩ .
(٤٨) ألفه ابن تيمية قبل الفرقان بين وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما في الفرقان ص١٨٩ .
(٤٩) ألفه ابن تيمية بعد الدرء كما في النبوات ص٧٧، وبعد بغية المرتاد كما فيه ص١٢٠، وبعد شرح الأصفهانية كما فيه ص٢٢٦، وبعد الجواب الصحيح كما فيه ص٢٢٧ .
(٥٠) من كتبه التي هي في عداد المفقود: جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية، وقد ذكرها في أكثر من موضع انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٤٠/٥، والفتاوى الكبرى ٣٧/٥، ومن الكتب المفقودة: شرح أول المحصل للرازي، وقد ذكره ابن تيمية في الصفدية ١٥١/٢، ٢٨١، وفي منهاج السنة ١٦٨/١، ودرء تعارض العقل والنقل ٢٢/١، ومن كتبه المفقودة الرد على ابن سينا في الإشارات، وقد ذكرها ابن تيمية في الصفدية ٢٨١/٢، وفي درء تعارض العقل والنقل ٢٥٨/٤، وممن اعتنى بإحصاء كتب شيخ الإسلام: الحافظ ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص٢٦ – ٦٧، وانظر: الثبت لعلي الشبل فقد ذكر عددا كبيرا من مؤلفات ابن تيمية رحمه الله، ومجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية للشيباني .
(٥١) في هذا رد على من قال بوجود الخلل في عبارة ابن تيمية بسبب الإيجاز، كما ذكر ذلك د. عمر فروخ في ابن تيمية المجتهد ص٩٢.
(٥٢) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٧ – ٨.
(٥٣) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٧٢/٩.
(٥٤) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٩، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٣٩٢/٢، وهذا الثناء من ابن الزملكاني على ابن تيمية كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية ١٣٧/١٤ يمثل المرحلة الأولى من مراحل ابن الزملكاني مع ابن تيمية، فقد تغير عليه، فقد سافر سفره الذي مات فيه، وفي نيته أن يؤذي شيخ الإسلام ابن تيمية، والأعمال بالنيات، كما يذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ١٣٢/١٤ والله أعلم بالسرائر.
(٥٥) ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي، أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد، صاحب التصانيف، ولي القضاء بمصر، ت سنة ٧٠٢هـ.
انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٨١/٤، الدرر الكامنة لابن حجر ٢١٠/٤، شذرات الذهب لابن العماد ٥/٦.
(٥٦) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص١١١.
(٥٧) أبو البقاء السبكي: محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي السبكي، بهاء الدين، أخذ عن القونوي وأبي حيان، فمهر في العربية والفقه وأصول الفقه والتفسير، باشر القضاء مرارا، ت سنة ٧٧٧هـ.
انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ١٠٩/٤ – ١١٠، بغية الوعاة للسيوطي ١٥٢/١ – ١٥٣.
(٥٨) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص٩٩.
(٥٩) السبكي: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، أحد الحفاظ المفسرين، ووالد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولي القضاء في الشام، ثم عاد إلى القاهرة، وتوفي فيها، له ردود على شيخ الإسلام في مسائل كثيرة كمسألة شد الرحل (الزيارة)، وفناء النار، ومسألة الطلاق وغيرها، ت سنة ٧٥٦هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/١٣٩، الدرر الكامنة لابن حجر ٣/١٣٤، شذرات الذهب لابن العماد ٦/١٨٠.

(٦٠) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص١٠٠.

(٦١) ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص٢١ - ٢٢.

(٦٢) ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص٢٣.

(٦٣) ذيل تاريخ الإسلام ص٢٣.

(٦٤) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص٧٣.

(٦٥) ذيل تاريخ الإسلام ص٢٣.

(٦٦) ذيل تاريخ الإسلام ص٢٥ - ٢٦، وللاستزادة في ثناء الذهبي على شيخ الإسلام انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٤، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ص٣٨٨ - ٤٠١، والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص٦٨ - ٧٣، الدرر الكامنة لابن حجر ١/١٦٠، وغيرها، وقد أطلت في ذكر النقولات عن ثناء الإمام الذهبي على شيخ الإسلام ابن تيمية لتجلية موقف الذهبي من شيخه، وللرد على من زعم أن الذهبي أرسل نصيحة لشيخه تدعى النصيحة الذهبية، يحذره وينصحه، وقد ألف محمد بن إبراهيم الشيباني رسالة نقد فيها (النصيحة الذهبية) سندا ومتنا، فأجاد وأفاد، وسماها (التوضيح الجلي في الرد على (النصيحة الذهبية) المنحولة على الإمام الذهبي)، فجزاه الله خيرا.

(٦٧) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، الإمام العلامة المجتهد، محدث فقيه مفسر مؤرخ، ولي القضاء مدة، وله مؤلفات أشهرها: نيل الأوطار، وفتح القدير، البدر الطالع، ت سنة ١٢٥٠هـ.

انظر في ترجمته: البدر الطالع للشوكاني ٢/٢١٤، التاج المكلل لصديق حسن خان ٤٤٢.

(٦٨) لو قال: إمام الأئمة في عصره لكان أولى، لأن إمام الأئمة على الإطلاق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو إمام المرسلين. ولذلك صلى بالأنبياء إماما ليلة المعراج، فالأنبياء هم أئمة الناس، ونبينا صلى الله عليه وسلم إمامهم. وشيخ الإسلام قدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤتم به.

(٦٩) البدر الطالع ١/٦٣ - ٦٤.

(٧٠) مصادر ترجمة ابن تيمية رحمه الله كثيرة، وممن جمع عددا كبيرا منها: علي حسن عبد الحميد في تحقيق كتابه التذكرة والاعتبار للواسطي ص١٣ - ١٤، ومحمد العجمي في تحقيقه ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية من ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص٢١، وممن حاول إحصاء الدراسات والكتب التي ترجمت لشيخ الإسلام في القديم والحديث محمد الشيباني في أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص١٨٨ - ٢٠٠، ومقدمة تحقيق الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٢٣ - ٢٨.

(٧١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٢٢٩، وانظر: الرد على الأخنائي ص١٥٢.

(٧٢) الأعلام العلية ص٣٤.

(٧٣) الأعلام العلية ص٣٥.

(٧٤) درء تعارض العقل والنقل ٢٧٧/١.

(٧٥) الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٣).

(٧٦) الرد على الأخنائي ص١٩٥.

(٧٧) منهاج السنة النبوية ١٨٢/٥.

(٧٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٤٩/٤ - ٣٥٠.

(٧٩) درء تعارض العقل والنقل ٣٠١/٢.

(٨٠) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٤/٤، ٣٧/٧.

(٨١) انظر على سبيل المثال: ص٢٨ - ٣٠، منهاج السنة النبوية ٣٦٣/٢ - ٣٦٧، ٣٥/٧ - ٣٦، درء تعارض العقل والنقل ٢٠/٢ - ٢٣، ١٠٨/٧ - ١٠٩، شرح العقيدة الأصفهانية ص٢٧ - ٢٨، شرح حديث النزول ٢٢٨ - ٢٣٠.

(٨٢) الجعفي: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي مولاهم، البخاري، حافظ حجة، لقب بالمسندي، لاعتنائه بالأحاديث المسندة، ت سنة ٢٢٩هـ.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري ١٨٩/٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٥٨/١٠، شذرات الذهب لابن العماد ٦٧/٢.

(٨٣) الدارمي: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي التميمي، الإمام الحافظ الناقد، طاف بالأقاليم في طلب الحديث، له مصنفات في الرد على المبتدعة، ت سنة ٢٨٠هـ.

انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٩/١٣، طبقات الشافعية للسبكي ٣٠٢/٢، شذرات الذهب لابن العماد ١٧٦/٢.

(٨٤) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو محمد، من كبار الحفاظ، له تصانيف منها الجرح والتعديل، والرد على الجهمية، ت سنة ٣٢٧هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٥٥/٢، فوات الوفيات للكتبي ٢٨٧/٢.

(٨٥) عبد الله: بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الرحمن البغدادي، ولد الإمام أحمد، وهو ثقة.

انظر في ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٤١/٥.

(٨٦) أبو بكر بن الأثرم: أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الطائي الإسكافي، من أصحاب الإمام أحمد، حافظ إمام جليل القدر، ت سنة ٢٦١هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٦٦/١، شذرات الذهب لابن العماد ١٤١/٢.

(٨٧) حنبل بن إسحاق: حنبل بن إسحاق، أبو علي، الحافظ، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل، كان ثقة ثبتا، ت سنة ٢٧٣هـ.

انظر في ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد ١٦٣/٢.

(٨٨) الخلال: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، أبو بكر، شيخ الحنابلة في عصره، إمام فقيه، كثير الرحلة، واسع العلم، شديد الاعتناء بالآثار، ت سنة ٣١١هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٢/٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٨٥/٣، شذرات الذهب لابن العماد ٢٦١/٢.

(٨٩) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام المحدث المؤرخ الفقيه، الأصولي المجتهد، عالم بالقراءات، بصير بالمعاني، فقيه في أحكام القرآن، عالم بالسنن، ت سنة ٣١٠هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٣٢/٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٧/١٤، طبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٣.

(٩٠) ابن أبي زمنين: محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي، صاحب قرطبة، متبحر في العلم، وصنف في الزهد والرقائق من أئمة السلف في الاعتقاد، له كتاب أصول السنة، ت سنة ٣٩٩هـ.

انظر في ترجمته: ترتيب المدارك للقاضي عياض ١٨٣/٧، شجرة النور الزكية لمخلوف ص١٠١.

(٩١) ابن منده: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، أبو إسحاق، الإمام الحافظ، محدث الإسلام، ومن أوسع العلماء رحلة، وأكثرهم حديثا وشيوخا، من كتبه: الإيمان، التوحيد، ت سنة ٣٩٥هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٦٧/٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨/١٧.

(٩٢) أبو حفص بن شاهين: عمر بن أحمد بن شاهين، أبو حفص، الحافظ الثقة المصنف، ت سنة ٣٨٥هـ.

انظر في ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب ٢٦٥/١١، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٣١/١٦.

(٩٣) أبو ذر الهروي: عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري الهروي، أبو ذر، الحافظ، الثقة الفقيه المالكي، صنف في المستخرج على الصحيحين، ودرس الكلام على الباقلاني، ت سنة ٤٣٤هـ.

انظر في ترجمته: تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص٢٥٥، شذرات الذهب لابن العماد ٢٥٤/٣.

(٩٤) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، صاحب السنن، أحد حفاظ الحديث، كان ناسكا، عفيفا صالحا، فقيها عالما بعلل الحديث، أخذ العلم عن الإمام أحمد، وابن معين، ومسدد بن مسرهد، ت سنة ٢٧٥هـ.

انظر في ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب ٥٥/٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٨/٢.

(٩٥) ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم، من أهل البصرة، حافظ كبير، وإمام من أئمة أهل السنة له كتاب السنة، ت سنة ٢٨٧هـ.

انظر في ترجمته: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦٧/٢، شذرات الذهب لابن العماد ١٩٥/٢.

(٩٦) ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري، الحافظ الحجة، إمام الأئمة في عصره، صاحب التصانيف النافعة، من أشهرها كتاب التوحيد، ت سنة ٣١١هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي ١٠٩/٣، شذرات الذهب لابن العماد ٢٦٢/٢.

(٩٧) الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، إمام محدث قدوة، صاحب سنة واتباع، من أشهر كتبه: الشريعة، ت سنة ٣٦٠هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤١٩/٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٣/١٦.

(٩٨) ابن بطة: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، الإمام القدوة العابد الفقيه، صاحب كتاب الإبانة، من أعلام أهل السنة، ت سنة ٣٨٧هـ.

انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٤٤/٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٩/١٦.

(٩٩) اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، أبو القاسم، الإمام الحافظ المجود المفتي، برع في المذهب الشافعي له كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت سنة ٤١٨هـ.

انظر في ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب ٧٠/١٤، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤١٩/١٧.

(١٠٠) الصابوني: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني النيسابوري، أبو عثمان، الحافظ المفسر المحدث الفقيه، شيخ الإسلام، كثير السماع والحفظ والتصنيف له كتاب اعتقاد السلف وأصحاب الحديث، ت سنة ٤٤٩هـ.

انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٧/٣، طبقات الشافعية للسبكي ٢٧١/٤.

عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، مولى حمير من أهل صنعاء، إمام محدث، صاحب المصنف، كان يحفظ نحو سبعة عشر ألف حديث، ت سنة ٢١١هـ.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري ١٣٠/٦، طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٢٠٩/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨٥/٢.

(١٠١) عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد، الإمام الحافظ الحجة، له كتاب في التفسير كبير، ت سنة ٢٤٩هـ.

انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٥/١٢، شذرات الذهب لابن العماد ١٢٠/٢.

(١٠٢) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٩/٣ - ١٣٠).

(١٠٣) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٥/٣ - ١٤٨).

(١٠٤) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥١/٣).

(١٠٥) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٢/٣).

(١٠٦) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٨/٣).

(١٠٧) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٨/٣ - ١٥٩).

(١٠٨) انظر: الجواب الباهر في زوار المقابر ص٦٢.

(١٠٩) البكري: علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري، أبو الحسن، فقيه من أهل القاهرة، كان من جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة الزيارة وغيرها، ت سنة ٧٢٤هـ.

انظر في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير ١١٤/١٤، شذرات الذهب لابن العماد ٦٤/٦.

(١١٠) الأخنائي: محمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الأخنائي، تاج الدين، ولي نظر الخزانة، ثم ولي قضاء المالكية بعد عمه إلى أن مات، كان ينقم على ابن تيمية ويكيد له، وقد رد عليه ابن تيمية وهو مؤلف نفيس، ت سنة ٧٦٣هـ.

انظر في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير ٢٩١/١٤، الدرر الكامنة لابن حجر ١٢/٥.

(١١١) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان القائل بالجبر، وإنكار الأسماء والصفات، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن الجنة والنار تفنيان.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٣٨/١)، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢١١، التنبيه والرد للملطي ص١١٠ – ١٥٤، البرهان للسكسكي ص٣٤، الملل والنحل للبغدادي ص١٤٥ – ١٤٨، فرق معاصرة لغالب عواجي ٧٩٥/٢ – ٨٢٠، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص٧٣، ٧٤.

(١١٢) المشبهة: اسم لطوائف متعددة سيأتي التعريف بهم مفصلا.

(١١٣) القدرية: مذهب ينسب خلق أفعال العباد إلى أنفسهم، ويسلبون من الله عز وجل أي قدرة أو تأثير في أفعال العباد، ومن أشهر فرق القدرية: المعتزلة.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٤، التنبيه والرد للملطي ص١٧٦ – ١٨٧، الفرق الإسلامية في بلاد الشام لعطوان ص١٥ – ٧٩.

(١١٤) الجبرية: من الجبر وهو نفي الفعل عن العبد مطلقا، وإسناده إلى الله عز وجل، فلا اختيار للإنسان في أفعاله، وهم صنفان: صنف نفوا عن العبد الفعل والقدرة عليه كالجهمية، وصنف أثبتوا للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا كالأشاعرة.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٨٩ – ٩٢، الملل والنحل للشهرستاني تحقيق بدران ٧٩/١، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص٧٠، الفرق الإسلامية لعطوان ص٨١ – ١٠٥.

(١١٥) المرجئة: من الرجاء أو من الإرجاء وهو التأخير، ذلك أن الإيمان عندهم هو الاعتقاد بالقلب دون الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، فهم يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وأجمعوا على أنه لا يدخل النار إلا الكفار فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٢١٣/١ – ٢٣٤، التبصير في الدين للإسفراييني ص٩٧ – ٩٩، البرهان للسكسكي ص٣٣ – ٤٧، التنبيه والرد للملطي ص٥٧ – ٦١.

(١١٦) الحرورية: نسبة إلى حروراء بلد في العراق، وهم الخوارج، نسبوا إليها لتجمعهم فيها في بداية أمرهم، وسيأتي بعد قليل التعريف بالخوارج.

(١١٧) المعتزلة: سمو بذلك – على الصحيح – لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم فرق كثيرة.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٢٣٥/١، الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٠ – ٢١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٣٤، مذاهب الإسلاميين لبدوي ٣٧/١، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، والمعتزلة لزهدي جار الله، وانظر: من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، فضل المعتزلة وطبقات المعتزلة للبلخي والقاضي عبد الجبار والجشمي.

(١١٨) الرافضة: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضوا أكثر الصحابة وقيل في سبب تسميتهم بالرافضة أنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وأقواله في تفضيل الشيخين، وهم أردأ وأسوأ فرق الشيعة، ومن فروعهم مذهب الإمامية الاثنى عشرية.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٨٨ – ١٣٤، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص١٠٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٨٨ – ٢٨٩، الزينة للرازي الفاطمي ص٢٧٠ – ٢٧١.

(١١٩) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حرب صفين، وصاروا فرقة لها أصولها التي منها: تكفير مرتكب الكبيرة، والتبري من علي وعثمان رضي الله عنهما والخروج على الإمام إذا خالف السنة وغير ذلك، وهم فرق كثيرة.

انظر: التنبيه والرد للملطي ٦٢ – ٨٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٦٤ – ٢٨٤، الخوارج لعامر النجار ص٣٧ – ١٣٥.

(١٢٠) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٤١).

(١٢١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٩٦.

(١٢٢) الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي المطلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة فإليه ينسب المذهب الشافعي، إمام فقيه، ت سنة ٢٠٤هـ.

انظر في ترجمته: حلية الأولياء لأبي نعيم ٩/٦٣، مناقب الشافعي للبيهقي، ومناقب الشافعي للرازي، تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٢٥.

(١٢٣) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص١١.

(١٢٤) تفصيل الإجمال (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/١٢٨)، وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم باعبد الله.

(١٢٥) ص٦٥.

(١٢٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/٧٦.

(١٢٧) معارج الوصول (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/١٥٥).

(١٢٨) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/٥٨، الفتوى الحموية الكبرى ص٢١ – ٢٣.

(١٢٩) انظر: التدمرية ص١٠٤.

(١٣٠) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٣١ – ٢٣٣.

(١٣١) انظر: الاستقامة ١/٢٣.

(١٣٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٥٥.

(١٣٣) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص١٠٦ – ١١٠، مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/١٧٥.

(١٣٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٥٧.

(١٣٥) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص٣٣ – ٤٩.
(١٣٦) الصفدية ٢٩١/١، وانظر: موقف الإمام ابن تيمية من قضية التأويل للجليند، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة للسيد عبد الغفار، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن ٣٩١/١ – ٤٣٦، ٤٣٧/٢ – ٤٧٠، ٥٣١ – ٥٧٦.
(١٣٧) معاذ بن جبل: بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها، كان سمحا، مجاب الدعوة، ت سنة ١٧هـ.
انظر في ترجمته: الاستيعاب لابن عبد البر ٣٥٥/٣، الإصابة لابن حجر ٤٢٦/٣.
(١٣٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٣٥٧/٣، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء.
(١٣٩) انظر للاستزادة في حجية خبر الواحد: أخبار الآحاد في الحديث النبوي للجبرين، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني، خبر الواحد في السنة لسهير مهنا، الأدلة والشواهد للهلالي، رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد للراشد، حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد للأمين الحاج محمد أحمد، وانظر: الرسالة للشافعي ص٣٦٩، مختصر الصواعق المرسلة للموصلي ٤٣٢/٢، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٢/٢ وغيرها كثير.
(١٤٠) ابن عقيل: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، المقريء الفقيه الأصولي، اشتغل بعلم الكلام، ويذكر أنه تاب منه، وقد رد عليه ابن قدامة في كتابه (تحريم النظر في كتب الكلام) وله مصنفات من أشهرها (الفنون)، ت سنة ٥١٣هـ.
انظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٤٢/١، المنهج الأحمد للعليمي ٢١٥/٢.
(١٤١) انظر المسودة لآل تيمية ص٢٤٩.
(١٤٢) درء تعارض العقل والنقل ٣٨٣/٣ – ٣٨٤.
(١٤٣) المسودة لآل تيمية ص٢٤٨.
(١٤٤) ممن اعتنى بهذا الموضوع: الأصول الفكرية عند شيخ الإسلام ابن تيمية لخالد العك ص٨٧ – ١٧٨، العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل وابن تيمية للسيلي ص٣٥ – ١٤٥، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد للبريكان (رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن ٦١/١ – ٧٣، قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي ص١٨٥ – ٢٠٨، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين له ص١٩٩ – ٢٣٣، معالم الانطلاقة الكبرى للمصري ص٦٥ – ٧٨، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة للحوشاني ١٢٥/١ – ١٧١.." (١)

" فذكر سبحانه في هذه الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما وبين أن المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وقال فآمنوا بالله ورسله ثم قال ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ولم يذكر هنا أمه وقوله تعالى وكلمته ألقاها

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص/٤٠

إلى مريم وروح منه قال معمر عن قتادة وكلمته ألقاها إلى مريم وهو قوله كن فكان وكذلك قال قتادة ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وكذلك قال الإمام أحمد بن حنبل في مصنفه الذي صنفه في كتبه في الرد على الجهمية وذكره عنه الخلال والقاضي أبو يعلى قال أحمد ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال إنا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق قلنا أي آية

قال قول الله إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم

فقلنا إن الله منعكم الفهم في القرآن عيسى عليه السلام تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأن عيسى يجري عليه نسمة ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب وهو يخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد هو** من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قول عيسى ولكن المعنى في قوله جل ثناؤه إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان عيسى فالكن من الله قوله وليس الكن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته لأن الكلمة مخلوقة

قالت النصارى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة

قال أحمد وأما قوله جل ثناءه وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقول عبد الله وسماء الله وفي نسخة روح يملكها الله خلقها الله

وقال الشعبي في قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم الكلمة حين قال له كن ." (١)

"وأما تكفيرهم وتخليدهم : ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران : وهما روايتان عن أحمد . والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم . والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا . وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع ؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه . فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له . وقد بسطت هذه القاعدة في " قاعدة التكفير " .." (٢)

"...وهي التي أخرجها أبو يعلى الفراء بإسناده٢١٧إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي : إن قوما ينسبون إلى تولية يزيد ، فقال : يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله ؟ فقلت : ولم لا تلعنه ؟ فقال : ومتى رأيتني ألعن شيئا ، ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقرأ قوله تعالى ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾٢١٧ .

---

(١) دقائق التفسير، ٢/٣١

(٢) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ١/٣٩٥

قلت : وهذه الرواية لا تصح للعلل التالية :

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " هذه الرواية التي ذكرت عن أحمد منقطعة ليست ثابتة عنه ، ثم إن الآية لا تدل على لعن المعين٢١٧ " ا.هـ.

– ثبت عن الإمام أحمد النهي عن اللعن ، كما في رواية صالح نفسه ، أن أحمد قال : " ومتى رأيت أباك يلعن أحدا ، لما قيل له ألا تلعن يزيد "٢١٧، وحين سأل عصمة بن أبي عصمة أبو طالب العكبري الإمام أحمد عن لعن يزيد ، قال : " لا تتكلم في هذا . قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لعن المؤمن كقتله " ، وقال : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم "٢١٧ . وقد كان يزيد فيهم فأرى الإمساك أحب إلي ٢١٧" ا.هـ.

– قال الخلال : " وما عليه أحمد هو الحق من ترك لعن المعين ، لما فيه من أحاديث كثيرة تدل على وجوب التوقي من إطلاق اللعن٢١٧ "

– قال تقي الدين المقدسي : " إن المنصوص عن أحمد الذي قرره الخلال اللعن المطلق لا المعين ، كما قلنا في **نصوص الوعد والوعيد** ، وكما نقول في الشهادة بالجنة والنار ، فإنا نشهد بأن المؤمنين في الجنة ، وأن الكافرين في النار ، ونشهد بالجنة والنار لمن شهد له الكتاب والسنة ، ولا نشهد بذلك لمعين إلا من شهد له النص ، أو شهدت له الاستفاضة على قول ، ثم إن النصوص التي جاءت في اللعن جميعها مطلقة ، كالراشي والمرتشي ، وآكل الربا وموكله ، وشاهديه وكاتبه ٢١٧" ا.هـ.." (١)

"ص –٤٢٢– النص والآيات. وكثير ممن يكون قد وضع دينه برأيه أو ذوقه يحتج من القرآن بما يتأوله على غير تأويله، ويجعل ذلك حجة لا عمدة، وعمدته في الباطن على رأيه، كالجهمية والمعتزلة في الصفات والأفعال، بخلاف مسائل الوعد والوعيد١؛ فإنهم قد يقصدون متابعة النص.

---

١ يراد **بمسائل الوعد والوعيد عند** الرافضة ما أريد بها عند المعتزلة.

ومسائل الوعد والوعيد بينها القاضي عبد الجبار المعتزلي بقوله: ".... وأما علوم الوعد والوعيد: فهو أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه التخلف والكذب..". شرح الأصول الخمسة ص ١٣٥-١٣٦.

والروافض في إثبات الوعيد فرقتان؛ إحداهما تثبته لمخالفيهم خاصة. والأخرى تثبته للناس عامة.

يقول الأشعري في المقالات: "واختلفت الروافض في الوعيد، وهم فرقتان: فالفرقة الأولى منهم يثبتون الوعيد على مخالفيهم، ويقولون: إنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها. ورووا في أئمتهم أن ما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم، حتى يصفحوا عنهم.

---

(١) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ١٩٨/٢

والفرقة الثانية منهم يذهبون إلى إثبات الوعيد، وأن الله عز وجل يعذب كل مرتكب للكبائر من أهل مقالتهم كان، أو من غير أهل مقالتهم، ويخلدهم في النار". المقالات للأشعري ١١٢٦. وانظر: منهاج السنة النبوية ٢٣٠٣.." (١)

"فصل إذا تبين ذلك فاعلم أن " مسائل التكفير والتفسيق " هي من مسائل " الأسماء والأحكام " التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال تعالى – لما ذكر قول اليهود والنصارى – : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ . فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام وما فيه من الإثبات الباطل ثم قال : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . فأخبر سبحانه عمن مضى ممن كان متمسكا بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين وعن المؤمنين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم أنه من جمع " الخصال الثلاث " التي هي جماع الصلاح وهي الإيمان بالخلق والبعث : بالمبدأ والمعاد ؛ الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ؛ وهو أداء المأمور به وترك المنهي عنه . فإن له حصول الثواب وهو أجره عند ربه واندفاع العقاب . فلا خوف عليه مما أمامه ولا يحزن على ما وراءه ؛ ولذلك قال : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ إخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وهو محسن . ف " الأول " وهو إسلام الوجه هو النية وهذا " الثاني " – وهو الإحسان – هو العمل . وهذا الذي ذكره في هاتين الآيتين هو الإيمان العام والإسلام العام الذي أوجبه الله على جميع عباده من الأولين والآخرين . وهو " دين الله العام " الذي لا يقبل من أحد سواه وبه بعث جميع الرسل كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وقال تعالى لبني آدم جميعا : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ . فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة " بدعة الخوارج " المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال : والصغيرة لا تجامع الإيمان أبدا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام قالوا :." (٢)

---

(١) النبوات، ٧٥/١١

(٢) الكيلانية، ص/٦٧

"الشرذمة . قالوا : فمن عفي عنه كان مستثنى من العموم . وقال قوم آخرون : بل إخلاف الوعيد ليس بكذب وإن العرب لا تعد عارا أو شنارا أن يوعد الرجل شرا ثم لا ينجزه كما تعد عارا أو شنارا أن يعد خيرا ثم لا ينجزه وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين وقد احتجوا بقول كعب بن زهير يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول قالوا : فهذا وعيد خاص وقد رجا فيه العفو مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلم أن العفو عن المتوعد جائز وإن لم يكن من باب تخصيص العام . والتحقيق أن يقال : الكتاب والسنة مشتمل على **نصوص الوعد والوعيد كما** أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط ؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة ؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك في موارد النزاع . فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى وأن الربا يبطل العمل وأنه إنما يتقبل الله من المتقين ؛ أي في ذلك العمل ونحو ذلك . فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة . وبهذا تبين أنا نشهد بأن ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ على الإطلاق والعموم ولا نشهد لمعين أنه في النار ؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه ؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه . يبين هذا : أنه قد ثبت : أن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها ﴾ . وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمر ﴿ أن رجلا كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه ؛ فإنه يحب الله ورسوله ﴾ " فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن خمر ؛ لأنه يحب الله ورسوله وقد لعن شارب الخمر على العموم .." (١)

"فصل إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر والفاسق الملي وفي **حكم الوعد والوعيد والفرق** بين المطلق والمعين وما وقع في ذلك من الاضطراب ف " مسألة تكفير أهل البدع والأهواء " متفرعة على هذا الأصل . ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة فنقول : المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن ؛ فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب وحقيقة قولهم جحود الصانع ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وقال غير واحد من الأئمة إنهم أكفر من اليهود والنصارى يعنون من هذه

(١) الكيلانية، ص/٧٣

الجهة ولهذا كفروا من يقول : إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة وإن الله ليس على العرش وإن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته . وأما " المرجئة " : فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم ؛ فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء : ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم " باب الأسماء " وهذا من نزاع الفقهاء لكن يتعلق بأصل الدين ؛ فكان المنازع فيه مبتدعا . وكذلك " الشيعة " المفضلون لعلي على أبي بكر لا يختلف قوله إنهم لا يكفرون ؛ فإن ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضا وإن كانوا يبدعون . وأما " القدرية " المقرون بالعلم و " الروافض " الذين ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج : فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم والخوارج مع قوله : ما أعلم قوما شرا من الخوارج . ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع مطلقا روايتين حتى يجعلوا المرجئة داخلين في ذلك وليس الأمر كذلك وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما لا يكفر . وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفر مطلقا وهو خطأ محض . والجهمية – عند كثير من السلف : مثل عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم – ليسوا منه الثنتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة ؛ بل أصول هذه عند هؤلاء : هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وهذا المأثور عن أحمد وهو المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث أنهم كانوا يقولون ؛ من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ونحو ذلك . ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم في هذا قولين : " أحدهما " أنه كفر ينقل عن الملة . قال : وهو قول الأكثرين . و " الثاني " أنه كفر لا ينقل . ولذلك قال الخطابي : إن هذا قالوه على سبيل التغليظ وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا في تخليد المكفر من هؤلاء ؛ فأطلق أكثرهم عليه التخليد كما نقل ذلك عن طائفة من متقدمي علماء الحديث ؛ كأبي حاتم ؟ وأبي زرعة وغيرهم وامتنع بعضهم من القول بالتخليد . وسبب." (١)

"الله والله غني حميد ﴾ ثم قال: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾ . وكذلك في (سورة ق) ذكر حال المخالفين للرسل ، **وذكر الوعد والوعيد في** الآخرة . وكذلك في (سورة القمر) ذكر هذا وهذا . وكذلك في (آل حم) مثل حم غافر ، والسجدة ، والزخرف ، والدخان ، وغير ذلك ، إلى غير ذلك مما لا يحصى . فإن التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل ، كما في صحيح البخاري عن يوسف بن ماهك قال : إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك ! وما يضرك ؟ قال : يا أم المؤمنين ! أريني مصحفك . قالت : لم ؟ قال : لعلي أؤلف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وإني لجارية ألعب : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة." (٢)

---

(١) الكيلانية، ص/٧٤

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص/٢٤

"قال رضي الله عنه: وعلى هذا يخرج نسخ قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ [٢/٢٨٤] كما قد جاء عن الصحابة والتابعين خلافا لمن أنكره من أصحابنا وغيرهم كابن الجوزي. فضابط القاضي: أن الخبر إن قبل التغيير جاز النسخ وإلا فلا. وعلى هذا فيجوز **نسخ الوعد والوعيد قبل** الفعل كقوله: «من بنى هذا الحائط فله درهم» ثم يرفع ذلك. والفقهاء يفرقون بين التعليق وبين التخيير(١).

[شيخنا]: ... ... فصل

[فضيلة الناسخ على المنسوخ]

لما قال المخالف القرآن كله متساو في الخبر فقوله: ﴿ نأت بخير منها ﴾ [٢/١٠٦] يدل على أنه لا ينسخ بالأثقل، فقال: ومعلوم أنه لم يرد بقوله: (بخير منها) فضيلة الناسخ على المنسوخ، لأن القرآن كله متساو

في الفضيلة فعلم أنه أراد الأخف، فلم يمنع القاضي ذلك، بل قال: الخير ما كان أنفع: إما بزيادة الثواب مع المشقة، وإما بكثرة انتفاع المغير به، فإنه سبب لزيادة الثواب، فالأنفع هو ما كان أكثر ثوابا وكثرة الثواب بأحد السببين. ثم في مسألة نسخ القرآن بالسنة لما قال المخالف: «التلاوة لا يكون بعضها خيرا من بعض، وإنما يكون ذلك في النفع» قال القاضي: ولا يصح هذا القول؛ لأنه قد يكون بعضها خيرا من بعض على معنى أنها أكثر ثوابا مثل سورة (طه) و (يس) وما أشبه ذلك. وقد يكون في بعضها من الإعجاز في اللفظ والنظم أكثر مما في البعض، وكانت العرب تعجب من بعض القرآن ولا تعجب من بعض.

قال شيخنا: قلت: بقي القول الثالث -وهو الحق- التفاضل الحقيقي كما نطقت به النصوص الصحيحة الصريحة(٢).

[شيخنا]: فصل

[نسخ التلاوة ونسخ الحكم]

ذكر القاضي في ضمن مسألة نسخ القرآن بالسنة أن الخلاف في نسخ تلاوته بأن يقول النبي: لا تقرءوا هذه الآية فتصير تلاوتها منسوخة بالسنة، وفي نسخ حكمه مع بقاء تلاوته، وأن المجيز يجيزهما جميعا، وجعل نسخ التلاوة أعظم من نسخ الحكم؛ فإنه منعهما جميعا.

(١) المسودة ص ١٩٧ ف ٢/٨.

(٢) المسودة ص ٢٠١ ف ٢/٨.." [١]

"وما رأيت أحدا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم،

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٢

وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه(١).

الإيمان

فصل

[عقيدة أهل السنة في أهل الكبائر. مخالفة أهل البدع. الجمع بين نصوص الوعد والوعيد. أمثلة وتعاريف]

الذي عليه أهل السنة: أن الله لا يخلد في النار أحدا من أهل الإيمان.

وخالف في ذلك قوم من أهل البدع: الخوارج والحرورية والمعتزلة، فقالوا: إن أهل الكبائر يخلدون فيها،ومن دخلها لم يخرج منها بشفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا غيره، وكذبوا.

وعارض هؤلاء قوم من المرجئة: زعموا أن الإيمان حاصل من الخلق جميعهم وأن إيمان الملائكة والأنبياء والصديقين كإيمان أهل الكبائر وكذبوا.

وغلاتهم تزعم أنه لا يدخل في النار أحد، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وكل هؤلاء ضالون.

فالطائفة الأولى: نظروا إلى نصوص الوعيد.

والثانية: نظروا إلى نصوص الوعد.

وأما أهل السنة: فآمنوا بكل ما جاء من عند الله ولم يضربوا بعض ذلك ببعض ونظروا في الكتاب والسنة فوجدوا أن أهل الكبائر

من الموحدين الذين توعدهم الله بالعقاب بين أن عقابهم يزول عنهم بأسباب:

أحدها: التوبة، فإن الله يغفر بالتوبة النصوح الذنوب جميعا.

السبب الثاني: الحسنات الماحية، كما قال: ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ الآية [٨/٧].

السبب الثالث: مصائب الدنيا والبرزخ.

---

(١) مدارج السالكين جـ٢/٣٤٥ وإلى الفهارس العامة والتقريب جـ٦٢/١.." [١]

"ومن كرر التوبة المذكورة والعود للذنب لا يجزم له أنه قد دخل في معنى هذا الحديث، وأنه قد يعمل بعد ذلك ما شاء لا يرجى له أن يكون من أهل الوعد، ولا يجزم لمعين بهذا الحكم، كما لا يجزم في حق معين بالوعيد كسائر **نصوص الوعد والوعيد فإن** هذا كقوله: من فعل كذا دخل الجنة ومن فعل كذا دخل النار، لا يجزم لمعين لكن يرجى للمحسن،

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٠٥

ويخاف المسيء.
ومن هذا الباب حديث البطاقة التي قدر الكف فيها التوحيد وضعت في الميزان فرجحت على تلك السجلات من السيئات.
وليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المنزلة لأن هذا العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحا على هذه السيئات.
ومن أجل ذلك صار المد من الصحابة رضي الله عنهم أفضل من مثل جبل أحد ذهبا من غيرهم.

ومن ذلك حديث البغي التي سقت كلبا فغفر لها؛ فلا يقال في كل بغي سقت كلبا غفر لها؛ لأن هذه البغي قد حصل لها من الصدق والإخلاص والرحمة بخلق الله ما عادل إثم البغي وزاد عليه ما أوجب المغفرة والمغفرة تحصل بما يحصل في القلب من الإيمان الذي يعلم الله وحده مقداره وصفته.
وهذا يفتح باب العمل، ويجتهد به العبد أن يأتي بهذه الأعمال وأمثالها من موجبات الرحمة وعزائم المغفرة ويكون مع ذلك بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [٢٣/٦٠].
ولهذا استثنى ابن مسعود وغيره في الإيمان فكان يقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله فإن الإيمان المطلق الكامل يقتضي أداء الواجب، وأحدهم لا يعلم بيقين أنه أدى كل الواجب كما أمر. ولئن أدوا فهو فضل من الله ورحمة، فلهذا استثنوا فيه. واستثنوا في الصلاة وغيرها؛ لأنه لا يجزم بأنه أتى بها على وجهها، فيأتي بما أتى به من الخير وقلبه وجل.." [(١)]

"[قال شيخنا] قلت: إلا أن النسخ اللغوي كما في قوله تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ ١ على قول من قال: إنه ألقى في التلاوة: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"٢ وإن كان مما يصح أن يتغير ويقع عل غير الوجه المخبر عنه فإنه يصح نسخه كالخبر عن زيد بأنه مؤمن أو كافر أو عدل أو فاسق فهذا يجوز نسخه فإذا أخبر عن زيد بأنه مؤمن جاز أن يقول بعد ذلك هو كافر وكذلك يجوز أن يقول الصلاة على المكلف في المستقبل ثم يقول بعده ليس على المكلف فعل صلاة لأنه يجوز أن تتغير صفته من حال إلى حال قال رضى الله عنه: وعلى هذا يخرج نسخ قوله: ﴿يحاسبكم به الله﴾ كما قد جاء عن الصحابة والتابعين خلافا لمن أنكره من أصحابنا وغيرهم كابن الجوزي فضابط القاضي أن الخبر إن قبل التغيير جاز النسخ وإلا فلا وعلى هذا فيجوز **نسخ الوعد والوعيد قبل** الفعل كقوله: "من بنى هذا الحائط فله درهم" ثم رفع ذلك والفقهاء يفرقون بين التعليق وبين التخيير.
[شيخنا] فصل: [يتعلق بما يجوز نسخه
قد ذكر ابن عقيل وغيره ما كتبه الجد وقال القاضي في مسألة النسخ] واحتج بأنه لو جاز ورود النسخ في الشرائع لجاز مثله في اعتقاد التوحيد وقال القاضي والجواب أن الفعل الشرعي يجوز أن يكون مصلحة في وقت ولا يكون مصلحة في وقت آخر مع بقاء التكليف ويكون مصلحة لزيد ولا يكون مصلحة لعمرو وأما فعل التوحيد فلا يخرج عن أن تكون المصلحة فيه لجميع المكلفين وفي جميع الأوقات يبين صحة هذا أنه يجوز أن يجمع بين الأمر [بالفعل] الشرعي

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٩٢

–

١ من الآية "٥٢" من سورة الحج.

٢ لم يذكر خبر "إن" ولفظ "إن" ساقط من ب ولعله الصواب.." (١)

" والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وهذه حال أهل العلم والحق والسنة يعرفون الحق الذي جاء به الرسول وهو الذي اتفق عليه صريح المعقول وصحيح المنقول ويدعون اليه ويأمرون به نصحا للعباد وبيانا للهدى والسداد ومن خالف ذلك لم يكن لهم معه هوى ولم يحكموا عليه بالجهل بل حكمه الى الله والرسول فمنهم من يكفره الرسول ومنهم من يجعله من أهل الفسق أو العصيان ومنهم من يعذره ويجعله من أهل الخطأ المغفور والمجتهد من هؤلاء المأمور بالاجتهاد يجعل له أجرا على فعل ما أمر به من الاجتهاد وخطؤه مغفور له كما دل الكتاب وأما أهل البدع فهم أهل أهواء وشبهات يتبعون أهواءهم فيما يحبونه ويبغضونه ويحكمون بالظن والشبه فهم يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فكل فريق منهم قد أصل لنفسه أصل دين وضعه إما برأيه وقياسه الذي يسميه عقليات وإما بذوقه وهواه الذي يسميه ذوقيات وإما بما يتأوله من القرآن ويحرف فيه الكلم عن مواضعه ويقول انه إنما يتبع القرآن كالخوارج وإما بما يدعيه من الحديث والسنة ويكون كذبا وضعيفا كما يدعيه الروافض من النص والآيات وكثير ممن يكون قد وضع دينه برأيه أو ذوقه يحتج من القرآن بما يتأوله على غير تأوله ويجعل ذلك حجة لا عمدة وعمدته في الباطن على رأيه كالجهمية والمعتزلة في الصفات والافعال بخلاف **مسائل الوعد والوعيد فانهم** قد يقصدون متابعة النص فالبدع نوعان نوع كان قصد أهلها متابعة النص والرسول لكن غلطوا في فهم المنصوص وكذبوا بما يخلف ظنهم من الحديث ومعاني الآيات كالخوارج وكذلك الشيعة المسلمين بخلاف من كان منافقا زنديقا يظهر التشيع وهو في الباطن لا يعتقد الاسلام وكذلك المرجئة قصدوا اتباع الامر والنهي وتصديق الوعيد مع الوعد ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف ابن أسباط وغيرهما ان الثنتين والسبعين فرقة أصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية وأما الجهمية النافية للصفات فلم يكن أصل دينهم اتباع الكتاب والرسول ." (٢)

"(الأصل الثاني) قول من يقول : إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور .. والأصل الذي عليه السلف والجمهور أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، فالوجوب مشروط بالقدرة ، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع حكم الناس **في الوعد والوعيد والثواب** والعقاب ، وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب(٧٤) ، فإذا كان هذا الحكم في المجتهدين ، وهذا الحكم في المذنبين ، حكما عاما في جميع الأمة والمذنبين يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذكر من الأسباب ، فكيف بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟

ونحن نبسط هذا وننبه بالأدنى على الأعلى فنقول : كلام الذام للخلفاء ولغيرهم – من رافضي وغيره – هو من باب الكلام

---

(١) المسودة في أصول الفقه، ص/١٩٧

(٢) النبوات، ص/٩٥

في الأغراض ، وفيه حق لله تعالى لما يتعلق به من الولاية والعداوة والحب والبغض وفيه حق للآدميين أيضا ، ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة – مثل الملوك المختلفين على الملك ، والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين – وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، ولا بجهل وظلم ، فإن العدل واجب لكل واحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال ، قال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .. (المائدة ٨) فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من يبغضه ، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ، فهو أحق أن لا يظلم ، بل يعدل عليه .." (١)

"(فصل) " فهذان القولان " : قول الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب ويخلدون في النار ؛ وقول من يخلدهم في النار ويجزم بأن الله لا يغفر لهم إلا بالتوبة ويقول ليس معهم من الإيمان شيء لم يذهب إليهما أحد من أئمة الدين أهل الفقه والحديث بل هما من الأقوال المشهورة عن أهل البدع . وكذلك قول من وقف في أهل الكبائر من غلاة المرجئة وقال لا أعلم أن أحدا منهم يدخل النار هو أيضا من الأقوال المبتدعة ؛ بل السلف والأئمة متفقون على ما تواترت به النصوص من أنه لا بد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة ثم يخرجون منها . وأما من جزم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة فهذا لا نعرفه قولا لأحد . وبعده قول من يقول : ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لا حقيقة له وهذا من أقوال الملاحدة والكفار . وربما احتج بعضهم بقوله : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ فيقال لهذا : التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له كما توهم الصبي الصغير . ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين . لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف وهذا شبيه بما تقول " الملاحدة " المتفلسفة والقرامطة ونحوهم : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا." (٢)

"ص -١٦٢- بذكر فعل الكتاب وصفة اليد ومحل الكتابة وأنه كتاب وذكر مستقر الكتاب وأنه عنده فوق العرش فهذا إيجاب مؤكد بأنواع من التأكيد وهو إيجاب منه على نفسه ومنه قوله تعالى: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ فهذا حق أحقه على نفسه فهو طلب وإيجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لمعاذ "أتدري ما حق الله على عباده قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار" رواه البخاري ومسلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: في غير حديث "من فعل كذا وكذا كان حقا على الله أن يفعل به كذا وكذا" **في الوعد والوعيد فهذا** الحق هو الذي أحقه على نفسه ومنه الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الماشي إلى الصلاة "أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك" فهذا حق للسائلين عليه هو أحقه على

---

(١) المنتقى من منهاج الإعتدال، ص/١١٤

(٢) الإيمان الأوسط، ص/٥١

نفسه لا أنهم هم أوجبوه ولا أحقوه بل أحق على نفسه أن يجيب من سأله كما أحق على نفسه في حديث معاذ أن لا يعذب من عبده فحق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين له أن يثيبهم والحقان هو الذي أحقهما وأوجبهما لا السائلون ولا العابدون بل هو سبحانه.

ما للعباد عليه حق واجب كل ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع." (١)

" من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه وإذا عرف هذا عرف سر سلامه تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله وأنه طلب من نفسه لهم السلامة فإن لم يتسع لهذا ذهنك فسأزيدك إيضاحا وبيانا وهو أنه قد أخبر سبحانه في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا إيجاب منه على نفسه فهو الموجب وهو متعلق الإيجاب الذي أوجبه فأوجب بنفسه على نفسه

وقد أكد النبي هذا المعنى بما يوضحه كل الإيضاح ويكشف حقيقته بقوله في الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق بيده على نفسه في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ سبقت غضبي // رواه البخاري ومسلم والترمذي // فتأمل كيف أكد هذا الطلب والإيجاب بذكر فعل الكتاب وصفة اليد ومحل الكتابة وأنه كتاب وذكر مستقر الكتاب وأنه عنده فوق العرش فهذا إيجاب مؤكد بأنواع من التأكيد وهو إيجاب منه على نفسه

ومنه قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين الروم ٤٧ فهذا حق أحقه على نفسه فهو طلب وإيجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على

ومنه قول النبي في الحديث الصحيح لمعاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار // رواه البخاري ومسلم //

ومنه قوله في غير حديث من فعل كذا وكذا كان حقا على الله أن يفعل به كذا وكذا **في الوعد والوعيد فهذا** الحق هو الذي أحقه على نفسه

ومنه الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي في قول الماشي إلى الصلاة اسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك فهذا حق للسائلين عليه هو أحقه على نفسه لا أنهم هم أوجبوه ولا أحقوه بل أحق على نفسه أن يجيب من سأله كما أحق على نفسه في حديث معاذ أن لا يعذب من عبده فحق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين له أن يثيبهم والحقان هو الذي أحقهما وأوجبهما لا السائلون ولا العابدون بل هو سبحانه ." (٢)

"ص -٣٨٤- النار لا انتهاء له وانه ابدي لا انقطاع له لكان ذلك وعيدا منه سبحانه وتعالى والله تعالى لا يخلف وعده وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم إن إخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الحرب تبارك وتعالى به ويثني عليه به فانه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه والكريم لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين وقد صرح سبحانه وتعالى في كتابه

---

(١) بدائع الفوائد، ٣/٢٣٤

(٢) بدائع الفوائد، ٢/٣٨٩

في غير موضع بأنه لا يخلف وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هدبة بن خالد حدثنا سهيل بن أبي حزم ثنا ثابت البنائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه إن رسول الله قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ومن واعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار وقال أبو الشيخ الأصبهاني ثنا محمد بن حمزة ثنا احمد بن الخليل ثنا الأصمعي قال جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده قال لا قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا أيخلف الله وعده عليه فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عارا ولا خلفا إن تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وإنما الخلف إن تعد خيرا ثم لا تفعله قال فأوجدني هذا في كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الأول:

و لا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي و لا اختشي من صولة المتهدد

و إني وإن اوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قال أبو الشيخ وقال يحي بن **معاذ الوعد والوعيد حق** فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا وإن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وإن." (١)

"فصل [ترجيح المصنف اشتراط الإيمان في الرقبة]

ومنها : أن الله سبحانه أطلق الرقبة ها هنا ولم يقيدها بالإيمان وقيدها في كفارة القتل بالإيمان فاختلف الفقهاء في اشتراط الإيمان في غير كفارة القتل على قولين فشرطه الشافعي ومالك وأحمد في ظاهر مذهبه ولم يشترطه أبو حنيفة ولا أهل الظاهر والذين لم يشترطوا الإيمان قالوا : لو كان شرطا لبينه الله سبحانه كما بينه في كفارة القتل بل يطلق ما أطلقه [ص ٣٠٨] وزادت الحنفية أن اشتراط الإيمان زيادة على النص وهو نسخ والقرآن لا ينسخ إلا بالقرآن أو خبر متواتر . قال الآخرون واللفظ للشافعي شرط الله سبحانه في رقبة القتل مؤمنة كما شرط العدل في الشهادة وأطلق الشهود في مواضع فاستدللنا به على أن ما أطلق من الشهادات على مثل معنى ما شرط وإنما رد الله أموال المسلمين على المسلمين لا على المشركين وفرض الله الصدقات فلم تجز إلا للمؤمنين فكذلك ما فرض من الرقاب لا يجوز إلا لمؤمن فاستدل الشافعي بأن لسان العرب يقتضي حمل المطلق على المقيد إذا كان من جنسه فحمل عرف الشرع على مقتضى لسانهم . وها هنا أمران

أحدهما : أن حمل المطلق على المقيد بيان لا قياس .

الثاني : أنه إنما يحمل عليه بشرطين أحدهما : اتحاد الحكم . والثاني : أن لا يكون للمطلق إلا أصل واحد . فإن كان بين أصلين مختلفين لم يحمل إطلاقه على أحدهما إلا بدليل يعينه . قال الشافعي : ولو نذر رقبة مطلقة لم يجزه إلا مؤمنة وهذا بناء على هذا الأصل وأن النذر محمول على واجب الشرع وواجب العتق لا يتأدى إلا بعتق المسلم . ومما يدل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن استفتى في عتق رقبة منذورة ائتني بها فسألها أين الله ؟ فقالت في السماء فقال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله فقال أعتقها فإنها مؤمنة قال الشافعي : فلما وصفت الإيمان أمر بعتقها انتهى . [ص ٣٠٩] بالإيمان فائدة فإن الأعم متى كان علة للحكم كان الأخص عديم التأثير . وأيضا فإن المقصود من إعتاق المسلم تفريغه

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ٤٩/٦٩

لعبادة ربه وتخليصه من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق ولا ريب أن هذا أمر مقصود للشارع محبوب له فلا يجوز إلغاؤه وكيف يستوي عند الله ورسوله تفريغ العبد لعبادته وحده وتفريغه لعبادة الصليب أو الشمس والقمر والنار وقد بين سبحانه اشتراط الإيمان في كفارة القتل وأحال ما سكت عنه على بيانه كما بين اشتراط العدالة في الشاهدين وأحال ما أطلقه وسكت عنه على ما بينه وكذلك غالب مطلقات كلامه سبحانه ومقيداته لمن تأملها وهي أكثر من أن تذكر فمنها : قوله تعالى فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [النساء ١١٤] وفي موضع آخر بل مواضع يعلق الأجر بنفس العمل اكتفاء بالشرط المذكور في موضعه وكذلك قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ [الأنبياء ٩٤] وفي موضع يعلق الجزاء بنفس الأعمال الصالحة اكتفاء بما علم من شرط الإيمان وهذا غالب في **نصوص الوعد والوعيد** .." (١)

" فصل

ومنها أن الله سبحانه أطلق الرقبة ها هنا ولم يقيدها بالإيمان وقيدها فى كفارة القتل بالإيمان فاختلف الفقهاء في اشتراط الايمان في غير كفارة القتل على قولين : فشرطه الشافعي ومالك وأحمد في ظاهر مذهبه ولم يشترطه أبو حنيفة ولا أهل الظاهر والذين لم يشترطوا الإيمان قالوا : لو كان شرطا لبينه الله سبحانه كما بينه في كفارة القتل بل تطلق ما أطلقه ويقيد ما قيده فيعمل بالمطلق والمقيد وزادت الحنفية أن اشتراط الإيمان زيادة على النص وهو نسخ والقرآن لا ينسخ إلا بالقرآن أو خبر متواتر

قال الآخرون : واللفظ للشافعي : شرط الله سبحانه في رقبة القتل مؤمنة كما شرط العدل في الشهادة وأطلق الشهود في مواضع فاستدللنا به على أن ما أطلق من الشهادات على مثل معنى ما شرط وإنما رد الله أموال المسلمين على المسلمين لا على المشركين وفرض الله الصدقات فلم تجز إلا للمؤمنين فكذلك ما فرض من الرقاب لا يجوز إلا لمؤمن فاستدل الشافعي بأن لسان العرب يقتضي حمل المطلق على المقيد إذا كان من جنسه فحمل عرف الشرع على مقتضى لسانهم

وها هنا أمران أحدهما : أن حمل المطلق على المقيد بيان لا قياس الثاني : أنه إنما يحمل عليه بشرطين أحدهما : اتحاد الحكم والثاني : أن لا يكون للمطلق إلا أصل واحد فإن كان بين أصلين مختلفين لم يحمل إطلاقه على أحدهما إلا بدليل تعينه قال الشافعي : ولو نذر رقبة مطلقة لم تجزه إلا مؤمنة وهذا بناء على هذا الأصل وأن النذر محمول على واجب الشرع وواجب العتق لا يتأدى إلا بعتق المسلم ومما يدل على هذا [أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لمن استفتى فى عتق رقبة منذورة : ائتني بها فسألها أين الله ؟ فقالت : في السماء فقال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله فقال : أعتقها فإنها مؤمنة]

قال الشافعي : فلما وصفت الإيمان أمر بعتقها انتهى

وهذا ظاهر جدا أن العتق المأمور به شرعا لا يجزى إلا في رقبة مؤمنة وإلا لم يكن للتعليل بالإيمان فائدة فإن الأعم متى كان علة للحكم كان الأخص عديم التأثير

(١) زاد المعاد، ٥/٣٠٧

وأيضا فإن المقصود من إعتاق المسلم تفريغه لعبادة ربه وتخليصه من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق ولا ريب أن هذا أمر مقصود للشارع محبوب له فلا يجوز إلغاؤه وكيف يستوي عند الله ورسوله تفريغ العبد لعبادته وحده وتفريغه لعبادة الصليب أو الشمس والقمر والنار وقد بين سبحانه اشتراط الإيمان في كفارة القتل وأحال ما سكت عنه على بيانه كما بين اشتراط العدالة في الشاهدين وأحال ما أطلقه وسكت عنه على ما بينه وكذلك غالب مطلقات كلامه سبحانه ومقيداته لمن تأملها وهي أكثر من أن تذكر فمنها : قوله تعالى فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس : ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [النساء : ١١٤] وفي موضع آخر بل مواضع يعلق الأجر بنفس العمل اكتفاء بالشرط المذكور في موضعه وكذلك قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ [الأنبياء : ٩٤] وفي موضع يعلق الجزاء بنفس الأعمال الصالحة اكتفاء بما علم من شرط الإيمان وهذا غالب في **نصوص الوعد والوعيد** . " (١)

" وأقسم على صفة الإنسان بقوله ﴿ والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا * إن الإنسان لربه لكنود ﴾ وأقسم على عاقبته وهو قسم على الجزاء في قوله ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وفي قوله ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

وحذف جواب القسم لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور وهي متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت **أن الوعد والوعيد حق** ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت **أن الوعد والوعيد حق** ثبت صدقه وصدق الكتاب الذي جاء به

والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به وأنه مما يحلف به كقوله النبي صلى الله عليه و سلم [من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت] ولكن هذا يذكر معه الفعل دون مجرد حرف القسم كقولك : فلان يحلف بالله وحده وأنا أحلف بالخالق لا بالمخلوق ونحو ذلك والنصراني يحلف بالصليب والمسيح وفلان أكذب مايكون إذا حلف بالله

وقد يكون هذا النوح بحرف القسم مجردا كما في الحديث : كان أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه و سلم [لا ومقلب القلوب] وكان بعض السلف إذا اجتهد في يمينه قال : والله الذي لا إله إلاهو وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف إما بدلاله الحال كمن قيل له كل فقال لا والله الذي لا إله إلا هو أو بدلالة السياق وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به مايدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق فقال : والذي أرسل محمدا بالهدى ودين الحق وأيده بالآيات البينات وأظهر دعوته وأعلى كلمته ونحو ذلك فلا يحتاج إلى ذكر الجواب استغناء عنه بما في القسم من الدلالة عليه كمن أراد أن يقسم على التوحيد وصفات الرب ونعوت جلاله فقال : والله الذي لا إله إلاهو عالم الغيب

---

(١) زاد المعاد، ٥/٣٠٧

والشهادة الرحمن الرحيم الأول الآخر الظاهر الباطن وكمن أراد أن يقسم على علوه فوق عرشه فقال : والذي استوى على عرشه فوق سمواته يصعد إليه الكلم الطيب وترفع إليه الأيدي وتعرج الملائكة والروح إليه ونحو ذلك

وكذلك من حلف لشخص أنه يحبه ويعظمه فقال : والذي ملأ قلبي من محبتك وإجلالك ومهابتك ونظائر ذلك – لم يحتج إلى جواب القسم وكان في المقسم به مايدل على المقسم عليه فمن هذا قوله تعالى ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾ فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذي الذكر المتضمن لتذكير العباد مايحتاجون إليه وللشرف والقدر مايدل على المقسم عليه وكونه حقا من عند الله غير مفترى كمايقوله الكافرون وهذا معنى قول كثير من المفسرين – متقدميهم ومتأخريهم : إن الجواب محذوف تقديره : إن القرآن لحق وهذا مطرد في كل ماشأنه ذلك وأما قول بعضهم إن الجواب قوله تعالى ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ فبعيد لأن كم لا يتلقى بها القسم فلا تقول : والله كم أنفقت مالا وبالله كم أعتقت عبدا وهؤلاء لما لم يخف عليهم ذلك احتاجوا أن يقدروا ما يتلقى بها الجواب أي لكم أهلكنا وأبعد من هذا قول من قال : الجواب في قوله ﴿ إن كل إلا كذب الرسل ﴾ وأبعد منه قول من قال : الجواب ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ وأبعد منه قول من قال : الجواب قوله ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ وأقرب ماقيل في الجواب لفظا وإن كان بعيدا معنى عن قتاده وغيره : إنه في قوله ﴿ بل الذين كفروا ﴾ كما قال ﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ وشرح صاحب النظم هذا القول فقال : معنى بل توكيد الخبر الذي بعده فصار كإن الشديدة في تثبيت مابعدها وقيل ههنا بمنزلة إن لأنه يؤكد ما بعده من الخبر وإن كان له معنى سواه في نفي خبر متقدم فكأنه عز و جل قال : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ كما تقول : والله إن زيدا لقائم قال : واحتج صاحب هذا القول بأن هذا النظم وإن لم يكن للعربية فيه أصل ولا لها رسم فيحتمل أن يكون نظما أحدثه الله عزوجل لما بينا من احتمال (أن يكون) بل بمعنى أن ا هـ

وقال أبو القاسم الزجاج قال النحويون : إن بل تقع في جواب القسم كما تقع إن لأن المراد بها توكيد الخبر وهذا القول اختيار أبي حاتم وحكاه الأخفش عن الكوفيين وقرره بعضهم بأن قال : أصل الكلام بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر فلما قدم القسم ترك على حاله قال الأخفش : وهذا يقوله الكوفيون وليس بجيد في العربية لو قلت : والله قام وأنت تريد قام والله لم يحسن وقال النحاس : هذا خطأ على مذهب النحويين لأنه إذا ابتدأ بالقسم وكان الكلام معتمدا عليه لم يكن بد من الجواب وأجمعوا أنه لايجوز : والله قام عمرو بمعنى قام عمرو والله لأن الكلام يعتمد على القسم وذكر الأخفش وجها آخر في جواب القسم فقال : يجوز أن يكون لصاد معنى يقع عليه القسم لاندري نحن ماهو كأنه يقول : الحق والله قال أبو الحسن الواحدي : وهذا الذي قال الأخفش صحيح المعنى على قول من يقول (ص) الصادق الله أو صدق محمد وذكر الفراء هذا الوجه أيضا فقال (ص) جواب القسم وقال هو كقولك وجب والله وترك والله فهي جواب لقوله ﴿ والقرآن ﴾ وذكر النحاس وغيره وجها آخر في الجواب وهو أنه محذوف تقديره : والقرآن ذي الذكر فالأمر كمايقوله هؤلاء الكفار ودل على المحذوف قوله تعالى ﴿ بل الذين كفروا ﴾ وهذا اختيار ابن جرير وهو مخرج من قوله قتادة وشرحه الجرجاني فقال بل رافع لخبر قبله ومثبت لخبر بعده فقد ظهر مابعده وظهر ماقبله ومابعده دليل على ماقبله فالظاهر يدل على الباطن فإذا كان كذلك وجب أن يكون قوله ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ مخالفا لهذا المضمر فكأنه قيل

: والقرآن ذي الذكر إن الذين كفروا يزعمون أنهم على الحق أو كل مافي هذا المعنى فهذهة ستة أوجه سوى مابدأنا به في جواب القسم والله أعلم

ونظير هذا قوله تعالى ﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا ﴾ قيل جواب القسم (قد علمنا) وقال الفراء : محذوف دل عليه قوله ﴿ أإذا متنا ﴾ أي لتبعثن وقيل قوله ﴿ بل عجبوا ﴾ كما تقدم بيانه ." (١)

"ص -١١٣-...دواعي القلب وميوله مترددة بينهما فهو إلى داعي الخير مرة وإلى داعي الشر مرة ليتم الابتلاء في دار الامتحان وتظهر حكمة الثواب والعقاب في دار الجزاء وكلاهما من الحق الذي خلق الله السماوات والأرض به ومن أجله وهما مقتضى ملك الرب وحمده فلا بد أن يظهر ملكه وحمده فيهما كما ظهر في خلق السموات والأرض وما بينهما وأوجب ذلك في حكمته ورحمته وعدله بحكم إيجابه على نفسه أن أرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ليتم ما اقتضته حكمته في خلقه وأمره وأقام سوق الجهاد لما حصل من المعاداة والمنافرة بين هذه الأخلاق والأعمال والإرادات كما حصل بين من قامت به فلم يكن بد من حصول مقتضى الطباع البشرية وما قارنها من الأسباب من التنافس والتحاسد والانقياد لدواعي الشهوة والغضب وتعدي ما حد له والتقصير عن كثير مما تعبد به وسهل ذلك عليها اغترارها بموارد المعصية مع الإعراض من مصادرها وإيثارها ما تتعجله من يسير اللذة في دنياها على ما تتأجله من عظيم اللذة في أخراها ونزولها على الحاضر المشاهد وتجافيها عن الغائب الموعود وذلك موجب ما جبلت عليه من جهلها وظلمها فاقتضت أسماء الرب الحسنى وصفاته العليا وحكمته البالغة ونعمته السابغة ورحمته الشاملة وجوده الواسع أن لا يضرب عن عباده الذكر صفحا وأن لا يتركهم سدى ولا يخليهم ودواعي أنفسهم وطبائعهم بل ركب في فطرهم وعقولهم معرفة الخير والشر والنافع والضار والألم واللذة ومعرفة أسبابها ولم يكتف بمجرد ذلك حتى عرفهم به مفصلا على ألسنة رسله وقطع معاذيرهم بأن أقام على صدقهم من الأدلة والبراهين مالا يبقي معه لهم عليه حجة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وأن الله لسميع عليم وصرف لهم **طرق الوعد والوعيد والترغيب** والترهيب وضرب لهم الأمثال وأزال عنهم كل إشكال ومكنهم من القيام بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه غاية التمكين وأعانهم عليه بكل سبب وسلطهم على قهر طباعهم بما." (٢)

"ص -٧٥-...الذي لم يخطر ببال الحالف والمطلق وإنما الذي لم يخطر بباله سواه هو المشيئة المعينة الخاصة

وقولكم إن المستثنى لو سئل عما أراد لم يفصح بالمشيئة الخاصة بل تكلم بلفظ الاستثناء بناء على ما اعتاده الناس من التكلم بهذا اللفظ كلام غير سديد فإنه لو صح لما نفع الاستثناء في يمين قط ولهذا نقول إن قصد التحقيق والتأكيد بذكر المشيئة ينجز الطلاق ولم يكن ذلك استثناء

وأما قولكم إن الاستثناء بابه الايمان إن اردتم به اختصاص الايمان به فلم تذكروا على ذلك دليلا وقوله صلى الله عليه وسلم: "من حلف فقال إن شاء الله فقد استثنى" وفي لفظ اخر "من حلف فقال إن شاء الله فهو بالخيار فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل" فحديث حسن ولكن لا يوجب اختصاص الاستثناء بالمشيئة باليمين وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص/١٠

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٢٤/٢

فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ وهذا ليس بيمين ويشرع الاستثناء **في الوعد والوعيد والخبر** عن المستقبل كقوله غدا افعل إن شاء الله وقد عتب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال لمن سأله من أهل الكتاب عن أشياء: "غدا أخبركم" ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه شهرا ثم نزل عليه: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي اذا نسيت ذلك الاستثناء عقيب كلامك فاذكره به اذا ذكرت هذا معنى الآية وهو الذي أراده ابن عباس بصحة الاستثناء المتراخي ولم يقل ابن عباس قط ولا من هو دونه إن الرجل إذا قال لامرأته أنت طالق أو لعبده انت حر ثم قال بعد سنة إن شاء الله إنها لا تطلق ولا يعتق العبد وأخطأ من نقل ذلك عن ابن عباس أوعن احد من أهل العلم البتة ولم يفهموا مراد ابن عباس والمقصود ان الاستثناء لا يختص باليمين لا شرعا ولا عرفا ولا لغة وإن أردتم بكون بابه الايمان كثرته فيها فهذا لا ينفى دخوله في غيرها." (١)

" وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب وهذه حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لاتلاف المهجة والجراحات الشديدة وملامة اللوام ومعاداة من يخاف معاداته لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة والغايات التي اليها تسابق المتسابقون وفيها تنافس المتنافسون

وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ومفارقة الأهل والوطن ومقاساة الشدائد وفراق المألوفات ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والايمان الذي يرى ما في القرآن **من الوعد والوعيد والزواجر** والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء وأدرك الحق علما وعملا ومعرفة فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود

وقال الزمخشري لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبه الكفار بالظلمات وما فيه **من الوعد والوعيد بالرعد** والبرق وما يصيب الكفرة من الافراع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا

قال والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه إن المثلين جميعا من جهة التمثلات المتركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه وهذا القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ شيئا فرادى معزولا بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجزة ذاك ." (٢)

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٧٧/٤

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص/٢٥

"السفر ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه، وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والإيمان الذي يرى ما في القرآن **من الوعد والوعيد والزواجر** والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه؛ والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء وأدرك الحق علما وعملا." (١)

"ص -٢٣- ومعرفة فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق، ويعلم أنه حياة الوجود. وقال الزمخشري: لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبه الكفار بالظلمات وما فيه **من الوعد والوعيد بالرعد** والبرق وما يصيب الكفرة من الإقراع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق. والمعنى أو كمثل ذوي صيب، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا. قال والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه: إن المثلين جميعا من جهة التمثلات المتركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه. وهذا القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصله من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها، كقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة؛ وتساوي الحالين عند من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر ذلك إلا بما يزيد فيه من الكد والتعب وكقوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات. فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض وتصييرها شيئا واحدا فلا. كذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في." (٢)

"ص -٩- وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾

وحذف جواب القسم لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور وهي متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت **أن الوعد والوعيد حق** ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت **أن الوعد والوعيد حق** ثبت صدقه وصدق الكتاب الذي جاء به

والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به وأنه مما يحلف به كقول النبي من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ولكن هذا يذكر معه الفعل دون مجرد حرف القسم كقولك فلان يحلف بالله وحده وأنا أحلف بالخالق لا بالمخلوق

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٣٣/٢

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٣٤/٢

ونحو ذلك والنصراني يحلف بالصليب والمسيح وفلان أكذب ما يكون إذا حلف بالله

وقد يكون هذا النوع بحرف القسم مجردا كما في الحديث كانت أكثر يمين رسول الله:" لا ومقلب القلوب"." (١)

"وأما قولكم " إن الاستثناء بابه الأيمان " إن أردتم به اختصاص الأيمان به فلم تذكروا على ذلك دليلا ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من حلف فقال إن شاء الله فقد استثنى ﴾ ، وفي لفظ آخر ﴿ من حلف فقال إن شاء الله فهو بالخيار ؛ فإن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ﴾ فحديث حسن ، ولكن لا يوجب اختصاص الاستثناء بالمشيئة باليمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ﴾ وهذا ليس بيمين ، ويشرع الاستثناء **في الوعد والوعيد والخبر** عن المستقبل ، كقوله : غدا أفعل إن شاء الله ، وقد عتب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال لمن سأله من أهل الكتاب عن أشياء " غدا أخبركم " ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس الوحي عنه شهرا ، ثم نزل عليه : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴾ أي : إذا نسيت ذلك الاستثناء عقيب كلامك فاذكره به إذا ذكرت ، هذا معنى الآية ، وهو الذي أراده ابن عباس بصحة الاستثناء المتراخي ، ولم يقل ابن عباس قط ، ولا من هو دونه : إن الرجل إذا قال لامرأته : " أنت طالق " أو لعبده : " أنت حر " ثم قال بعد سنة " إن شاء الله " إنها لا تطلق ، ولا يعتق العبد ، وأخطأ من نقل." (٢)

"وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ومفارقة الأهل والوطن ومقاساة الشدائد وفراق المألوفات ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والايمان الذي يرى ما في القرآن **من الوعد والوعيد والزواجر** والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء وأدرك الحق علما وعملا ومعرفة فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود

وقال الزمخشري لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبه الكفار بالظلمات وما فيه **من الوعد والوعيد بالرعد** والبرق وما يصيب الكفرة من الافراع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا قال والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه إن المثلين جميعا من جهة التمثلات المتركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه وهذا القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ شيئا فرادى معزولا بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجزة ذاك." (٣)

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ٢/١٠

(٢) سد الذرائع وتحريم الحيل لابن القيم، ٢/٤٨١

(٣) التفسير القيم لابن القيم، ١/١٨٤

" وأشهدهم على أنفسهم أي ويشهدهم مما ركبه فيهم من العقل الذى يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب وكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع **وفهم الوعد والوعيد والثواب** والعقاب صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من العقل وأراه من الآيات والدلائل على حدوثه وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه وإذا لم يجز ذلك فلا بد له من خالق هو غيره ليس كمثله وليس من مخلوق يبلغ هذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم إلا إذا حز به أمر يفزع إلى الله عز و جل حين يرفع رأسه إلى السماء ويشير إليها بإصبعه علما منه بأن خالقه تعالى فوقه وإذا كان العقل الذى منه الفهم والإفهام مؤديا إلى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد أخذ عليه العهد والميثاق وجائز أن يقال له قد أقر وأذعن وأسلم كما قال الله عز و جل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها

قال واحتجوا بقوله رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه وقوله عز و جل إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ثم قال تعالى وحلمها الإنسان الأمانة ها هنا عهد وميثاق فامتناع السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة لأجل خلوها من العقل الذى يكون به الفهم والإفهام وحمل الإنسان إياها لمكان العقل فيه قال وللعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله

ضمن القنان الفقعس بثباتها ... ان القنان لفقعس لا يأتلي

والفنان جبل فذكر أنه قد ضمن لفقعس وضمانه لها أنهم كانوا إذا حزبهم أمر من هزيمة أو خوف لجأوا إليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كأرجاف الجولان هلل ربه ... وجوران منها خاشع متضائل

وأرجاف الجولان جبالها وجوران الأرض التي إلى جانبها وقال هذا القائل إن في قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا ." (١)

" أي حقيقتها ومصيرها إلى ها هنا انتهت وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ومنه قول الخضر لموسى عليهما السلام بعد أن ذكر له الحكمة المقصودة بما فعله من تخريق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار بلا عوض سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا الكهف٧٨

فلما أخبره بالعلة الغائية التي انتهى إليها فعله قال ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا الكهف٨٢

فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه وهي الحقيقة الموجودة في الخارج فإن الكلام نوعان خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة **وتأويل الوعد والوعيد هو** نفس الموعود والمتوعد به وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه وما هو موصوف به من الصفات العلى وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها قالت عائشة كان رسول الله يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك يتأول القرآن ." (٢)

---

(١) الروح، ص/١٦٥

(٢) الصواعق المرسلة، ١٧٧/١

" إرادة الخصوص به أشد إبطالها وعودا على مقصود المتكلم به بالإبطال فادعى قوم من أهل التأويل في كثير من عمومات هذا النوع التخصيص وذلك في **باب الوعد والوعيد وفي** باب القضاء والقدر أما باب الوعيد فإنه لما احتج عليهم الوعيديه بقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم النساء٩٣

وبقوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا النساء١٠

وأمثال ذلك لجأوا إلى دعوى الخصوص وقالوا هذا في طائفة معينة ولجأوا إلى هذا القانون وقالوا الدليل اللفظي العام مبني على مقدمات منها عدم التخصيص وانتفاؤه غير معلوم وأما باب القدر فإن أهل الإثبات لما احتجوا على القدرية بقوله الله خالق كل شيء الرعد١٦

وقوله وهو على كل شيء قدير المائدة١٢٠

ونحوه ادعوا تخصيصه وأكثر طوائف أهل الباطل ادعاء لتخصيص العمومات هم الرافضة فقل أن تجد في ." (١)

" إنه النضر بن الحارث وفي قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين البقرة٨

إنها في أناس معينين وأضعاف ذلك مما إذا طرق سمع كثير من الناس ظن أن هذا شيء أريد به هؤلاء ومضى حكمه وبقي لفظه وتلاوته حتى قال بعض من قدم العقل على النقل وقد احتج عليه بشيء من القرآن دعني من كلام قيل في أناس مضوا وانقرضوا

ومن تأمل خطاب القرآن وألفاظه وجلالة المتكلم به وعظمة ملكه وما أراد به من الهداية العامة لجيمع الأمم قرنا بعد قرن إلى آخر الدهر وأنه جعله إنذارا لكل من بلغه من الكلفين لم يخف عليه أن خطابه العام إنما جعل بإزاء أفعال حسنة محمودة وأخرى قبيحة مذمومة وأنه ليس منها فعل إلا والشركة فيه موجودة أو ممكنة وإذاكانت الأفعال مشتركة **كان الوعد والوعيد المعلق** بها مشتركا ألا ترى أن الأفعال التي حكيت عن أبي جهل بن هشام والوليد بن ." (٢)

"والذى ينبغى أن ينظر أحق الناس بتلك الصدقة فتدفع إليه . وأما أن يجعل من جملة التوبة صنعة طعام، ودعوة، فهذا بدعة . فما زال الناس يتوبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غير هذه البدعة .

/وأما الشكر الذى فيه إخراج شيء من ماله : كملبوس، أو غيره شكرا لله على ما أنعم به، إما من توبة، وإما إصلاح، ونحو ذلك، فهو حسن مشروع، فإن كعب بن مالك لما جاءه المبشر بتوبة الله عليه، أعطاه ثوبه الذى كان عليه، واستعار ثوبا ذهب فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . لكن تعيين اللباس وغيره فى الشكر بدعة أيضا . فإن فعل ذلك أحيانا فهو حسن، فلا يجعل واجبا أو مستحبا، إلا ما جعله الله ورسوله واجبا أو مستحبا، ولا ينكر إلا ما كرهه الله ورسوله . فلا دين إلا ما شرع الله، ولا حرام إلا ما حرم الله .

وضرب الرجل تحت رجليه هو من التعزير، فإن كان له ذنب يستحق به مثل ذلك من دين الله، والمؤدب له ممن له أهلية ذلك، فهو حق . وأما كشف الرؤوس، والانحناء فليس من السنة، وإنما هو مأخوذ عن عادات بعض الملوك، والجاهلية،

---

(١) الصواعق المرسلة، ٦٨٨/٢

(٢) الصواعق المرسلة، ٧٠٤/٢

والمخلوق لا يسأل كشف رأس، ولا ركوع له . وإنما يركع لله فى الصلاة، وكشف الرؤوس لله فى الإحرام .

فصل

(الفرق بين الإيمان والإسلام وتكفير أهل البدع)

إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر، والفاسق الملى وفي حكم الوعد والوعيد، والفرق بين المطلق والمعين، وما وقع في / ذلك من الاضطراب، فـ [مسألة تكفير أهل البدع والأهواء] متفرعة على هذا الأصل .

ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة . فنقول :." [1]

"وأما تكفيرهم وتخليدهم، ففيه ـ أيضا ـ للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن أحمد . والقولان فى الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم . والصحيح أن هذه الأقوال التى يقولونها التى يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر، وكذلك أفعالهم التى هى من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هى كفر أيضا . وقد ذكرت دلائل ذلك فى غير هذا الموضع، لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده فى النار، موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه . فإنا نطلق /القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله فى ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذى لا معارض له، وقد بسطت هذه القاعدة فى (قاعدة التكفير) .

ولهذا لم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم بكفر الذى قال : إذا أنا مت فأحرقونى، ثم ذرونى فى اليم، فوالله لأن قدر الله على ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، مع شكه فى قدرة الله وإعادته؛ ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة؛ فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة . وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك، فيطلق أن هذا القول كفر، ويكفر من قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها، دون غيره . والله أعلم .." [2]

"، فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل، ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة (١)بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض، كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء : فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسنا(٢) . وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلا ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه .

ومن العجب أن " المعتزلة (٣)

---

(١) – قال تعالى : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ (٤٠) سورة النساء

(٢) – سنن ابن ماجه برقم(٢٢٨٧)عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– « رحم الله عبدا

---

(١) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٠٣/١

(٢) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٧٤/٢

سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى » وهو صحيح لغيره.

(٣) - وفي فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٤١٠٨)

رقم الفتوى ١٧٢٣٦ المعتزلة..ماهيتهم..عقائدهم..المعتزلة الجدد

تاريخ الفتوى : ١٦ ذو الحجة ١٤٢٤

السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

السؤال:ما الفرق بين كل من أهل السنة،والمرجئة،والمعتزلة،والأشاعرة،الماتريدية؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد سبق الفرق بين أهل السنة وبين الأشاعرة والماتريدية في الفتوى رقم:

١٠٣٤٦ ١٦٥٤٢ ١٠٤٠٠

وأما الفرق بينهم وبين المعتزلة فيتضح ذلك ببيان عقيدة المعتزلة، وهذه نبذه مختصرة عنهم وعن عقيدتهم، ومن أراد التوسع فليراجع كتب العقائد كشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز وكتب شيخ الإسلام كالعقيدة التدمرية، ودرء تعارض العقل والنقل .. وسموا المعتزلة لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري وقدر أن مرتكب الكبيرة كالزنا وشرب الخمر لا مؤمن ولا كافر في الدنيا بل هو في منزلة بين المنزلتين كالمسافر بين بلدين لاينسب لإحداهما. وأما في الآخرة فهو مخلد في النار إن لم يتب. وقيل سموا بذلك لأنهم أوجبوا اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته.

ثم حرروا مذهبهم في خمسة أصول وهي:

الأول التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الله، وقالوا: إن الصفات ليست شيئا غير الذات وإلا تعدد القدماء في نظرهم، ولذلك نفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وقالوا بخلق القرآن إلى غير ذلك من الضلال.

الثاني العدل : ويقصدون به أن الله لايخلق أفعال العباد ولايريد الفساد بل العباد هم الذين يفعلونها بالقدرة التي جعلها الله فيهم، وأنه لا يأمر إلا بما يريد ولا ينهى إلا عما يكره، ولم يهتدوا إلى التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، ولوا اهتدوا إلى ذلك لعلموا أن الله يريد الكفر والفساد بالإرادة الكونية لحكمة يعلمها سبحانه، ولا يريدها بالإرادة الشرعية. وبين الإرادتين فوارق من أهمها أن الإرادة الكونية لا تلازمها المحبة، وأما الإرادة الشرعية فإنها تلازمها المحبة. فلا يريد الله شيئا إرادة شرعية إلا وهو يحبه سبحانه.

الثالث الوعد والوعيد: ويقصدون به أن الله يجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ولايغفر لمرتكب الكبيرة، فعدله يقتضي ذلك وهو أنه لا يغفر له، ومن ثم أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر.

الرابع المنزلة بين المنزلتين: في حق مرتكب الكبيرة. وقد سبق بيان هذا.

الخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون به وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذا الأصل قالوا

بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق؛ ولو لم يكن ما ارتكبه كفرا بواحا. ومن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل كليا وتقديمه على النقل في مسائل العقائد وغيرها. والقول بأن النقل الصحيح يعارض العقل الصريح دعوى مفتعلة منقوضة من أساسها، بل الشرع والعقل يتوافقان ولله الحمد والمنة، وعند توهم التعارض يقدم النقل لأنه عن المعصوم. وللأسف الشديد يحاول بعض الكتاب والمفكرين إحياء الاعتزال من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد، فألبسوه ثوبا جديدا وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل: العقلانية، والتنوير، والتجديد، والتحرر الفكري، والمعاصرة، والتيار الديني المستنير ونحو ذلك. ولكن تصدى لهم أهل السنة والجماعة وفضحوهم وبينوا عوارهم ولله الحمد والمنة. كما تصدى أهل الحق لأسلافهم من قبل.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه." (١)

"ونحوهم : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : خاطبوا الناس بإظهار أمور من الوعد والوعيد لا حقيقة لها في الباطن وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة ،وما أظهروه لهم من الوعد والوعيد وإن كان لا حقيقة له فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة .

و " هذا القول " مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل ؛ فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي، كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة : من الإسماعيلية (١)

---

(١) - وفي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - (ج ٤ / ص ١٣)

الباطنية

فتوى رقم (٥٥٠٨):

س: ما قول علماء الإسلام والفقهاء الكرام في حق فرقة الإسماعيلية - الأغاخانية - التي يسكن أفرادها في البلاد المختلفة خصوصا في البلاد الشمالية من باكستان ، نذكر بعض معتقداتهم وأقوالهم التي تدل على عقائدهم هنا.

(١) الكلمة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن أمير المؤمنين علي الله، هذه كلمتهم مقام كلمة الإسلام كلمة التوحيد والشهادة ويسمونها بـ: الكلمة الإسلامية الحقيقة.

(٢) الإمام: وهم يعتقدون أن أغاخان شاه كريم هو إمامهم، وهو مالك كل شيء من الأرض والسماء وما فيهما وما بينهما بالخير والشر، ويعتقدون أنه هو الحاكم في العالم بقضه وقضيضه.

(٣) الشريعة: هم لا يرون اتباع الشريعة الإسلامية بل يعتقدون أن أغاخان هو القرآن الناطق والقرآن الحقيقي الأصلي، وهو الكعبة وهو البيت المعمور وهو المتبوع المتبع ولا يكون شيء سواه يجب اتباعه، وفي كتبهم أن ما ذكر في القرآن الظاهري

---

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص/٢٦

من لفظ الله مصداقه الإمام أغاخان.

(٤) الصلاة: هم لا يعتقدون وجوب الصلوات الخمس ويقولون بوجوب الدعوات الثلاثة مكانها.

(٥) المسجد: هم يتخذون معبدا آخر مكان المسجد ويسمونه بـ: جماعت خانة.

(٦) الزكاة: هم يجحدون الزكاة الشرعية ويؤدون مكانها من جميع أصناف المال عشرها للأغاخان ويسمونه بـ: مال الواجبات - دوشوند -

(٧) الصوم: ينكرون فرضية صوم رمضان.

(٨) لا يقولون بفرضية حج البيت يعتقدون أن الأصل أغاخان هو الحج.

(٩) السلام: لهم تحية مخصوصة مكان السلام عليكم يقولون عند اللقاء: (علي مدد) أي أعانك علي، ويقولون في جوابه: (مولى علي مدد) مكان وعليكم السلام. هذه نبذة من أقوالهم وعقائدهم، فالآن نسأل عن عدة أمور:

(١) هل هذه الفرقة من فرق الإسلامية أم من فرق الكفرية.

(٢) هل يجوز أن يصلى على موتاهم صلاة الجنازة؟

(٣) هل يجوز أن يدفنوا في مقابر المسلمين؟

(٤) هل تجوز منكاحتهم؟

(٥) هل تحل ذبيحتهم؟

(٦) هل يعامل معهم معاملة المسلمين؟

نسأل منكم باسم الله العظيم أن تصدروا جواب الاستفتاء وتزيحوا الشبهات عن قلوب المسلمين؛ لأن هؤلاء الناس يبطنون عقائدهم إلى الآن ولذا سماهم المتقدمون من المشائخ بـ: الباطنية ، والآن هم أظهروا عقائدهم ويدعون الناس إليها جهرا؛ ابتغاء إزاغة المسلمين في عقائدهم ولوجوه أخر لا نعلمها.

وفي فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (ج ١٥ / ص ٥٠٣)

"الإسماعيلية"

المجيب د. علي بن حسن الألمعي

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد

التصنيف الفهرسة/الجديد

التاريخ ١٤٢٥/٢/٢٤هـ

السؤال

أرجو توضيح وموقف الشرع من طائفة تسمى "الشيعة الإمامية النزارية الإسماعيلية" وما هي معتقداتهم وأفضل طريقة لدعوتهم؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد:

فإن فرقة النزارية من فرق الإسماعيلية، وتنسب إلى نزار بن المستنصر الإسماعيلي (ت:٤٨٧هـ) وقد خلفه ابناه نزار الأكبر، والمستعلي فصاروا نزارية، ومستعلية، وكانت الدولة والغلبة للمستعلية الذين حكموا مصر، واليمن وغيرها ، وينتسب إلى النزارية الحشاشون الذين انتشروا بالشام وبلاد فارس وغيرها، ومن أبرز رجالهم الحسن ابن الصباح فارسي الأصل، وينتسب إلى النزارية إسماعليلية الشام ولهم دور خطير وإن لم تكن لهم دولة، ولا يزالون إلى اليوم في الشام.

عقيدتهم : عقيدة الإسماعيلية ومن أبرزها اعتقادهم بوجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، يضيفون عليه صفات ترفعه إلى مقام الألوهية، ويخصونه بعلم الباطن، ويدفعون له خمس دخلهم، ولا يقيمون الصلاة في مساجد عامة المسلمين وصلاتهم للإمام المستور، والكعبة عندهم رمز للإمام، ويستحلون المحرمات، ويرون أن الله خلق العالم عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية ويسمونه الحجات، وقد حل العقل في الإمام المستور.

أما الموقف من هذه الطائفة وأخواتها من طوائف الإسماعيلية. فمن الواضح كما بين العلماء أن هذه العقائد تخالف العقيدة الإسلامية جماعة وتفصيلا، وأنها عقائد كفرية، وحقيقتها هدم الإسلام، وإن كانت في الظاهر تتستر بالتشيع لآل البيت، ولذا فليست من الإسلام في شيء.

وأتباعها : يدعون إلى الإسلام ، وتبين لهم أصوله التي من خرج عنها يعد كافرا بالله وغير متبع لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتقام عليهم الحجة بتوضيح المحجة، وبيان معالم الطريق المستقيم الذي تركنا عليه نبينا –صلى الله عليه وسلم– ، وأرى أن من الضروري استغلال وسائل العصر المتاحة، ومن أهمها (الإنترنت)، والدخول معهم عبر هذه الشبكة على أن يكون المناقش له من أهل العلم والخبرة والتجربة، ومن الذين يعرفون حقيقة ما هم عليه من خلال كتبهم وأنصح بقراءة الكتب الآتية:

١. الإسماعيلية : للشيخ/ إحسان إلهي ظهير.

٢. فضائح الباطنية : لأبي حامد الغزالي.

٣. المؤامرة على الإسلام : أنور الجندي.

٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب.

والله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.." (١)

"تعالى : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾ وقال تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ . ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ الآية . فهل سمع أن أحدا ممن يؤمن بالله ورسوله منع أن يقرأ هذه وتتلى على العامة وهل ذلك إلا بمنزلة من منع من سائر الآيات التي يزعم أن ظاهرها كفر وتجسيم وخبر يخالف رأيه كقوله : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ، وقوله : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ وقوله : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ ، وقوله : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ ، وقوله : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص/٥٧

يعمهون ﴾ وقوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ وكذلك **آيات الوعد والوعيد وأحاديث** الوعد والوعيد هل يترك تبليغها لمخالفتها له ، أو الوعيدية أو المرجئة ، وآيات التنزيه والتقديس كقوله : ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ . وقوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ وقوله : ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾." (١)

"فصل [ترجيح المصنف اشتراط الإيمان في الرقبة]

ومنها : أن الله سبحانه أطلق الرقبة ها هنا ولم يقيدها بالإيمان وقيدها في كفارة القتل بالإيمان فاختلف الفقهاء في اشتراط الإيمان في غير كفارة القتل على قولين فشرطه الشافعي ومالك وأحمد في ظاهر مذهبه ولم يشترطه أبو حنيفة ولا أهل الظاهر والذين لم يشترطوا الإيمان قالوا : لو كان شرطا لبينه الله سبحانه كما بينه في كفارة القتل بل يطلق ما أطلقه [ص ٣٠٨] وزادت الحنفية أن اشتراط الإيمان زيادة على النص وهو نسخ والقرآن لا ينسخ إلا بالقرآن أو خبر متواتر . قال الآخرون واللفظ للشافعي شرط الله سبحانه في رقبة القتل مؤمنة كما شرط العدل في الشهادة وأطلق الشهود في مواضع فاستدللنا به على أن ما أطلق من الشهادات على مثل معنى ما شرط وإنما رد الله أموال المسلمين على المسلمين لا على المشركين وفرض الله الصدقات فلم تجز إلا للمؤمنين فكذلك ما فرض من الرقاب لا يجوز إلا لمؤمن فاستدل الشافعي بأن لسان العرب يقتضي حمل المطلق على المقيد إذا كان من جنسه فحمل عرف الشرع على مقتضى لسانهم . وها هنا أمران

أحدهما : أن حمل المطلق على المقيد بيان لا قياس .

الثاني : أنه إنما يحمل عليه بشرطين أحدهما : اتحاد الحكم . والثاني : أن لا يكون للمطلق إلا أصل واحد . فإن كان بين أصلين مختلفين لم يحمل إطلاقه على أحدهما إلا بدليل يعينه . قال الشافعي : ولو نذر رقبة مطلقة لم يجزه إلا مؤمنة وهذا بناء على هذا الأصل وأن النذر محمول على واجب الشرع وواجب العتق لا يتأدى إلا بعتق المسلم . ومما يدل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن استفتى في عتق رقبة منذورة ائتني بها فسألها أين الله ؟ فقالت في السماء فقال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله فقال أعتقها فإنها مؤمنة قال الشافعي : فلما وصفت الإيمان أمر بعتقها انتهى . [ص ٣٠٩] بالإيمان فائدة فإن الأعم متى كان علة للحكم كان الأخص عديم التأثير . وأيضا فإن المقصود من إعتاق المسلم تفريغه لعبادة ربه وتخليصه من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق ولا ريب أن هذا أمر مقصود للشارع محبوب له فلا يجوز إلغاؤه وكيف يستوي عند الله ورسوله تفريغ العبد لعبادته وحده وتفريغه لعبادة الصليب أو الشمس والقمر والنار وقد بين سبحانه اشتراط الإيمان في كفارة القتل وأحال ما سكت عنه على بيانه كما بين اشتراط العدالة في الشاهدين وأحال ما أطلقه وسكت عنه على ما بينه وكذلك غالب مطلقات كلامه سبحانه ومقيداته لمن تأملها وهي أكثر من أن تذكر فمنها : قوله تعالى فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [النساء ١١٤] وفي موضع آخر بل مواضع يعلق الأجر بنفس العمل اكتفاء بالشرط المذكور في موضعه وكذلك قوله

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل، ٣٨٠/١

تعالى : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ [الأنبياء ٩٤] وفي موضع يعلق الجزاء بنفس الأعمال الصالحة اكتفاء بما علم من شرط الإيمان وهذا غالب في **نصوص الوعد والوعيد** .." (١)

" المملوكون المربوبون وانما تصرفت في ملكك من غير أن يكون قام بهم سبب العذاب فان القوم نفاة الأسباب وعندهم أن كفر الكافرين وشركهم ليس سببا للعذاب بل العذاب بمجرد المشيئة ومحض الإرادة وكذلك الكلام في مناظرة اياس للقدرية إنما أراد بأن التصرفات الواقعة منه تعالى في ملكه لا تكون ظلما قط وهذا حق فان كل ما فعله الرب ويفعله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة فليس في أفعاله ظلم ولا جور ولا سفه وهذا حق لا ريب فيه فاياس بين أنه سبحانه في تصرفه في ملكه غير ظالم فهذه مجامع طرق العالم في هذا المقام ألقيت إليك مختصرة بذكر قواعدها وأداتها وترجيح الصواب منها وابطال الباطل ولعلك لا تجد هذا التفصيل والكلام على هذه المذاهب وأصولها في كتاب من كتب القوم والله تعالى المسئول لتمام نعمته ومزيد العلم والهدى انه المان بفضله

فصل وكذلك الكلام في الإيجاب في حق الله سواء الأقوال فيه كالأقوال

في التحريم وقد أخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لمعاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم ومنه قوله صلى الله عليه و سلم في غير حديث من فعل كذا كان على الله أن يفعل به كذا وكذا **في الوعد والوعيد ونظير** هذا ما أخبر سبحانه من قسمه ليفعلن ما أقسم عليه كقوله فوربك لنسئلنهم أجمعين فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا وقوله لنهلكن الظالمين وقوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله فلنسألن الذي أرسل إليهم ولنسألن المرسلين وقوله فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه و سلموعزتي وجلالي لأقتصن للمظلوم من الظالم ولو لطمة ولو ضربة بيد إلي أمثال ذلك من صيغ القسم المتضمن معنى إيجاب المقسم على نفسه أو منعه نفسه وهو القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع بخلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق ." (٢)

"مرسل . وقوله : ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ إما أن يكون الضمير عائدا على الكتاب أو على المتشابه ؛ فإن كان عائدا على الكتاب كقوله (منه و (منه ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ فهذا يصح ؛ فإن جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التي فيها إخبار عن الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى يقع إلا الله . وقد يستدل لهذا أن الله جعل التأويل للكتاب كله مع إخباره أنه مفصل بقوله ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد . مشكول وموافق للمطبوع، ٥/٣٠٧

(٢) مفتاح دار السعادة، ٢/١١٠

هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ فجعل التأويل الجائي للكتاب المفصل . وقد بينا أن ذلك التأويل لا يعلمه وقتا وقدرا ونوعا وحقيقة إلا الله وإنما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وإذا كان التأويل للكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ إنما علمها عند الله ﴾ وكذلك قوله : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ فأخبر أنه ليس علمها إلا عند الله وإنما هو علم وقتها المعين وحقيقتها وإلا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به . فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين . ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأحوالها ما علمناه وأن نفسر النصوص المبينة لأحوالها فهذا هذا . وإن كان الضمير عائدا إلى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلأن المخبر به **من الوعد والوعيد متشابه** بخلاف الأمر والنهي ولهذا في الآثار : " العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه " لأن المقصود في الخبر الإيمان وذلك لأن المخبر به **من الوعد والوعيد فيه** من التشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهي ؛ ولهذا قال بعض [العلماء] : " المتشابه " الأمثال والوعد [والوعيد] و " المحكم " الأمر والنهي فإنه متميز غير مشتبه بغيره فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها . ومما جاء من لفظ " التأويل " في القرآن قوله تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود إلى القرآن . قال تعالى : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ ﴿ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ﴾ . فأخبر سبحانه أن هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفي كقوله : ﴿ وما كان ربك." [١]

"فصل وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله . أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم . فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين : الأول : من قال : إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه فنقول أما الدليل على [بطلان] ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه . وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا : إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة . قالوا في أحاديث الصفات : تمر كما جاءت . ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه . ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير

---

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل، ص/٥

ذلك . وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات : تمر كما جاءت وفي أحاديث الوعيد مثل قوله : ﴿ من غشنا فليس منا ﴾ وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر . فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله . فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته . ومما يوضح لك ما وقع هنا من الاضطراب أن أهل السنة متفقون على إبطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين . و " التأويل المردود " هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره . فلو قيل إن هذا هو التأويل المذكور في الآية وأنه لا يعلمه إلا الله لكان في هذا تسليم للجهمية أن للآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لا يعلمه إلا الله وليس هذا مذهب السلف والأئمة وإنما مذهبهم نفي هذه التأويلات وردها ؛ لا التوقف فيها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها . والدليل على أن هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه أن نقول : لا ريب أن الله سمى نفسه في القرآن بأسماء مثل الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرءوف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل " سورة الإخلاص " و " آية الكرسي " وأول " الحديد " وآخر " الحشر " وقوله : ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ و ﴿ على كل شيء قدير ﴾ وأنه ﴿ يحب المتقين ﴾ و ﴿ المقسطين ﴾ و ﴿." (١)

" والنهي فان نفس الفعل المأمور به هو تأويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر والكلام خبر وأمر ولهذا يقول أبو عبيد وغيره الفقهاء اعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه و سلم كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر اذا عرف ذلك فتأويل ما اخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله تعالى به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون **من الوعد والوعيد ولهذا** ما يجيء في الحديث يعمل بمحكمة ويؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الاخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أ في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته فاسماء الله تعالى وصفاته أولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم تشابه ان لا يكون لأجلها الخالق مثل ولا حقيقته كحقيقته والاخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما في الشاهوفي الغائب ما

---

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل، ص/١٢

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب ." (١)

" بأعمالهم في حياتهم ودواعيهم إليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم وتبين بالنصوص التي لا تتعرض للتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به ومكنهم من التوصل إلى امتثال الأمر والإنكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة إلى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن الفواحش الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت **على الوعد والوعيد وما** يجب عقده من تصديق المرسلين في الأنباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء المنقلب والمآب وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس علي حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير إليه أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لاأثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا وإذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الاب طولا وعرضا وقال لله أن يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم أنه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومة فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بأن يثبت في نفسه ألوانا وإدراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال إلى التزام الباطل والمحال وفيه أبطال الشرع ورد ما جاء به النبيون فإذا لزم المصير بأن القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحال إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله فإن فيه الخروج عما درج عليه سلف الأمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل إلى المصير إلى وقوع فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فإن الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين إذ الواحد لا ينقسم فإن وقع بقدرة الله استقل بها وأسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل أن يقع بعضه بقدرة الله تعالى فإن الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها إلا مرشد موفق إذ المرء بين أن يدعى الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه أبطال دعوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الأقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذه الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك أن قائلا لو قال العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب سبحانه خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الأقسام المتقدمة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا ثم قال فنقول قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكنه يضاف إلى الله سبحانه تقديرا وخلقا فإنه وقع بفعل الله وهو القدرة فعلا للعبد وإنما هي صفته وهي ملك لله وخلق له فإذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف

---

(١) شرح القصيدة النونية، ١٤/٢

خلقا إلى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله تعالى العبد اختيارا يصرف به القدرة فإذا أوقع بالقدرة شيئا آل الواقع إلى حكم الله ." (١)

"ص –١٢٣– بأعمالهم في حياتهم ودواعيهم إليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم" وتبين بالنصوص التي لا تتعرض للتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به ومكنهم من التوصل إلى امتثال الأمر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة إلى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن الفواحش الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الأنباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء المنقلب والمآب وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس علي حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير إليه أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا وإذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله أن يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم أنه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومة فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بأن يثبت في نفسه ألوانا وإدراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال إلى التزام." (٢)

" ضمان له على الله ولا هو من أهل وعده المطلق ولا ييأس من روح الله فإنه ليس من الكفار الذين قطع لهم بالعذاب ولكنه بين الجنة والنار واقف بين الوعد والوعيد كل منهما يدعوه إلى موجبه لأنه أتى بسببه وهذا هو الذي لحظه القائلون بالمنزلة بين المنزلتين ولكن غلطوا في تخليده في النار ولو نزلوه منزلة بين المنزلتين ووكلوه إلى المشيئة وقالوا بأنه يخرج من النار بتوحيده وإيمانه لأصابوا ولكن منزلة بين منزلتين وصاحبهما مخلد في النار مما لا يقتضيه عقل ولا سمع بل النصوص الصريحة المعلومة الصحة تشهد ببطلان قولهم والله أعلم وأيضا فصاحب الشائبتين يعلم حكمه من نصوص الوعد والوعيد فإن الله سبحانه وتعالى رتب على كل عمل جزاء في الخير والشر فإذا أتى العبد بهما كان فيه سبب الجزاءين والله لا يضيع مثقال ذرة فإن كان عمل الشر مما يوجب سقوط أثر الحسنة كالكفر كان التأثير وإن لم يسقطه كالمعصية ترتب في حقه الأثران ما لم يسقط أحدهما بسبب من الأسباب التي نذكرها إن شاء الله فيما بعد والمقصود أن درجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هي أفضل درجات الأمة ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علم بتعليمهم وإرشادهم

---

(١) شفاء العليل، ص/١٢٣

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٧/١٩

أو علم غيره شيئا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريا في الأمة على آباد الدهور وقد صح عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب والله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ." (١)

"ص -٣٥٢- ويرجحه أيضا أنه لو كان الشهداء داخلا فى جملة الخبر [عند المؤمنين] لكان قوله تعالى: ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ [الحديد: ١٩] داخلا [أيضا] فى جملة الخبر عنهم ويكون قد أخبر عنهم بثلاثة أشياء: أحدها: أنهم هم الصديقون، والثانى: أنهم هم الشهداء، والثالث: أن لهم أجرهم ونورهم، وذلك يتضمن عطف الخبر الثانى على الأول، ثم ذكر الخبر الثالث مجردا عن العطف، وهذا كما تقول: زيد كريم وعالم له مال والأحسن فى هذا تناسب الأخبار بأن تجردها كلها من العطف أو تعطفها جميعا فتقول: زيد كريم عالم له مال، أو كريم وعالم وله مال فتأمله.

ويرجحه أيضا أن الكلام يصير جملا مستقلة قد ذكر فيها أصناف خلقه السعداء وهم الصديقون [والشهداء والصالحون وهم المذكورون فى الآية وهم المتصدقون] الذين أقرضوا الله قرضا حسنا، فهؤلاد ثلاثة أصناف ثم ذكر الرسل فى قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ [الحديد: ٢٥]، فيتناول ذلك الأصناف الأربعة المذكورة فى سورة النساء، فهؤلاء هم السعداء، ثم ذكر الأشقياء وهم نوعان: كفار، ومنافقون، فقال تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ [الحديد: ١٩]، وذكر المنافقون فى قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد: ١٣]، فهؤلاء أصناف العالم كلهم، وترك سبحانه وتعالى ذكر المخلط صاحب الشائبتين على طريقة القرآن فى ذكر السعداء والأشقياء دون [المخلصين] غالبا لسر اقتضته حكمته [سبحانه وتعالى].

فليحذر صاحب التخليط، فإنه لا ضمان له على الله، ولا هو من أهل وعده المطلق، ولا ييأس من روح الله فإنه ليس من الكفار الذين قطع لهم بالعذاب، ولكنه بين الجنة والنار واقف **بين الوعد والوعيد كل** منهما يدعوه إلى موجبه لأنه أتى بسببه. وهذا هو الذى لحظه." (٢)

"ص -٣٥٣- والله أعلم، وأيضا فصاحب الشائبتين يعلم حكمه من نصوص الوعد والوعيد، فإن الله سبحانه وتعالى رتب على كل عمل جزاء فى الخير والشر، فإذا أتى العبد بهما كان فيه سبب الجزاءين، والله لا يضيع عمل مثقال ذرة، فإن كان عمل الشر مما يوجب سقوط أثر الحسنة كالكفر كان التأثير [له] وإن لم يسقطه كالمعصية ترتب فى حقه الأثران ما لم يسقط أحدهما بسبب من الأسباب التى نذكرها إن شاء الله فيما بعد، والمقصود أن درجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هى أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علم بتعليمهم وإرشادهم أو علم غيره شيئا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريا فى الأمة على آباد الدهور، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى بن أبى طالب: "والله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا".

---

(١) طريق الهجرتين، ص/٥١٩

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ٦/٢٤

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: "إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين".

وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى النملة فى جحرها".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير"، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ عظيم وافر".

وعنه صلى الله عليه وسلم: "العالم والمتعلم شريكان فى الأجر، ولا خير فى سائر الناس بعد"، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها وأداها كما." (١)

" فصل أمور كلية لمعرفة كون الحديث موضوعا منها المجازفات في الوعد والوعيد

ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا

فمنها اشتماله على أمثال هذه المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي كثيرة جدا

١٥ - كقوله في الحديث المكذوب من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له

ومن فعل كذا وكذا أعطي في الجنة سبعين ألف مدينة في كل مدينة سبعين ألف قصر في كل قصر سبعين ألف حوراء

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين

إما أن يكون في غاية الجهل والحمق

وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص برسول الله صلى الله عليه و سلم بإضافة مثل هذه الكلمات إليه ." (٢)

" وسأذكر فيها أمرا مختصرا جامعا نافعا إن شاء الله تعالى

فأول منازل العبودية اليقظة وهي انزعاج القلب لروعة الإنتباه من رقدة الغافلين ولله ما أنفع هذه الروعة وما أعظم قدرها وخطرها وما أشد إعانتها على السلوك فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح وإلا فهو في سكرات الغفلة فإذا انتبه شمر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التي سبي منها

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

فأخذ في أهبة السفر فانتقل إلى منزلة العزم وهو العقد الجازم على المسير ومفارقة كل قاطع ومعوق ومرافقة كل معين وموصل وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه وبحسب قوة عزمه يكون استعداده

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ٨/٢٤

(٢) نقد المنقول، ص/٤٠

فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة الفكرة وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه

فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب يبصر **به الوعد والوعيد والجنة** والنار وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السموات فأحاطت بهم وقد جاء الله وقد نصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقد نصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب وكثر العطاش وقل الوارد ونصب الجسر للعبور ولز الناس إليه وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضا تحته والمتساقطون فيها أضعاف أضعاف الناجين

فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها ". (١)

" ف البصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأى عين فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم وهذا معنى قول بعض العارفين البصيرة تحقق الإنتفاع بالشيء والتضرر به وقال بعضهم البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان

والبصيرة على ثلاث درجات من استكملها فقد استكمل البصيرة بصيرة في الأسماء والصفات وبصيرة في الأمر والنهي وبصيرة **في الوعد والوعيد**

فالبصيرة في الأسماء والصفات أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله بل تكون الشبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر

وعقد هذا أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويا على عرشه متكلما بأمره ونهيه بصيرا بحركات العالم علويه وسفليه وأشخاصه وذواته سميعا لأصواتهم رقيبا على ضمائرهم وأسرارهم وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال منزها عن العيوب والنقائص والمثال هو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصفه به خلقه حي لا يموت قيوم لا ينام عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء سميع يسمع ضجيج الأصوات بإختلاف اللغات على تفنن الحاجات تمت كلماته صدقا وعدلا وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبها ومثلا وتعالت ذاته أن تشبه شيئا من الذوات أصلا ووسعت الخليقة أفعاله عدلا وحكمة ورحمة وإحسانا وفضلا له الخلق والأمر وله النعمة والفضل وله الملك والحمد وله الثناء والمجد أول ." (٢)

" وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء من غيرهم

---

(١) مدارج السالكين، ١/١٢٣

(٢) مدارج السالكين، ١/١٢٤

فصل المرتبةالثالثة البصيرة **في الوعد والوعيد وهي** أن تشهد قيام

الله على كل نفس بما كسبت في الخير والشر عاجلا وآجلا في دار العمل ودار الجزاء وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته وعدله وحكمته فإن الشك في ذلك شك في إلهيته وربوبيته بل شك في وجوده فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك ولا يليق أن ينسب إليه تعطيل الخليقة وإرسالها هملا وتركها سدى تعالى الله عن هذا الحسبان علوا كبيرا

فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية ولهذا كان الصحيح أن المعاد معلوم بالعقل وإنما اهتدى إلى تفاصيله بالوحي ولهذا يجعل الله سبحانه إنكار المعاد كفرا به سبحانه لأنه إنكار لقدرته ولإلهيته وكلاهما مستلزم للكفر به قال تعالى وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا إئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

وفي الآية قولان

أحدهما إن تعجب من قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد فعجب قولهم كيف ينكرون هذا وقد خلقوا من تراب ولم يكونوا شيئا

والثاني إن تعجب من شركهم مع الله غيره وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لا شريك له فإنكارهم للبعث وقولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أعجب

وعلى التقديرين فإنكار المعاد عجب من الإنسان وهو محض إنكار الرب والكفر به والجحد لإلهيته وقدرته وحكمته وعدله وسلطانه ." (١)

" فالتوبة من التوبة إنما تعقل على أحد هذين الوجهين

نعم ههنا وجه ثالث لطيف جدا وهو أن من حصل له مقام أنس بالله وصفا وقته مع الله بحيث يكون إقباله على الله واشتغاله بذكر آلائه وأسمائه وصفاته أنفع شيء له حتى نزل عن هذه الحالة واشتغل بالتوبة من جناية سالفة قد تاب منها وطالع الجناية واشتغل بها عن الله فهذا نقص ينبغي له أن يتوب إلى الله منه وهو توبة من هذه التوبة لأنه نزول من الصفاء إلى الجفاء والله أعلم

فصل قال صاحب المنازل ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء أولها أن

ينظر الجناية والقضية فيعرف مراد الله فيها إذ خلاك وإتيانها فإن الله عز و جل إنما خلى العبد والذنب لأجل معنيين

أحدهما أن يعرف عزته في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته

الثاني أن يقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته

اعلم أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى خمسة أمور

أحدها أن ينظر إلى أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الإعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب

الثاني أن ينظر **إلى الوعد والوعيد فيحدث** له ذلك خوفا وخشية تحمله على التوبة

---

(١) مدارج السالكين، ١٢٦/١

الثالث أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعا من المعروفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومغفرته وعفوه وحلمه وكرمه وتوجب له هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها ألبتة ويعلم ارتباط الخلق ." (١)

" فلما حصلت له المعاني وتخمرت في القلب واستراح العقل : عاد فتذكر ما كان حصله وطالعه فابتهج به وفرح به وصحح في هذا المنزل ما كان فاته في منزل التفكر لأنه قد أشرف عليه في مقام التذكر الذي هو أعلى منه فأخذ حينئذ في الثمرة المقصودة وهي العمل بموجبه مراعاة لحقه فإن العمل الصالح : هو ثمرة العلم النافع الذي هو ثمرة التفكر وإذا أردت فهم هذا بمثال حسي : فطالب المال ما دام جادا في طلبه فهو في كلال وتعب حتى إذا ظفر به استراح من كد الطلب وقدم من سفر التجارة فطالع ما حصله وأبصره وصحح في هذه الحال ما عساه غلط فيه في حال اشتغاله بالطلب فإذا صح له وبردت غنيمته له أخذ في صرف المال في وجوه الانتفاع المطلوبة منه والله أعلم

فصل قال : وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : شدة الافتقار إليها

والعمى عن عيب الواعظ **وتذكر الوعد والوعيد إنما** يشتد افتقار العبد إلى العظة وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره : لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر النهي و العظة يراد بها أمران : الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرهبة ونفس الرغبة والرهبة فالمنيب المتذكر : شديد الحاجة إلى الأمر والنهي والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب والمعارض المتكبر : شديد الحاجة إلى المجادلة فجاءت هذه الثلاثة في حق هؤلاء الثلاثة في قوله : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن النحل : ١٢٥ أطلق الحكمة ولم يقيدها بوصف الحسنة إذ كلها حسنة ووصف الحسن لها ذاتي وأما الموعظة فقيدها بوصف الإحسان إذ ليس كل موعظة حسنة ." (٢)

" شعيب عليه السلام لقومه : وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه هود : ٨٨ وقال بعض السلف : إذا أردت أن يقبل منك الأمر والنهي : فإذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه وقد قيل : يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم تصف الدواء لذي السقام من الضنى ومن الضنى تمسي وأنت سقيم لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت ذميم ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم فالعمى عن عيب الواعظ : من شروط تمام الانتفاع بموعظته وأما **تذكر الوعد والوعيد** : فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به وخافه ورجاه قال الله تعالى إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة هود : ١٠٣ وقال : سيذكر من يخشى الأعلى : ١٠ وقال : إنما أنت منذر من يخشاها النازعات : ٤٥ وأصرح من ذلك قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد بالوعد والوعيد وذكره : شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر يستحيل حصوله بدونه قال وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء : بحياة العقل ومعرفة

---

(١) مدارج السالكين، ٢٠٤/١

(٢) مدارج السالكين، ٤٤٥/١

الأيام والسلامة من الأغراض إنما تتميز العبرة وترى وتتحقق بحياة العقل و العبرة هي الاعتبار وحقيقتها : العبور من حكم الشيء إلى حكم مثله فإذا رأى من قد أصابته محنة وبلاء لسبب ارتكبه علم أن حكم من ارتكب ذلك السبب كحكمه وحياة العقل : هي صحة الإدراك وقوة الفهم وجودته وتحقق الانتفاع ." (١)

" نفعه وضره وعطائه ومنعه و تأثيره إلى الله تعالى وهذه إشارة إلى الفناء ومراده : الصعود عن شهود ما سوى الله إلى الله والكمال في ذلك : الصعود عن إرادة ما سوى الله إلى إرادته والاتحادي يفسره بالصعود عن وجود ما سواه إلى وجوده بحيث لا يرى لغيره وجودا ألبتة ويرى وجود كل موجود هو وجوده فلا وجود لغيره إلا في الوهم الكاذب عنده قال : وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاما وإذعانا **بتصديق الوعد والوعيد وتعظيم** الأمر والنهي و تأسيس المعاملة على اليقين والانصاف يعني أن العامة اعتصموا بالخبر الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة بل إيمانا واستسلاما وانقادوا إلى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لهما والتصديق بالوعد والوعيد وأسسوا معاملتهم على اليقين لا على الشك والتردد وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل : زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأجساد قلت : إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما هذه طريق أهل الريب والشك يقومون بالأمر والنهي احتياطا وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا تحصل لصاحبها السعادة ولا توصله إلى المأمن وأما الإنصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه : فهو الإنصاف في معاملتهم لله ولخلقه فأما الإنصاف في معاملة الله : فأن يعطى العبودية حقها وأن لا ينازع ربه صفات إلهيته التي لا تليق بالعبد ولا تنبغي له : من العظمة والكبرياء والجبروت ومن إنصافه لربه : أن لا يشكر سواه على نعمه وينساه ولا يستعين بها ." (٢)

" الجنة ولقى فيها آدم ما لقى ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقى ما لقى ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعورا لقى ما لقى وكان يعرف الاسم الأعظم ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون والخوف ليس مقصودا لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والخوف يتعلق بالأفعال والمحبة تتعلق بالذات والصفات ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم ولا يلحقهم فيها خوف ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه والخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز و جل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط قال أبو عثمان : صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : الخوف المحمود : ما حجزك عن محارم الله وقال صاحب المنازل : الخوف : هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد قال** : وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة وهو ." (٣)

---

(١) مدارج السالكين، ٤٤٧/١

(٢) مدارج السالكين، ٤٦٣/١

(٣) مدارج السالكين، ٥١٤/١

" فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون البقرة : ١٥١

فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه : الإخلال بها فأكمل الناس : أوفرهم منها نصيبا وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال : أقلهم منها ميراثا ولها ثلاثة أركان : العلم والحلم والأناة وآفاتها وأضدادها : الجهل والطيش والعجلة فلا حكمة لجاهل ولا طائش ولا عجول والله أعلم

فصل قال : الدرجة الثانية : أن تشهد نظر الله في وعده وتعرف عدله

في حكمه وتلحظ بره في منعه

أي تعرف الحكمة **في الوعد والوعيد وتشهد** حكمه في قوله : إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراعظيما النساء : ٤٠ فتشهد عدله في وعيده وإحسانه في وعده وكل قائم بحكمته

وكذلك تعرف عدله في أحكامه الشرعية والكونية الجارية على الخلائق فإنه لا ظلم فيها ولا حيف ولا جور وإن أجراها على أيدي الظلمة فهو أعدل العادلين ومن جرت على يديه هو الظالم وكذلك تعرف بره في منعه

فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق ولا يغيض ما في يمينه سعة عطائه فما منع من منعه فضله إلا لحكمة كاملة في ذلك فإنه الجواد الحكيم وحكمته لا تناقض جوده فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته ولو بسط الله الرزق لعباده لفسدوا وهلكوا ولو علم في الكفار خيرا وقبولا لنعمة الإيمان وشكرا له عليها ." (١)

" يريد أن العبد المصدق إذا ذاق طعم الوعد من الله على إيمانه وتصديقه وطاعته ثبت على حكم الوعد واستقام

فلم يعقله ظن أي لم يحبسه ظن تقول عقلت فلانا عن كذا أي منعته عنه وصددته ومنه عقال البعير لأنه يحبسه عن الشرود ومنه العقل لأنه يحبس صاحبه عن فعل مالا يحسن ولا يجمل ومنه عقلت الكلام وعقلت معناه إذا حبسته في صدرك وحصلته في قلبك بعد أن لم يكن حاصلا عندك ومنه العقل للدية لأنها تمنع آخذها من العدوان على الجاني وعصبته

والمقصود أن ذوق طعم الإيمان بوعد الله يمنع الذائق أن يحبسه ظن عن الجد في الطلب والسير إلى ربه والظن هو الوقوف عن الجزم **بصحة الوعد والوعيد بحيث** لا يترجح عنده جانب التصديق

وكأن الشيخ يقول الذائق بالتصديق طعم الوعد لا يعارضه ظن يعقله عن صدق الطلب ويحبس عزيمته عن الجد فيه وفي حديث سيد الاستغفار قوله وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أي مقيم على التصديق بوعدك وعلى القيام بعهدك وعلى القيام بعهدك بحسب استطاعتي

والحامل على هذه الإقامة والثبات ذوق طعم الإيمان ومباشرته للقلب ولو كان الإيمان مجازا لا حقيقة لم يثبت القلب على حكم الوعد والوفاء بالعهد ولا يفيد في هذا المقام إلا ذوق طعم الإيمان وثوب العارية لا يجمل لابسه ولا سيما إذا عرف الناس أنه ليس له وأنه عارية عليه كما قيل

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٤٨٠

ثوب الرياء يشف عما تحته ... فإذا اشتملت به فإنك عاري

وكان بعض الصحابة يكثر التلبية في إحرامه ثم يقول لبيك لو كان رياء لاضمحل وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن ادعاه وليس له فيه ذوق فقال تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم فهؤلاء مسلمون وليسوا بمؤمنين لأنهم ليسوا ممن ." (١)

"والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه، وفي باب الوعد والوعيد: بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار، وهم وسط في أصحاب رسول الله – (– بين الغالي في بعضهم الذي يقول فيه بألهية أو نبوة أو عصمة، والجافي فيهم، الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهم خيار الأمة" (٧٨٩)، وبين أن كل طائفة من الطوائف من غير أهل السنة لا ينفردون بحق، بل كل من كان معه شيء من الحق ففي أهل السنة والجماعة من يقول به (٧٩٠) .

٦- وعند الحاجة إلى ذكر أقوال المخالفين، فلا بد من المذهب الصحيح المستنبط من الكتاب والسنة، أولا، وذكر أقوال المخالفين في ضمن ذلك، يقول في مقدمة كتاب "الإيمان":" ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي – (–، مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء، بل نذكر من ذلك – في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله – ما يبين أن رد موارد النزاع إلى الله وإلى رسوله خير وأحسن تأويلا، وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة" (٧٩١).

وقد طبق هذا المنهج في كتابه هذا.

ب- منهجه في الأسماء والصفات:

لما كانت هذه المسألة من أعظم المسائل التي خاض فيها الناس واضطربت فيها أقوالهم، خاصة وأنها تتعلق بالله تعالى وما ينبغي له من صفات الكمال." (٢)

"ذكر أدلة ذلك من نصوص القرآن ورد على الذين يقولون:"إن الله في كل مكان (١٤٦٢)، ثم قال:" وأما قوله﴿ على العرش استوى﴾[طه: ٥]..﴿ وهو القاهر فوق عباده﴾[الأنعام: ١٨]و ﴿أأمنتم من في السماء﴾[الملك: ١٦]و ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش﴾بالإسراء: ٤٢]فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾[فاطر: ١٠]وقوله: ﴿ثم يعرج إليه﴾[السجدة: ٥]، فهذا مقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء، منزه عن الدخول في خلقه لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده لأنه قال:﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾[الملك: ١٦]،يعني فوق العرش، والعرش على السماء لأن من كان فوق شيء على السماء فهو في السماء، وقد قال مثل ذلك ﴿فسيحوا في الأرض﴾[التوبة: ٢]، يعني على الأرض، لايريد الدخول في جوفها..." (١٤٦٣) ويستمر في عرض الأدلة، ويناقش أدلة الحلولية في مسألة المعية وان آية﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو

---

(١) مدارج السالكين، ٩١/٣

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٢٣٤/١

سادسهم﴾[المجادلة: ٧] مبدوءة بالعلم ومختومة به، ويناقش ذلك بشكل موسع وقوي (١٤٦٤).

٣-كما يذكر أن القرآن غير مخلوق ويرد على المعتزلة الذين يسميهم الضلال، ويذكر أدلتهم ويناقشها بالتفصيل (١٤٦٥).

٤- كما يذكر **مسألة الوعد والوعيد ويرد** على المعتزلة ويذكر مذهب أهل السنة في ذلك ويورد أقوالهم وأقوال الخوارج في مذهبهم في مرتكب الكبيرة(١٤٦٦)، ويناقش على ضوء ذلك مسألة الشفاعة وكيف أنكرها المعتزلة لقولهم بالوعيد على أهل الكبائر (١٤٦٧).

٥- مذهبه في الصفات الاختيارية:

يوافق المحاسبي ابن كلاب في نفي هذه الصفات، بناء على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، ونصوص المحاسبي في ذلك واضحة جدا:." (١)

"سؤال الله والاستعاذة منه عند مرور آيات الوعد والوعيد:

السؤال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مر بآية وعد سأل الله تعالى، أو آية وعيد استعاذ، فمثل هذه الآيات التي تقدمت في أول الدرس، ذكر الله سبحانه وتعالى السابقين وذكر أصحاب اليمين فهل من السنة السؤال في الاثنين أو أنه يقتصر؟ الشيخ: يسأل الأعلى. السائل: ويسكت. الشيخ: أنت تقصد في الصلاة أم خارج الصلاة. السائل: صلاة وفي غيرها.

الشيخ: الرسول صلى الله عليه وسلم ما أثر عنه ذلك إلا وهو في صلاة الليل فقط، هكذا أثر عنه، ولهذا نقول: يسن للإنسان في صلاة الليل إذا مر بآية وعيد تعوذ وبآية رحمة سأل، وبآية تسبيح سبح، وفي غيرها لا نقول: يسن، ولكن إن فعله فلا بأس، في الفريضة مثلا لا نقول: افعل؛ لأن الواصفين لصلاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفريضة ما ذكروا أنه يفعل هذا، فلذلك الإنسان يتوقف في الفريضة أن يقول هذا، ونرجو أن لا يكون فيه بأس إن شاء الله، لكن لا نندب له أن يقول. السائل: وفي غير الصلاة؟ الشيخ: ما ورد فيها لكن لا بأس ولا يوجد مانع. السائل: ويسأل في الأولى أم يسأل في الثانية؟ الشيخ: يسأل في الأعلى ليس فيه إشكال، أيهما أحب لنا: أن نكون من السابقين أم من أصحاب اليمين؟ السائل: من السابقين لا شك. الشيخ: لكن نسيء الظن بأنفسنا، قل: عسى أن نكون من أصحاب اليمين وعسى أن نسلم من العذاب.." (٢)

"[إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله به تعالى **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد]

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٤٠١/١

(٢) لقاءات الباب المفتوح، ٢٢/٢٠٠

[هو نفس ما يكون **من الوعد والوعيد ولهذا** ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ؛ ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته فأسماء الله تعالى وصفاته أولى وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد ؛ مع العلم بالفارق المميز]. " (١)

"الشيخ: الجواب على هذا السؤال أن البكاء في الصلاة إذا كان من خشية الله عز وجل والخوف منه وتذكر الإنسان أمور الآخرة وما يمر به في القرآن الكريم من **آيات الوعد والوعيد فإنه** لا يبطل الصلاة وأما إذا كان البكاء لتذكر مصيبة نزلت به أو ما أشبه ذلك فإنه يبطل الصلاة لأنه حدث لأمر خارج عن الصلاة وعليه فيحاول علاج نفسه من هذا البكاء حتى لا يتعرض لبطلان صلاته وعليه أيضا بل يشرع له أن لا يكون في صلاته مهتما بغير ما يتعلق بها فلا يفكر في الأمور الأخرى لأن التفكير في غير ما يتعلق بالصلاة في حال الصلاة ينقصها كثيرا فإن ذلك من عمل الشيطان ومن وساوسه ومن سرقته لصلاة العبد وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وكما أن هذا واضح في الالتفات بالرأس فهو كذلك شامل للالتفات بالقلب فإن الشيطان هو الذي يأتي للإنسان في صلاته ويقول له اذكر كذا يوم كذا وكذا حتى يصبح لا يدري ماذا صلى.

السؤال

يقول إذا دخل المصلي في صلاة الجماعة عند الركعة الأخيرة في صلاة رباعية فهل يأتي بالركعة الأولى ثم الثانية والثالثة حسب الترتيب ثم إنني سمعت كثيرا من المصلين يقرؤون مع الفاتحة من قصار السور في الركعة الثالثة والرابعة في الصلاة الرباعية فهل هذه الزيادة جائزة أفيدونا جزاكم الله عنا كل خير؟

الجواب." (٢)

"هذا هو الفرق بين تأويل الأمر وتأويل الخبر، وهو أن تأويل الأمر لابد من معرفته، لأنه مقصود من المكلف أن يقوم به، بخلاف تأويل الخبر، فإنه ليس بلازم أن نعلم حقيقة الخبر وتأويله في الخارج على ما هو عليه، بل الغالب في الأخبار أن تكون غير معلومة، كما سيأتي في نصوص الأسماء والصفات ونصوص المعاد.

إذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد.

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ

---

(١) شرح التدمرية للعلامة العثيمين، ص/٢٦

(٢) فتاوى نور على الدرب، ٢٦٨/١٧

متشابهة، تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته.

فأسماء الله تعالى وصفاته أولى –وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه– أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته.

قوله "وإذا عرف ذلك فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه..."الخ.." (١)

"وهكذا تأويل نصوص الوعد والوعيد، ونصوص البعث وما يكون يوم القيامة، هو نفس ما يكون **من الوعد والوعيد** **يوم** القيامة في الخارج، فتأويل قوله تعالى: (((تمهيد (﴿ – – رضي الله عنهم – – – تمت (– – رضي الله عنه –(– ﴿ – – رضي الله عنه – – قرآن كريم (– (– (– – رضي الله عنه – – صدق الله العظيم – رضي الله عنه – تم بحمد الله – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – – رضي الله عنهم – – فهرس – – ((صدق الله العظيم (تم بحمد الله (المحتويات (– ((– – – رضي الله عنه – – – – عليه السلام –((المحتويات (– (– (– عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم –(– – صلى الله عليه وسلم – – – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – (المحتويات (– (– ((– (– – (– – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – ﴾ (﴿ – – ((((فهرس – – رضي الله عنهم – – (– – – – – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – – رضي الله عنه – تمت قرآن كريم (– (– (– – رضي الله عنه – – المحتويات (– (– فهرس – – رضي الله عنه –(صدق الله العظيم (﴿ تم بحمد الله (– صلى الله عليه وسلم – – (– – – – – رضي الله عنه – – "[الرعد: ٢٣] وقوله سبحانه: (((– – (– – – – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – – صدق الله العظيم (﴿ تم بحمد الله – رضي الله عنه –(((– (– – – رضي الله عنهم – – – ((((– – فهرس – – رضي الله عنه –(– – (– (– – ﴿ – رضي الله عنه – الله أكبر قرآن كريم (((قرآن كريم ﴾ تم بحمد الله ((((– رضي الله عنه –(((((– (– – تم بحمد الله – ﴿ – (– فهرس – – رضي الله عنه –(– (((– (– (– ﴿ – رضي الله عنه – – (تم بحمد الله (((((– قرآن كريم ((– رضي الله عنه – – (المحتويات (– (– فهرس – – رضي الله عنه –((تمت (– رضي الله عنه – – (– (– صلى الله عليه وسلم – – رضي الله عنه – تمت – صلى الله عليه وسلم –(– ﴿ – – – – – ((((– – – – عليه السلام –." (٢)

"الله عليه وسلم – – (مقدمة – ((((– – – ((﴿ (﴿ – ﴿ – – (– – – "، وهذا ماء غير آسن ولبن وخمر وعسل وذاك ماء ولبن وخمر وعسل ولكن مع الفارق فهذه آيات وردت في مشارب الدنيا، وتلك آيات وردت في مشارب الآخرة.

....

قوله "وهذا التشابه" أي التشابه الخاص.

---

(١) شرح الرسالة التدمرية، ١/٢٩٨

(٢) شرح الرسالة التدمرية، ١/٣٠٠

قوله "إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما" أي أن كل موجودين بينهما اشتباه و افتراق. وقد تكثر وجوه الاشتباه، وتقل وجوه الافتراق وقد يكون العكس.
قوله "ثم من الناس..الخ": هذا هو الحاصل بسبب التشابه الخاص. قوله "من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون مشتبها عليه" أي من الناس من يدرك القدر المشترك ولا يدرك القدر المميز، فمن عرف المنسوخ ولم يعرف الناسخ يقع في الغلط، وهكذا من عرف المجمل ولم يعرف المبين، ومن عرف المطلق ولم يعرف المقيد، ومن عرف العام ولم يعرف الخاص. قوله "فالتشابه الذي لا تمييز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية": الشيء النسبي هو غير العام أي الذي يثبت للبعض دون البعض وأما الشيء العام أو الثابت على كل حال، فهذا يقال له اشتباه حقيقي، فاللفظ الذي لا يفهمه أحد اشتباه عام، وأما الذي يخفى معناه على بعض الناس فإن الاشتباه فيه نسبي، وقد عرف الشيخ الاشتباه النسبي بقوله بعد هذا الكلام "بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض".
إذن التشابه الذي في بعض نصوص القرآن من الاشتباه النسبي، فنصوص الوعد والوعيد، ونصوص الصفات يشتبه معناها على بعض الناس، ولهذا غلط الغالطون فظنوا أنها تدل على التشبيه، وأنه تعالى لو قامت به الصفات لزم من ذلك مشابهته لخلقه أما أهل العلم فإنهم يدركون أن أسماء الله تعالى وصفاته -وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم اتفاق من بعض الوجوه- لا تماثل." (١)

"ففي الصفات نجدهم يثبتونها، ولكنهم يطلقون على الله تعالى لفظ الجسم، وفي صفة الكلام نجدهم يقولون: إن الله تعالى يتكلم بمشيئته، ولكنهم يقولون إنه حدث له الكلام، فهم على ما عندهم من ذلك خير ممن ينفي الصفات، وهكذا في بقية الأبواب.
وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات، ويقاربون قول جهم، لكنهم ينفون القدر، فهم وإن عظموا الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وغلوا فيه، فهم يكذبون بالقدر، ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب.
والإقرار بالأمر والنهي، و الوعد والوعيد، مع إنكار القدر، خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد، ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين من ينفي الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكان قد نبغ فيهم القدرية، كما نبغ فيهم الخوارج الحرورية، وإنما يظهر من البدع أولا ما كان أخف، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة.
قوله "وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات..." الخ.
يعقد الشيخ هنا موازنة بين المعتزلة والجهمية في ثلاثة أشياء؛ في الصفات، والقدر، والوعد والوعيد.
فأما في الصفات فهم مقاربون للجهمية، حيث إن المعتزلة تنفي الصفات وجهما ينفي الأسماء والصفات.
وأما في القدر فهم متناقضون، فجهم يغلو في إثبات القدر إلى حد الجبر والمعتزلة ينفون القدر، ففيهم نوع شرك وذلك بإخراجهم أفعال العباد عن خلق الله وجعلهم العبد يخلق فعله بنفسه.
والمعتزلة يعظمون الأمر والنهي والوعد والوعيد إلى حد الغلو في ذلك، حيث قالوا بإخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان،

(١) شرح الرسالة التدمرية، ٣٣٢/١

وبتخليده في النار.

وأما جهم فإنه قال: إن الإيمان هو المعرفة، ولا يضر مع الإيمان ذنب. فالمعتزلة وعيدية، والجهمية مرجئة.

...." (١)

"- "[البقرة: ١-٥]، فأخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء مهتدون مفلحون، وذلك خلاف المغضوب عليهم والضالين. فنسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

قوله "ثم إن الناس في عبادته واستعانته على أربعة أقسام..." الخ.

يذكر الشيخ هنا أن الناس في عبادة الله تعالى واستعانته أربعة أقسام(١):

القسم الأول: الذين يعبدون الله تعالى ويستعينون به وحده دون سواه، وهؤلاء هم المؤمنون وهم خير الأقسام.

القسم الثاني: أهل عبادة ولكنهم ليس عندهم استعانة بالله ولا صبر على المقدور، وهذا المنهج ينطبق على المعتزلة، أي: على نفاة القدر؛ لأنهم يثبتون الأمر والنهي، ويغلون في الوعد والوعيد، وينكرون القدر. ويشبههم من يغفل عن

....

ربه وعن الاستعانة به، وهذا يناسب من يعجبون بأعمالهم، ويغفلون عن ربهم، وهؤلاء لا يكون عندهم صبر على المصائب، لأن نظرهم واستحضارهم للقدر ضعيف.

القسم الثالث: من لهم استعانة وصبر، ولكنهم ليسوا أهل عبادة، فهم معرضون عن الأمر والنهي، أو أن إيمانهم بالأمر والنهي ضعيف، فنظرهم واقف على القدر. وهذا ينطبق على الجبرية من الجهمية والصوفية ونحوهم، وقد تقدم أن جهم بن صفوان كان يقول بالإرجاء مع قوله بالجبر.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٣٢-٣٥، ٦٦٨-٦٧٤، ١٣/٣٢٣-٣٥٨.." (٢)

"وبيان ذلك أن أهل السنة والجماعة وسط ((في باب الوعد، والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار))(١)، و ((يكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم))(٢)، و ((بين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار))(٣)، و ((**مسألة الوعد والوعيد من** أكبر مسائل العلم))(٤). ((فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين لا يخلدون في النار، بل يخرج منهم من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته))(٥). ((فأهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن

---

(١) شرح الرسالة التدمرية، ٢/٣

(٢) شرح الرسالة التدمرية، ٢/١٠٦

صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته منه، أو من غيره؛ وإما لمصائب كفرتها عنه، وإما لدعاء مستجاب منه، أو من غيره فيه؛ وإما لغير ذلك. والوعيدية من الخوارج، والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم))(٦)، ((فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد، فقال الأولون: لا تتناول إلا مؤمنا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وقال الآخرون: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرا، وكل من القولين خطأ))(٧).

---

(١) الجواب الصحيح (١/٧٤ – ٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٤).

(٣) الجواب الصحيح (١/٧٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٤٩).

(٥) المصدر السابق (٣/٣٧٥) بتصرف يسير، وانظر: (١٢/٤٧٩).

(٦) المصدر السابق (١٢/٤٨٠)، وانظر أيضا: (١٢/٤٨٣ – ٤٨٤).

(٧) المصدر السابق (١٢/٤٨١).." [1]

"وبيان هذا أن صاحب الكبيرة كالزاني، والسارق، وشارب الخمر، ونحوهم لا يدخلون في اسم الإيمان المطلق، وذلك ((لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب، ودخول الجنة، وهؤلاء ليسوا من أهله))(١)، ولأن ((حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله، فإنه يتناول فعل الواجبات، وترك المحرمات))(٢)، وقد دل القرآن ((على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال))(٣). فالمؤمن ((المطلق في باب الوعد والوعيد هو المستحق لدخول الجنة بلا عقاب، وهو المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، وهؤلاء هو المؤمنون عند الإطلاق))(٤). و((لهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة، أو ترك فريضة؛ لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن) (٥)))(٦). و((الزاني، والسارق، والشارب، والمنتهب لم يعدم الإيمان الذي به يستحق أن لا يخلد في النار، وبه ترجى له الشفاعة، والمغفرة، وبه يستحق المناكحة، والموارثة لكن عدم الإيمان الذي به يستحق النجاة من العذاب، ويستحق به تكفير السيئات، وقبول الطاعات، وكرامة الله، ومثوبته، وبه يستحق أن يكون محمودا مرضيا))(٧).

وهذا التفصيل في إطلاق اسم الإيمان على الفاسق هو الصحيح ((فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٤٠)، وانظر: (٧/٢٥٨).

(٢) المصدر السابق (٧/٤٢)، وانظر: (٧/٤١٧).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – المصلح، ص/٩١

(٣) المصدر السابق (٧/١٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٥٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) مجموع الفتاوى (٧/٣٦٠)، وانظر: (٧/٥٢٤).

(٧) المصدر السابق (٧/٦٧٦).." [١]

"ثانيها : القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم ، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذبين لهم ، **وأحوال الوعد والوعيد** ، وتفاصيل الثواب والعقاب .

ثالثها : علم التوحيد ، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وهذا هو أشرف الثلاثة .." [٢]

"وبيان ذلك أن أهل السنة والجماعة وسط ((في باب الوعد، والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار))(٥٢٦)، و ((يكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم))(٥٢٧)، و ((بين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار))(٥٢٨)، و ((**مسألة الوعد والوعيد من** أكبر مسائل العلم))(٥٢٩). ((فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين لا يخلدون في النار، بل يخرج منهم من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته))(٥٣٠). ((فأهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته منه، أو من غيره؛ وإما لمصائب كفرتها عنه، وإما لدعاء مستجاب منه، أو من غيره فيه؛ وإما لغير ذلك. والوعيدية من الخوارج، والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم))(٥٣١)، ((فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد، فقال الأولون: لا تتناول إلا مؤمنا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وقال الآخرون: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرا، وكل من القولين خطأ))(٥٣٢).

((والتحقيق أن يقال: الكتاب، والسنة مشتملان على نصوص الوعد، والوعيد، وكل من النصوص يفسر الآخر، ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار، والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين))(٥٣٣).." [٣]

"وبيان هذا أن صاحب الكبيرة كالزاني، والسارق، وشارب الخمر، ونحوهم لا يدخلون في اسم الإيمان المطلق، وذلك ((لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب، ودخول الجنة، وهؤلاء ليسوا من أهله))(٩٠٧)، ولأن ((حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله، فإنه يتناول فعل الواجبات، وترك المحرمات))(٩٠٨)، وقد دل القرآن ((على أن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – المصلح، ص/١٧٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية /هراس، ص/٦٢

(٣) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام، ص/٧٢

الإيمان المطلق مستلزم للأعمال))(٩٠٩). فالمؤمن ((المطلق في **باب الوعد والوعيد هو** المستحق لدخول الجنة بلا عقاب، وهو المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، وهؤلاء هو المؤمنون عند الإطلاق))(٩١٠). و((لهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة، أو ترك فريضة؛ لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن) ((٩١١)))(٩١٢). و((الزاني، والسارق، والشارب، والمنتهب لم يعدم الإيمان الذي به يستحق أن لا يخلد في النار، وبه ترجى له الشفاعة، والمغفرة، وبه يستحق المناكحة، والموارثة لكن عدم الإيمان الذي به يستحق النجاة من العذاب، ويستحق به تكفير السيئات، وقبول الطاعات، وكرامة الله، ومثوبته، وبه يستحق أن يكون محمودا مرضيا))(٩١٣).

وهذا التفصيل في إطلاق اسم الإيمان على الفاسق هو الصحيح ((فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة، قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان))(٩١٤).." (١)

"وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال؛ أقربها [ما نقله شيخ الإسلام عن أبي العباس](١)، وحاصله أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذبين لهم، وأحوال الوعد والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالا؛ صح أن يقال: إنها تعدل ثلث القرآن.

وأما كيف اشتملت هذا السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول:

إن قوله تعالى: ﴿ الله أحد ﴾ دلت على نفي الشريك من كل وجه: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال؛ كما دلت على تفرده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء ، ولهذا لا يطلق لفظ ﴿ أحد ﴾ في الإثبات إلا على الله عز وجل، وهو أبلغ من واحد.

وقوله: ﴿ الله الصمد ﴾ قد فسرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله:

---

(١) في طبعة الجامعة الإسلامية: [ما نقله شيخ الإسلام أبو العباس]. والصواب ما هو مثبت هنا، وكذا في طبعة ((الإفتاء))،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام، ص/١٤٢

وأبو العباس هو أبو العباس بن سريج.

... انظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٧/١٠٣).." [١]

"وأما متأخرو المفسرين كالثعلبي فيفرقون بين التفسير والتأويل . قال : فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المغلق من المراد بلفظه والتأويل : صرف الآية إلى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها وتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه إلا أن التأويل الذي ذكره . هو المعنى الثالث المتأخر وأبو الفرج بن الجوزي يقول : اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد ؟ أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية : إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين . وذهب قوم يميلون إلى الفقه : إلى اختلافهما فقالوا : التفسير إخراج الشيء عن مقام الخفاء إلى مقام التجلي والتأويل : نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا . أي صار إليه فهؤلاء لا يذكرون للتأويل إلا المعنى الأول والثاني وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه وقد عرف أن التأويل في القرآن هو الموجود الذي يئول إليه الكلام وإن كان ذلك موافقا المعنى الذي يظهر من اللفظ بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ خلاف اصطلاح المتأخرين . والكلام نوعان : إنشاء وإخبار . فالإنشاء الأمر والنهي والإباحة وتأويل الأمر والنهي نفس فعل المأمور ونفس ترك المحظور . كما في الصحيح ﴿ عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن ﴾ فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ . قال ابن عيينة : السنة تأويل الأمر والنهي . وقال أبو عبيد لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في ﴿ نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصماء ﴾ قال : والفقهاء أعلم بالتأويل . يقول : هم أعلم بتأويل ما أمر الله به ؛ وما نهى عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها . وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج ؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام : يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التأويل فهو فعل المأمور به وترك المنهي عنه ليس هو من جنس الكلام . والنوع الثاني : الخبر كإخبار الرب عن نفسه تعالى بأسمائه وصفاته وإخباره عما ذكره لعباده **من الوعد والوعيد وهذا** هو التأويل المذكور في قوله : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ وهذا كقولهم : ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ ومثله قوله : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ وقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ﴾ ونظائره متعددة في القرآن . وكذلك قوله : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله." [٢]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس، ص/٤١

(٢) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٧١

"وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ فإن ما وعدوا به في القرآن لما يأتهم بعد وسوف يأتيهم . فالتفسير هو الإحاطة بعلمه والتأويل هو نفس ما وعدوا به إذا أتاهم فهم كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ؛ وقد يحيط الناس بعلمه ولما يأتهم تأويله فالرسول صلى الله عليه وسلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وإن كان تأويله لم يأت بعد وفي الحديث ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ الآية : قال : إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد ﴾ قال تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ﴾ ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ قال بعضهم : موضع قرار وحقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه . وقال مقاتل : لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير . وقال ابن السائب : لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم وسوف تعلمون . وقال الحسن : لكل عمل جزاء ؛ فمن عمل عملا من الخير جوزي به في الجنة ومن عمل عمل سوء جوزي به في النار وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الأعمال قد وقع **عليها الوعد والوعيد فالوعد** والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر فبين المعنى ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ . وعن السدي قال : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ أي ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه وعن عطاء : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه " فإذا عمل ذنبه عاقبه أي لا يعاقب بالوعيد حتى يفعل الذنب الذي توعده عليه . ومنه قول كثير من السلف في آيات : هذه ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى أبو الأشهب عن الحسن والربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ الآية . فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار . فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية . فابن مسعود رضي الله عنه – قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر وتأويل الخبر فهذه الآية ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ من باب الأمر وما ذكر من الحساب والقيامة من باب الخبر وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به وتأويل الأمر هو فعل المأمور به فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها هي من باب." (١)

"المكره على نيته . والجواب الثاني : القطع بأن المتشابه المذكور في القرآن هو تشابهها في نفسها اللازم لها وذاك الذي لا يعلم تأويله إلا الله وأما الإضافي الموجود في كلام من أراد به التشابه الإضافي فمرادهم أنهم تكلموا فيما اشتبه معناه وأشكل معناه على بعض الناس وأن الجهمية استدلوا بما اشتبه عليهم وأشكل وإن لم يكن هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وكثيرا ما يشتبه على الرجل ما لا يشتبه على غيره . ويحتمل كلام الإمام أحمد أنه لم يرد إلا المتشابه في نفسه

---

(١) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٧٢

الذي يلزمه التشابه لم يرد بشيء منه التشابه الإضافي وقال تأولته على غير تأويله أي غير تأويله الذي هو تأويله في نفس الأمر وإن كان ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله وأهل العلم يعلمون أن المراد به ذلك التأويل فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره ولهذا كان المتشابه في الخبريات إما عن الله وإما عن الآخرة وتأويل هذا كله لا يعلمه إلا الله بل المحكم من القرآن قد يقال له تأويل كما للمتشابه تأويل . كما قال : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ ومع هذا فذلك التأويل لا يعلم وقته وكيفيته إلا الله وقد يقال : بل التأويل للمتشابه لأنه **في الوعد والوعيد وكله** متشابه وأيضا فلا يلزم في كل آية ظنها بعض الناس متشابها أن تكون من المتشابه . فقول أحمد احتجوا بثلاث آيات من المتشابه وقوله ما شكت فيه من متشابه القرآن قد يقال إن هؤلاء أو إن أحمد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه فإن قول الله تعالى : ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ لم يرد به هنا الإحكام العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع آيات القرآن وهو المذكور في قوله : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ وفي قوله : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ فوصفه هنا كله بأنه متشابه أي متفق غير مختلف يصدق بعضه بعضا وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ وقوله : ﴿ إنكم لفي قول مختلف ﴾ ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ فإن هذا التشابه يعم القرآن كما أن إحكام آياته تعمه كله وهنا قد قال : ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ فجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فصار التشابه له معنيان وله معنى ثالث وهو الإضافي يقال قد اشتبه علينا هذا كقول بني إسرائيل : ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ وإن كان في نفسه متميزا منفصلا بعضه عن بعض . وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : ﴿ الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس ﴾ فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها فليست مشتبهة على جميع الناس بل على بعضهم بخلاف ما لا يعلم تأويله إلا الله فإن الناس كلهم مشتركون في عدم العلم بتأويله ومن هذا ما ﴿ يروى عن المسيح – عليه السلام – أنه قال : الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اشتبه." (١)

"المتشابه وعن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت "كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولا يعلمونه " فقد روى البخاري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها الحديث المرفوع في هذا وليس فيه هذه الزيادة ولم يذكر أنه سمعها من القاسم بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك وكذلك نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها إسناد يعرف حتى يحتج بها والمعروف عن ابن مسعود أنه كان يقول : ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم في ماذا أنزلت وماذا عني بها . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير وله إسناد معروف بخلاف ما ذكر من قراءتهما وكذلك ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بعلم

---

(١) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٧٨

تأويل الكتاب فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله لا تناقض هذا القول فإن نفس التأويل لا يأتي به إلا الله كما قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ وقال : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ . وقد اشتهر عن عامة السلف **أن الوعد والوعيد من** المتشابه وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو وليس في القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله كما قال في الساعة : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ ﴿ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ . فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضي نفي العلم عن الراسخين لكانت : إن علم تأويله إلا عند الله لم يقرأ إن تأويله إلا عند الله فإن هذا حق بلا نزاع وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري . قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه : أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح." (١)

"على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه ؛ بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ولا في هذا . فإن قيل : هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى قيل لا يقدح في ذلك فإن معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام فإن الشيء له وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان . فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فإذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الأول عرف عين الثاني . مثال ذلك : أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك الإنسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ﴾ وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ووادي محسر يعرف أنها المذكورة في قوله : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ . وكذلك الرؤيا قد يراها الرجل ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره : مثل أن يقول : هذا

(١) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٨٩

يدل على أنه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ وقال : ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتي التأويل والإنباء ليس هو التأويل فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن **من الوعد والوعيد وإن** كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ فنحن نعلم مستقر نبإ الله وهو الحقيقة التي أخبر الله بها . ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها وسواء في هذا تأويل المحكم والمتشابه . كما قال الله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها وهو وقوع الاختلاف والفتن وإن لم يعرف متى يقع وقد." (١)

"ابن تيمية هو إمام السلفية في عهده والعهود التي لحقته ، فكان على منهج السلف اعتقادا وتعبدا وعملا وجهادا ، فهو السلفي بمعنى الكلمة ،فلا يعرف في عهده ولا بعده من احتذى حذو السلف أو اقتدى بالسلف أو اقتدى بالسلف حذو القذة كابن تيمية ، فإنه قرر مذهبهم في المعتقد ؛ في الأسماء والصفات ، في توحيد الربوبية والألوهية ، في اليوم الآخر ، في القضاء والقدر ، **في الوعد والوعيد** ، في حب أهل البيت ، في حب الصحابه ، وفي كل مسألة كبيرة أو صغيرة من المسائل كان على منهج السلف ، ولم تعرف له مخالفة – رحمه الله – ، وليس معصوما لكنه رجاع إلى الحق ، وكان مقصده أن يقرر مذهب السلف ، وهو الذي نظره وأظهر للناس ، وألف فيه وشرحه وبسطه وأوضحه وأزال الشبه عنه ، ونفض الغبار الذي تراكم عليه في القرون التي تلت التابعين ورد على خصوم هذا المنهج ، ودحض اقاويلهم ، ودمغهم بالدليل ، وداسهم بالبرهان ، فأظهر هذا المنهج أيما إظهار ، ونصره أيما نصر ، وخدمه أيما خدمة ، فصار معلوما للخاص العام ، وعلمه في دروسه وفي خطبه ، ودعا إليه سرا وجهرا ، حتى في مجالس الملوك ، وفي ديوان السلطان ، وفي بلاط الوزراء والأمراء ن وفي مجامع القضاة فكان ينتصر لهذا المذهب ويغضب له ، ويرى أنه الحق وأنه الأسلم والأعلم والأحكم ، وكل رسائله ومؤلفاته وكتبه تشهد بذلك ، فلو قلت : إن الناصر – حقيقة – لمذهب السلف من عصر ابن تيمية إلى الآن هو ابن تيمية لما ابتعدت عن الصواب ، وكل من أتي بعده في الغالب من متبع السلف استفاد منه ، ونهج نهجه ، وانتفع بكتبه ، وسار على منواله ، فمن مقل ومستكثر ، فرحم الله هذا إمام ، ما أحسن تقريره لمذهب السلف ، وما أوضح شرحه ، وما ابسط عبارته ، وما أحسن مقاله ، وما أجمل تأليفه في هذا الباب ، حتى إنا نقر – والحمد لله – بأننا استفدنا كل الفائدة من هذا الإمام في معرفة منهج السلف في المعتقد ، وفي العبادات ، وفي السنن ، وفي." (٢)

"بنى الله السموات والأرض وخلقهما عل العدل ، والظلم جريمة بشعة سواء كان في الأقوال أو الأعمال ن ومما يلحظه المطلع على ميراث هذا الإمام العدل في ردوده ، والعدل في أجوبته ، وطلب الحقيقة ، فيس بالمتشفي ، ولا بالجائزة

---

(١) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٩٨

(٢) على ساحل ابن تيمية، ص/١٥

، ولا بالظالم ، ولا بالذي يهضم الناس حقوقهم ويبخس الناس اشياءهم ،ولا بالذي يتجنى عليهم ، ولا بالذي ينسب إليهم ما ليس فيهم ، وليس بالذي يفرح بغلطات أهل الخير من علماء الإسلام ن بل تجده يرد رد منصف طالب للحق ن وكان يردد كثيرا التحذير من الجور ومن الحيف ن ويبسط كلامه في مسألة : (وحملها في الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) ؛ فيبين كيف وقع الظلم والجهل في الأقوال والأعمال ويربأ بطالب العلم وبالعالم أن يجوز في الحكم على الأشياء ن وأن يحيف ويظلم غيره ، ويحذر من ذلك أتم التحذير .

ابن تيمية والوسطية

يقول سبحانه وتعالى : ۰ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ، والتوسط في الأمور يدل على العلم التام ، والخشية المتناهية ، والعقل الراجح ، وكذلك كان شيخ الإسلام ؛ فهو يحمد ربه – سبحانه وتعالى – أن هل السنة وسط في المسائل ، كما أن أهل الإسلام وسط في الدين واملة ، فهم وسط بين اليهود والنصارى ، وكذلك أهل السنة وسط في باب الأسماء والصفات بين المجسمة الممثلة والجهمية المعطلة ن ووسط في القضاء بين القدرية والجبرية ، ووسط في الوعد والوعيد ين المرجئة والخوارج ، ووسط في حب أهل البيت بين النواصب والروافض ، ويستمر ابن تيمية – رحمه الله – في تعداد هذا الوسط ،ويدعو غليه وينهجه ويحببه ويعتنقه ،وأن من نعم الله – عز وجل – على طالب العلم وطالب الحق وحامله أن يكون وسطا في كل أموره ، حتى في أخلاقه وسلوكه ن فإن الدين جاء بالوسط لا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا جفاء ،القصد القصد تبلغوا ما في الحديث ، والتوسط في الأمور هو المحجة الصحيحة التي ينبغي أن يسلكها طالب العلم في أقواله وأعماله .

ابن تيمية وروح التجديد." (١)

"العقوبة وخفتها ؛ فإن المحذور في قليل الذم والعقاب في هذا المقام كالمحذور في كثيره فإن المجتهد لا يلحقه قليل ذلك ولا كثيره بل يلحقه ضد ذلك من الأجر والثواب .

(الثاني : أن كون حكم الفعل مجمعا عليه أو مختلفا فيه،أمور خارجة عن الفعل وصفاته

وإنما هي أمور إضافية بحسب ما عرض لبعض العلماء من عدم العلم . واللفظ العام إن أريد به الخاص فلا بد من نصب دليل يدل على التخصيص إما مقترن بالخطاب عند من لا يجوز تأخير البيان(١)

---

(١) – وفي المستصفى – (ج ١ / ص ٤٨٣)

مسألة في تأخير البيان لا خلاف أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إلا على مذهب من يجوز تكليف المحال ، أما تأخيره إلى وقت الحاجة فجائز عند أهل الحق خلافا للمعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب الظاهر ، وإليه ذهب أبو إسحاق المروزي وأبو بكر الصيرفي .

وفرق جماعة بين العام والمجمل فقالوا : يجوز تأخير بيان المجمل إذ لا يحصل من المجمل جهل .

---

(١) على ساحل ابن تيمية، ص/٤٩

وأما العام فإنه يوهم العموم ، فإذا أريد به الخصوص فلا ينبغي أن يتأخر بيانه ، مثل قوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ فإنه إن لم يقترن به البيان له أوهم جواز قتل غير أهل الحرب وأدى ذلك إلى قتل من لا يجوز قتله .

والمجمل مثل قوله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يجوز تأخير بيانه ؛ لأن الحق مجمل لا يسبق إلى الفهم منه شيء ، وهو كما لو قال : حج في هذه السنة كما سأفصله ، أو : اقتل فلانا غدا بآلة سأعينها من سيف أو سكين .

وفرق طوائف بين الأمر والنهي **وبين الوعد والوعيد** ، فلم يجوزوا تأخير البيان **في الوعد والوعيد** .

ويدل على جواز التأخير مسالك : الأول : أنه لو كان ممتنعا لكان لاستحالته في ذاته أو لإفضائه إلى محال وكل ذلك يعرف بضرورة أو نظر ، وإذا انتفى المسلكان ثبت الجواز وهذا دليل يستعمله القاضي في مسائل كثيرة ؛ وفيه نظر ؛ لأنه لا يورث العلم ببطلان الإحالة ولا بثبوت الجواز ، إذ يمكن أن يكون وراء ما ذكره وفصله دليل على الإحالة لم يخطر له ، فلا يمكن أن يكون دليلا لا على الإحالة ولا على الجواز .

فعدم العلم بدليل الجواز لا يثبت الإحالة ، وكذلك عدم العلم بدليل الإحالة لا يثبت الجواز ، بل عدم العلم بدليل الإحالة لا يكون علما ؛ لعدم الإحالة ، فلعل عليه دليلا ولم نعرفه ، بل لو عرفنا انتفاء دليل الإحالة لم يثبت الجواز ، بل لعله محال وليس عليه دليل يعرفه آدمي ، فمن أين يجب أن يكون كل جائز ومحال في مقدور الآدمي معرفته ؟ الثاني : أنه إنما يحتاج إلى البيان للامتثال وإمكانه ، ولأجله يحتاج إلى القدرة والآلة ، ثم جاز تأخير القدرة وخلق الآلة فكذلك البيان وهذا أيضا ذكره القاضي ، وفيه نظر ؛ لأنه إنما ينفع لو اعترف الخصم بأنه يحيله لتعذر الامتثال ولعله يحيله ؛ لما فيه من تجهيل أو لكونه لغوا بلا فائدة أو لسبب آخر ، وليس في تسليمه تعليل القدرة والآلة بتأتي الامتثال ما يلزمه تعليل غيره به .

الثالث : الاستدلال على جوازه بوقوعه في القرآن والسنة قال الله تعالى : ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ وثم للتأخير وقال تعالى ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ ، وإنما أراد بقرة معينة ولم يفصل إلا بعد السؤال وقال تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾ الآية .

، وإنما أراد بذي القربى بني هاشم وبني المطلب دون بني أمية وكل من عدا بني هاشم ، فلما منع بني أمية وبني نوفل وسئل عن ذلك قال : ﴿ إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا في إسلام ولم نزل هكذا ﴾ وشبك بين أصابعه وقال في قصة نوح ﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ بين بعد أن توهم أنه من أهله .

وأما السنن فبيان المراد بقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ بصلاة جبريل في يومين بين الوقتين ، وقوله عليه السلام ﴿ ليس في الخضراوات صدقة ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ﴾ وقال : ﴿ في أربعين شاة شاة ﴾ و ﴿ خذوا عني مناسككم ﴾ كله ورد متأخرا عن قوله : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ .

وغيرها ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع ﴾ الآية وقال ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾ وهو عام ثم ورد بعده : ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ وكذلك جميع الأعذار وكذلك أمر النكاح والبيع والإرث ورد أولا أصلها ثم بين النبي عليه السلام بالتدريج من يرث ومن لا يرث ومن يحل نكاحه ومن لا يحل وما يصح بيعه وما لا يصح .

وكذلك كل عام ورد في الشرع فإنما ورد دليل خصوصه بعده ، وهذا مسلك لا سبيل إلى إنكاره ، وإن تطرق الاحتمال إلى أحد هذه الاستشهادات بتقدير اقتران البيان فلا يتطرق إلى الجميع الرابع : أنه يجوز تأخير النسخ بالاتفاق ، بل يجب تأخيره لا سيما عند المعتزلة ، فإن النسخ عندهم بيان لوقت العبادة .
ويجوز أن يرد لفظ يدل على تكرر الأفعال على الدوام ثم ينسخ ويقطع الحكم بعد حصول الاعتقاد بلزوم الفعل على الدوام لكن بشرط أن لا يرد نسخ ، وهذا أيضا واقع ، فهذه الأدلة واقعة دالة على جواز تأخير البيان عن كل ما يحتاج إلى البيان من عام ومجمل ومجاز وفعل متردد وشرط مطلق غير مقيد ، وهو أيضا دليل على من جوز في الأمر دون الوعيد وعلى من قال بعكس ذلك .
وللمخالف أربع شبه .
الأولى : قالوا : إن جوزتم خطاب العربي بالعجمية والفارسي بالزنجية فقد ركبتم بعيدا وتعسفتم ، وإن منعتم فالفرق بينه وبين مخاطبة العربي بلفظ مجمل لا يفهم معناه ولكن يسمع لفظه ، ويلزم منه جواز خطابه بلغة هو واضعها وحده إلى أن يبين .
والجواب من وجهين أحدهما وهو الأولى : أنهم لما قالوا قوله : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ كالكلام بلغة لا تفهم مع أنه يفهم أصل الإيجاب ويعزم على أدائه وينتظر بيانه وقت الحصاد فالتسوية بينهما تعسف وظلم .
الجواب الثاني أنا نجوز للنبي عليه السلام أن يخاطب جميع أهل الأرض من الزنج والترك بالقرآن ويشعرهم أنه يشتمل على أوامر يعرفهم بها المترجم ، وكيف يبعد هذا ونحن نجوز كون المعدوم مأمورا على تقدير الوجود ؟ فأمر العجم على تقدير البيان أقرب
نعم لا يحصل ذلك خطابا بل إنما يسمى خطابا إذا فهمه المخاطب ، والمخاطب في مسألتنا فهم أصل الأمر بالزكاة وجهل قدر الحق الواجب عند الحصاد وكذلك قوله تعالى ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ مفهوم وتردده بين الزوج والولي معلوم والتعيين منتظر .
فإن قيل : فليجز خطاب المجنون والصبي .
قلنا : أما من لا يفهم فلا يسمى مخاطبا ويسمى مأمورا كالمعدوم على تقدير الوجود ، وكذلك الصبي مأمور على تقدير البلوغ أعني من علم الله أنه سيبلغ ، أما الذي يفهم ويعلم الله ببلوغه فلا نحيل أن يقال له : إذا بلغت فأنت مأمور بالصلاة والزكاة والصبا لا ينافي مثل هذا الخطاب ، وإنما ينافي خطابا يعرضه للعقاب في الصبا .
الثانية : قولهم الخطاب يراد لفائدة ، وما لا فائدة فيه فيكون وجوده كعدمه ، ولا يجوز أن يقول أبجد هوز ويريد به وجوب الصلاة والصوم ثم يبينه من بعد ؛ لأنه لغو من الكلام ، وكذلك المجمل الذي لا يفيد .
قلنا : إنما يجوز الخطاب بمجمل يفيد فائدة ما ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يعرف منه وجوب الإيتاء ووقته وأنه حق في المال ، فيمكن العزم فيه على الامتثال والاستعداد له ، ولو عزم على تركه عصى .
وكذلك مطلق الأمر إذا ورد ولم يتبين أنه للإيجاب أو الندب أو أنه على الفور أو التراخي أو أنه للتكرار أو للمرة الواحدة أفاد علم اعتقاد الأصل ومعرفة التردد بين الجهتين ، وكذلك : ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ يعرف إمكان سقوط المهر بين الزوج والولي فلا يخلو عن أصل الفائدة ، وإنما يخلو عن كمالها .

وذلك غير مستنكر بل هو واقع في الشريعة والعادة بخلاف قوله " أبجد هوز " فإن ذلك لا فائدة له أصلا .

الثالثة : أنه لا خلاف في أنه لو قال : ﴿ في خمس من الإبل شاة ﴾ وأراد خمسا من الأفراس لا يجوز ذلك ، وإن كان بشرط البيان بعده ؛ لأنه تجهيل في الحال وإيهام لخلاف المراد ، فكذلك قوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ يوهم قتل كل مشرك .

وهو خلاف المراد ، فهو تجهيل في الحال .

ولو أراد بالعشرة سبعة كان ذلك تجهيلا ، وإن كان ذلك جائزا إن اتصل الاستثناء به بأن يقول : عشرة إلا ثلاثة .

وكذلك العموم للاستغراق في الوضع إنما يراد به الخصوص بشرط قرينة متصلة مبينة ، فأما إرادة الخصوص دون القرينة فهو تغيير للوضع ؛ وهذا حجة من فرق بين العام والمجمل .

والجواب أن العموم لو كان نصا في الاستغراق لكان كما ذكرتموه ، وليس كذلك بل هو مجمل عند أكثر المتكلمين متردد بين الاستغراق والخصوص ، وهو ظاهر عند أكثر الفقهاء في الاستغراق وإرادة الخصوص به من كلام العرب ، فإن الرجل قد يعبر بلفظ العموم عن كل ما تمثل في ذهنه وحضر في فكره ، فيقول مثلا : ليس للقاتل من الميراث شيء ، فإذا قيل له : فالجلاد والقاتل قصاصا لم يرث ، فيقول : ما أردت هذا ولم يخطر لي بالبال .

ويقول : للبنت النصف من الميراث ، فيقال : فالبنت الرقيقة والكافرة لا ترث شيئا ، فيقول : ما خطر ببالي هذا ، وإنما أردت غير الرقيقة والكافرة .

ويقول الأب : إذا انفرد يرث المال أجمع ، فيقال : الأب الكافر أو الرقيق لا يرث ، فيقول : إنما خطر ببالي الأب غير الرقيق والكافر .

فهذا من كلام العرب .

وإذا أراد السبعة بالعشرة فليس من كلام العرب ، فإذا اعتقد العموم قطعا فذلك لجهله ، بل ينبغي أن يعتقد أنه ظاهر في العموم محتمل للخصوص وعليه الحكم بالعموم إن خلي والظاهر ، وينتظر أن ينبه على الخصوص أيضا .

الرابعة : أنه إن جاز تأخير البيان إلى مدة مخصوصة طويلة كانت أو قصيرة فهو تحكم ، وإن جاز إلى غير نهاية ، فربما يخترم النبي عليه السلام قبل البيان فيبقى العامل بالعموم في ورطة الجهل متمسكا بعموم ما أريد به الخصوص .

قلنا : النبي عليه السلام لا يؤخر البيان إلا إذا جوز له التأخير أو أوجب وعين له وقت البيان وعرف أنه يبقى إلى ذلك الوقت ، فإن اخترم قبل البيان بسبب من الأسباب فيبقى العبد مكلفا بالعموم عند من يرى العموم ظاهرا ولا يلزمه حكم ما لم يبلغه ، كما لو اخترم قبل النسخ لما أمر بنسخه فإنه يبقى مكلفا به دائما .

فإن أحالوا اخترامه قبل تبليغ النسخ فيما أنزل عليه النسخ فيه فيستحيل أيضا اخترامه قبل بيان الخصوص فيما أريد به الخصوص ، ولا فرق .." (١)

(١) رفع الملام / علي بن نايف الشحود، ص/٤٠٦

"هذا الحديث وأنه قد يعمل بعد ذلك ما شاء لا يرجى له أنه يكون من أهل الوعد ولا يجزم لمعين بهذا الحكم كما لا يجزم في حق معين بالوعيد كساذر **نصوص الوعد والوعيد فإن** هذا كقوله من فعل كذا دخل الجنة ومن فعل كذا دخل النار لا يجزم لمعين لكن يرجى للمحسن ويخاف على المسئ

ومن هذا الباب حديث البطاقة التي قدر الكف فيها التوحيد وضعت في الميزان فرجحت علي تلك السجلات من السيئات

وليس كل من تكلم بالسهادتين كلن بهذه المنزلة لأن هذا العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحا على هذه السيئات

ومن أحل ذلك صار المد من الصحابة رضي الله عنهم أفضل من مثل جبل أحد ذهبا من غيرهم

ومن ذلك حديث البغي التي سقت كلبا فغفر لها فلا يقال في كل بغى سقت كلبا غفر لها لأن هذه البغى قد حصل لها من الصدق والإخلاص والرحمة بخلق الله ما عادل إثم البغى وزاد عليه ما أوجب المغفرة والمغفرة تحصل بما يحصل في القلب من الإيمان الذي يعلم الله وحده مقداره وصفته وهذا يفتح باب العمل ويجتهد به العبد أن يأتي بهذه الأعمال وأمثالها من موجبات الرحمة وعزائم المغفرة ويكون مع ذلك بين الخوف والرجاء كما قال تعالى ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾

ولهذا استثنى ابن مسعود وغيره في الإيمان فكان يقول أحدهم أنا مؤمن إن شاء الله فإن الإيمان المطلق الكامل يقتضى أداء الواجب وأحدهم لا يعلم بيقين أنه أدى كل الواجب كما أمر ولئن فهو فضل من الله ورحة فلهذا استثنوا فيه واستثنوا في الصلاة وغيرها لأنه لا يجزم بأنه أتى بها علي وجهها فيأتى بما أتى به من الخير وقلبه وجل

". (١)

"معنى قول القائل كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر ومعنى قولهم ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة أى وعيد خاص كالوعيد بالنار والغضب واللعنة

وذلك أن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا فكما أنه يفرق في العقوبات المشروعة للناس بين العقوبات المقدرة بالقطع والقتل وجلد مائة أو ثمانين وبين العقوبات التي ليست بمقدرة وهي التعزير فكذلك يفرق في العقوبات التي يجزى الله بها العباد وفي غير أمر العباد بها بين العقوبات المقدرة كالغضب واللعنة والنار ونفس العقوبات المطلقة

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة علي غيره فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشاهداة الزور فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص وكذلك كل ذنب

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص/٢٦١

توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة أو لا يشم رائحها أو قيل فيه من فعله فليس منا لأنه ليس المراد ما تقوله المرجئة أنه ليس من خيارنا ولا ما يقوله الخوارج أنه صار كافرا ولا مايقوله المعتزلة من أنه لم يبق معه من الايمان شئ بل هو مستحق للخلود في النار فهذه كلها أقوال باطلة

ولكن المؤمن المطلق في **باب الوعد والوعيد وهو** المستحق لدخول الجنة بلا عقاب فهو المؤدى للفرائض المجتنب للمحارم وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق فمن فعل هذه الكباذر لم يكن من هؤلاء المؤمنين إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة فنفى الإيمان أو دخول الجنة أو كونه ليس من المؤمنين لا يكون إلا عن كبيرة فأما الصغائر فلا تنفى هذا الاسم ولا يحكم على صاحبها بمجردها فيعرف أن النفي لا يكون لترك مستحب ولا لفعل صغيرة بل لترك واجب

". (١)

"ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء ؛ لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر . إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله به تعالى **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون **من الوعد والوعيد ولهذا** ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ؛ ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته فأسماء الله تعالى وصفاته أولى وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد ؛ مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغائب." (٢)

"كلامه ؟ قال : لا . قال : فوجدت له حسا ومجسا ؟ قال : لا . قال : كذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان . وساق الإمام أحمد الكلام في " القرآن " و " الرؤية " وغير ذلك إلى أن قال : ثم إن الجهم ادعى أمرا فقال : إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق فقلنا : أي آية ؟ قال : قول الله : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ وعيسى مخلوق . فقلنا إن الله منعك الفهم في القرآن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد ثم** هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى في قول

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص/٤٩٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز)، ٥٧/٣

الله : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن ؛ فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا . وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة وقالت النصارى :." (١)

"أهل القبلة فهذا لا نعرفه قولا لأحد . وبعده قول من يقول : ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لا حقيقة له وهذا من أقوال الملاحدة والكفار . وربما احتج بعضهم بقوله : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ فيقال لهذا : التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له كما توهم الصبي الصغير . ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين . لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف وهذا شبيه بما تقول " الملاحدة " المتفلسفة والقرامطة ونحوهم : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة . و " هذا القول " مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل ؛ فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة : من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم فإن البارع منهم في العلم." (٢)

"والضر أمران إضافيان فربما نفع هذا ما ضر هذا . كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد . فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يعتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين . حزبا من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الطبيعي وقالوا : ما ثم فوق إلا الفرق الطبيعي ليس هنا فرق يرجع إلى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا . ثم منهم من يضعف **عنده الوعد والوعيد إما** لقوله بالإرجاء وإما لظنه أن ذلك لمصالح الناس في الدنيا إقامة للعدل كما يقول : ذلك من يقوله من المتفلسفة فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل إلا ما يحبه هو ويبغضه فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه . وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي ؛ الذين يرون رأي جهم والأشعري ونحوهما في القدر تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة إلا إلى محض أهوائهم وإرادتهم وهو الفرق الطبيعي . ومن كان منهم مؤمنا بالوعد فإنه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات لكن لأجل ما قرن بهما من الأمور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ونكاح وهؤلاء ينكرون محبة الله والتلذذ بالنظر إليه وعندهم إذا قيل : إن." (٣)

"يسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري **عليه الوعد والوعيد ثم** هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ولكن المعنى في قول الله جل ثناؤه : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ فالكلمة التي

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢١٩/٤

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥٠٢/٧

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٤٤/٨

ألقاها إلى مريم حين قال له : كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن ولكن كان بكن فالكن من الله قول وليس الكن من الله مخلوقا . وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله . كما يقال : إن هذه الخرقة من هذا الثوب . وقلنا : نحن إن عيسى بالكلمة كان . وليس عيسى هو الكلمة وأما قول الله وروح منه . يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ يقول : من أمره وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقال : عبد الله وسماء الله . وبين أحمد أن كلام الآدميين مخلوق فضلا عن أعمالهم فقال :." (١)

"الأصول كثيرة : مع ما في ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك .

فصل :

وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص **في الوعد والوعيد فهو** أعظم ضلالا وافتراء على الله ومخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف وقد رويت في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه أبو داود والترمذي ولكن طائفة من أئمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك وهذا مبسوط في موضعه . والمقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته وقدرته وخلقه .." (٢)

"أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ قال سعيد كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه . فذكر في أول هذا الحديث الإلهي الذي قال فيه الإمام أحمد هو أشرف حديث لأهل الشام إنه حرم الظلم على نفسه . و " التحريم " ضد الإيجاب وبين في القرآن أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا على قول الطائفة الثانية المراد به مجرد خبره **بمجرد الوعد والوعيد** ؛ وعلى قول الآخرين بل هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم كما أخبر عن نفسه فقال تعالى : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ فهو حق أحقه سبحانه على نفسه لا أن أحدا من الخلق يوجب عليه حقا ولا يحرم عليه شيئا . وختم الحديث بقوله : ﴿ إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤١٨/٨

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٥٢/٨

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ﴾." (١)

"والمقصود هنا أمر الناس بتزكية أنفسهم والتحذير من تدسيتها كقوله : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ فلو قدر أن المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه لم يكن فيه أمر لهم ولا نهي ؛ ولا ترغيب ولا ترهيب . والقرآن إذا أمر أو نهى لا يذكر مجرد " القدر " فلا يقول : من جعله الله مؤمنا . بل يقول : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ إذ ذكر مجرد القدر في هذا يناقض المقصود ولا يليق هذا بأضعف الناس عقلا فكيف بكلام الله ألا ترى أنه في مقام الأمر والنهي والترغيب والترهيب يذكر ما يناسبه **من الوعد والوعيد والمدح** والذم وإنما يذكر القدر عند بيان نعمه عليهم : إما بما ليس من أفعالهم وإما بإنعامه بالإيمان والعمل الصالح ويذكره في سياق قدرته ومشيئته وأما في معرض الأمر فلا يذكره إلا عند النعم . كقوله : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا ﴾ الآية فهذا مناسب . وقوله : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ وهذه الآية من جنس الثانية لا الأولى . والمقصود " ذكر التزكية " قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا ﴾ الآية . وقال : ﴿ فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ وقال : ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ وقال : ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ وأصل " الزكاة " الزيادة في الخير . ومنه يقال : زكا الزرع وزكا." (٢)

"عبده شيئا كما قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ . " فالوعيد " ينتفي عنه : إما بتوبة وإما بحسنات يفعلها تكافئ سيئاته وإما بمصائب يكفر الله بها خطاياه وإما بغير ذلك وكما أن أحاديث الوعيد تقدم وكذلك أحاديث الوعد . فقد يقول : لا إله إلا الله ويجحد وجوب الصلاة والزكاة فهذا كافر يجب قتله وقد يكون من أهل الكبائر المستوجبين للنار . وهذه " **مسألة الوعد والوعيد** " من أكبر مسائل العلم . وقد بسطناها في مواضع ؛ ولكن كتبنا هنا ما تسع الورقة .." (٣)

"هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها . فهذه كلها أقوال باطلة قد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع . ولكن المؤمن المطلق في **باب الوعد والوعيد وهو** المستحق لدخول الجنة بلا عقاب هو المؤدي للفرائض المجتنب المحارم وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة وهذا معنى قول من قال : أراد به نفي حقيقة الإيمان أو نفي كمال الإيمان فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب فإن ترك الكمال المستحب لا يوجب الذم والوعيد والفقهاء يقولون : الغسل ينقسم إلى : كامل ومجزئ . ثم من عدل عن الغسل الكامل إلى المجزئ لم يكن مذموما . فمن أراد بقوله " نفي كمال الإيمان " أنه نفي الكمال المستحب فقد غلط . وهو يشبه قول المرجئة ولكن يقتضي نفي الكمال الواجب . وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله : مثل قوله : ﴿ إنما المؤمنون

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥١٠/٨

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٦٢٨/١٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٦٤٩/١١

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ – إلى قوله – ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ ومثل الحديث المأثور : " ﴿ لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ﴾ " ومثل قوله صلى الله عليه وسلم " ﴿ لا صلاة إلا بأم." (١)

"ويجاهد عليه ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله غير متبعين لهوى : من عادة أو مذهب أو طريقة أو رئاسة أو سلف ؛ ولا متبعين لظن : من حديث ضعيف أو قياس فاسد – سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل – أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله ؛ فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى .

فصل :

إذا تبين ذلك فاعلم أن " مسائل التكفير والتفسيق " هي من مسائل " الأسماء والأحكام " التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال تعالى – لما ذكر قول اليهود والنصارى – :." (٢)

"إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ على الإطلاق والعموم ولا نشهد لمعين أنه في النار ؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه ؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه . يبين هذا : أنه قد ثبت : أن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها ﴾ . وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمر ﴿ أن رجلا كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه ؛ فإنه يحب الله ورسوله ﴾ " فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن خمر ؛ لأنه يحب الله ورسوله وقد لعن شارب الخمر على العموم .

فصل :

إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر والفاسق الملي وفي حكم الوعد والوعيد والفرق بين المطلق والمعين وما وقع في." (٣)

"وإذا كان التأويل للكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ إنما علمها عند الله

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٦٥٣/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٦٨/١٢

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٨٤/١٢

﴿ وكذلك قوله : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ فأخبر أنه ليس علمها إلا عند الله وإنما هو علم وقتها المعين وحقيقتها وإلا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به . فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين . ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأحوالها ما علمناه وأن نفسر النصوص المبينة لأحوالها فهذا هذا . وإن كان الضمير عائدا إلى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلأن المخبر به **من الوعد والوعيد متشابه** بخلاف الأمر والنهي ولهذا في الآثار : " العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه " لأن المقصود في الخبر الإيمان وذلك لأن المخبر به **من الوعد والوعيد فيه** من التشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهي ؛ ولهذا قال بعض العلماء : " المتشابه " الأمثال والوعد والوعيد و " المحكم " الأمر والنهي فإنه متميز غير مشتبه بغيره فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها .." (١)

"الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه . وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا : إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة . قالوا في أحاديث الصفات : تمر كما جاءت . ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه . ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير ذلك . وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات : تمر كما جاءت وفي أحاديث الوعيد مثل قوله : ﴿ من غشنا فليس منا ﴾ وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر . فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله . فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته .." (٢)

"قال شيخ الإسلام – رحمه الله – :

فصل :

وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه " سورة البقرة " من تقرير أصول العلم وقواعد الدين : أن الله تعالى افتتحها بذكر كتابه الهادي للمتقين فوصف حال أهل الهدى ثم الكافرين ثم المنافقين . فهذه " جمل خبرية " ثم ذكر " الجمل الطلبية " فدعا الناس إلى عبادته وحده ثم ذكر الدلائل على ذلك من فرش الأرض وبناء السماء وإنزال الماء وإخراج الثمار رزقا للعباد ثم قرر " الرسالة " وذكر " **الوعد والوعيد** " ثم ذكر مبدأ " النبوة والهدى " وما بثه في العالم من الخلق والأمر ثم ذكر تعليم آدم الأسماء وإسجاد الملائكة له لما شرفه من العلم ؛ فإن هذا تقرير لجنس ما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٣/٢٨١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٣/٢٩٥

ودين الحق فقص جنس دعوة الأنبياء . ثم انتقل إلى خطاب بني إسرائيل وقصة موسى معهم وضمن ذلك تقرير نبوته إذ هو قرين محمد فذكر آدم الذي هو أول ،." (١)

"ولهذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف والقتال والذنوب دليلا على نقصها ؛ بل هي أفضل الأمم وهذا الواقع بينهم من لوازم البشرية وهو في غيرها أكثر وأعظم وخير غيرها أقل والخير فيها أكثر والشر فيها أقل فكل خير في غيرها فهو فيها أعظم وكل شر فيها فهو في غيرها أعظم . وأما حصول المطلوب للآحاد منها فلا يلزم حصوله لكل عاص ؛ لأنه لم يقم بالواجب ولكن قد يحصل للعاصي من ذلك بحسب ما معه من طاعة الله تعالى أما حصول المغفرة والعفو والرحمة بحسب الإيمان والطاعة فظاهر ؛ لأن هذا من الأحكام القدرية الخلقية من **جنس الوعد والوعيد وهذا** يتنوع بتنوع الإيمان والعمل الصالح . وأما دفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان ودفع الآصار فإن هذا قد يشكل لأنه من باب الأحكام الشرعية أحكام الأمر والنهي . فيقال : الخطأ والنسيان المرفوع عن الأمة مرفوع عن عصاة الأمة ؛ فإن العاصي لا يأثم بالخطأ والنسيان ؛ فإنه إذا أكل ناسيا أتم صومه سواء كان مطيعا في غير ذلك أو عاصيا فهذا هو الذي يشكل وعنه جوابان . (أحدهما أن الذنوب والمعاصي قد تكون سببا لعدم العلم بالحنيفية." (٢)

"لكلماته – وهو سبحانه لا مبدل لكلماته . يبين ذلك قوله تعالى ﴿ لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم بالوعيد وقال : ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضا وأن وعيده لا يبدل . وهذا مما احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار . وقد تكلمنا عليهم في غير هذا الموضع ؛ لكن هذه الآية تضعف جواب من يقول : إن إخلاف الوعيد جائز . فإن قوله : ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ بعد قوله : ﴿ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده . لكن التحقيق الجمع بين **نصوص الوعد والوعيد وتفسير** بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها . وقد قال تعالى : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ والله أعلم .

آخر المجلد الرابع عشر." (٣)

"خيرا وأحسنوا في ذلك ؛ لكن يقال لهم : ألقى ثم أحكم فلا محذور في ذلك . فإن هذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه فإنه إذا موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه . ولهذا قال في النسخ : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ فظنهم أنهم قد كذبوا هو يتبع ما يظنونه من معنى الوعد وهذا جائز لا محذور فيه . إذا لم يقروا عليه وهذا وجه حسن وهو موافق لظاهر الآية ولسائر الأصول من الآيات والأحاديث والذي يحقق

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤١/١٤

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٥١/١٤

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٩٨/١٤

ذلك أن **باب الوعد والوعيد ليس** بأعظم من باب الأمر والنهي . فإذا كان من الجائز في باب الأمر والنهي أن يظنوا شيئا ثم يتبين الأمر لهم بخلافه ؛ فلأن يجوز ذلك في **باب الوعد والوعيد بطريق** الأولى والأحرى حتى إن باب الأمر والنهي إذا تمسكوا فيه بالاستصحاب لم يقع في ذلك ظن خلاف ما هو عليه الأمر في نفسه ؛ فإن الوجوب والتحريم الذي لا يثبت إلا بخطاب إذا نفوه قبل الخطاب كان ذلك اعتقادا مطابقا للأمر في نفسه وباب الوعد إذا لم يخبروا به قد يظنون انتفاءه كما ظن الخليل جواز المغفرة لأبيه حتى استغفر له ونهينا عن الاقتداء . كما ﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ﴾ وحتى استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له في." (١)

"ذلك وحتى صلى على المنافقين قبل أن ينهى عن ذلك وكان يرجو لهم المغفرة حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ إلى قوله : ﴿ لأواه حليم ﴾ وقال عن المنافقين : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾ الآية . وقال ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ فإذا كان صلى على المنافقين واستغفر لهم راجيا أن يغفر لهم قبل أن يعلم ذلك . ولهذا سوغ العلماء أن يروى في **باب الوعد والوعيد من** الأحاديث ما لم يعلم أنه كذب وإن كان ضعيف الإسناد . بخلاف باب الأمر والنهي فإنه لا يؤخذ فيه إلا بما يثبت أنه صدق ؛ لأن **باب الوعد والوعيد إذا** أمكن أن يكون الخبر صدقا وأمكن أن يوجد الخبر كذبا لم يجز نفيه ؛ لا سيما بلا علم كما لم يجز الجزم بثبوته بلا علم ؛ إذ لا محذور فيه . منابت الناس (١) اللفظ **تعيين الوعد والوعيد فلا** يجوز منع ذلك بمنع الحديث إذا أمكن أن يكون صدقا ؛ لأن في ذلك إبطالا لما هو حق وذلك لا يجوز . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حدثوا عن بني إسرائيل." (٢)

"ولا حرج ﴾ وهذا الباب وهو " **باب الوعد والوعيد** " هو في الكتاب بأسماء مطلقة للمؤمنين والصابرين والمجاهدين والمحسنين فما أكثر من يظن من الناس أنه من أهل الوعد ويكون اللفظ في ظنه أنه متصف بما يدخل في الوعد لا في اعتقاد صدق الوعد في نفسه . وهذا كقوله : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ وقوله : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ الآيتين فقد يظن الإنسان في نفسه أو غيره كمال الإيمان المستحق للنصر وإن جند الله الغالبون ويكون الأمر بخلاف ذلك . وقد يقع من النصر الموعود به ما لا يظن أنه من الموعود به فالظن المخطئ فهم ذلك كثير جدا أكثر من باب الأمر والنهي مع كثرة ما وقع من الغلط في ذلك وهذا مما لا يحصر الغلط فيه إلا الله تعالى وهذا عام لجميع الآدميين ؛ لكن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يقرون ؛ بل يتبين لهم وغير الأنبياء قد لا يتبين له ذلك في الدنيا . ولهذا كثر في القرآن ما يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتصديق الوعد." (٣)

"وذكره في النحل لفائدة الوقاية في قوله : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ ولما كانت هذه الفائدة حيوانية طبيعية لا قوام للإنسان إلا بها جعلها من النعم ولما كانت تلك

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٩٢/١٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٩٣/١٥

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٩٤/١٥

فائدة كمالية قرنها بالأمر الشرعي وتلك الفائدة من باب جلب المنفعة بالتزين وهذه من باب دفع المضرة فالناس إلى هذه أحوج . فأما قوله : ﴿ سرابيل تقيكم الحر ﴾ ولم يذكر " البرد " فقد قيل لأن التنزيل كان بالأرض الحارة فهم يتخوفونه وقيل : حذف الآخر للعلم به ويقال هذا من باب التنبيه ؛ فإنه إذا امتن عليهم بما يقي الحر فالامتنان بما يقي البرد أعظم ؛ لأن الحر أذى ؛ والبرد بؤس والبرد الشديد يقتل والحر قل أن يقع فيه هكذا فإن باب التنبيه والقياس كما يكون في خطاب الأحكام يكون في خطاب الآلاء **وخطاب الوعد والوعيد كما** قلته في قوله : ﴿ لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا ﴾ مثله من يقول لا تنفروا في البرد فإن جهنم أشد زمهريرا " ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار " فالوحل والثلج أعظم ونحو ذلك . وفي الآية شرع لباس جنن الحرب ؛ ولهذا قرن من قرن باب اللباس والتحلي بالصلاة لأن للحرب لباسا مختصا مع اللباس المشترك وطابق قولهم اللباس والتحلي قوله : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب." [(١)]

"مخالفة الأخبار المتواترة عند أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في خروج أهل الذنوب من النار وشفاعة الشفعاء فيهم . ويتضمن أنهم آيسوا الخلق من رحمة الله مع تكذيبهم بعموم خلق الله ومشيئته وقدرته حيث زعموا أن من الحوادث ما لا يقدر عليه ولا يشاؤه ولا يخلقه . وتشبهوا بالمجوس من هذا الوجه حتى قيل : القدرية مجوس هذه الأمة . وقابلهم أولئك فتوقفوا في خبر الله مطلقا حتى أنكروا صنفي العموم فلم يعلموا بخبره ما أخبر به **من الوعد والوعيد** . فلا يجزمون بالنجاة للصنف الذين يعلم الله أنهم آمنوا وعملوا الصالحات وكانوا من أعظم الناس طاعة لله إذا كان لأحدهم سيئة واحدة صغيرة . ولا بالعذاب للصنف الذين يعلم الله أنهم أفجر أهل القبلة وشرها ؛ بل يجوزون مع علم الله بهذا وبهذا أن يعذب أهل الحسنات الكبيرة على سيئة صغيرة عذابا ما يعذبه أحدا من أهل القبلة وأن يدخل فجار أهل القبلة الجنة مع السابقين الأولين . وبسط الكلام على هؤلاء وهؤلاء له مقام آخر .." [(٢)]

"اللغوب الإعياء والتعب . وكذلك قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ الإدراك عند السلف والأكثرين هو الإحاطة . وقال طائفة هو الرؤية وهو ضعيف ؛ لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه فإن العدم لا يرى . وكل وصف يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمرا ثبوتيا فلا يكون فيه مدح إذ هو عدم محض بخلاف ما إذا قيل لا يحاط به فإنه يدل على عظمة الرب جل جلاله . وإن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية كما أنهم مع معرفته لا يحيطون به علما وكما أنهم مع مدحه والثناء عليه لا يحيطون ثناء عليه ؛ بل هو كما أثنى على نفسه المقدسة . ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم : ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر . والمقصود هنا الكلام على معنى كون ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن وبيان أن الصواب القول الأول . الوجه الثالث الذي يدل على فساد القول الثاني أن يقال : قول القائل " معرفة أفعاله " إن أراد بذلك معرفة آياته الدالة عليه فهذه من تمام معرفته ويبقى معرفة وعده ووعيده

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢١٨/١٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥٠٠/١٦

وقصص الأمم المؤمنة والكافرة لم يذكره وهو القسم الثاني من أقسام معاني القرآن كما لم يذكر أمره ونهيه . وإن جعل هذه من مفعولاته فمعلوم أن **معرفة الوعد والوعيد والقصص** المطلوب فيها الإيمان باليوم الآخر وجزاء الأعمال." (١)

"بعينه قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره ابن بطال أيضا قال : وقيل معناه إن الله يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها ويكون منتهى التضعيف إلى مقدار ثلث ما يستحق من الأجر على قراءة القرآن من دون تضعيف أجر قال : وفي بعض روايات هذا الحديث ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الناس وقال : سأقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ﴾ . قال المازري : وهذه الرواية تقدح في تأويل من جعل ذلك لشخص بعينه . قال القاضي عياض : قال بعضهم قال الله تعالى ﴿ الر ﴾ ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ ثم بين التفصيل فقال ﴿ ألا تعبدوا إلا الله ﴾ فهذا فصل الألوهية ثم قال ﴿ إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ وهذا فصل النبوة ثم قال : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ فهذا فصل التكليف وما وراءه **من الوعد والوعيد وعامة** أجزاء القرآن مما فيه من القصص فمن فصل النبوة لأنها من أدلتها وفهمها أيضا وهذا يدل على أن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ جمعت الفصل الأول . قلت : مضمون هذا القول أن معاني القرآن ثلاثة أصناف : الإلهيات والنبوات والشرائع . وأن هذه السورة منها الإلهيات وجعل صاحب هذا **القول الوعد والوعيد والقصص** من قسم." (٢)

"اللهم اغفر لي يتأول القرآن ﴾ فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ . قال ابن عيينة : السنة تأويل الأمر والنهي . وقال أبو عبيد لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في ﴿ نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصماء ﴾ قال : والفقهاء أعلم بالتأويل . يقول : هم أعلم بتأويل ما أمر الله به ؛ وما نهى عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها . وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج ؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام : يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التأويل فهو فعل المأمور به وترك المنهي عنه ليس هو من جنس الكلام . والنوع الثاني : الخبر كإخبار الرب عن نفسه تعالى بأسمائه وصفاته وإخباره عما ذكره لعباده **من الوعد والوعيد وهذا** هو التأويل المذكور في قوله : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ وهذا كقولهم : ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ ومثله قوله : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ وقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾." (٣)

"يبدو لكم وسوف تعلمون . وقال الحسن : لكل عمل جزاء ؛ فمن عمل عملا من الخير جوزي به في الجنة ومن عمل عمل سوء جوزي به في النار وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الأعمال قد وقع **عليها الوعد والوعيد**

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١١/١٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٢٣/١٧

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٦٩/١٧

فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر فبين المعنى ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ . وعن السدي قال : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ أي ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه وعن عطاء : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه " فإذا عمل ذنبه عاقبه أي لا يعاقب بالوعيد حتى يفعل الذنب الذي توعده عليه . ومنه قول كثير من السلف في آيات : هذه ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى أبو الأشهب عن الحسن والربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ الآية . فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار . فما." (١)

"وقد اشتهر عن عامة السلف **أن الوعد والوعيد من** المتشابه وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو وليس في القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله كما قال في الساعة : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ ﴿ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ . فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضي نفي العلم عن الراسخين لكانت : إن علم تأويله إلا عند الله لم يقرأ إن تأويله إلا عند الله فإن هذا حق بلا نزاع وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري . قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا." (٢)

"ذلك الكلام وكذلك الإنسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ﴾ وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ووادي محسر يعرف أنها المذكورة في قوله : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ . وكذلك الرؤيا قد يراها الرجل ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره : مثل أن يقول : هذا يدل على أنه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ وقال : ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتي التأويل والإنباء ليس

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٧١/١٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٠٨/١٧

هو التأويل فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن **من الوعد والوعيد وإن** كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ لكل نبإ مستقر ﴾." (١)

"الوجه العشرون : أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب في العلوم والأعمال بالكلم الطيب والعمل الصالح بالهدى ودين الحق وذلك بالأمور الموجودة في العقائد والأعمال فأمرهم في الاعتقادات بالاعتقادات المفصلة في أسماء الله وصفاته : وسائر ما يحتاج إليه **من الوعد والوعيد وفي** الأعمال بالعبادات المتنوعة من أصناف العبادات الباطنة والظاهرة . وأما في النفي فجاءت بالنفي المجمل والنهي عما يضر المأمور به فالكتب الإلهية وشرائع الرسل ممتلئة من الإثبات فيما يعلم ويعمل . وأما المعطلة من المتفلسفة ونحوهم : فيغلب عليهم النفي والنهي ؛ فإنهم في عقائدهم الغالب عليهم السلب : ليس بكذا ليس بكذا ليس بكذا . . وفي الأفعال الغالب عليهم الذم والترك : من الزهد الفاسد والورع الفاسد : لا يفعل لا يفعل لا يفعل . . من غير أن يأتوا بأعمال صالحة يعملها الرجل تنفعه وتمنع ما يضره من الأعمال الفاسدة ؛ ولهذا كان غالب من سلك طرائقهم بطالا متعطلا معطلا في عقائده وأعماله .." (٢)

"مسائل الأصول : أو أصول الدين ؛ أو أصول الكلام ؛ يقع فيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس . وقد قررنا أيضا ما دل عليه الكتاب والسنة فيها وفي غيرها من الفرق بين المؤمن باطنا وظاهرا ؛ وبين المنافق الزنديق المؤمن ظاهرا لا باطنا وأن المؤمنين قد عفي لهم عن الخطأ والنسيان ثم غالب الخلاف المتباين فيها يعود الحق فيه إلى القول الوسط في مسائل التوحيد والصفات ؛ ومسائل القدر والعدل ؛ ومسائل الأسماء والأحكام ؛ ومسائل الإيمان والإسلام . **ومسائل الوعد والوعيد** ؛ ومسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الأمراء ومذاهبهم أو موافقتهم على طاعة الله ؛ فأمرهم ونهيهم بحسب الإمكان والامتناع عن الخروج والفتن . وأمثال هذه الأهواء . وأيضا فعمدة القياس في مسألة الترتيب والموالاة إنما هو قياس ذلك على الصلاة ؛ فإن الصلاة يجب فيها الترتيب ؛ فلا يجوز تقديم السجود على الركوع . وتجب فيها الموالاة ؛ فلا يفرق بين أبعاضها بما ينافيها ؛ والصلاة مع هذا عبادة واحدة متصلة الأجزاء ؛ ليس بين أجزائها فصل أصلا حتى يمكن في ذلك المتابعة أو التفريق ثم مع ذلك إذا فرق بينهما لعذر كالعمل الكثير لضرورة كما في حديث ابن عمر : ﴿ أن الطائفة الأولى بعد صلاة ركعة تذهب وجاه العدو ؛ فإذا صلت الثانية الركعة الثانية ذهبت أيضا إلى وجاه العدو ثم رجعت." (٣)

"بالله شيئا ﴾ . وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها . وهو سبحانه **علق الوعد والوعيد والثواب** والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة . ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٢٧/١٧
(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٢٦/٢٠
(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٤٢/٢١

الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوائب . قال تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ أي بدلا عن الرحمن . هذا أصح القولين كقوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ أي لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة * * * مبردة باتت على الطهيان

أي بدلا من ماء زمزم . فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله . قال تعالى : ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ﴾ ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ .." (١)

"فصل : (*)

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين ؛ فإن رسالة الله : إما إخبار وإما إنشاء . فالإخبار عن نفسه وعن خلقه : مثل التوحيد والقصص الذي يندرج **فيه الوعد والوعيد** . والإنشاء الأمر والنهي والإباحة . وهذا كما ذكر في أن : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن ؛ لتضمنها ثلث التوحيد ؛ إذ هو قصص ؛ وتوحيد ؛ وأمر . وقوله سبحانه في صفة نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ هو بيان لكمال رسالته ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر ؛ وأحل كل طيب وحرم كل خبيث ؛ ولهذا روي عنه أنه قال : ﴿ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ﴾ . وقال في الحديث المتفق عليه : ﴿ مثلي ومثل الأنبياء كمثل." (٢)

"ثم قال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾ ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ إلى تمام ما ذكره من أمر الجنة والنار . وكذلك في سورة ن والقلم ؛ ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حق أموالهم وما عاقبهم به ثم قال : ﴿كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ . كذلك في " سورة التغابن " قال : ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ﴾ ثم قال : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾ . وكذلك في سورة " ق " ذكر حال المخالفين للرسل ؛ **وذكر الوعد والوعيد في** الآخرة . وكذلك في " سورة القمر " ذكر هذا وهذا . كذلك في " آل حم " مثل حم غافر ؛ والسجدة ؛ والزخرف ؛ والدخان وغير ذلك . إلى غير ذلك مما لا يحصى . فإن التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل ؛ كما في صحيح." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٤١/٢٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٢١/٢٨

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٤١/٢٨

"القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له . وقد بسطت هذه القاعدة في " قاعدة التكفير " . ولهذا لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بكفر الذي قال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم ذروني في اليم فوالله لأن قدر الله علي ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين مع شكه في قدرة الله وإعادته ؛ ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة ؛ فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة . وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك فيطلق أن هذا القول كفر ويكفر متى قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ؛ دون غيره . والله أعلم ؟ .

ما تقول الفقهاء أئمة الدين :

في هؤلاء التتار الذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمائة وفعلوا ما اشتهر من قتل المسلمين وسبي بعض الذراري والنهب لمن وجدوه من المسلمين وهتكوا حرمات الدين من إذلال المسلمين وإهانة المساجد لا سيما " بيت المقدس " وأفسدوا فيه." (١)

"التكفير أو اخترت فعل المنذور : هل يتعين بالقول ؟ أو لا يتعين إلا بالفعل ؟ إن كان التخيير بين الوجوبين تعين بالقول كما في التخيير بين الإنشاء وبين الطلاق والعتق وإن كان بين الفعلين لم يتعين إلا بالفعل كالتخيير بين خصال الكفارة وإن كان بين الفعل والحكم كما في قوله : إن فعلت كذا فعبدي حر أو امرأتي طالق أو دمي هدر أو مالي صدقة أو بدنتي هدي : تعين الحكم بالقول ولم يتعين الفعل إلا بالفعل . والله أعلم .

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – :

فصل :

جليل القدر اليمين المتضمنة حضا أو منعا لنفسه كقوله ؛ لأفعلن ولا أفعل . فيها معنى الطلب والخبر ؛ **وكذلك الوعد والوعيد بخلاف** الخبر المحض كقوله ﴿ والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا ﴾ أو والله ليقدمن الركب . فإن هذا إخبار محض بأمر سيكون كما يخبر عن الماضي بمثل ذلك ؛ وبخلاف الطلب المحض ؛ كقوله لغيره : افعل أو بالله افعل ونحو ذلك . إذا لم يكن منه إلا مجرد الطلب وهو لا يدري أيطيعه أم يعصيه ؛ ولهذا لا يحسن الاستثناء في هذا الضرب ولا كفارة فيه لعدم المخالفة." (٢)

"من تركه . وهذا معنى كلام أحمد في . . . (١) ومن أصحابنا من أوجبه كما أن المرجئة تحظره ومن الناس من قد يرى تركه أحسن . فالإقسام فيه : إما واجب أو مستحب أو ممنوع . حظرا أو كراهة أو مسنونا أو مستوي الحالتين . وبهذا الذي ذكرناه في اليمين يظهر **معنى الوعد والوعيد من** جواز نسخ ذلك أو الخلف فيه ؛ فإن من رآهما خبرا : قال النسخ يقتضي الكذب والآخر يقول هو خبر متضمن معنى الطلب . فإذا قال : إن فعلت هذا ضربتك . تضمن إني مريد الساعة

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥٠١/٢٨

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٠٧/٣٥

لضربك إذا فعلته ومخبرك به ؛ فليس هو خبرا محضا فيكون النسخ عائدا إلى ما فيه من الطلب تغليبا للطلب على الخبر كما أنه في باب المشيئة والكفارة غلب الخبر على الطلب ؛ لأن الكلام إذا تضمن معنيان فقد يغلب أحدهما بحسب الضمائم ؛ ولهذا فرق في الخلف **بين الوعد والوعيد لأن** الواعد لما تضمن كلامه طلب الخبر الموعود به من نفسه في معرض المقابلة صار ذلك بمنزلة التزامه الأعواض من العقود ؛ فإنه أمر وجب لغيره عليه فلا يجوز إبطاله والمتوعد تضمن كلامه طلب الشر المتوعد به في معرض المقابلة بمنزلة إلزامه لغيره عوضا إذا بذل هو ما يجب عليه وما وجب له على الغير فله التزامه وله ترك التزامه .." (١)

"فقولك : بعتك هذا بألف . في معنى المواعد بالألف عند حصول المبيع وفي معنى المطالب بالمبيع عند بذل الألف . فمطالبته بالوعيد الذي هو العقوبة ليس بأحسن حالا من مطالبته بسائر الحقوق الواجبة له على سبيل المقابلة ؛ فإن أخذ الحقوق من الناس فيها شوب الألم فلا يخلص من نوع عقوبة وإن لم تسم بها فإنما الغرض تمثيل هذا بهذا فيما يجب للمتكلم وما يجب عليه فإذا **كان الوعد والوعيد وإن** تضمنا خبرا فهما متضمنين طلبا صيرهما ذلك بمنزلة الإنشاء الذي وإن كان صيغته صيغة الخبر عن الماضي فهو إنشاء لأمر حاضر . وهذان وإن كان لفظهما لفظ الخبر عن المستقبل فهما إنشاء للإرادة والطلب فإذا كان وعد وجب فسمي خلفه كذبا كما قال لمن قال : ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ﴾ ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ وإذا كان وعيدا لم يجب إنفاذه لتضمنه معنى بيان الاستحقاق . وعلى هذا فيجوز نسخ الوعيد كما ذكره السلف في قوله : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ وأما الوعد بعد الاستحقاق فلا يجوز نسخه لأنه موجب المشروط . وأما قبل العمل فيتوجه جواز نسخه كفسخ التعليقات الجائزة غير اللازمة من الجعالة ونحوها ؛ فإنه إذا قال : من رد عبدي الآبق فله درهم . فله فسخ ذلك قبل العمل . والفسخ كالنسخ . هذا فسخ لإنشاءات هي العقود المتضمنة التزام إرادة له أو عليه وهذا فسخ لطلب أيضا . وكما أن المتصور في الفسخ أنه رفع الحكم الذي هو الطلب أو الإذن." (٢)

"فالفسخ رفع الحكم الذي هو الإرادة أو الإباحة **وكذلك الوعد والوعيد رفع** الحكم الذي هو إرادة الإعطاء أو الإباحة . فهذا كله إنما كان لأن من الكلام ما تضمن معنى الطلب والخبر وهو الأيمان والنذور والوعد والوعيد والعقود . فهذا " القسم الثالث " المركب هو الذي اضطرب الناس في أحكامه ولهذا قسم بعضهم الكلام إلى خبر وإنشاء ليكون الإنشاء أعم من الطلب ؛ لأنه ينشئ طلبا وإذنا وما ثم غير الطلب والإذن ؛ لأنه إما أن يطلب من نفسه أو من غيره وجودا أو عدما . وقد يقال : الإذن يتضمن معنى الطلب ؛ لأنه طلب من نفسه تمكين المأذون له كما أن الالتزام متضمن معنى الطلب لأنه جعل على نفسه حقا يطلبه المستحق وجوبا وهناك جعله له مباحا . فهذا هذا . والله أعلم : فيعود الأمر إلى طلب أو خبر ؛ أو مركب منهما . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .

فصل :

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣١٣/٣٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣١٤/٣٥

وبما قدمناه من الأصل تظهر مسألة " الاستثناء في الظهار " فإن قوله أنت علي حرام . وأنت علي كظهر أمي . قال أحمد : يصح فيه الاستثناء ؛ لأن موجبه الكفارة إذا حنث بالعود . وأصل أحمد : أن كل ما شرعت فيه الكفارة شرع فيه اليمين وإلا فلا .." (١)

"وقال – رحمه الله – في الخوارج والرافضة ونحوهم ممن وقع في بعض المكفرات: (وأما تكفيرهم وتخليدهم: ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران: وهما روايتان عن أحمد، والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم. والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا، وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع ؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه، فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له). "الفتاوى" (٢٨/٥٠٠-٥٠١).." (٢)

"الثاني : أن يقال : هذا الدعاء استجيب له فى جملة الأمة، ولا يلزم من ذلك ثبوته لكل فرد، وكلا الأمرين صحيح؛ فإن ثبوت هذا المطلوب لجملة الأمة حاصل، ولولا ذلك لأهلكوا بعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : (سألت ربى لأمتى ثلاثا فأعطانى اثنتين، ومنعنى واحدة : سألته ألا يهلك أمتى بسنة عامة فأعطانيها، وسألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم، فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها، وقال : يا محمد،إنى إذا قضيت قضاء لم يرد) .

وكذلك فى الصحيحين : لما نزل قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بوجهك) . ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : (أعوذ بوجهك) ﴿ أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ [الأنعام : ٦٥] قال : (هاتان أهون) . وهذا لأنه لا بد أن تقع الذنوب من هذه الأمة، ولابد أن يختلفوا؛ فإن هذا من لوازم الطبع البشرى، ولا يمكن أن يكون بنو آدم إلا كذلك؛ ولهذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف والقتال والذنوب دليلا على نقصها، بل هي أفضل الأمم، وهذا الواقع بينهم من لوازم البشرية، وهو فى غيرها أكثر وأعظم، وخير غيرها أقل والخير فيها أكثر، والشر فيها أقل، فكل خير فى غيرها فهو فيها أعظم، وكل شر فيها فهو فى غيرها أعظم .

وأما حصول المطلوب للآحاد منها فلا يلزم حصوله لكل عاص؛ لأنه لم يقم بالواجب، ولكن قد يحصل للعاصى من ذلك بحسب ما معه من طاعة الله تعالى، وأما حصول المغفرة والعفو والرحمة بحسب الإيمان والطاعة فظاهر؛ لأن هذا من الأحكام القدرية الخلقية من جنس الوعد والوعيد، وهذا يتنوع بتنوع الإيمان والعمل الصالح .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣١٥/٣٥

(٢) مفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأهل الإفراط والتفريط، ص/١٦٥

(٣) مفهوم الابتلاء عند ابن تيمية رحمه الله، ص/١٠٢

"كذلك في [سورة الحاقة] ذكر قصص الأمم، كثمود وعاد وفرعون ثم قال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾ [الحاقة : ١٣] ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ [الحاقة : ١٤] إلى تمام ما ذكره من أمر الجنة والنار . وكذلك في سورة [ن والقلم] ، ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حق أموالهم وما عاقبهم به ثم قال : ﴿ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ [القلم : ٣٣] . كذلك في [سورة التغابن] قال : ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ [التغابن : ٥] ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ﴾ [التغابن : ٦] ثم قال : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾ [التغابن : ٧] .

وكذلك في سورة [ق] ذكر حال المخالفين للرسل، **وذكر الوعد والوعيد في** الآخرة . وكذلك في [سورة القمر] ذكر هذا وهذا . كذلك في [آل حم] مثل حم غافر، والسجدة، والزخرف، والدخان وغير ذلك . إلى غير ذلك مما لا يحصى . فإن التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل، كما في صحيح البخاري عن يوسف بن ماهك قال : (إني عند عائشة أم المؤمنين إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك وما يضرك ؟ قال : يا أم المؤمنين أريني مصحفك . قالت : لم ؟ قال : لعلي أؤلف القرآن عليه . فإنه يقرأ غير مؤلف قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من الم." (١)

"ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد، إما لقوله بالإرجاء، وإما لظنه أن ذلك لمصالح الناس في الدنيا إقامة للعدل، كما يقول : ذلك من يقوله من المتفلسفة، فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل إلا ما يحبه هو ويبغضه، فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله، وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه، وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي؛ الذين يرون رأي جهم والأشعري ونحوهما في القدر، تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة إلا إلى محض أهوائهم وإرادتهم، وهو الفرق الطبيعي .

ومن كان منهم مؤمنا بالوعد فإنه قد يفعل الواجبات، ويترك المحرمات لكن لأجل ما قرن بهما من الأمور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ، ونكاح، وهؤلاء ينكرون محبة الله، والتلذذ بالنظر إليه، وعندهم إذا قيل : إن/ العباد يتلذذون بالنظر إليه فمعناه أنهم عند النظر يخلق لهم من اللذات بالمخلوقات ما يتلذذون به، لا أن نفس النظر إلى الله يوجب لذة، وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية . وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من إشراك التوحيد، الذي يسميه هؤلاء النفاة توحيدا، لا من أسرار التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، فإن المحبة لا تكون إلا لمعنى في المحبوب يحبه المحب، وليس عندهم في الموجودات شيء يحبه الرب إلا بمعنى يريده، وهو مريد لكل الحوادث، ولا في الرب عندهم معني يحبه العبد، وإنما يحب العبد ما يشتهيه، وإنما يشتهي الأمور الطبيعية الموافقة لطبعه، ولا يوافق طبعه عندهم إلا اللذات البدنية كالأكل والشرب والنكاح .." (٢)

---

(١) مفهوم الابتلاء عند ابن تيمية رحمه الله، ص/٢٣٠

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ٤٥٥/١

"حزبا من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الطبيعي، وقالوا : ما ثم فرق إلا الفرق الطبيعي، ليس هنا فرق يرجع إلى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا .

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد، إما لقوله بالإرجاء، وإما لظنه أن ذلك لمصالح الناس في الدنيا إقامة للعدل، كما يقول : ذلك من يقوله من المتفلسفة، فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل إلا ما يحبه هو ويبغضه، فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله، وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه، وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي؛ الذين يرون رأي جهم والأشعري ونحوهما في القدر، تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة إلا إلى محض أهوائهم وإرادتهم، وهو الفرق الطبيعي .

ومن كان منهم مؤمنا بالوعد فإنه قد يفعل الواجبات، ويترك المحرمات لكن لأجل ما قرن بهما من الأمور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ، ونكاح، وهؤلاء ينكرون محبة الله، والتلذذ بالنظر إليه، وعندهم إذا قيل : إن/ العباد يتلذذون بالنظر إليه فمعناه أنهم عند النظر يخلق لهم من اللذات بالمخلوقات ما يتلذذون به، لا أن نفس النظر إلى الله يوجب لذة، وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية . وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من إشراك التوحيد، الذي يسميه هؤلاء النفاة توحيدا، لا من أسرار التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، فإن المحبة لا تكون إلا لمعنى في المحبوب يحبه المحب، وليس عندهم في الموجودات شيء يحبه الرب إلا بمعنى يريده، وهو مريد لكل الحوادث، ولا في الرب عندهم معني يحبه العبد، وإنما يحب العبد ما يشتهيه، وإنما يشتهي الأمور الطبيعية الموافقة لطبعه، ولا يوافق طبعه عندهم إلا اللذات البدنية كالأكل والشرب والنكاح .." (١)

"فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الأعمال وإن كان صالحا كسؤاله الوسيلة للرسول فكيف بما لم يأمر به من الأعمال بل نهى عنه ؟ فذاك لا ينال به خيرا لا في الدنيا ولا في الآخرة مثل غلو النصارى في المسيح عليه السلام فإنه يضرهم ولا ينفعهم . ونظير هذا ما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا ﴾ . وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها . وهو سبحانه **علق الوعد والوعيد والثواب** والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة . ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوائب .." (٢)

"فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الأعمال وإن كان صالحا كسؤاله الوسيلة للرسول فكيف بما لم يأمر به من الأعمال بل نهى عنه ؟ فذاك لا ينال به خيرا لا في الدنيا ولا في الآخرة مثل غلو النصارى في المسيح عليه السلام فإنه يضرهم ولا ينفعهم . ونظير هذا ما في الصحيحين عنه صلى الله عليه

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله، ١/٢٠٧

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ١/٣٠٦

وسلم أنه قال : ﴿ إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا ﴾ . وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها . وهو سبحانه **علق الوعد والوعيد والثواب** والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة . ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوائب .." (١)

"فصل وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص **في الوعد والوعيد فهو** أعظم ضلالا وافتراء على الله ومخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف وقد رويت في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه أبو داود والترمذي ولكن طائفة من أئمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك وهذا مبسوط في موضعه . والمقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته وقدرته وخلقه .." (٢)

"ص -١٢١- فصل

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين، فإن رسالة الله : إما إخبار وإما إنشاء . فالإخبار عن نفسه وعن خلقه : مثل التوحيد والقصص الذي يندرج **فيه الوعد والوعيد** .

والإنشاء الأمر والنهي والإباحة . وهذا كما ذكر في أن : ﴿قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] تعدل ثلث القرآن، لتضمنها ثلث التوحيد، إذ هو قصص، وتوحيد، وأمر . وقوله سبحانه في صفة نبينا صلى الله عليه وسلم : ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث ﴾ هو بيان لكمال رسالته، فإنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، ولهذا روي عنه أنه قال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

وقال في الحديث المتفق عليه : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل." (٣)

"ص -١٤٢- مسائل الأصول، أو أصول الدين، أو أصول الكلام، يقع فيها اتباع الظن وما تهوي الأنفس . وقد قررنا أيضا ما دل عليه الكتاب والسنة فيها وفي غيرها من الفرق بين المؤمن باطنا وظاهرا؛ وبين المنافق الزنديق المؤمن ظاهرا

---

(١) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ٢٠/٢

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ١٩٠/٣

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/

لا باطنا . وأن المؤمنين قد عفي لهم عن الخطأ والنسيان، ثم غالب الخلاف المتباين فيها يعود الحق فيه إلى القول الوسط في مسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والعدل، ومسائل الأسماء والأحكام، ومسائل الإيمان والإسلام، ومسائل الوعد والوعيد، ومسائل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والخروج على الأمراء ومذاهبهم، أو موافقتهم على طاعة الله، فأمرهم ونهيهم بحسب الإمكان والامتناع عن الخروج والفتن . وأمثال هذه الأهواء .

وأيضا، فعمدة القياس في مسألة الترتيب والموالاة إنما هو قياس ذلك على الصلاة، فإن الصلاة يجب فيها الترتيب، فلا يجوز تقديم السجود على الركوع . وتجب فيها الموالاة، فلا يفرق بين أبعاضها بما ينافيها . والصلاة مع هذا عبادة واحدة متصلة الأجزاء، ليس بين أجزائها فصل أصلا حتى يمكن في ذلك المتابعة أو التفريق، ثم مع ذلك إذا فرق بينهما لعذر كالعمل الكثير لضرورة كما في حديث ابن عمر : " أن الطائفة الأولى بعد صلاة ركعة تذهب وجاه العدو، فإذا صلت الثانية الركعة الثانية، ذهبت أيضا إلى وجاه العدو، ثم رجعت." (١)

"ص -١٤١- ثم قال تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾ [الحاقة : ١٣] ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ [الحاقة : ١٤] إلى تمام ما ذكره من أمر الجنة والنار . وكذلك في سورة [ن والقلم] ، ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حق أموالهم وما عاقبهم به ثم قال : ﴿كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ [القلم : ٣٣] . كذلك في [سورة التغابن] قال : ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ [التغابن : ٥] ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ﴾ [التغابن : ٦] ثم قال : ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾ [التغابن : ٧] .

وكذلك في سورة [ق] ذكر حال المخالفين للرسل، **وذكر الوعد والوعيد في** الآخرة . وكذلك في [سورة القمر] ذكر هذا وهذا . كذلك في [آل حم] مثل حم غافر، والسجدة، والزخرف، والدخان وغير ذلك . إلى غير ذلك مما لا يحصى . فإن التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل، كما في صحيح." (٢)

"ص -٥٠١- القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله فى ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذى لا معارض له، وقد بسطت هذه القاعدة فى " قاعدة التكفير " .

ولهذا لم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم بكفر الذى قال : إذا أنا مت فأحرقونى، ثم ذرونى فى اليم، فوالله لأن قدر الله على ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، مع شكه فى قدرة الله وإعادته؛ ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة؛ فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة . وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك، فيطلق أن هذا القول كفر، ويكفر من قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها، دون غيره . والله أعلم .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/

"ص -١٢٦- الوجه العشرون

أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب في العلوم والأعمال بالكلم الطيب والعمل الصالح بالهدى ودين الحق وذلك بالأمور الموجودة في العقائد والأعمال فأمرهم في الاعتقادات بالاعتقادات المفصلة في أسماء الله وصفاته : وسائر ما يحتاج إليه من الوعد والوعيد وفي الأعمال بالعبادات المتنوعة من أصناف العبادات الباطنة والظاهرة . وأما في النفي فجاءت بالنفي المجمل والنهي عما يضر المأمور به فالكتب الإلهية وشرائع الرسل ممتلئة من الإثبات فيما يعلم ويعمل . وأما المعطلة من المتفلسفة ونحوهم : فيغلب عليهم النفي والنهي، فإنهم في عقائدهم الغالب عليهم السلب : ليس بكذا ليس بكذا ليس بكذا؛ وفي الأفعال الغالب عليهم الذم والترك : من الزهد الفاسد والورع الفاسد : لا يفعل لا يفعل لا يفعل من غير أن يأتوا بأعمال صالحة يعملها الرجل تنفعه وتمنع ما يضره من الأعمال الفاسدة، ولهذا كان غالب من سلك طرائقهم بطالا متعطلا معطلا في عقائده وأعماله .." (١)

"ص -٣٠٧- التكفير، أو اخترت فعل المنذور : هل يتعين بالقول ؟ أو لا يتعين إلا بالفعل ؟ إن كان التخيير بين الوجوبين تعين بالقول، كما في التخيير بين الإنشاء وبين الطلاق والعتق، وإن كان بين الفعلين لم يتعين إلا بالفعل كالتخيير بين خصال الكفارة، وإن كان بين الفعل والحكم كما في قوله : إن فعلت كذا فعبدي حر، أو امرأتي طالق، أو دمي هدر، أو مالي صدقة، أو بدنتي هدي، تعين الحكم بالقول ولم يتعين الفعل إلا بالفعل . والله أعلم .

فصل جليل القدر

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

اليمين المتضمنة حضا أو منعا لنفسه كقوله؛ لأفعلن، ولا أفعل . فيها معني الطلب والخبر، وكذلك الوعد والوعيد، بخلاف الخبر المحض كقوله : " والذي نفسي بيده، لينزلن فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا " ، أو : والله ليقدمن الركب . فإن هذا إخبار محض بأمر سيكون، كما يخبر عن الماضي بمثل ذلك، وبخلاف الطلب المحض، كقوله لغيره : افعل، أو بالله افعل، ونحو ذلك، إذا لم يكن منه إلا مجرد الطلب وهو لا يدري أيطيعه أم يعصيه؛ ولهذا لا يحسن الاستثناء في هذا الضرب، ولا كفارة فيه لعدم المخالفة." (٢)

"ص -٣١٣- من تركه، وهذا معني كلام أحمد في ومن أصحابنا من أوجبه كما أن المرجئة تحظره، ومن الناس من قد يري تركه أحسن . فالأقسام فيه : إما واجب، أو مستحب، أو ممنوع . حظرا، أو كراهة، أو مسنونا، أو مستوي الحالتين .

وبهذا الذي ذكرناه في اليمين يظهر معني الوعد والوعيد من جواز نسخ ذلك أو الخلف فيه؛ فإن من رآهما خبرا قال : النسخ يقتضي الكذب، والآخر يقول : هو خبر متضمن معني الطلب . فإذا قال : إن فعلت هذا ضربتك، تضمن أني مريد الساعة لضربك إذا فعلته، ومخبرك به، فليس هو خبرا محضا فيكون النسخ عائدا إلي ما فيه من الطلب تغليبا للطلب

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٤/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٨/

علي الخبر كما أنه في باب المشيئة والكفارة غلب الخبر علي الطلب؛ لأن الكلام إذا تضمن معنيان فقد يغلب أحدهما بحسب الضمائم؛ ولهذا فرق في الخلف بين الوعد والوعيد؛ لأن الواعد لما تضمن كلامه طلب الخبر الموعود به من نفسه في معرض المقابلة صار ذلك بمنزلة التزامه الأعواض من العقود؛ فإنه أمر وجب لغيره عليه فلا يجوز إبطاله، والمتوعد تضمن كلامه طلب الشر المتوعد به في معرض المقابلة، بمنزلة إلزامه لغيره عوضا إذا بذل هو ما يجب عليه، وما وجب له علي الغير فله التزامه وله ترك التزامه .." (١)

"ص -٣١٤- فقولك : بعتك هذا بألف، في معني المواعد بالألف عند حصول المبيع وفي معني المطالب بالمبيع عند بذل الألف، فمطالبته بالوعيد الذي هو العقوبة ليس بأحسن حالا من مطالبته بسائر الحقوق الواجبة له علي سبيل المقابلة؛ فإن أخذ الحقوق من الناس فيها شوب الألم، فلا يخلص من نوع عقوبة وإن لم تسم بها، فإنما الغرض تمثيل هذا بهذا فيما يجب للمتكلم وما يجب عليه، فإذا كان الوعد والوعيد وإن تضمنا خبرا فهما متضمنين طلبا صيرهما ذلك بمنزلة الإنشاء الذي وإن كان صيغته صيغة الخبر عن الماضي فهو إنشاء لأمر حاضر . وهذان وإن كان لفظهما لفظ الخبر عن المستقبل فهما إنشاء للإرادة والطلب، فإذا كان وعد وجب فسمي خلفه كذبا، كما قال لمن قال : ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ﴾ إلي قوله : ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ [الحشر : ١١] ، وإذا كان وعيدا لم يجب إنفاذه لتضمنه معني بيان الاستحقاق .

وعلي هذا فيجوز نسخ الوعيد، كما ذكره السلف في قوله : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، وأما الوعد بعد الاستحقاق فلا يجوز نسخه؛ لأنه موجب المشروط . وأما قبل العمل فيتوجه جواز نسخه، كفسخ التعليقات الجائزة غير اللازمة من الجعالة ونحوها؛ فإنه إذا قال : من رد عبدي الآبق فله درهم، فله فسخ ذلك قبل العمل . والفسخ كالنسخ . هذا فسخ لإنشاءات هي العقود المتضمنة التزام إرادة له أو عليه، وهذا فسخ لطلب أيضا . وكما أن المنصور في الفسخ أنه رفع الحكم الذي هو الطلب أو الإذن." (٢)

"ص -٣١٥- فالفسخ رفع الحكم الذي هو الإرادة أو الإباحة، وكذلك الوعد والوعيد رفع الحكم الذي هو إرادة الإعطاء أو الإباحة .

فهذا كله إنما كان لأن من الكلام ما تضمن معني الطلب والخبر، وهو الأيمان والنذور، والوعد والوعيد، والعقود، فهذا القسم الثالث المركب هو الذي اضطرب الناس في أحكامه؛ ولهذا قسم بعضهم الكلام إلي خبر وإنشاء؛ ليكون الإنشاء أعم من الطلب؛ لأنه ينشئ طلبا وإذنا وما ثم غير الطلب والإذن؛ لأنه إما أن يطلب من نفسه أو من غيره وجودا أو عدما . وقد يقال : الإذن يتضمن معني الطلب؛ لأنه طلب من نفسه تمكين المأذون له، كما أن الالتزام متضمن معني الطلب؛ لأنه جعل علي نفسه حقا يطلبه المستحق وجوبا، وهناك جعله له مباحا، فهذا هذا، والله أعلم، فيعود الأمر إلي طلب أو خبر، أو مركب منهما، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٧٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٧٥

فصل

وبما قدمناه من الأصل تظهر مسألة الاستثناء في الظهار، فإن قوله : أنت علي حرام، وأنت علي كظهر أمي، قال أحمد : يصح فيه الاستثناء؛ لأن موجبه الكفارة إذا حنث بالعود . وأصل أحمد : أن كل ما شرعت فيه الكفارة شرع فيه اليمين وإلا فلا .." (١)

"ص –٤٤١– بالله شيئا " . وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها، إنما يشفع في أهل التوحيد، فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها .

وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته، فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة . ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم، وهو الذي يدفع عنهم المكاره، وهو الذي يقصدونه في النوائب، قال تعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ [النحل : ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ [الأنبياء : ٤٢] ، أي بدلا عن الرحمن . هذا أصح القولين، كقوله تعالى : ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ [الزخرف : ٦٠] ، أي : لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين، ومنه قول الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة

مبردة باتت على طهيان

أي بدلا من ماء زمزم . فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله، قال تعالى : ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ [الملك : ٢٠، ٢١] .." (٢)

"ص –٥٧– ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهي عنه، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما، ما لا يعلم بمجرد اللغة، ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر . إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به تعالى، من الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد، ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا، ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته، والإخبار عن الغائب لا يفهم أن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٧٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٣٠

الغائب، بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز، وإن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغائب." (١)

"ص -٢١٩- كلامه ؟ قال : لا . قال : فوجدت له حسا ومجسا ؟ قال : لا . قال : كذلك الله، لا يرى له وجه، و لا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان .

وساق الإمام أحمد الكلام في [القرآن] و[الرؤية] وغير ذلك، إلى أن قال : ثم إن الجهم ادعى أمرا، فقال : إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق، فقلنا : أي آية ؟ قال : قول الله : ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١] وعيسى مخلوق .

فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن؛ لأنه يسميه مولودا، وطفلا، وصبيا، وغلاما، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى في قول الله : ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ [النساء : ١٧١]،فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا .

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله وكلمته، إلا أن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى :." (٢)

"ص -٥٠٢- أهل القبلة فهذا لا نعرفه قولا لأحد . وبعده قول من يقول : ما ثم عذاب أصلا، وإنما هو تخويف لا حقيقة له، وهذا من أقوال الملاحدة والكفار .

وربما احتج بعضهم بقوله : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ [الزمر : ١٦] ، فيقال لهذا : التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف، فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف، لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له، كما توهم الصبي الصغير، ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين، لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف، وهذا شبيه بما تقول الملاحدة المتفلسفة والقرامطة ونحوهم : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن، وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة، وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له فإنما يعقل لمصلحتهم في الدنيا، إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة .

وهذا القول مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل، فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٢/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٥٠

ذلك، وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي، كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة، من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم . فإن البارع منهم في العلم." (١)

"ص -٣٤٤- أمران إضافيان، فربما نفع هذا ما ضر هذا . كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يعتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين :

حزبا من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الطبيعي، وقالوا : ما ثم فرق إلا الفرق الطبيعي، ليس هنا فرق يرجع إلى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا .

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد، إما لقوله بالإرجاء، وإما لظنه أن ذلك لمصالح الناس في الدنيا إقامة للعدل، كما يقول : ذلك من يقوله من المتفلسفة، فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل إلا ما يحبه هو ويبغضه، فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله، وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه، وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي؛ الذين يرون رأي جهم والأشعري ونحوهما في القدر، تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة إلا إلى محض أهوائهم وإرادتهم، وهو الفرق الطبيعي .

ومن كان منهم مؤمنا بالوعد فإنه قد يفعل الواجبات، ويترك المحرمات لكن لأجل ما قرن بهما من الأمور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ، ونكاح، وهؤلاء ينكرون محبة الله، والتلذذ بالنظر إليه، وعندهم إذا قيل : إن." (٢)

"ص -٤١٨- يسميه مولودا وطفلا وصبيا، وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري عليه الوعد والوعيد . ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ! .

ولكن المعنى في قول الله جل ثناؤه : ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ [النساء : ١٧١] ، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن، ولكن كان بكن، فالكن من الله قول، وليس الكن من الله مخلوقا .

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله، وكلمته، إلا أن الكلمة مخلوقة . وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله، وكلمة الله من ذات الله . كما يقال : إن هذه الخرقة من هذا الثوب . وقلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان . وليس عيسى هو الكلمة . وأما قول الله وروح منه . يقول : من أمره كان الروح فيه، كقوله : ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية : ١٣] . يقول : من أمره، و تفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال : عبد الله وسماء الله .

وبين أحمد أن كلام الآدميين مخلوق، فضلا عن أعمالهم فقال :." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٩/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٣/١٣٣

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/١٣٧

"ص -٤٥٢- الأصول كثيرة، مع مافي ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك .

فصل

وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده، ومن احتج بالقدر على ترك مأمور، أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد والوعيد، فهو أعظم ضلالا، وافتراء على الله، ومخالفة لدين الله من أولئك القدرية، فإن أولئك مشبهون بالمجوس، وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة، كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف، وقد رويت في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه أبو داود والترمذي، ولكن طائفة من أئمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك، وهذا مبسوط في موضعه .

والمقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله، يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته وقدرته وخلقه .." (١)

"ص -٥١٠- البحر . ياعبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه " . قال سعيد : كان أبو أدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه .

فذكر في أول هذا الحديث الإلهي، الذي قال فيه الإمام أحمد : هو أشرف حديث لأهل الشام، أنه حرم الظلم على نفسه . والتحريم ضد الإيجاب، وبين في القرآن أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا علي قول الطائفة الثانية المراد به مجرد خبره بمجرد الوعد والوعيد، وعلى قول الآخرين : بل هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم كما أخبر عن نفسه، فقال تعالى : ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم : ٤٧] ، فهو حق أحقه سبحانه على نفسه، لا أن أحدا من الخلق يوجب عليه حقا، ولا يحرم عليه شيئا .

وختم الحديث، بقوله : " إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه " ، كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفرلي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة " .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٦/١٤٠

"ص -٦٤٩- عبده شيئا . كما قال : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨]

فالوعيد : ينتفي عنه : إما بتوبة، وإما بحسنات يفعلها تكافئ سيئاته، وإما بمصائب يكفر الله بها خطاياه، وإما بغير ذلك، وكما أن أحاديث الوعيد تقدم وكذلك أحاديث الوعد . فقد يقول : لا إله إلا الله . ويجحد وجوب الصلاة، والزكاة، فهذا كافر يجب قتله، وقد يكون من أهل الكبائر المستوجبين للنار .

وهذه مسألة الوعد والوعيد من أكبر مسائل العلم . وقد بسطناها في مواضع، ولكن كتبنا هنا ما تسع الورقة .." (١)

"ص -٦٥٣- مستحق للخلود في النار لا يخرج منها، فهذه كلها أقوال باطلة، قد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع .

ولكن المؤمن المطلق في باب الوعد والوعيد،وهو المستحق لدخول الجنة بلا عقاب، هو المؤدي للفرائض،المجتنب المحارم،وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق،فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين،إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة . وهذا معنى قول من قال : أراد به نفي حقيقة الإيمان،أو نفي كمال الإيمان،فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب،فإن ترك الكمال المستحب لا يوجب الذم والوعيد، والفقهاء يقولون : الغسل ينقسم إلى : كامل،ومجزئ . ثم من عدل عن الغسل الكامل إلى المجزئ لم يكن مذموما .

فمن أراد بقوله : [نفي كمال الإيمان] أنه نفي الكمال المستحب، فقد غلط، وهو يشبه قول المرجئة، ولكن يقتضي نفي الكمال الواجب . وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله؛ مثل قوله : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ [الأنفال : ٢٤] ومثل الحديث المأثور : " لاإيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " ، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : " لا صلاة إلا بأم." (٢)

"ص -٤٦٨- ويجاهد عليه، ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوى، من عادة، أو مذهب، أو طريقة، أو رئاسة، أو سلف، ولا متبعين لظن؛ من حديث ضعيف، أو قياس فاسد ـ سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل ـ أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله، فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوي الأنفس، ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى .

فصل

إذا تبين ذلك، فاعلم أن [مسائل التكفير، والتفسيق] هي من مسائل [الأسماء والأحكام] التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله ـ سبحانه ـ أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان، قال الله تعالى:﴿إن الذين آمنوا والذين

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٥/١٩٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٠٠

هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقال تعالى – لما ذكر قول اليهود والنصارى –:." (١)

"ص –٤٦٩– ويجاهد عليه، ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوى، من عادة، أو مذهب، أو طريقة، أو رئاسة، أو سلف، ولا متبعين لظن؛ من حديث ضعيف، أو قياس فاسد سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله، فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوي الأنفس، ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى .

فصل

إذا تبين ذلك، فاعلم أن [مسائل التكفير، والتفسيق] هي من مسائل [الأسماء والأحكام] التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان، قال الله تعالى : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١] . فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام، وما فيه من الإثبات الباطل، ثم قال : ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٢] .." (٢)

"ص –٤٨٤– على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه، وفائدة الوعيد : بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب،والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه .

يبين هذا : أنه قد ثبت : أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الخمر، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها وساقيها، وبائعها ومبتاعها، وآكل ثمنها . وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمر : أن رجلا كان يكثر شرب الخمر، فلعنه رجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله " ، فنهى عن لعن هذا المعين، وهو مدمن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله، وقد لعن شارب الخمر على العموم .

فصل

إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر، والفاسق الملي وفي حكم الوعد والوعيد، والفرق بين المطلق والمعين، وما وقع في." (٣)

"ص –٢٨١– وإذا كان التأويل للكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة، وصار هذا بمنزلة قوله : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿إنما

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥١/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥٢/٢١١

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦٩/٢١١

علمها عند الله ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، وكذلك قوله : ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] ، فأخبر أنه ليس علمها إلا عند الله، وإنما هو علم وقتها المعين وحقيقتها، وإلا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به . فعلم تأويله كعلم الساعة، والساعة من تأويله . وهذا واضح بين، ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأحوالها ما علمناه، وأن نفسر النصوص المبينة لأحوالها، فهذا هذا .

وإن كان الضمير عائدا إلى ما تشابه، كما يقوله كثير من الناس؛ فلأن المخبر به **من الوعد والوعيد متشابه** بخلاف الأمر والنهي؛ ولهذا في الآثار : " العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه " . لأن المقصود في الخبر الإيمان، وذلك لأن المخبر به **من الوعد والوعيد فيه** من التشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهي؛ ولهذا قال بعض العلماء : المتشابه : الأمثال والوعد والوعيد، والمحكم : الأمر والنهي، فإنه متميز غير مشتبه بغيره، فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع، وأمور نتركها لابد أن نتصورها .." (١)

"ص -٢٩٥- الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه . وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا : إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات : تمر كما جاءت . ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه . ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير ذلك . وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات : تمر كما جاءت، وفي أحاديث الوعيد مثل قوله : " من غشنا فليس منا " وأحاديث الفضائل، ومقصوده بذلك : أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه، ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر .

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب [الرد على الزنادقة والجهمية] أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله . فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته .." (٢)

"ص -١٥١- إولهذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف والقتال والذنوب دليلا على نقصها، بل هي أفضل الأمم، وهذا الواقع بينهم من لوازم البشرية، وهو فى غيرها أكثر وأعظم، وخير غيرها أقل والخير فيها أكثر، والشر فيها أقل، فكل خير فى غيرها فهو فيها أعظم، وكل شر فيها فهو فى غيرها أعظم .

وأما حصول المطلوب للآحاد منها فلا يلزم حصوله لكل عاص؛ لأنه لم يقم بالواجب، ولكن قد يحصل للعاصى من ذلك بحسب ما معه من طاعة الله تعالى، وأما حصول المغفرة والعفو والرحمة بحسب الإيمان والطاعة فظاهر؛ لأن هذا من الأحكام

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/٢٢٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/٢٢٣

القدرية الخلقية من جنس الوعد والوعيد، وهذا يتنوع بتنوع الإيمان والعمل الصالح .
وأما دفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان، ودفع الآصار، فإن هذا قد يشكل لأنه من باب الأحكام الشرعية أحكام الأمر والنهى .

فيقال : الخطأ والنسيان المرفوع عن الأمة مرفوع عن عصاة الأمة؛فإن العاصى لا يأثم بالخطأ والنسيان؛ فإنه إذا أكل ناسيا أتم صومه، سواء كان مطيعا فى غير ذلك أو عاصيا، فهذا هو الذى يشكل، وعنه جوابان :
أحدهما : أن الذنوب والمعاصى قد تكون سببا لعدم العلم بالحنيفية." (١)

"ص -٤٩٨- لكلماته، وهو سبحانه لا مبدل لكلماته .
يبين ذلك قوله تعالى : ﴿ لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ [ق : ٢٨، ٢٩] ، فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم بالوعيد، وقال : ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضا وأن وعيده لا يبدل .
وهذا مما احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار . وقد تكلمنا عليهم فى غير هذا الموضع، لكن هذه الآية تضعف جواب من يقول : إن إخلاف الوعيد جائز : فإن قوله : ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ بعد قوله : ﴿ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ دليل على أن وعيده لا يبدل، كما لا يبدل وعده .
لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد، وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها، كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها، وقد قال تعالى : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ [الفتح : ١٥] ، والله أعلم .." (٢)

"ص -١١١- اللغوب : الإعياء والتعب . وكذلك قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، الإدراك عند السلف والأكثرين هو : الإحاطة . وقال طائفة : هو الرؤية، وهو ضعيف؛ لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه، فإن العدم لا يرى، وكل وصفيشترك فيه الوجود والعدم لايستلزم أمرا ثبوتيا، فلايكون فيه مدح؛ إذ هو عدم محض، بخلاف ما إذا قيل : لايحاط به، فإنهيدل على عظمة الرب جل جلاله، وإن العباد مع رؤيتهم له لايحيطون به رؤية، كما أنهم مع معرفته لايحيطون به علما، وكما أنهم مع مدحه والثناء عليه لايحيطون ثناء عليه، بل هو كما أثني على نفسه المقدسة؛ ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " . وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر .
والمقصود هنا الكلام على معنى كون : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، تعدل ثلث القرآن، وبيان أن الصواب القول الأول .
الوجه الثالث الذي يدل على فساد القول الثاني أن يقال : قول القائل : [معرفة أفعاله] ، إن أراد بذلك معرفة آياته الدالة عليه، فهذه من تمام معرفته، ويبقي معرفة وعده ووعيده، وقصص الأمم المؤمنة والكافرة لميذكره، وهو القسم الثاني من أقسام

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٤/٢٣٣
(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/٢٣٦

معاني القرآن، كما لميذكر أمره ونهيه . وإن جعل هذه من مفعولاته، فمعلوم أن **معرفة الوعد والوعيد والقصص** المطلوب فيها الإيمان باليوم الآخر وجزاء الأعمال،." (١)

"ص -١٢٣- بعينه قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره ابن بطال أيضا، قال : وقيل معناه : أن الله يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها ويكون منتهى التضعيف إلى مقدار ثلث مايستحق من الأجر على قراءة القرآن من دون تضعيف أجر . قال : وفي بعض روايات هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الناس، وقال : " سأقرأ عليكم ثلث القرآن " فقرأ : ﴿قل هو الله أحد ﴾ . قال المازري : وهذه الرواية تقدح في تأويل من جعل ذلك لشخص بعينه .

قال القاضي عياض : قال بعضهم : قال الله تعالى : ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] ، ثم بين التفصيل فقال : ﴿ألا تعبدوا إلا الله ﴾ [هود : ٢] ، فهذا فصل الألوهية، ثم قال : ﴿ألا تعبدوا إلا الله ﴾ [هود : ٢] ، وهذا فصل النبوة، ثم قال : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [هود : ٣] ، فهذا فصل التكليف، وما وراءه **من الوعد والوعيد وعامة** أجزاء القرآن مما فيه من القصص فمن فصل النبوة؛ لأنها من أدلتها وفهمها أيضا، وهذا يدل على أن ﴿قل هو الله أحد ﴾ جمعت الفصل الأول .

قلت : مضمون هذا القول، أن معاني القرآن ثلاثة أصناف : الإلهيات، والنبوات، والشرائع . وأن هذه السورة منها الإلهيات، وجعل صاحب هذا **القول الوعد والوعيد والقصص** من قسم." (٢)

"ص -٣٦٩- اللهم اغفر لى " يتأول القرآن . فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ [النصر : ٣] . قال ابن عيينة : السنة : تأويل الأمر والنهي . وقال أبو عبيد لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصماء قال : والفقهاء أعلم بالتأويل . يقول : هم أعلم بتأويل ما أمر الله به، وما نهي عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها، وأعيان الأفعال المحظورة التي نهي عنها .

وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التأويل فهو فعل المأمور به، وترك المنهي عنه، ليس هو من جنس الكلام .

والنوع الثاني : الخبر، كإخبار الرب عن نفسه تعالى بأسمائه وصفاته، وإخباره عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد، وهذا هو التأويل المذكور في قوله : ﴿لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [الأعراف : ٥٢، ٥٣] ، وهذا كقولهم : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ [يس : ٥٢] ، ومثله قوله : ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٠/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢٣/٢٣٨

﴾ [المرسلات : ٢٩] ، وقوله : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ﴾ [الملك : ٢٥ : ٢٧] ،." (١)

"ص -٣٧١- يبدو لكم، وسوف تعلمون . وقال الحسن : لكل عمل جزاء، فمن عمل عملا من الخير جوزى به في الجنة، ومن عمل عمل سوء جوزي به في النار، وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الأعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد، فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر، فبين المعنى، ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ .

وعن السدي قال : ﴿لكل نبإ مستقر ﴾ [الأنعام : ٦٧] أي : ميعاد وعدتكموه، فسيأتيكم حتى تعرفونه . وعن عطاء : ﴿لكل نبإ مستقر ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه، فإذا عمل ذنبه عاقبه، أي : لا يعاقب بالوعيد، حتى يفعل الذنب الذي توعده عليه . ومنه قول كثير من السلف في آيات : هذه ذهب تأويلها، وهذه لم يأت تأويلها، مثل ما روى أبو الأشهب، عن الحسن والربيع، عن أبي العالية؛ أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ الآية [المائدة : ١٠٥] ، فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل، فمنه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه أي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه أي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، ومنه أي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه أي يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه أي يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت." (٢)

"ص -٤٠٨- وقد اشتهر عن عامة السلف **أن الوعد والوعيد من** المتشابه، وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به، وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو، وليس في القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله، كما قال في الساعة : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ [الأعراف : ١٨٧، ١٨٨] ، وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : ٥١، ٥٢] .

فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضى نفي العلم عن الراسخين لكانت : إن علم تأويله إلا عند الله، لم يقرأ : إن تأويله إلا عند الله، فإن هذا حق بلا نزاع . وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس، فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه، وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري . قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٧٥/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٧٧/٢٣٨

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤١٤/٢٣٨

"ص -٤٢٧- الكلام، وكذلك الإنسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك، ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها، فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ولله على الناس حج البيت ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله : ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ﴾ [البقرة : ١٩٨] ، وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة، ووادى محسر، يعرف أنها المذكورة في قوله : ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٨] .

وكذلك الرؤيا قد يراها الرجل، ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره، مثل أن يقول : هذا يدل على أنه كان كذا، ويكون كذا وكذا، ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه؛ ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، وقال : ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ [يوسف : ٣٧] فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتى التأويل، والأنباء ليس هو التأويل، فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل، وإن كان التأويل لم يقع بعد، وإن كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد، وإن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ الآية [الأعراف : ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿لكل نبإ مستقر ﴾ [الأنعام : ٦٧] ،." (١)

"ص -١٩٢- خيرا، وأحسنوا في ذلك، لكن يقال لهم : ألقي ثم أحكم، فلا محذور في ذلك فإن هذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه، فإنه إذا موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه ولهذا قال في النسخ : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فظنهم أنهم قد كذبوا هو يتبع ما يظنونه من معنى الوعد، وهذا جائز لا محذور فيه، إذا لم يقروا عليه وهذا وجه حسن،وهو موافق لظاهر الآية ولسائر الأصول من الآيات والأحاديث، والذي يحقق ذلك أن **باب الوعد والوعيد ليس** بأعظم من باب الأمر والنهي فإذا كان من الجائز في باب الأمر والنهي أن يظنوا شيئا، ثم يتبين الأمر لهم بخلافه، فلأن يجوز ذلك في **باب الوعد والوعيد بطريق** الأولي والأحري، حتى إن باب الأمر والنهي إذا تمسكوا فيه بالاستصحاب، لم يقع في ذلك ظن خلاف ما هو عليه الأمر في نفسه، فإن الوجوب والتحريم الذي لا يثبت إلا بخطاب إذا نفوه قبل الخطاب، كان ذلك اعتقادا مطابقا للأمر في نفسه، وباب الوعد إذا لم يخبروا به قد يظنون انتفاءه، كما ظن الخليل جواز المغفرة لأبيه حتى استغفر له، ونهينا عن الاقتداء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : " لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " ، وحتى استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له." (٢)

"ص -١٩٣- في ذلك،وحتى صلى على المنافقين قبل أن ينهي عن ذلك وكان يرجو لهم المغفرة، حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ إلى قوله: ﴿ لأواه حليم ﴾ [التوبة : ١١٣،١١٤] ، وقال عن المنافقين : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية﴾ [التوبة : ٨٤] ، وقال : ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٣٣/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٣/٢٤٣

تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ [المنافقون : ٦] فإذا كان صلى على المنافقين واستغفر لهم راجيا أن يغفر لهم قبل أن يعلم ذلك

ولهذا سوغ العلماء أن يروي في باب الوعد والوعيد من الأحاديث ما لم يعلم أنه كذب، وإن كان ضعيف الإسناد، بخلاف باب الأمر والنهي فإنه لا يؤخذ فيه إلا بما يثبت أنه صدق؛ لأن باب الوعد والوعيد إذا أمكن أن يكون الخبر صدقا وأمكن أن يوجد الخبر كذبا لم يجز نفيه، لا سيما بلا علم، كما لم يجز الجزم بثبوته بلا علم، إذ لا محذور فيه منابت الناس اللفظ تعيين الوعد والوعيد، فلا يجوز منع ذلك بمنع الحديث إذا أمكن أن يكون صدقا؛ لأن في ذلك إبطال لما هو حق، وذلك لا يجوز

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بني إسرائيل." (١)

"ص –١٩٤– ولا حرج " ، وهذا الباب وهو : " باب الوعد والوعيد " ، هو في الكتاب بأسماء مطلقة للمؤمنين، والصابرين، والمجاهدين، والمحسنين، فما أكثر من يظن من الناس أنه من أهل الوعد، ويكون اللفظ في ظنه أنه متصف بما يدخل في الوعد لا في اعتقاد صدق الوعد في نفسه

وهذا كقوله: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١] ، وقوله: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيتين﴾ [الصافات : ١٧١،١٧٢] ، فقد يظن الإنسان في نفسه أو غيره كمال الإيمان المستحق للنصر، وإن جند الله الغالبون، ويكون الأمر بخلاف ذلك

وقد يقع من النصر الموعود به ما لا يظن أنه من الموعود به، فالظن المخطئ، فهم ذلك كثير جدا أكثر من باب الأمر والنهي مع كثرة ما وقع من الغلط في ذلك، وهذا مما لا يحصر الغلط فيه إلا الله تعالى وهذا عام لجميع الآدميين، لكن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يقرون، بل يتبين لهم، وغير الأنبياء قد لا يتبين له ذلك في الدنيا

ولهذا كثر في القرآن ما يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتصديق الوعد." (٢)

"ص –٢١٨– وذكره في النحل لفائدة الوقاية في قوله: ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النحل : ٨١] ، ولما كانت هذه الفائدة حيوانية طبيعية لا قوام للإنسان إلا بها جعلها من النعم، ولما كانت تلك فائدة كمالية قرنها بالأمر الشرعي، وتلك الفائدة من باب جلب المنفعة بالتزين، وهذه من باب دفع المضرة، فالناس إلي هذه أحوج

فأما قوله: ﴿ سرابيل تقيكم الحر ﴾ ، ولم يذكر : " البرد " ، فقد قيل : لأن التنزيل كان بالأرض الحارة فهم يتخوفونه، وقيل : حذف الآخر للعلم به، ويقال : هذا من باب التنبيه؛ فإنه إذا امتن عليهم بما يقي الحر فالامتنان بما يقي البرد أعظم؛ لأن الحر أذي، والبرد بؤس، والبرد الشديد يقتل، والحر قل أن يقع فيه هكذا، فإن باب التنبيه والقياس كما يكون في خطاب الأحكام يكون في خطاب الآلاء وخطاب الوعد والوعيد، كما قلته في قوله: ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٤/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٥/٢٤٣

جهنم أشد حرا ﴾ [التوبة : ٨١] مثله من يقول : لا تنفروا في البرد فإن جهنم أشد زمهريرا، " ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله علي النار " ، فالوحل والثلج أعظم ونحو ذلك

وفي الآية شرع لباس جنن الحرب؛ ولهذا قرن من قرن باب اللباس والتحلي بالصلاة؛ لأن للحرب لباسا مختصا مع اللباس المشترك، وطابق قولهم اللباس والتحلي قوله: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ [الحج : ٢٣]." (١)

"ص -٥٠٠- مخالفة الأخبار المتواترة عند أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في خروج أهل الذنوب من النار،وشفاعة الشفعاء فيهم . ويتضمن أنهم آيسوا الخلق من رحمة الله – مع تكذيبهم بعموم خلق الله، ومشيئته وقدرته – حيث زعموا أن من الحوادث ما لا يقدر عليه ولا يشاؤه، ولا يخلقه .

وتشبهوا بالمجوس من هذا الوجه، حتى قيل : القدرية مجوس هذه الأمة .

وقابلهم أولئك، فتوقفوا في خبر الله مطلقا، حتى أنكروا صنفي العموم، فلم يعلموا بخبره ما أخبر به **من الوعد والوعيد** .

فلا يجزمون بالنجاة للصنف الذين يعلم الله أنهم آمنوا وعملوا الصالحات، وكانوا من أعظم الناس طاعة لله، إذا كان لأحدهم سيئة واحدة صغيرة . ولا بالعذاب للصنف الذين يعلم الله أنهم أفجر أهل القبلة وشرها؛ بل يجوزون مع علم الله بهذا وبهذا أن يعذب أهل الحسنات الكبيرة على سيئة صغيرة عذابا ما يعذبه أحدا من أهل القبلة، وأن يدخل فجار أهل القبلة الجنة مع السابقين الأولين .

وبسط الكلام على هؤلاء وهؤلاء له مقام آخر .." (٢)

" فصل

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع حكم الناس **في الوعد والوعيد والثواب** والعقاب وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب فإذا كان هذا الحكم في المجتهدين وهذا الحكم في المذنبين حكما عاما في جميع الأمة فكيف في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وإذا كانوا المتأخرون من المجتهدين ومن المذنبين يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذكر من الأسباب فكيف بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

ونحن نبسط هذا وننبه بالأدنى على الأعلى فنقول كلام الذام للخلفاء ولغيرهم من الصحابة من رافضي وغيره هو من باب الكلام في الأعراض وفيه حق لله تعالى لما يتعلق به من الولاية والعداوة والحب والبغض وفيه حق للأدميين أيضا

ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة مثل الملوك المختلفين على الملك والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٤٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣/٢٥٥

قال تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب ." (١)

" ولو ذكرت ما أعرفه من ذلك لذكرت خلقا ولا استثنى أحدا من أهل البدع لا من المشهورين بالبدع الكبار من معتزلي ورافضي ونحو ذلك ولا من المنتسبين إلى السنة والجماعة من كرامي وأشعري وسالمي ونحو ذلك

وكذلك من صنف على طريقهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم هذا كله رأيته في كتبهم وهذا موجود في بحثهم في مسائل الصفات والقرآن ومسائل القدر ومسائل الأسماء والأحكام والإيمان والإسلام **ومسائل الوعد والوعيد وغير** ذلك

وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع من كتبنا غير هذا الكتاب درء تعارض العقل والنقل وغيره ومن أجمع الكتب التي رأيتها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين كتاب أبي الحسن الأشعري وقد ذكر فيه من المقالات وتفاصيلها ما لم يذكره غيره وذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم وليس في جنسه أقرب إليهم منه ومع هذا نفس القول الذي جاء به الكتاب والسنة وقال به الصحابة والتابعون لهم بإحسان في القرآن والرؤية ." (٢)

" ليذهب الرجس عنكم أهل البيت و يطهركم تطهيرا فالخطاب كله لأزواج النبي صلى الله عليه و سلم و معهن الأمر و النهي **و الوعد والوعيد لكن** لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن و تعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب و غيره و ليس مختصا بأزواجه بل هو متناول لأهل البيت كلهم و علي و فاطمة و الحسن و الحسين أخص من غيرهم بذلك و لذلك خصهم النبي صلى الله عليه و سلم بالدعاء لهم و هذا كما أن قوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم نزلت بسبب مسجد قباء لكن الحكم يتناوله و يتناول ما هو أحق منه بذلك و هو مسجد المدينة

وهذا يوجه ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال

هو مسجدي هذا

و ثبت عنه في الصحيح أنه كان يأتي قباء كل سبت ماشيا و راكبا فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة و يأتي قباء يوم ." (٣)

" تفصيل مقالة الفلاسفة في اللذة

ثم إن من دخل مع أهل الملل منهم وافق المؤمنين بإظهاره للإقرار بما جاءت به الرسل وقال إن ما أخبرت به الرسل **من الوعد والوعيد إنما** هو أمثال مضروبة لتفهم العامة المعاد الروحاني وما فيه من اللذة والألم الروحانيين وربما يغرب بعضهم فأثبت اللذات الخيالية بناء علي أن النفوس يمكن أن يحصل لها من إشراق الأفلاك عليها ما يحصل لها به من اللذة ما هو من أعظم اللذات الخيالية التي قد يقولون هي أعظم من الحسية

---

(١) منهاج السنة النبوية، ١٢٦/٥

(٢) منهاج السنة النبوية، ٢٧٥/٥

(٣) منهاج السنة النبوية، ٧٤/٧

الأصل الثاني أن اللذات العقلية التي أقروا بها لم تحصل لهم ولم يعرفوا الطريق إليها بل ظنوا أن ذلك إنما هو إدراك الوجود المطلق بأنواعه وأحكامه وطلبوا اللذة العقلية في الدنيا بما هو من هذا النمط من الأمور العقلية وتكلموا في الإلهيات بكلام حقه قليل وباطله كثير فكانوا طالبين للذة العقلية التي أثبتوها بالأغذية الفاسدة التي تضر وتؤلم أكثر من طلبها بالأغذية النافعة بل كانوا فاقدين لغذائها الذي لا صلاح لها إلا به وهو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له فإن هذا هو خاصة النفس التي خلقت له لا تصلح إلا به ولا تفسد فسادا مطلقا مع وجوده قط بل من بات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة

كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال من وجوه متعددة من ." (١)

"(فصل) " فهذان القولان " : قول الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب ويخلدون في النار ؛ وقول من يخلدهم في النار ويجزم بأن الله لا يغفر لهم إلا بالتوبة ويقول ليس معهم من الإيمان شيء لم يذهب إليهما أحد من أئمة الدين أهل الفقه والحديث بل هما من الأقوال المشهورة عن أهل البدع . وكذلك قول من وقف في أهل الكبائر من غلاة المرجئة وقال لا أعلم أن أحدا منهم يدخل النار هو أيضا من الأقوال المبتدعة ؛ بل السلف والأئمة متفقون على ما تواترت به النصوص من أنه لا بد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة ثم يخرجون منها . وأما من جزم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة فهذا لا نعرفه قولا لأحد . وبعده قول من يقول : ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لا حقيقة له وهذا من أقوال الملاحدة والكفار . وربما احتج بعضهم بقوله : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ فيقال لهذا : التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له كما توهم الصبي الصغير . ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين . لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف وهذا شبيه بما تقول " الملاحدة " المتفلسفة والقرامطة ونحوهم : من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة . و " هذا القول " مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل ؛ فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة : من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم فإن البارع منهم في العلم والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي وتباح له المحظورات وتسقط عنه الواجبات فتظهر أضغانهم وتنكشف أسرارهم ويعرف عموم الناس حقيقة دينهم الباطن حتى سموهم باطنية ؛ لإبطانهم خلاف ما يظهرون . فلو كان – والعياذ بالله – دين الرسل كذلك لكان خواصه قد عرفوه وأظهروا باطنه . وكان عند أهل المعرفة والتحقيق من جنس دين الباطنية ومن المعلوم بالاضطرار أن الصحابة الذين كانوا أعلم الناس بباطن الرسول وظاهره وأخبر الناس بمقاصده ومراداته كانوا أعظم الأمة لزوما لطاعة أمره – سرا وعلانية – ومحافظة على ذلك إلى الموت وكل من كان منهم إليه وبه أخص وبباطنه أعلم – كأبي بكر وعمر – كانوا أعظمهم لزوما للطاعة سرا

---

(١) قاعدة في المحبة، ص/٦٦

وعلانية ومحافظة على أداء الواجب واجتناب المحرم باطنا وظاهرا وقد أشبه هؤلاء في بعض الأمور ملاحدة المتصوفة : الذين يجعلون فعل المأمور وترك المحظور واجبا على السالك حتى يصير عارفا محققا في زعمهم ؛ وحينئذ يسقط عنه التكليف ويتأولون على." (١)

"

الوجه العشرون

أن الله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب فى العلوم والاعمال بالكلم الطيب والعمل الصالح بالهدى ودين الحق وذلك بالأمور الموجودة فى العقائد والأعمال فامرهم فى الاعتقادات بالاعتقادات المفصلة فى أسماء الله وصفاته وسائر ما يحتاج إليه **من الوعد والوعيد وفى** الاعمال بالعبادات المتنوعة من أصناف العبادات الباطنة والظاهرة وأما في النفي فجاءت بالنفي المجمل والنهي عما يضر المأمور به فالكتب الالهية وشرائع الرسل ممتلئة من الاثبات فيما يعلم ويعمل

واما المعطلة من المتفلسفة ونحوهم فيغلب عليهم النفي والنهي فانهم فى عقائدهم الغالب عليهم السلب ليس بكذا ليس بكذا ليس بكذا وفى الأفعال الغالب عليهم الذم والترك من الزهد الفاسد والورع الفاسد لا يفعل لا يفعل من غير أن يأتوا بأعمال صالحة يعملها الرجل تنفعه وتمنع ما يضره من الأعمال الفاسدة ولهذا كان غالب من سلك طرائقهم بطالا متعطلا معطلا فى عقائده وأعماله

". (٢)

"مسائل الأصول أو أصول الدين أو أصول الكلام يقع (فيها) اتباع الظن وما تهوى الأنفس وقد قررنا أيضا ما دل عليه الكتاب والسنة فيها وفي غيرها من الفرق بين المؤمن باطنا وظاهرا وبين المنافق الزنديق المؤمن ظاهرا لا باطنا وأن المؤمنين قد عفى لهم عن الخطأ والنسيان ثم غالب الخلاف المتباين فيها يعود الحق فيه إلى القول الوسط في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والعدل ومسائل الأسماء والأحكام ومسائل الإيمان والاسلام **ومسائل الوعد والوعيد ومسائل** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الأمراء ومذاهبهم أو موافقتهم على طاعة الله فأمرهم ونهيهم بحسب الامكان والامتناع عن الخروج والفتن وأمثال هذه الأهواء

وأيضا فعمدة القياس في مسألة الترتيب والموالاة إنما هو قياس ذلك على الصلاة فان الصلاة يجب فيها الترتيب فلا يجوز تقديم السجود على الركوع وتجب فيه الموالاة فلا يفرق بين ابعاضها بما ينافيها والصلاة مع هذا عبادة واحدة متصلة الأجزاء ليس بين أجزائها فصل اصلا حتى يمكن في ذلك المتابعة او التفريق ثم مع ذلك اذا فرق بينهما لعذر كالعمل الكثير لضرورة كما في حديث بن عمر أن الطائفة الأولى بعد صلاة ركعة تذهب وجاه العدو فاذا صلت الثانية الركعة الثانية ذهبت أيضا إلى وجاه العدو ثم رجعت

---

(١) كتاب الإيمان الأوسط، ص/٢٣

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٢٠/١٢٦

". (١)

"بالله شيئا وكذلك فى احاديث الشفاعة كلها إنما يشفع فى أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الشفاعة وغيرها

وهو سبحانه **علق الوعد والوعيد والثواب** والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل فى ذلك كان احق بتولى الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذى يرزقهم وهو الذى يدفع عنهم المكاره وهو الذى يقصدونه فى النوائب قال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ أى بدلا عن الرحمن هذا اصح القولين كقوله تعالى ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ أى لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر ** فليت لنا من ماء زمزم شربة ** مبردة باتت على طهيان **

أى بدلا من ماء زمزم فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله قال تعالى ﴿ أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾

". (٢)

" فصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين فان رساله الله اما إخبار وإما انشاء

فالاخبار عن نفسه وعن خلقه مثل التوحيد والقصص الذى يندرج **فيه الوعد والوعيد والانشاء** الأمر والنهى والاباحة وهذا كما ذكر فى أن ﴿ قل هو الله أحد ﴾) تعدل ثلث القرآن لتضمنها ثلث التوحيد اذ هو قصص وتو حيد وأمر

وقوله سبحانه فى صفة نبينا ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾) هو بيان لكمال رسالته فانه هو الذى امر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث ولهذا روى عنه أنه قال (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق (وقال فى الحديث المتفق عليه (مثلى ومثل الانبياء كمثل

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٢١/١٤٢

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٢٧/٤٤١

". (١)

"ثم قال تعالى ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ إلى تمام ما ذكره من أمر الجنة والنار وكذلك فى سورة ﴿ ن والقلم ﴾ ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حق أموالهم وما عاقبهم به ثم قال (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (

وكذلك فى (سورة التغابن (قال ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ﴾ ثم قال ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾ وكذلك فى سورة (ق (ذكر حال المخالفين للرسل **وذكر الوعد والوعيد فى** الآخرة

وكذلك فى (سورة القمر (ذكر هذا وهذا

وكذلك فى (آل حم (مثل حم غافر والسجدة والزخرف والدخان وغير ذلك إلى غير ذلك مما لا يحصى

فان التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل كما فى صحيح

". (٢)

"القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله فى ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذى لا معارض له وقد بسطت هذه القاعدة فى (قاعدة التكفير (

ولهذا لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بكفر الذى قال إذا أنا مت فأحرقونى ثم ذرونى فى اليم فوالله لأن قدر الله على ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين مع شكة فى قدرة الله وإعادته ولهذا لا يكفر العلماء من إستحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك فيطلق أن هذا القول كفر ويكفر من قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها دون غيره والله أعلم

ما تقول الفقهاء أئمة الدين

فى هؤلاء التتار الذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمائة وفعلوا ما إشتهر من قتل المسلمين وسبى بعض الذرارى والنهب لمن وجدوه من المسلمين وهتكوا حرمات الدين من إذلال المسلمين وإهانة المساجد لا سيما (بيت المقدس (وأفسدوا فيه

". (٣)

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ١٢١/٢٨

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ١٤١/٢٨

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٥٠١/٢٨

"التكفير أو إخترت فعل المنذور هل يتعين بالقول او لا يتعين الا بالفعل ان كان التخيير بين الوجوبين تعين بالقول كما فى التخيير بين الانشاء وبين الطلاق والعتق وان كان بين الفعلين لم يتعين الا بالفعل كالتخيير بين خصال الكفارة وان كان بين الفعل والحكم كما فى قوله ان فعلت كذا فعبدى حر او امرأتى طالق او دمى هدر اومالى صدقة او بدنتى هدى تعين الحكم بالقول ولم يتعين الفعل إلا بالفعل والله أعلم

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فصل جليل القدر

اليمين المتضمنة حضا او منعا لنفسه كقوله لأفعلن ولا افعل فيها معنى الطلب والخبر **وكذلك الوعد والوعيد بخلاف** الخبر المحض كقوله (والذى نفسى بيده لينزلن فيكم بن مريم حكما عدلا واماما مقسطا (او والله ليقدمن الركب فان هذا اخبار محض بأمر سيكون كما يخبر عن الماضى بمثل ذلك وبخلاف الطلب المحض كقوله لغيره افعل او بالله افعل ونحو ذلك إذا لم يكن منه الا مجرد الطلب وهو لا يدرى ايطيعه ام يعصيه ولهذا لا يحسن الاستثناء فى هذا الضرب ولا كفارة فيه لعدم المخالفة

---

(١) ".

"من تركه وهذا معنى كلام أحمد فى (١) ومن أصحابنا من أوجبه كما أن المرجئة تحظره ومن الناس من قد يرى تركه أحسن فالاقسام فيه إما واجب أو مستحب أو ممنوع حظرا أو كراهة أو مسنونا أو مستوى الحالتين

وبهذا الذى ذكرناه فى اليمين يظهر **معنى الوعد والوعيد من** جواز نسخ ذلك أو الخلف فيه فإن من رآهما خبرا قال النسخ يقتضى الكذب والآخر يقول هو خبر متضمن معنى الطلب فإذا قال إن فعلت هذا ضربتك تضمن أنى مريد الساعة لضربك إذا فعلته ومخبرك به فليس هو خبرا محضا فيكون النسخ عائدا إلى ما فيه من الطلب تغليبا للطلب على الخبر كما أنه فى باب المشيئة والكفارة غلب الخبر على الطلب لأن الكلام إذا تضمن معنيان فقد يغلب أحدهما بحسب الضمائم ولهذا فرق فى الخلف **بين الوعد والوعيد لأن** الواعد لما تضمن كلامه طلب الخبر الموعود به من نفسه فى معرض المقابلة صار ذلك بمنزلة إلتزامه الأعواض من العقود فانه امر وجب لغيره عليه فلا يجوز ابطاله والمتوعد تضمن كلامه طلب الشر المتوعد به فى معرض المقابلة بمنزلة الزامه لغيره عوضا اذا بذل هو ما يجب عليه وما وجب له على الغير فله التزامه وله ترك التزامه

---

(٢) ".

"

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٣٥/٣٠٧

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٣٥/٣١٣

فقولك بعتك هذا بألف فى معنى المواعد بالألف عند حصول المبيع وفى معنى المطالب بالمبيع عند بذل الألف فمطالبته بالوعيد الذى هو العقوبة ليس بأحسن حالا من مطالبته بسائر الحقوق الواجبة له على سبيل المقابلة فان اخذ الحقوق من الناس فيها شوب الألم فلا يخلص من نوع عقوبة وإن لم تسم بها فإنما الغرض تمثيل هذا بهذا فيما يجب للمتكلم وما يجب عليه فإذا **كان الوعد والوعيد وإن** تضمنا خبرا فهما متضمنين طلبا صيرهما ذلك بمنزلة الإنشاء الذى وإن كان صيغته صيغة الخبر عن الماضى فهو إنشاء لأمر حاضر وهذان وإن كان لفظهما لفظ الخبر عن المستقبل فهما إنشاء للإرادة والطلب فإذا كان وعد وجب فسمي خلفه كذبا كما قال لمن قال ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ﴾ ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ وإذا كان وعيدا لم يجب إنفاذه لتضمنه معنى بيان الإستحقاق

وعلى هذا فيجوز نسخ الوعيد كما ذكره السلف فى قوله ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ وأما الوعد بعد الإستحقاق فلا يجوز نسخه لأنه موجب المشروط وأما قبل العمل فيتوجه جواز نسخه كفسخ التعليقات الجائزة غير اللازمة من الجعالة ونحوها فإنه إذا قال من رد عبدى الآبق فله درهم فله فسخ ذلك قبل العمل والفسخ كالنسخ هذا فسخ لإنشاءات هي العقود المتضمنة إلتزام إرادة له أو عليه وهذا فسخ لطلب أيضا وكما أن المتصور فى الفسخ أنه رفع الحكم الذى هو الطلب أو الأذن

---

(١) ".

"فالفسخ رفع الحكم الذى هو الإرادة أو الإباحة **وكذلك الوعد والوعيد رفع** الحكم الذى هو إرادة الإعطاء أو الإباحة

فهذا كله إنما كان لأن من الكلام ما تضمن معنى الطلب والخبر وهو الأيمان والنذور والوعد والوعيد والعقود فهذا (القسم الثالث (المركب هو الذى إضطرب الناس فى أحكامه ولهذا قسم بعضهم الكلام إلى خبر وإنشاء ليكون الإنشاء أعم من الطلب لأنه ينشئ طلبا وإذنا وما ثم غير الطلب والأذن لأنه إما أن يطلب من نفسه أو من غيره وجودا أو عدما وقد يقال الأذن يتضمن معنى الطلب لأنه طلب من نفسه تمكين المأذون له كما أن الإلتزام متضمن معنى الطلب لأنه جعل على نفسه حقا يطلبه المستحق وجوبا وهناك جعله له مباحا فهذا هذا والله أعلم فيعود الأمر إلى طلب أو خبر أو مركب منهما والله أعلم والحمد لله رب العالمين

(فصل (وبما قدمناه من الأصل تظهر مسألة الاستثناء (فى الظهار (فإن قوله أنت على حرام وأنت على كظهر أمى قال أحمد يصح فيه الإستثناء لأن موجبه الكفارة إذا حنث بالعود وأصل أحمد أن كلما شرعت فيه الكفارة شرع فيه اليمين وإلا فلا

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٣١٤/٣٥

". (١)

"وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هديه بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار].

وقال أبو الشيخ الأصبهاني حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أحمد بن الخليل حدثنا الأصمعي قال: "جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا أيخلف الله وعده عليه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عارا ولا خلقا أن تعد شرا، ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:-

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ولا أختشي من صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن **معاذ: الوعد والوعيد حق**، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوه كذا أن يعطيهم وكذا، ومن أولى بالوفاء من الله، والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى، العفو والكرم إنه غفور رحيم، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول." (٢)

"تفصيل مقالة الفلاسفة في اللذة

ثم إن من دخل مع أهل الملل منهم وافق المؤمنين بإظهاره للإقرار بما جاءت به الرسل وقال إن ما أخبرت به الرسل **من الوعد والوعيد إنما** هو أمثال مضروبة لتفهم العامة المعاد الروحاني وما فيه من اللذة والألم الروحانيين وربما يغرب بعضهم فأثبت اللذات الخيالية بناء على أن النفوس يمكن أن يحصل لها من إشراق الأفلاك عليها ما يحصل لها به من اللذة ما هو من أعظم اللذات الخيالية التي قد يقولون هي أعظم من الحسية

الأصل الثاني أن اللذات العقلية التي أقروا بها لم تحصل لهم ولم يعرفوا الطريق إليها بل ظنوا أن ذلك إنما هو إدراك الوجود المطلق بأنواعه وأحكامه وطلبوا اللذة العقلية في الدنيا بما هو من هذا النمط من الأمور العقلية وتكلموا في الإلهيات بكلام حقه قليل وباطله كثير فكانوا طالبين للذة العقلية التي أثبتوها بالأغذية الفاسدة التي تضر وتؤلم أكثر من طلبها بالأغذية النافعة بل كانوا فاقدين لغذائها الذي لا صلاح لها إلا به وهو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له فإن هذا هو خاصة النفس التي خلقت له لا تصلح إلا به ولا تفسد فسادا مطلقا مع وجوده قط بل من بات وهو يعلم أنه لا إله إلا

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٣١٥/٣٥

(٢) لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص/١٤٢

الله دخل الجنة

كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال من وجوه متعددة من." (١)

"ثم آل الأمر بكثير منهم إلى أن عمم هذا فيما جاءت به الرسل من الوعد والوعيد، وما وصفته من النعيم والعذاب في داري الكفار والمؤمنين، فسلبوا داري القرار ما عرف لهما من الصفات ونفوهما، إذ أثبتوهما كإثباتهم إله المؤمنين، فحملوا مثل ذلك في المحارم والعادات، تارة ينفون عن الأفعال أحكامها الشرعية، وتارة يثبتون ذلك في حق العموم دون المتميزين، وعصامهم في جميع ذلك نوع تعطيل يسمونه بالمعقول، ونوع تحريف يسمونه بالتأويل ويزخرفونه بالتزيين.

وهؤلاء الممثلة يمثلون صفاته بصفات المخلوقات، ويجعلونه من جنس المصنوعات وصنف الآدميين، حتى وصفه بعضهم باللحم والدم والعظام –تعالى الله عن ذلك– مضاهاة لكثير من اليهود في تمثيلهم لربهم بالمخلوق، حتى عبدوا العجل وكانوا أتباع الدجال اللعين، وإن كان كثير من اليهود أو أكثرهم معطلة جهمية ذات تحريف يسمونه التأويل، يفرون به –زعموا– من تحيز ذي القوة المتين، فإنه قال – صلى الله عليه وسلم – (١) : "لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فمن". وجب بمقتضى هذا الخبر البين أن يكون في أمتنا ما كان في أهل الكتابين قبلنا. هذا، ثم المهتدي منهم قبل المبعث ضل بعدم اتباع نبينا – صلى الله عليه وسلم –، فلذلك افترقت أمتنا زيادة عليهم ثلاثة وسبعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري.." (٢)

"وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية

نأخذ بها، وندع ما سواها، وحملوا نصوص الوعيد على الكافر.

– والوعيدية بالعكس؛ نظروا إلى نصوص الوعيد، فأخذوا بها، وغفلوا عن نصوص الوعد.

فلهذا اختل توازنهم لما نظروا من جانب واحد.

وأهل السنة والجماعة أخذوا بهذا وهذا، وقالوا: نصوص الوعيد محكمة؛ فنأخذ بها، ونصوص الوعد محكمة؛ فنأخذ بها. فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة، وقالوا: فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار؛ لئلا نهدر نصوص الوعيد؛ غير مخلد فيها؛ لئلا نهدر نصوص الوعد. فأخذوا بالدليلين ونظروا بالعينين..

الأصل الرابع: أسماء الإيمان والدين

هذا في باب الأسماء والدين، وهو غير باب الأحكام الذي هو الوعد والوعيد؛ ففاعل الكبيرة ماذا نسميه؟ أمؤمن أم كافر؟

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٢٥٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٥/٣٩

وأهل السنة وسط فيه بين طائفتين: الحرورية والمعتزلة من وجه، والمرجئة الجهمية من وجه:

- فالحرورية والمعتزلة أخرجوه من الإيمان، لكن الحرورية قالوا: إنه كافر يحل دمه وماله، ولهذا خرجوا على الأئمة، وكفروا الناس.

- وأما المرجئة الجهمية، فخالفوا هؤلاء وقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان يسرق ويزني ويشرب الخمر ويقتل النفس ويقطع الطريق؛ ونقول." (١)

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ابن عثيمين ٤٤٤/٨

"روي (١) في الحوض والصراط أحاديث صحيحة، وأما (٢) الميزان فإنما ذكر في القرآن، وانفرد القرآن بذكر الميزان والوزن، وانفردت (٣) السنة بذكر الصراط والحوض. أما أنه روي عن [و ٨١ أ]، أنس (٤) أنه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم –: (أحب أن تشفع لي يوم القيامة، قال: "أنا فاعل" قال: قلت يا رسول الله: أين أطلبك؟ قال: "اطلبني أول ما تطلبني على الصراط"، قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: "فاطلبني عند الميزان"، قال: فإن لم ألقك عند الميزان، قال: "فاطلبني عند الحوض") والحديث لم يصح، بل أنه ثبت في الأحاديث الصحاح (٥) في الشفاعة (٦): (أخرجوا من النار من في قلبه دينار، نصف دينار، شعيرة، ذرة) وذلك مما لا يعرف إلا بالوزن، فكأنه نبه بالسنة على ما صرح به (٧) القرآن [من أمر الميزان، وصرح في السنة بما نبه به في القرآن،] (٨) من أمر الصراط والحوض، فلما كان هذا الأمر (٩) هكذا، اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: إن الأعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان، وشاهين في قبان، ويجعل في الكفتين صحائف الحسنات والسيئات، ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب علمه بها، وصفة أعمال عباده لها. وانبنى ذلك على التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح، وأن الله يفعل ما يشاء، ولا يترتب عليه حكم في فعل يناسب عملا من أعمال (١٠) أهل الدنيا، وإنما هو الخبر كما جاء والحكم لله العلي الكبير كما أراد. وتعارضت آيات الوعد والوعيد، وجرى فيها ما بيناه في غير موضع، ومنهم من قال – وهم المبتدعة –: إنما يرجع الخبر عن (١١) الوزن إلى تعريف الله سبحانه (١٢) العباد بمقادير أعمالهم. ونقل

---

(١) د: ورد، ز: في نسخة: ورد.

(٢) د: فأما.

(٣) د: وتفردت.

(٤) أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله، توفي سنة ٩٣ هـ/ ٧١١ م.

(٥) د: في.

(٦) ب: – من الشفاعة.

(٧) ج: – به.

(٨) ب: سقط ما بين القوسين.

(٩) د: أمر.

(١٠) ب: – أعمال.

(١١) د: على.

(١٢) د: – سبحانه.." (١)

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي ص/٢٤٣

"فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [سورة الزمر: ٦٥]، وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم؛ لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر، كما جاء في رواية. وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: أن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب. فانظر إلى هذا الاستدلال؛ لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله "محيط بكل شيء وفوقه"، إن شاء الله تعالى.

قوله: "وحبيب رب العالمين".

ش: ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا" ١. وقال: "ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن" ٢. والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه. وفي الصحيح أيضا: "إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ٣. والمحبة قد ثبتت لغيره. قال تعالى: ﴿والله يحب

---

١ مسلم وأبو عوانة من حديث جندب، وهو طرف منه مخرج في "أحكام الجنائز" "٢١٧".

٢ مسلم من حديث عبد الله بن مسعود، بلفظ "خليل الله"، وكذا رواه الترمذي "٢/ ٢٨٩" وصححه وابن أبي عاصم في "السنة" "١٢٢٦".

٣ هو من حديث ابن مسعود الذي قبله.." (١)

"القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ [الأعراف: ٢٤]، ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف: ٢٥]. ولما قال إبليس اللعين: ﴿رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [ص: ٧٩ - ٨١] ، وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح: ١٧، ١٨] ، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢] إلى آخر القصة. وقال: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم: ٤١]. وقال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية، وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع

---

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام، ابن أبي العز ص/١٦٤

هواه فتردى﴾ [طه: ١٥، ١٦] ، بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣]، إلى قوله تعالى: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر: ٣٩]، إلى قوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر: ٤٦]. وقال موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة: ٧٣]. وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات [من] القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [الزمر: ٧١]. وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة. وأمر نبيه أن يقسم به." (١)

"الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب، يجيب دعوة الداعي، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، [وجمعوا بينهما في حال]، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] بالدعاء، الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ [غافر: ٦٠] يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال، إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها"، قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر، قال: "الله أكثر" ١ ، فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعنيها، وقد يعارضها مانع من الموانع، **ونصوص الوعد والوعيد** -المتعارضة في الظاهر- من هذا الباب، وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٤٠٥

١ صحيح، ولكنه ليس في "صحيح مسلم" وإنما أخرجه أحمد وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه الحاكم والذهبي وهو كما قال، وإنما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا، ورواه الترمذي مطولا، إلا أنه قال في الخصلة الثالثة: "وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا"، وهو منكر بهذا اللفظ ولذلك خرجته في "الضعيفة" "٤٤٨٣" وذكرت تحته ما صح منه كحديث أبي سعيد هذا.." (١)

"تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة ... إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله، لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا.

والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية "قدرية" لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين، وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن: منها ما روى أبو داود في سننه، من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"١. وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها، ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين!!

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في "صحيحه"، عن سعيد بن المسيب، قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل

---

١ حسن وقد تقدم.." (٢)

"بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ (١)، فقد يقول من يقول: أنا خير من يونس: وليس للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٤٦٢

(٢) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٥٢٤

صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوحي إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس. وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب»، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصا، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن

كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ (٢)، وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر، كما جاء في رواية. وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: أن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم – كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب. فانظر إلى هذا الاستدلال، لأنه بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

(٢) سورة الزمر آية ٦٥.." [1]

"من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة. فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ (١)، الآيات. وقال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (٣).

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (٤). ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ (٥).

﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ ﴿للكافرين﴾ (٦) إلى أن قال: ﴿إنهم يرونه بعيدا﴾ ﴿ونراه قريبا﴾ (٧).

وذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ (٨). ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ (٩). ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾ (١٠). ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا﴾ (١١)، إلى أن قال: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ (١٢). ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾

---

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/١٢٢

(١٣). ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوهم عميا وبكما وصما﴾

---

(١) سورة سبأ آية ٣

(٢) سورة يونس آية ٥٣

(٣) سورة التغابن آية ٧

(٤) سورة القمر آية ١

(٥) سورة الأنبياء آية ١

(٦) سورة المعارج الآيتان ١، ٢

(٧) سورة المعارج الآيتان ٦، ٧

(٨) سورة الأنعام آية ٣١

(٩) سورة الشورى آية ١٨

(١٠) سورة النمل آية ٦٦

(١١) سورة النحل آية ٣٨

(١٢) سورة النحل آية ٣٩

(١٣) سورة غافر آية ٥٩." (١)

"﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ (١) – يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء المسؤول، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها"، قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر. قال: "الله أكثر» (٢). فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره. وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. **ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة** في الظاهر– من هذا الباب. وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك – فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا

---

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٤٠٤

عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به،

---

(١) غافر ٦٠

(٢) لم أجده بهذا السياق في صحيح مسلم، وقد روى أحمد نحوه في المسند: ١١١٥٠ من حديث أبي سعيد الخدري، وهو في مجمع الزوائد ١٠: ١٤٨ - ١٤٩. وروى الترمذي ٤: ٢٧٩ - ٢٨٠ نحو هذا المعنى مختصرا من حديث عبادة بن الصامت. وذكر في الزوائد ١٠: ١٤٧ حديث عبادة مطولا، من رواية الطبراني في الأوسط." (١)

"واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم -: جهل وظلم، وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه، لئلا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة! فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة، وخافوا، فأطلقوه. وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

ومما انفرد به الجهم: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة ... إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله، لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا.

والجبرية: أصل قولهم من الجهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. وقد تسمى الجبرية " قدرية " لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين. وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!.." (٢)

" ولا شرب ولا غسل ولا دهن ولا نكاح بل الصالحون باقون فيه ويستلذون من نور الله تعالى يريدون بذلك أن تلك الأنفس تستلذ بما تعقل من الباري بما تستلذ سائر طبقات الملائكة بما عقلوا من وجوده سبحانه فالسعادة والغاية القصوى هي الوصول إلى هذا الملأ الأعلى والحصول في هذا الحد هو بقاء النفس كما وصفنا إلى ما لا نهاية له ببقاء الباري

---

(١) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٤٧٠

(٢) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٥٤١

جل اسمه وهذا هو الخير العظيم الذي لا خير يقاس به ولا لذة يمثل بها وكيف تمثل الدائم بما لا نهاية له بالشيء المنقطع وهو قوله تعالى في نص التوراة لكي يطيب لك في العالم الذي كله طيب ويطيل أيامك في العالم الذي كله طائل والشقاوة الكاملة هو انقطاع النفس وتلفها وأن لا تحصل باقية وهو القطع المذكور في التوراة كما بين وقال انقطاعا ينقطع من هذا العالم وينقطع من العالم المستقبل فكل من أخلد إلى اللذات الجسمانية ونبذ الحق وآثر الباطل انقطع من ذلك البقاء والعلو وبقي مادة منقطعة فقط وقد قال النبي أشعيا إن العالم المستقبل ليس يدرك بالحواس وهو قوله لا عين تقدر تراه

وأما الوعد والوعيد المذكور في التوراة في لذات هذا العالم فتأويله ما أصف لك وذلك أنه يقول لك إن امتثلت هذه الشرائع نعينك على امتثالها والكمال فيها ونقطع عنك العلائق كلها لأن الإنسان لا يمكنه العبادة لا مريض ولا جائع ولا عاطش ولا في فتنة فوعد بزوال هذه كلها وإنهم يصحون ويتذهنون حتى يكمل لهم المعرفة ويلتحقون بالعالم المستقبل فليس غاية التوراة إلا أن تخصب الأرض وتطول الأعمار وتصح الأجسام وإنما يعان على امتثالها بهذه الأشياء كلها وكذلك إن تعدوا كان عقابهم أن تحدث عليهم تلك العوائق كلها حتى لا يمكن أن يعملوا صالحة فإذا تأملت هذا التأمل العجيب تجده كأنه يقول إن فعلت بعض هذه الشرائع بمحبة وفرض نعينك عليها كلها بأن نزيل عنك العوائق والموانع وإن ضيعت منها بعضها استخفافا نجلب عليك موانع تمنعك من جميعها حتى لا يحصل لك كلام ولا بقاء انتهى ." (١)

"@ ٣٨٥ @أن الله عز وجل أوجب الغسل بخروج المني الذي هو طاهر عند بعض الناس وبعض الصحابة وكثير من فقهاء الأمة ، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف بين الأمة وسائر من يقول بالعقل من غيرها على نجاسته وقذارته ونتنه ، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجبه بخروج الغائط الكثير الفاحش ، فبأي عقل يستقيم هذا ، وبأي رأي يجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة لما يقوم عينه ، ويزيد على الريح نتنا وقذارة.

| قال الشيخ الإمام الزاهد المصنف رحمه الله أنكر هذا الحديث طائفة من المتعلقة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجابا برأيهم ، وحكما على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة ، فقالوا : لا يجوز في حكمة الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها ، ويؤخذ حسنات من عملها فيعطى لمن لم يعملها ، وهذا جور زعموا وأولوا قول الله عز وجل إلى هذه ، وقد أوجب الله تعالى قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم ، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ، ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار ، فيكون القطع فيهما سواء ، وأعطى الله تعالى للأم من ولدها الثلث ، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن يرث الإخوة من ذلك شيئا ، فبأي عقل يدرك هذا إلا تسليما وانقيادا ، ولو تتبعنا كثيرا من الأحكام كان سبيلها سبيل ما ذكرنا ، **ثم الوعد والوعيد** ، وعد الله جل وعز ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من الثواب الجزيل ، والنعيم المقيم على ما أحدث في العبد وخلقه وأوجده من عدم ، وعان عليه بإجماع فضلا منه وكرما ، وهو ذو فضل عظيم ، وأوعد على ما أوجده من العبد ، وخلقه فيه وأحدث لاستطاعته له عندنا ، ولم يعصم منه بإجماع بجرم منقطع لا يضره ولا يؤثره عقابا لا يحتمل العقول فكره فيه ، وإدراكا له من شدة ألمه وفظيع أمره ، وعند المعتزلة إحباط عمله سبعين سنة وأكثر وطاعة مائة

(١) إرشاد الثقات، ص/١٧

سنة واكثر بسرقة خمسة دراهم ، أو عشرة ، أو قذف محصن أو محصنة . وذلك لم يضر المقذوف ولا قدح فيه ، والتأبيد في النار ، والعذاب الشديد على شرب جرعة من خمر مع إيمان بالله عز وجل والخوف منه ، والطاعة له في مدة سبعين سنة مع فرعون الذي بارز الله عز وجل وادعي الربوبية لنفسه ، وقتل أنبياءه ، وأفسد في الأرض أربع مائة سنة ، بأي عقل يستقيم هذا ، وبأي حكمة من أوصاف العباد توجب | ." (١)

"وقد قدمنا لك تفصيل الكلام على إعجاز القرآن في درس مستقل(٣) أظن عند قول الشيخ الطحاوي / في أول الكلام (فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) إلى قوله (علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر. ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)، ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه، هذا من أعظم المسائل في هذا الباب.

إذا تبين ذلك فنقول:

الإيمان بأركان الإيمان الستة –إذا أخرجنا الإيمان بالقدر– فإن بعض أهل العلم يسميها أصول الدين الخمسة، وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القدر، والقدر جاء منفصلا في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنة.

هذه الأصول الخمسة تبع الإيمان بها أن أهل البدع أصلوا أصولا في مقابلة هذه الأصول الخمسة:

فجاء المعتزلة مع إيمانهم بجمل هذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولا خمسة لتميزهم عن غيرهم، وهذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وكتب فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة، ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرافضة.

الأصول الخمسة هذه هي:

؟ أولا: التوحيد....؟ والثاني: العدل....؟ والثالث: الوعد والوعيد.

؟ والرابع: المنزلة بين المنزلتين..........؟ والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون معتقد المعتزلة في الغالب، فجعلوا لهم أصولا أربعة في مقابلة ذلك وهي:

؟ التوحيد.......؟ والعدل ....؟ والنبوة ....؟ والإمامة.

يدخلون في هذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وهذه الجملة تحتاج إلى تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات.." (٢)

"المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو أركان الإيمان الستة أو الخمسة –يعني بخلاف الإيمان بالقدر– هذه جعل في مقابلتها أشياء وضعها أهل البدع للتعليم وللتميز ليعلموا على أساسها وليتميزوا عن غيرهم.

ولاشك أن الذي دل عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلى أن ابتدعت المعتزلة بدعتها هو أن أركان الإيمان ستة، ولا دخل لتلك المسائل التي ذكروها **من الوعد والوعيد والمنزلة** بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين.

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٣٨٥

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٦/٢٤

في هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى.

ونقف عند قولنا (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين).

فيه مسائل -ذكرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خيرا- وهي تحتاج منا إلى أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وهو ما في كل مسألة في الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثم مسألتان:

المسألة الأولى: تفاضل الإيمان بأجمعه بتفاضل الإيمان الأنبياء والمرسلين. هذه مسألة.٤

المسألة الثانية: أثر الإيمان بالمرسلين جميعا على الإيمان العام.

كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعا: تفاضل الإيمان بالكتب، والثانية أثر الإيمان بكتب الله ؟ على الإيمان.

يمكن أنتم تستنتجونها وتبحثونها إن شاء الله تعالى. نكتفي بهذا القدر، نستودعكم الله.

؟؟(؟؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نجيب على بعض الأسئلة.

الأسئلة

س١/ قال هل نفهم من كلام المؤلف في قوله (والكتب المنزلة على المرسلين) أن الأنبياء لا يعطون كتبا منزلة؟ وهل كل رسول لابد أن ينزل عليه كتاب؟ نرجو الإفادة وجزاكم الله خيرا.." (١)

"وهذا غير وارد لأن النصوص يصدق بعضها بعضا، والآيات يفسر بعضها بعضا، والأحاديث يفسر بعضها بعضا، وكذلك الوعد لا ينافي الوعيد، فقوله "أتيتك بقرابها مغفرة" هذا وعد من الله ؟ لمن حقق التوحيد لا يشرك بالله شيئا، وكون صاحب الكبيرة تحت المشيئة لا يعارض هذا الأصل؛ لأن هذا والوعد والوعيد يطلقان ويكونان على إطلاقهما، وكذلك يجتمعان في حق المعين، فيجتمع في حق المعين الوعد والوعيد، وهذا في حق مرتكب الكبيرة، ويدخل في عموم أهل الإيمان الذين وعدهم الله ؟ بالجنة، كل مؤمن وعده الله ؟ بالجنة، يدخل في المسلمين الذين جعل الله ؟ لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في آية الأحزاب ؟المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات؟ إلى قوله ؟والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما؟[الأحزاب:٣٥] ونحو ذلك.

فأهل السنة والجماعة في مثل هذه الأدلة التي فيها الوعد وفيها الوعيد، يعملون الوعد ويعملون الوعيد والوعد بشرطه والوعيد أيضا بشرطه، فلا منافاة ما بين الأدلة بل الأدلة يصدق بعضها بعضا.

س٢/ ما الضابط في التفريق بين الفعل والصفة في صفات الله ؟ وأفعاله؟

ج/ صفة الرب ؟ مشتملة على فعل له ؟ ومشتملة على ما هو لازم من غير الفعل؛ يعني أن صفات الرب ؟ منها ما هو صفة فعل ومنها ما هو صفة ذات، فليست كلها متعدية تعدي الأفعال.

فمثلا وجه الرب ؟ صفة وليس بفعل، اليدان للرب (وصف له سبحانه وليستا باسم ولا فعل.

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٧/٢٤

فإذا الفعل هو فعل يفعله الله ؟ له أثره، فالصفات منها ما هو صفة فعل مثل الرحمة وهي صفة ذات لكن لها أثرها ومثل النزول وأشباهه والغضب الرضا، وهذا يتعلق بالمخلوق، فيفعله ؟ ويتصف به ؟.

وهناك القسم الآخر التي هي صفات الذات، صفات الذات كثيرة لا علاقة لها بالأفعال.." (١)

"وأهل الكبائر من أمة محمد ؟ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم بفضله، كما ذكر (في كتابه: ؟ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؟[النساء:٤٨، ١١٦]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

قال (وأهل الكبائر من أمة محمد ؟ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون) إلى آخر كلامه.

تقدم معنا في الدرس الماضي تقرير بعض المسائل حول هذه الجملة.

(المسألة الثالثة:

في قوله (من أمة محمد ؟) هذه الجملة أو شبه الجملة لا مفهوم لها، فليس هذا الحكم خاصا بأمة محمد ؟ بل هو عام لهذه الأمة ولغيرها؛ لأنه:

(لم يدل دليل على تخصيص هذه الأمة بهذا الفضل.

(ولأن هذه ترجع إلى قاعدة الوعد والوعيد، وهما مما تشترك فيه الأمم لأن أصلها واحد، قال (وأهل الكبائر في النار لا يخلدون –أو يخلدون–) بشرط (إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين).

(المسألة الرابعة:." (٢)

"والمعتزلة قد يتفقون في المسألة وقد لا يتفقون، ولذلك تجد في بعض المسائل يقال مذهب المعتزلة كذا، لكن إذا بحثت وجد فيه اختلاف، فمن أثبت يكون مصيبا ومن نفى يكون مصيبا باعتبار من نقل عنه، وباعتبار مدارس المعتزلة وفرق أهل الاعتزال.

فليسوا فرقة واحدة لكن في تفسير الأصول الخمسة وفي أصولها، أصول التوحيد عندهم، أصول العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأصول يتفقون، لكن في التفاصيل يختلفون.

(الفرقة الثالثة: الجهمية:

والجهمية ينسبون إلى جهم بن صفوان الترمذي وكان عالما فقيها، ينسب إلى الحنفية في الفقه، ولكنه لشدة اعتنائه بالرأي كان يناظر ويكثر من المناظرة حتى ناظر طائفة من دهرية الهند، الدهرية بضم الدال ينسبون إلى القول بالدهر ؟وما يهلكنا

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٣٢/١١

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٣٢/١٣

إلا الدهر؟[الجاثية:٢٨]، ينسب إلى الدهر، دهري بضم الدال على غير [اعتياد] كما قاله المرتضى في كتاب تاج العروس وقاله غيره.

المقصود ناظره قوم من الدهرية يقال لهم السنمية في الصفات لأنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلا ويريد أن يقنعهم بوجود الله، فجرى منه معهم مناظرة ذكرتها لكم في مكان آخر، فآل به الأمر، نتيجة المناظرة وتوابعها وما حصل -وقد ذكر أصل القصة البخاري في خلق أفعال العباد-، نتج عن ذلك أنه نفى الصفات وعطل الرب ؟ من صفاته وآمن بالوجود المطلق.

فالجهمية في مسائل العقيدة يذهبون في الصفات إلى النفي، فينفون عن الله ؟كل الصفات، ويجعلون الصفة الواحدة الموجودة هي صفة الوجود المطلق، ويقولون بشرط الإطلاق.." [(١)]

"(أسماء الله أسماء حسنى لله غير مخلوقة)

* وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة (١) والخوارج (٢) .

الشرح :

القول بأن الأسماء غير الله أو عين الله بهذا الإطلاق من البدع التي أحدثها أهل الكلام ، فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى ، فإذا قلت : قال الله كذا ، أو سمع الله لمن حمده ، ونحو ذلك ، فهذا المراد به المسمى نفسه ، وإذا قلت : الله اسم عربي والرحمن اسم عربي ، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك ، فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى ، ولا يقال غيره ، لما في لفظ (الغير) من الإجمال : فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق ، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له ، حتى خلق لنفسه أسماء ، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم ؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى [انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٨٠- ٨١) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٣ / ٢٤- ٢٥)] .

والأحسن أن يقال إن أسماء الله هي أسماء حسنى لله ، وقد خالفت الأشعرية إمامهم الأشعري وسائر أئمة الإسلام فجعلوا أسماء الله غير الله ثم حكموا بأنها مخلوقة ، وهذا القول لا يقل كفرا عن القول بخلق القرآن .

---

(١) انظر قول المعتزلة في مقالات الإسلاميين (١ / ٢٥٢) ، والرد على بشر المريسي ص (٣٦٦) ، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢ / ٢٠٧ : ٢١٤) ، والمعتزلة فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول ؛ ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم : معتزلة ، أو معتزلون . وهذه الفرقة تعتد بالعقل ، وتغلو فيه ، وتقدمه على النقل ، ولهذه الفرقة مدرستان رئيسيتان : إحداهما بالبصرة ، ومن أشهر رجالها : واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النظام ، والجاحظ . والأخرى ببغداد ، ومن أشهر رجالها : بشر بن المعتمر ، وأبو موسى المردار ، وثمامة بن أشرس ، وأحمد بن أبي دؤاد . وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهي : العدل ، التوحيد ، المنزلة بين المنزلتين ،

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١٧/٥٢

الوعد والوعيد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجمهور المسلمين ، الفرق بين الفرق (ص ١١٧ : ١٢٠) ، التبصير في أصول الدين ص (٣٧) ، الملل والنحل (١ / ٤٦ : ٤٩) .

(٢) انظر قول الخوارج في مقالات الإسلاميين (١ / ٢٥٢) ، والرد على بشر المريسي ص (٣٦٦) ، والخوارج جمع (خارجة) أي فرقة خارجة ، وهم كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة ، واشتهر بهذا اللقب جماعة خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن كانوا معه في موقعة صفين ، وحملوه على قبول التحكيم ، ثم قالوا له : لم حكمت الرجال ؟ ما الحكم إلا لله . وسموا حرورية لانحيازهم إلى حروراء بعد رجوعهم من صفين ، وعددهم يومئذ اثنا عشر ألفا ، وقد ناظرهم علي وابن عباس فرجع بعضهم وقاتل علي الباقين حتى هزمهم في النهروان . وقد افترقت الخوارج إلى عدة فرق يجمعهم القول بتكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعثمان بن عفان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم أو صوب الحكمين أو أحدهما ، وتكفير صاحب الكبائر ، والقول بالخروج على الإمام إذا كان جائرا . انظر : الملل والنحل (١ / ١١٤) ، الفرق بين الفرق ص (٧٢ : ٧٣) .." [١]

" المحكمات منها فإنهن أم الكتاب كما قال سبحانه

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه شيئا برأيه تبارك الله رب العالمين نقله القاضي أبو علاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد عن أبي يوسف عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من قوله

فائدة قال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ في كتابه العظيم أصول الدين ما يلي

المسألة العاشرة في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام

أول متكلمي أهل السنة من الصحابة علي بن أبي طالب لمناظرته الخوارج في **مسائل الوعد والوعيد ومناظرته** القدرية في القدر والقضاء والمشيئة والاستطاعة ثم عبد الله ابن عمر في كلامه على القدرية وبراءته منهم ومن زعيمهم المعروف بمعبد الجهمي وادعت القدرية أن عليا كان منهم وزعموا أن زعيمهم واصل بن عطاء المعتزلي أخذ مذهبه من محمد وعبد الله ابني علي رضي الله عنه وهذا من بهتهم ومن العجائب أن يكون ابنا علي قد علما واصلا رد شهادة علي وطلحة والشك في عدالة علي أفتراهما علماه إبطال شفاعة علي شفاعة صهر المصطفى

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة في الرد على القدرية ثم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وله كتاب في الرد على القدرية من القرآن ثم الحسن البصري وقد ادعته القدرية فكيف يصح لها هذه الدعوى مع رسالته إلعمر بن عبد العزيز في ذم القدرية ومع طرده واصلا عن مجلسه عند إظهاره بدعته ثم الشعبي وكان من أشد الناس على القدرية ثم الزهري وهو الذي أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، ص/٣٧

ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب في الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الغلاة من الروافض وهو الذي قال أرادت المعتزلة أن توحد ربها فألحدت وأرادت التعديل فنسبت البخل إلى ربها ." (١)

" | (باب | ٣٤ = (في الوعد والوعيد)) | | قال محمد : ومن قول أهل السنة أن الوعد فضل الله عز وجل | ونعمته ، والوعيد [عدله] وعقوبته وأنه جعل الجنة دار المطيعين | [بلا] استثناء ، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء ، وأرجى لمشيئته من | المؤمنين العاصين من شاء والله يحكم لا معقب لحكمه و [لا] يسئل عن | فعله ، وقال عز من قائل فيما وعد به المؤمنين المطيعين ^ (ومن يطع الله | ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك | الفوز العظيم) ^ . | | وقال في [العصاة] والكافرين : ^ (ومن يعص الله ورسوله ويتعد | حدود يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) ^ وقال : ^ (إن الذين | كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا | غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما . والذين آمنوا وعملوا | الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم | فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) ^ وقال : ^ (ومن يتخذ الشيطان |

". (٢)

" عنها كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعنى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره

ومنه قول ابن عيينة السنة هي تأويل الأمر والنهي فان نفس الفعل المأمور به هو تأويل الامر به ونفس الموجود المخبر به هو تأويل الخبر وبهذا يقول أبو عبيدة وغيره والفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول كما يعلم اتباع بقراط وسيبويه من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته بخلاف الخبر

إذ عرفت ذلك فتأويل ما أخبر به الله عن ذاته المقدسة بما لها من الأسماء والصفات هو حقيقة ذاته المقدسة وتأويل ما أخبر به الله من الوعد والوعيد هو نفس الثواب والعقاب وليس شيء منه مثل المسميات بأسمائه في الدنيا فكيف بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته ولكن الأخبار عن الغائب لا يفهم إن لم تعبر عنه الاسماء المعلوم معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع الفارق المميز وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد في صفة الجنة كيف بالذات المقدسة إلى قوله ومما يوضح ذلك كله أن الله تعالى وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه وفي آية أن بعضه محكم وبعضه متشابه فالأحكام الذي يعمه هو الاتقان وهو تمييز الصدق من الكذب في

---

(١) إيضاح الدليل، ص/٢١

(٢) رياض الجنة، ص/٢٥٦

اخباره والغي من الرشاد في أوامره والتشابه الذي يعمه هو ضد الاختلاف المنفى عنه في قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهو الاختلاف المذكور في قوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك فالتشابه به هنا تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فالاحكام العام في معنى التشابه العام بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص فانهما متنافيان فالتشابه الخاص مشابهة ." (١)

" الشيء لغيره من وجه ومخالفته من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس إنه هو أو هو مثله وليس كذلك والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر يعني على من عرف ذلك الفصل وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما

ثم من الناس من لا يهتدي إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبها عليه ومنهم من يهتدي له فيكون محكما في حقه فالتشابه حينئذ يكون من الامور الاضافية فاذا تمسك النصراني بقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر ونحوه على تعدد الآلهة كان المحكم كقوله تعالى وإلهكم إله واحد ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا يزيل ما هنالك من الاشتباه اه

وقد ترك الامام والشيخ وجها آخر من المتشابه الذين يحتاج إلى التأويل مما لا يعلمه إلا الله على الصحيح وذلك وجه الحكم المعينة فيما لا تعرف العقول وجه حسنه مثل خلق أهل النار وترجيح عذابهم على العفو عنهم مع سبق العلم وسعة الرحمة وكمال القدرة على كل شيء

والدليل على أن الحكمة خفية فيه تسمى تأويلا له ما ذكره تعالى في قصة موسى والخضر فان قوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا صريح في ذلك وهذا مراد في الآية لأن الله وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغائهم تأويله وذمهم بذلك وهم لا يبتغون علم العاقبة عاقبة الخبر عن الوعد والوعيد وما يؤول اليه على ما فسره الشيخ فهم الجنة والنار والقيامة وذات الرب سبحانه كما يبغيها طالب العيان إنما يستقبحون شيئا من الظواهر بعقولهم يتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها وكل منهم يتفرد بمعنى من غير حجة صحيحة إلا مجرد الاحتمال وربما خالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع فتأولوه وربما استلزم الوقوع في أعظم مما فروا منه

والذي وضح لي في هذا وضوحا لا ريب فيه بحسن توفيق الله أمور ." (٢)

" بأنه العذاب الأدنى المعجل في الدنيا لقوله سبحانه في آخر هذه السورة فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون وقد تكرر هذا في كتاب الله تعالى ومنه تفسير فصل لربك وانحر بقوله تعالى إن صلاتي ونسكي ومحياي ونحو ذلك ومنه تفسير قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما بأهل الكتاب كقول مجاهد لقوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن يضلوا السبيل ويقويه ان عصاة المسلمين لا يريدون فجور صالحيهم والآية وردت بضمير الغائب في المريدين وضمير الخطاب في المائلين فقوى ذلك ومنه تفسير من يعمل سوءا يجز به بقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فقوله فيها ويعفو عن كثير مخصص لعموم من يعمل

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٨٩

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/٩٠

سوءا يجز به ومقيد لاطلاقها كأنه قال الا أن يعفو بدليل هذه الآية مثل ما انها مخصصة بآيات التوبة فانه مقدر فيها إلا أن يتوبوا بالاجماع وبالنصوص في التائبين وهذه الآية دالة على اشتراط عدم العفو وعلى اعتبار مصائب الدنيا في عذاب المسلمين ووعيدهم كما دل على ذلك حديث علي عليه السلام في تفسيرها وحديث أبي بكر رضي الله عنه في تفسير من يعمل سوءا يجز به ولذلك طرق شتى وفيه أحاديث كثيرة مجمع على معناها وأحاديث الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بمثلها أو أعفو وطرقه صحيحة كثيرة كما يأتي في **مسألة الوعد والوعيد**

ومنه حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص كنفي الخلة والشفاعة في آية مطلقا وقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى الأخلاء ." (١)

" المثل الأعلى وكيف تجعل أفعال أحكم الحاكمين أنقص رتبة في خلوها عن الحكمة وأبعد عنها من مرتبة أفعال الصبيان والمجانين والساهين

وإنما قلنا أنهم جعلوها أنقص في ذلك لوجهين أحدهما أنهم قطعوا بخلوها كلها عن كل حكمة وداع وسبب ومنعوا أن تكون أفعاله كلها أرجح من أضدادها إلا في الاقوال فأوجبوا الصدق في أقوال الله تعالى ومنعوا ضده وهو الكذب ولزمهم بذلك الموافقة على ثبوت مثل ذلك في الافعال إذ لم يفرقوا بين الأفعال والأقوال بحجة بينة ولكن خافوا من تجويز الكذب على الله صريح الكفر وإنما الاقوال نوع من الأعمال

وقد أجمعت الامة على دخول الاقوال والاعمال **في الوعد والوعيد على** الاعمال وفي الصحيح أن أفضل العلم شهادة أن لا إله إلا الله وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة أنه لا تردد في دخول الاقوال في حديث الأعمال بالنيات وأمثال ذلك كثيرة جدا هذا في اللغة والنص والاجماع وأما العقل فلا ريب في تساويهما في ذلك فما بالهم أوجبوا صيانة الاقوال الربانية عن النقائص وأما في الأفعال الربانية فحكموا بأنه تعالى لو عكس الحكم في جميع أوامره العادلة المصلحة الحكيمة في شرائعه وأحكامه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة أو عذب الأنبياء والأولياء وأهانهم وأخزاهم بذنوب غيرهم ثم أدخل أعداءه وأعداءهم الجنة بحسناتهم واكرامهم وعظمهم ما كان هذا الحال عليه بأبعد عن حكمته ومحامدة في العقل والسمع مما هو فاعله سبحانه وتعالى مما تمدح به وسماه حقا وعدلا وحكمة وصوابا وتمدح لذلك بأنه لا معقب لحكمه ولا مبدل لكلماته وبأنه إذا بدل آية مكان آية لا يبدلها إلا بما هو خير منها أو مثلها فزعموا أن التسوية بين أحكامه وأضدادها هو مقتضى العقول والشرائع لكن الشرائع وردت بالخبر عن وقوع أحد الجائزين المتماثلين في الحكمة مثل تماثلهما في القدرة بل المتماثلين في القدرة بلا حكمة عندهم إلا الصدق في الخبر فواجب وحده فانا لله إن كانت ذهبت العقول فأين الحياء من الله تعالى وكتبه ورسله والمسلمين

ومن العجب ظنهم أن هذا كله جائز عليه في أفعاله عقلا ولا يجوز في أقواله عقلا أدنى نقص ولا لغب وهو كما قالوا في الأقوال لكن الصواب ." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/١٥١

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/١٨٤

" ولأنه أشرف وأبرك وأصح وأنجي وأولي وأحري وأعلي وأهدي بالاجماع

فان قبل تجويز بعض ما يستقبح في عقول العقلاء لحكمة لا يعلمونها يستلزم تجويز بعثة الكذابين والكذب والخلف **في الوعد والوعيد ونحو** ذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله تعالي

قلنا هذا ممنوع لوجهين الوجه الاول أن تقبيح العقول ينقسم إلى قسمين ضروري وظني ونحن ما جوزنا أن يصدر من الله تعالى كل قبيح على الاطلاق لحكمة خفية إنما جوزنا ذلك في القسم الذي التقبيح فيه ظني يقع في مثله الاختلاف بين الجاهل والعالم وبين العالم والاعلم ولا شك أن اختيار الكذب وبعثه الكذابين بالمعجزات والخلف في الوعد بالخير ممن هو على كل شيء قدير وبكل غيب عليم وترجيحه على الصدق وبعثة الصادقين مع أن قدرته عليهما على السواء قبيح قبحا ضروريا قبحا أشد القبح في عقول العقلاء أما أن لم يجوز في ذلك خير فظاهر وأما أن جوز فيه شيء من الخير فلا شك أن الصدق وبعثة الصادقين أكثر خيرا ودفعا للفساد والمفاسد وجلبا للصلاح والمصالح وتجويز خلاف ذلك يؤدي إلى أن لا يوثق لله تعالى بكلام ولا لأحد من رسله الكرام في دين ولا دنيا ولا جد ولا هزل ولا حلال ولا حرام ولا وعد ولا وعيد ولا عهد ولا عقد ولا أعظم فسادا مما يؤدي إلى هذا بحيث أن كثيرا من السفهاء والظلمة والمفسدين لا يرضون لنفوسهم بمثل ذلك

الوجه الثاني إن الذي يحسن حينئذ لبعض القبائح لبعض العقلاء إنما هو الاضطرار إلى عدم الخلاص من أحد قبيحين فيختار حينئذ الأهون منهما قبحا كما قيل حنانيك بعض الشر أهون من بعض مثاله من لم يستطع حقن دم معصوم أو مسلم مظلوم إلا بكذب أو خلف وعد أو نحو ذلك حسن منه دفع الشر الأعظم بالشر الأقل ومثل هذا لا يتصور في حق الرب جل جلاله لما ثبت من أنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وأما الخلف في الوعيد فليس هو في مرتبة القبيح الضروري لشهرة الخلاف فيه بين العقلاء وصحة تسميته في اللغة عفوا لا خلفا كما قال كعب بن زهير في قصيدته المعروفة ." (١)

" وللاحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث ولأن الأنبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم وأما قصة قوم يونس فتأتي في مسألة الوعيد

فان قيل إنما يحسن الخلف في الوعيد منا للجهل بالغيب مع نية الصدق فاما عالم الغيب فلو أخلف لم يصح ارادة الصدق عند الوعيد لعلمه بالعاقبة فلو أخلف كان كذبا قبيحا وهذا السؤال قوي إلا أن قوة التباسه بالانشاء هو الذي غرهم فالأولى ترك تجويز ذلك ولسنا نحتاج في هذه المسألة إلى تجويزه لا سيما وهذا الكتاب مبني على الأسلم والأحوط فقس ذلك على هذه القاعدة ولا تعدها فمن نهج السلامة نال السلامة وكثيرا ما يلتبس التخصيص بالخلف على من بعد عن تأمل السمع فأفرق بينهما فهو واضح

والكلام في هذه المسألة طويل وموضعه **مسألة الوعد والوعيد وهو** يأتي في آخر هذا المختصر إن شاء الله تعالى ومع ما قدمته من وقوع الشرط في الوعيد لا يحتاج إلى هذا ولا يمكن تقبيح العفو من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين عن

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٢٤

أحد من الموحدين والحمد لله رب العالمين لكنه لا سبيل إلى الأمان لأنه وسيلة إلى الفساد والطغيان والله أحكم من أن يؤمن المفسدين من تبوء الجزاء في الآخرة كما لم يسمح لهم الحدود في الدنيا بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار لحفظ الأموال ومصلحة الخلق في ذلك وهو الحكيم العليم الحميد المجيد الفعال لما يريد

وبهذا السؤال وجوابه تعلم سبب الخلاف في دوام العذاب فمن توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذي هو قوله تعالى إلا ما شاء ربك على عمومات الوعيد بالخلود ومن ذهب إلى أنه من المرجوحات الظنية المستندة إلى مجرد الاستبعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها على ما تكرر أن ما لم يتأولوه فتأويله بدعة ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور وسيأتي في موضعه الوجه في أنه أحوط الأقوال والله سبحانه أعلم ." (١)

" تعالى لا يريد الشر لكونه شرا وانه عدل حكيم فيما أمر ونهى وما علمنا وما جهلنا كما مضى في مسألة حكيم فيجب أن يبنى العام على الخاص في هذه الآيات كما يبني في آيات الوعد والوعيد ألا ترى أنه قال فيها يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم فسر من يعذبه بالمشركين ونحوهم ومن يغفر له بالمؤمنين فلم يجز بعد تفسيره أن تخلى المشيئة مطلقة حتى تخاف العذاب على الانبياء ونرجو الرضوان لمن مات مشركا وكذلك في آيات الضلال والهدى الخاص الزائد على الفطرة لما بينها الله تعالى وبين أن هذا الهدى الخاص مثل الثواب يختص أهل الخير بالوعد الحق ومن شاء الله من غيرهم بمحض الرحمة والفضل وان الضلال يختص بمن يستحقه من الأشرار وجب أن يحكم بأن الله تعالى لا يضل المهتدين ولا يضل أحدا إلا الفاسقين كما دل عليه في كتابه المبين والعمل على هذا من قواعد علماء الاسلام المعلومة

وأما كراهة القبائح فعلى ظاهرها وأما ارادتها ومحبتها فلم يرد به سمع منصوص جلي ولا قرآن ولا سنة ولا متواتر ولا آحاد فلا تعارض هنا ألبتة بل جاء في كتاب الله تعالى أن الله لا يريد ظلما للعباد وفي آية أخرى للعالمين وإن كان أظهر التفسيرين أن المعنى لا يريد سبحانه ظلما منه لهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وذلك مثل تمدحه جل جلاله بأنه ليس بظلام للعبيد وقد أوضحت وجهه في العواصم في البحث العاشر من هذه المسألة لكنه يقال أنه تعالى إنما نفي أرادته ظلم العباد لقبح الظلم وقبح ارادته لا لكونه محالا في قدرته لأنه لا معنى للتمدح بترك المحال في القدرة لان المحال لا تنبغي ارادته وصحته وبكل حال فقواعد أهل السنة تقتضي الايمان بهاتين الآيتين وقول من يقول أن الله يريد الظلم الواقع وسائر القبائح يخالف مفهومهما فيتعين تركه احتياطا ومحاذرة من مخالفة مفهوم كتاب الله تعالى الذي لم يعارضة منطوق صريح في العقائد التي لا ضرورة بنا إلى النص فيها على ما لم ينصه الله تعالى ورسوله وسيأتي أن من ادعى أن المعاصي مراده إنما أطلق ذلك مجازا على ما سيأتي من نصوص الأشعرية عليه

والحاصل في الجمع وجوه الوجه الاول دعوى عدم التعارض الموجب للجمع على وجه دقيق وإنما هو من قبيل العام والخاص وهو جلي لا يسمى متشابها لوضوحه ." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٢٧

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٣٨

" قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون أي ليعبدني العابدون منهم على أحد التفاسير كما قررته بشواهده في العواصم

يوضح ذلك حديث الخليل عليه السلام وفيه نهيه عن الدعاء على من رآه يعصي الله وفيه ان الله تعالى قال له إن قصر عبدي مني إحدى ثلاث إما أن يتوب إلي فأتوب عليه أو يستغفرني فأغفر له أو أخرج من صلبه من يعبدني رواه الطبراني ثم الهيثمي في مجمع الزوائد وهذه الاشارة مع الفطرة تكفي بحسب هذا المختصر إن شاء الله تعالى وتقدمت بقية المباحث في المسألة الأولى في إثبات حكمة الله تعالى

المسألة السابعة **في الوعد والوعيد والاسماء** الدينية وليس في هذه المسألة تكفير ولا تفسيق باتفاق الفريقين فيما علمت إلا ما يأتي ذكره في إحدى صورتين لا يقع فيهما أحد من أهل العلم والخير وهما التكذيب بعد التواتر وتجويز الخلف على الله تعالى في الوعد بالخير لأن الفريقين متفقون على وجوب صدق الله تعالى وإنما اختلفوا عند تعارض بعض السمع في كيفية الجمع بين المتعارضات والترجيح لبعضها على بعض فيما يصح فيه الترجيح أو الوقف عند عدم التمكن من الجمع والترجيح وقد صح بعض الاختلاف بين الملائكة عليهم السلام كما دل عليه قوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون كما تقدم شواهده في مسألة اثبات الحكمة وورد في الحديث الصحيح اختلاف الملائكة في هذه المسألة بعينها وذلك حيث اختلفوا في حكم النادم المهاجر بعد قتل مائة نفس حتى جاءهم ملك فحكم بينهم فكانت الاصابة لملائكة الرحمة ولله الحمد والمنة والحديث طويل رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ولا يصح تأثيم أحد منهم بالاجماع لأن الذين أرادوا عذابه إنما اشتد غضبهم لله تعالى والذين أرادوا نجاته إنما رجوا له سعة رحمة الله تعالى فكذلك علماء الاسلام في هذه المسألة إنما خاف بعضهم من مفاسد الامان وخاف بعضهم من مفاسد القنوط ومن مفسدة تكذيب البشرى ومفسدة ثقة الانسان بنفسه وحوله وقوته وعلمه ونحو ذلك ومن نظر بعين التحقيق وجد القول الحق الوارد في السنة خاليا من جميع هذه المفاسد ." (١)

" ولا شك أن رسول الله وآله مبين لكتاب الله عز و جل أمين على تأويله وأن المرجع في بيان كتاب الله تعالى إلى السنة الصحيحة فليس في كتاب الله تعالى من تفاصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج وأمثالها إلا اليسير ولا شك أن الاستثناء **من الوعد والوعيد وتخصيص** العمومات بالأدلة المتصلة والمنفصلة مقبول إما على جهة الجمع ولا شك في جوازه وصحته وحسنه والاجماع على ذلك وكثرة وقوعه من سلف الامة وخلفها بل لا شك في تقديمه في الرتبة والبداية بذلك قبل الترجيح فان تعذر الجمع فالترجيح فان وضح عمل به وإن لم يتضح وجب الوقف لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ولذلك اخترت الوقف في حكم قاتل المؤمن بعد الانتصاف منه للمظلوم والقطع على أنه فاسق ملعون واجب قتله والبراءة منه والقطع أن جزاءه جهنم خالدا فيها كما قال الله تعالى على ما أراد وإنما وقفت في محل التعارض الذي أوضحته في العواصم لا على حسب ما قيل في أن الله تعالى في هذه الآية هل بين جزاءه الذي له أن يفعله إن شاء أو بين جزاءه الذي تخير له في تنجيزه حين لم يبق إلا حقه بعد استيفاء حق المظلوم المقتول والله سبحانه أعلم

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٤٦

فمن رجح الجمع بين وعيد القاتل وبين قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وسائر آيات الرجاء وأحاديثه قال بالاول ومن رجح وعيد القاتل في هذه الآية وفي الاحاديث المخصصة لقتل المؤمن بقطع الرجاء كما أوضحته في العواصم رجح وعيد القاتل ومن تعارضت عليه ولم ير في تنجيز الاعتقاد مصلحة ولا له موجبا ولا اليه ضرورة رجح الوقف والله عند لسان كل قائل ونيته

ولا شك في ترجيح النص الخاص على العموم وتقديمه وعليه عمل علماء الاسلام في أدلة الشريعة ومن لم يقدمه في بعض المواضع لم يمكنه الوفاء بذلك في كل موضع واضطر إلى التحكم والتلون من غير حجة بينة وقد أجمع من يعتد به من المسلمين على تخصيص الصغائر من آيات الوعيد العامة على جميع المعاصي متى كان أهل الصغائر من المسلمين ولم يلزم من ذلك خلف في آيات الوعيد ولا كذب ولا تكذيب لشيء منها فكذلك ." (١)

" وأنس بن مالك وابن عمرو رواه الحاكم في المستدرك من حديث جعفر ابن محمد الصادق عن أبيه الباقر عن جابر وفي حديث ابن عمر حرب بن شريح وثقه جماعة وفيه خلاف يسير ينجبر بالشواهد وروى عنه نحو ذلك بغير لفظه من طريق النعمان بن قراد وهو ثقة رواهما الهيثمي في مجمعه ولفظ حديث النعمان أن شفاعتي ليست للمؤمنين المتقين لكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين وروى الهيثمي نحو ذلك عن أم سلمة وعبد الله ابن بسر وأبي أمامة ومنهم من روى أن الله يفدي كل مسلم بكافر كما رواه مسلم من حديث أبي موسى بأسانيد على شرط الجماعة

ومن ذلك ما ورد فيمن كان آخر كلامه لا أله إلا الله وقد تقصاها الحافظ ابن حجر في تلخيصه في كتاب الجنائز ثم ما ورد في الرجاء لأهل الأمراض والفقر والمصائب وفي موت الاولاد والاصفياء وفي هذا النوع وحده عن ثمانية عشر صحابيا ثم ما جاء في فضائل الايمان والاسلام والوضوء والصلوات والصدقة والصلة والجهاد والشهادة والاذكار وسائر الاعمال الصالحة مع ما شهد لذلك من سعة رحمة الله تعالى المنصوصة في الكتاب والسنة وأنها الموجبة دخول الجنة لا العمل في أربعة عشر حديثا ويشهد لها أن الله تعالى سمى الجنة فضله في غير آية وأن المائة الرحمة أعدت ليوم القيامة في عشرة أحاديث ويشهد لها قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه وما دل على جواز ورود ذلك من آيات القرآن الكريم وهي أنواع كثيرة

منها قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهي أبين آية **في الوعد والوعيد وقد** جودت الكلام عليها في العواصم بحمد الله تعالى ." (٢)

" الشيطان على أخيكم أما أنه يحب الله ورسوله رواه البخاري وكذلك حديث ضمضم عن أبي هريرة في المتآخيين المجتهد في العبادة والمسرف على نفسه كما تقدم في المسألة السابعة بل يدل عليه في حق أهل الاسلام قوله تعالى وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فجعل الايمان بالله وحده غاية ينقطع عندها وجوب العداوة والبغضاء ومنه استئذانه وآله في زيارة قبري والديه وزيارته لهما وشفاعة إبراهيم لأبيه فان الباعث على تخصيصهم بذلك هو الحب

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٤٧

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٥١

للرحامة ومنه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولعلك باخع نفسك لشدة شفقته ورفقه ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء قال يعني النبي وآله اني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ثم نطقنا بعد ورجونا رواه في مجمع الزوائد في موضعين من خمس طرق أحدها صحيح وله شاهد عن ابن مسعود بل أحاديث الشفاعة المتواترة تشهد له والله أعلم

فيه وفي آية الممتحنة فائدة نفيسة هي أن ذلك آخر الامرين إن روى ما يعارض هذه الأدلة وقد ذكرت في العواصم أدلة كثيرة على تأخر ذلك في أول **مسألة الوعد والوعيد وهي** مفيدة جدا ثم وجدته قد ذكره النووي وقواه في شرح مسلم ويعضده ما نص عليه من العفو عمن فر يوم أحد ومن حديث أهل الافك إلا الذي تولى كبره منهم لأنه عبد الله بن أبي بن سلول وهو منافق ومنه حديث مسطح ونزول الآية فيه ومنه تحريم المشاحنة والمهاجرة بل جعلها كالشرك في منع المغفرة للمتهاجرين حتى يصطلحا كما صح ذلك من حديث أبي هريرة وله شواهد كثير عن أبي بكر وعوف بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاذ وأبي ثعلبة وأسامة وابن مسعود وجابر ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد في شحناء الرجل على أخيه والاخ يطلق على المسلم لقوله تعالى فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي إلى قوله إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم فسمى الباغي أخا ولقول رسول الله وآله في المحدود ." (١)

" روايتها وقد ذكرت منها كثيرا في آخر العواصم في أحاديث الرجاء ولولا خوف الاطالة لذكرتها هنا وكذلك ما جاء في من آمن بالله ورسله كقوله تعالى في الجنة أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ونظائرها مما ذكرته في العواصم ومثل قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومثل أحاديث الشفاعة وقد تقدمت الاشارة إلى تواتر معنى ذلك في **مسألة الوعد والوعيد في** هذا المختصر وبسطتها في العواصم فقاربت خمسمائة حديث مع ما في القرآن العظيم مما يغني عنها لو لم ترد

ويشهد لها بعد ورودها على ما قدرته في العواصم في الكلام على قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم الصحابة للبشرى فيها وفرحهم بها وإقرار المتأولين لها برواية ذلك عنهم وذلك يدل على عدم تأويلها ومنهم علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وقد جودت الكلام عليها هنالك بحمد الله وحسن هدايته وتوفيقه

ومن ذلك ما جاء فيمن أقام الاركان الخمسة ونحو هذه الأمور وهي أنواع كثيرة جدا معناها متواتر ضروري معارض لما يفهم منه تكفير المبتدعة من هذه الأمور ومن أقبح التكفير ما كان منه مستند إلى وجه ينكره المخالف من أهل المذهب مثل تكفير أبي الحسين وأصحابه بنفي علم الغيب وهم ينكرونه وتكفير الاشعرية بالجبر الخالص الذي هو قول الجهمية الجبرية وهم ينكرونه والله تعالى يقول ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٧٤

ومن العجب أن الخصوم من البهاشمة وغيرهم لم يساعدوا على تكفير النصارى الذي قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومن قال بقولهم مع نص القرآن على كفرهم إلا بشرط أن يعتقدوا ذلك مع القول وعارضوا هذه الآية الظاهرة بعموم مفهوم قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا كما سيأتي بيانه وضعفه مع وضوح الآية الكريمة في الكفر بالقول عضدها حديثان ." [1]

" فصل في الفسق

وهو أقسام باعتبار العرف الاول والآخر واسم الفاعل واسم الفعل وباعتبار التصريح والتأويل

فاما العرف الأول في اسم الفاعل فانه يدل ان الفاسق من الكفار من لا حياء ولا مروءة ولا عهد ولا عقد له كما فسره بذلك الزمخشري في بعض الآيات الدالة على ذلك فان الله تعالى يقول في الكفار من اليهود وغيرهم وأكثرهم فاسقون وفي بعض الآيات وكثير منهم فاسقون كما أوضحته في الاول من العواصم مبسوطا بسطا شافيا زائدا على ما يعتاد في ذلك من البسط

وأما باعتبار اسم الفعل ففيه قوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وقول رسول الله وآله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر في أحاديث كثيرة متفق على صحتها

وأما العرف المتأخر فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر والفاسق يختص بمرتكبها وعند المعتزلة لا يسمي كافرا ولا مؤمنا ولا مسلما وعند أهل الحديث والاشعرية لا يسمى كافرا وأما اسم الاسلام فان اعتبرنا تمامه وكماله لم نسمه مؤمنا ولا مسلما وان اعتبرنا أقله سميناه مؤمنا ومسلما الا ان تسميته مسلما اعتبارا بالاقل من مراتب الاسلام هو العرف الاكثر بخلاف تسميته مؤمنا وفي ذلك من الآيات والأحاديث ما لا يحتمله هذا المختصر وقد استوفيت الكلام فيه في مسألة الوعد والوعيد في آخر العواصم ." [2]

"كتاب وافق اسمه مسماه وصدق لفظه ومعناه وكذلك دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب رسول الله وآله وBهم وأرضاهم وتعظيمهم وتكريمهم واحترامهم وتوقيرهم ورفع منزلتهم والاحتجاج باجماعهم والاستنان بآثارهم واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من انهم خير أمة أخرجت للناس وفيهم يقول الله تعالى والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود الآية

وفي تعظيم حق أهل البيت يقول رسول الله ستة لعنتهم لعنهم الله وذكرهم الي أن قال والمستحل من عترتي لما حرم الله تعالى رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

وفي تعظيم حق الصحابة رضي الله عنهم يقول اذا سمعتم من يلعن أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم رواه الترمذي

وكذلك يجب حب المؤمنين علمائهم وعامتهم ونصيحتهم واكرامهم لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه وقد تقدم في مسألة الوعد والوعيد فوائد تعلق بحكم الخالطين من المسلمين وخصوص المؤمنين والتحذير من مشاحنتهم واضمار الغل لهم والمحافظة على ذلك والتواصي به على مقتضى

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٧٩

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/٤٠٧

ما وصف الله تعالى به المؤمنين من التواصي بالحق والصبر والمرحمة جعلنا الله من العاملين بذلك وهو الهادي لا اله الا هو نعم المولى ونعم النصير له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل

والاولى لكل حازم أن يشترط في كل ما يعتقده من المشكلات المختلف فيها ان يكون موافقا لما هو الحق عند الله تعالى وأن لا يكون فيه مخالفة لشيء من كتب الله تعالى ولا لما جاءت به رسل الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام وان كان الوقف حيث يجوز أحزم وأسلم فان العصمة مرتفعة والثقة بالفهم أو الانصاف غير مفيد للعلم الضروري بالسلامة من ذلك ." (١)

"والإيمان قول ، وعمل ، ونية ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا . وإذا سئل العبد عن الإيمان ،أمؤمن أنت أم مسلم ، فليقل : أمنت بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، أو يقول مؤمن إن شاء الله ، والتصديق هو أن يصدق بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،وجميع ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم أجمعين . ويولده العمل ، والقيام بما وردت به الشريعة من قول ، وفعل ، والإسلام مبنى على خمسة أركان ، ليس لها سادس ، فإذا رأيت أحدا يقول مبني على ستة فأعلم أنه مبتدع ، بل هو خمس ، شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع / إليه سبيلا.(١)

---

(٨) – المسألة الثامنة :

مسألة الأيمان : تكلم فيها عن أصول أهل السنة في هذه المسألة وأولها :

الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهذه المسألة مهمة ، إذ إن هذه المسألة تتضمن أصلين كبيرين :

المسألة الأول :- مسألة الإيمان والدين .

والثانية :- **مسألة الوعد والوعيد** ، وأحوال الناس في الآخرة .

أما المسالة الأولى وهى الإيمان والدين :

ففيها يتكلم أهل السنة عن تلك الألفاظ التي ورد بها الكتاب ، والسنة ، من المؤمن ، والكافر، والفاسق والظالم، والعاصي .

....

تخطيط هيكليوتفصيل المسألة كالتالي :

وهذا بيانها :

الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وهو على النحو التالي :

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٤١٧

قول القلب : وهو اعتقاده ، وتصديقه ، ومعرفته بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره

.

قول اللسان : وهو نطقه بالشهادتين .." (١)

"دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة.. ثم قال: "فقائل ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر.. بتكذيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن كذبه بكلمة من أقاويله فهو كافر بالإجماع" [فضائح الباطنية: ص١٤٩.].)(١) أ. هـ باختصار وحذف بعض الأعلام الذين ذكرهم الدكتور / ناصر ؛ لعدم الإطالة .

ضوابط مهمة في مسألة التكفير :

...(مما يجب مراعاته حسب منهج أهل السنة في التكفير "أن هذه الأقوال التي يقولونها والتي يعلم أنها مخالفة لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم هي كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي أيضا كفر.. لكن تكفير الواحد المعين من أهل القبلة والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير، وانتفاء موانعه؛ فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا يحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له، ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، ومن هؤلاء من لا يكون بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا

يعلم أن الرسول بعث بذلك، فيطلق أن هذا القول كفر، ويكفر من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها دون غيره" [الفتاوى: ٢٨/٥٠٠-٥٠١، وانظر لتفصيل هذه المسألة: الفتاوى: ١٢/٤٦٦ وما بعدها، ٢٣/٣٤٥ وما بعدها.].)(٢)

بقي أن نقول :

---

(١) – أصول مذهب الشيعة .

(٢) – السابق . ومن الضروري الرجوع إلى كتاب (لله ثم للتاريخ .. كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار) ت حسين الموسوي ، شيعي معاصر رجع إلى مذهب أهل السنة وقتل ! العام الماضي في العراق على أيدي الشيعة الرافضة هناك بعد أن حكموا عليه بالكفر في الحوزة العلمية في النجف .." (٢)

"باب رواية النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل **في الوعد والوعيد** ، والترغيب والترهيب ، سوى ما في الكتاب

قال الله عز وجل : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾.

وقال جل وعلا : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾

٤٤٧- أخبرنا أبو طاهر الفقيه ، وأبو يعلى المهلبي ، قالا : أخبرنا أبو بكر القطان ، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي ،

---

(١) إعتقاد أهل السنة .. للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي، ص/١٤

(٢) إعتقاد أهل السنة .. للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي، ص/٢٨

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : كذبني عبدي ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني عبدي ، ولم يكن له ذلك ، وأما تكذيبه إياي ، أن يقول : لن يعيدنا كما بدأنا ، وأما شتمه إياي ، يقول : اتخذ الله ولدا ، وأنا الصمد لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :." (١)

"مصادم له؛ لأن الوارد في الشرع هو أن تلك الكواكب أجرام نيرة متفاوتة في النور والضياء حسبما أودع فيها، أجرى الله تعالى المتحرك منها في مجاريها من أفلاكها ليهتدي الناس بها في أسفارهم وغير ذلك من الحكم.

والحق كما قاله بعض المحققين: أن القائلين بما ذكر انعكس عليهم كشفهم، فرأوا الأرض وما فيها من جبال ... إلخ، وحسبوا أن ذلك في الكواكب، كلا ورب العزة إن الكواكب السيارة ليس فيها شيء مما ذكروا حسبما يأتي النص على ذلك، وليست محلا له، فينبغي للمؤمن أن يتحاشى عن مثل هذه الخرافات، ويطلب معرفة أحكام دينه ويعمل بها ليحصل له الفوز الأكبر يوم القيامة عند ربه.

سؤال: ما حكم من أنكر وجود الجن؟ وما يترتب على إنكاره من الأحكام؟

الجواب: يحكم الشرع بارتداده، حيث اعتنق الإسلام قبل، وذلك أنه مكذب لصريح القرآن، أعني إخبار الله تعالى بوجودهم وأنهم شق للإنس، (١)

والتكليف من الشارع وارد على الشقين

---

(١) قوله: والتكليف من ... إلخ، فمنكر التكليف كمنكر الوجود؛ لأن دليل كل الكتاب، وسئل العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني عن هذه المسألة، فأجاب بما ملخصه: قال ابن عبد البر: الجن عند الجماعة مكلفون. قال عبد الجبار: لا نعلم خلافا بين أهل النظر في تكليف الجن، إلا ما حكي عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم، وليسوا مكلفين. والدليل للجماعة: ما في القرآن من الوعد والوعيد، وهما لا يكونان إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من الفعل والترك. ونقل ابن عطية وغيره: الإجماع على أن الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص، وأن النبي مبعوث إليهم بإجماع، قال تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾، والجن بلغهم القرآن؛ لقوله تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾، وقال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ ا. هـ. باختصار. وكذا سئل عنها أبو العباس

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، ١/٥٢٤

أحمد التجاني أيضا، فأجاب بما ملخصه: لا فرق بين الجن وبني آدم في عموم التكليف، والنصوص في ذلك لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فما ذكره تعالى في سورة الأحقاف وسورة الجن، ومن السنة "بعثت إلى الثقلين الجن والإنس"، وهو حديث مجمع على صحته، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر، وكذا: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" يوم القيامة عند الامتثال والمخالفة ا. هـ. جواهر المعاني.

وقال في الإبريز: إن الجن والشياطين وقاتل النفس مع بعض العصاة يعذبون يوم القيامة بالزمهرير لا بالنار الحامية، أما غير الجن والشياطين فزيادة تشديد عليهم في العذاب، وأما هما فلأن النار الحامية طبعهما، فلا تضرهما، وإنما يعذبان بالزمهرير والبرد، والجن في الدنيا يخافون من البرد خوفا شديدا، فتراهم إذا كانوا في زمن الصيف وفي الهواء يتخوفون من هبوب الريح الباردة، فإذا هبت فروا فرار حمر الوحش، وأما الماء فلا يدخله الجن ولا الشياطين أبدا، فإن قدر على أحد بدخوله طفئ وذاب كما يذوب أحدنا إذا أدخل النار.." (١)

"١٧٩- باب **في الوعد والوعيد وإن** لله فيه خيارا ومشيئة

٩٦٠- حدثنا هدبة ، حدثنا سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار

٩٦١- حدثنا أبو كامل الفضيل بن حسين ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا كما أخذ على النساء فقال إن أصاب أحد منكم حدا تعجلت له عقوبة فهو كفارة له ومن أخر عنه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ورواه أيضا يحيى عن عبادة وقال إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ورواه أبو إدريس الخولاني عن عبادة

٩٦٢- ورواه أبو إدريس الخولاني عن عبادة." (٢)

"فلم يقولوا بذهاب بعض وبقاء بعض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان)).اهـ(١).

* الأصل الثاني:

ما ضمنه شرحه للأصفهانية حيث قال:

((وأصل هؤلاء أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم. بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها..))اهـ(٢).

وهذا هو معنى أن يجتمع في العبد: إيمان وكفر، وإسلام ونفاق، وسنة وبدعة، وطاعة ومعصية.. وهو الحق الذي دلت عليه نصوص الإيمان من الكتاب والسنة.

* الأصل الثالث:

---

(١) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، ص/٤٣

(٢) السنة لابن أبي عاصم، ٢/٤٦٦

ما ذكره العلماء- رحمهم الله- من طريقة أهل البدع في تلقي النصوص والشريفة ((الوحي)) سواء كانوا من الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، أو من المرجئة على تنوع مراتبهم وأصنافهم، فهم لا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد؛ بل إنهم — في استدلالهم، ينفردون فيهما بما يؤيد مذاهبهم.

أ-فالوعيدية يستدلون بنصوص الوعيد، ويهملون نصوص الوعد، أو لا يجمعونها مع نصوص الوعيد في التلقي والاستدلال.

ب-وكذلك المرجئة يعولون على نصوص الوعد، دون اعتبار للنصوص الواردة في الوعيد، وجمعها في التلقي والاستدلال مع نصوص الوعد. فكلاهما آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

أما أهل السنة والجماعة فآمنوا بالكتاب كله، وعولوا على النصوص جميعها، فنظروا إلى نصوص الوعيد مع نصوص الوعد، فلم يضطربوا ولم يفرقوا بين المتماثلات وإنما كانوا الأمة الوسط، وأسعد الفريقين بالمذهب الحق.

* الأصل الرابع:

---

(١) انظره في المجموع (٧/٥١٠)، وانظر ما بعده، وشرح حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) في المجموع (١٨/٢٧٠، ٢٧٦)، والإيمان الكبير (٢٠٩-٢١١)، والفرقان بين الحق والباطل في المجموع ١٣/٤٨-٥٠، وشرح الأصفهانية (١٤٣-١٤٤)، والحديث مخرج في الصحيحين.

(٢) في شرح الأصفهانية (١٣٧-١٣٨)، وانظر الفرقان بين الحق والباطل (١٣-٤٨).." [١]

"((فصل: إذا تبين ذلك فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة، والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان..)).

وبنحو هذا ما لخصه الحافظ ابن رجب في شرحه لحديث جبرائيل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان حيث يقول: ((وهذه المسائل: أعني مسائل الأسماء والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جدا؛ فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار.

والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرج الخوارج عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأقوالهم.

ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

وقد صنف العلماء قديما وحديثا في هذه المسائل تصانيف متعددة..))اهـ.

هذا طرف مهم من أهمية موضوع الكفر والإيمان، والتبصر فيهما وتعلم مسائلهما وإدراك ذلك إدراكا جيدا، مع الحذر الشديد من الانزلاق في مهاوي التكفير والتبديع والتفسيق، أو الحكم على المعين بكمال إيمان، أو جنة أو نار إلا من شهد

---

(١) مسألة الإيمان للشبل، ص/١٠

له النص الشريف من الوحيين بذلك، فهذه قاعدة أصيلة من قواعد أهل السنة والجماعة؛ بل ومن أصول عقائدهم.

* * *

الكفر ومعناه:

بعد تبين أهمية معرفة الكفر وتأكده على المسلم الحريص على نجاته وسلامة دينه وعاقبته، اعلم- رحمك الله- أن الكفر له في أصل معناه عدة معان.." (١)

"ونقول: إن سمة أهل السنة الوسطية لا إلى إفراط ولا إلى تفريط كما وصفهم ابن تيمية بقوله: "وهم (أهل السنة والجماعة) وسط في باب أفعال الله عز وجل بين المعتزلة والمكذبين بالقدر والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله. وفي باب الوعد والوعيد، بن الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار. وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالي في بعضهم الذين يقول فيه بإلهية أو نبوة، والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهو خيار هذه الأمة"(١٣٢).

وثالثها: قوله: "وليست مهمتنا اليوم الانتصار لفرقة على أخرى..".

ونقول: بل إن مهمتنا الأساسية في الحياة هي إظهار عوار الباطل الذي تشتمل عليه أقاويل تلك الفرق الاثنتين والسبعين كما إن من مهمتنا مناهضة الكفر والإلحاد سواء بسواء، والمقبول من العمل هو ما كان خالصا صوابا، خالصا لوجه الله تعالى وصوابا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالتلفيق ومحاولة التقارب المزعوم بين الفرق هو بمثابة الطعن في صحة عقيدة الحق التي عليها أهل السنة والجماعة، عقيدة السلف الصالح، وعقيدة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المدرسة الإصلاحية الحديثة:." (٢)

"ومعناه المبتدع صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لقرينة فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام.

وهو أصل منهجي من أصول الأشاعرة وليس هو خاصا بمبحث الصفات بل يشمل أكثر نصوص الإيمان خاصة ما يتعلق بإثبات زيادته ونقصانه وتسمية بعض شعبه إيمانا ونحوها، وكذا بعض **نصوص الوعد والوعيد وقصص** الأنبياء خصوصا موضوع العصمة، وبعض الأوامر التكليفية أيضا.

وضرورته لمنهج عقيدتهم أصلها أنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي قرروها بعيدا عن الشرع مع النصوص الشرعية وقعوا في مأزق رد الكل أو أخذ الكل، فوجدوا في التأويل مهربا عقليا من التعارض الذي اختلقته أوهامهم، ولهذا قالوا إننا مضطرون للتأويل، وإلا أوقعنا القرآن في تناقض. وأن الخلف لم يؤولوا عن هوى ومكابرة وإنما عن حاجة واضطرار؟ فأي تناقض في كتاب الله يا مسلمون نضطر معه إلى رد بعضه أو الاعتراف للأعداء بتناقضه؟.

---

(١) مسألة الإيمان للشبل، ص/٤٢

(٢) دفاع عن العقيدة وعن ابن باز، ص/٩٩

وقد اعترف الصابوني بأن في مذهب الأشاعرة "تأويلات غريبة"، فما المعيار الذي عرف به الغريب من الغريب؟.
وهنا لابد من زيادة التأكيد على أن مذهب السلف لا تأويل فيه لنص من النصوص الشرعية إطلاقا ولا يوجد نص واحد – لا في الصفات ولا غيرها – اضطر السلف إلى تأويله ولله الحمد، وكل الآيات والأحاديث التي ذكرها الصابوني وغيره تحمل في نفسها ما يدل على المعنى الصحيح الذي فهمه السلف منها والذي يدل على تنزيه الله تعالى دون أدنى حاجة إلى التأويل.

أما التأويل في كلام السلف فله معنيان:

(١) التفسير كما تجد في تفسير الطبري ونحوه "القول في تأويل هذه الآية" أي في تفسيرها.

(٢) الحقيقة التي يصير إليها الشيء كما في قوله تعالى: ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ أي تحقيقها وقوله: ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ أي تحقيقه ووقوعه.." (١)

"المبحث السادس : في التنزيه عن الشريك . وفيه بيان علاقة المبحث بالفصل . ثم ذكر تفرد الرب بالأسماء المختصة به ، وتفرده بكمال معاني الأسماء المتواطئة ، ثم تفرده بلازم أسمائه الحسنى .

والفصل الثاني : في دلالة آحاد الأسماء الحسنى على التنزيه . ويتكون من تمهيد ، وثلاثة مباحث : .

التمهيد : في أنواع الأسماء الحسنى . وفيه ذكر أقسام الأسماء الحسنى ، وما يندرج تحت كل قسم من الأنواع ، وترابط هذه الأنواع ، وأهم آثار هذا الترابط .

المبحث الأول : التنزيه المطلق . وفيه بيان مدلول التنزيه المطلق ، وأدلته من أسماء التقديس ، ثم ذكر أدلته من أسماء التمجيد ، وما تتوقف عليه دلالتها من أصول .

المبحث الثاني : التنزيه عن أعيان النقائص . وفيه ذكر التنزيه عن الحدوث وخصائصه ، والتنزيه عن الجهل ، والعجز ، والعبث ، والخلق لهوا وعبثا ، وإهمال العباد ، وإخلاف الوعد والوعيد ، والتنزيه عن الظلم ، والفقر ، والبخل ، وفي ثنايا ذلك كله ذكر أدلة التنزيه المفصلة على هذه النقائص ، مع بيان وجه دلالة الأسماء الحسنى على تلك التنزيهات .

المبحث الثالث : التنزيه عن المثل . وفيه ذكر معنى التمثيل ، وأنواعه ، ثم أدلة بطلانه عقلا ونقلا ، مع بيان وجه دلالة الأسماء الحسنى على بطلانه .

وأما الخاتمة فإجمال لأهم نتائج البحث .." (٢)

"ثالثا : إخلاف الوعد والوعيد؛ قال تعالى : ﴿ إن وعد الله حق ﴾ [يونس : ٥٥] ، وقال : ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ [إبراهيم : ٤٧]، وقال : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ [الحج : ٤٧] ، وقال : ﴿ لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ [ق : ٢٨ ، ٢٩] ، وقال : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ [الأنعام : ١١٥] ؛ فالله - تبارك

---

(١) دفاع عن العقيدة وعن ابن باز، ص/١١٢

(٢) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ص/٧

وتعالى ـ منزه عن إخلاف وعده ووعيده بمقتضى هذه النصوص المحكمة ونظائرها ؛ لما في الخلف من العبث المنافي لحكمة الإله الحق ؛ فإن أصل الحق لغة بمعنى المطابقة والموافقة ؛ فأفعال الرب مطابقة للحكمة ، وأقواله مطابقة لما عليه الشيء في نفسه ؛ ولهذا كانت أفعاله وأقواله كلها حقا ، ووعده ووعيده كله حقا وصدقا ، قال تعالى : ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [النساء : ١٢٢] ، وقال : ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] ؛ فصدق الله يقتضي تحقق وعده ووعيده ، وعدم الخلف فيهما ؛ لأنه الإله الحق ؛ فلا يكون كلامه إلا حقا ؛ أي مطابقا لما عليه الشيء في نفسه ؛ ولهذا سمى نفسه بالمؤمن ؛ فإنه في أحد التفسيرين بمعنى المصدق ؛ أي المصدق لرسله بما يظهره لهم من آياته ، ومصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب ، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب (٢٦٩) .." [(١)]

"وشأن الوعد والوعيد شأن عظيم ؛ فقد دلت النصوص المحكمة على أن الغاية المقصودة في مفعولات الرب ومأموراته تتضمن معرفة الرب بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له ، وإنجاز وعده لمن أطاعه قولا وعملا ، وإنفاذ وعيده فيمن عصاه قولا أو عملا ، قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [الطلاق : ١٢] ، وقال : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦]، وقال : ﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ [يونس : ٤]؛ ولهذا كان تحقيق وعد الله ووعيده ، واستحالة إخلافه أو تبديله موجب كثير من أسماء الله الحسنى ، ومنها : .

١ ـ أسماء العلم ؛ كالعليم ، والخبير ، والشهيد ، والمهيمن ، والرقيب ، والسميع ، والبصير ؛ فإن هذه الأسماء تدل على العلم التام المحيط بما دق أو جل من أعمال العباد ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] .." [(٢)]

"٢ ـ أسماء القدرة ؛ كالقدير ، والعزيز ، والقهار ، والمقيت ، والمتين ؛ فإنها جميعا تدل على تفرد الرب بالقدرة التامة ؛ فلا شيء يمنعه من إنفاذ وعده ووعيده في المحل الذي تقتضيه حكمته ؛ يقول ابن سعدي : ((طريقة القرآن ذكر العلم والقدرة عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازي عليها ، فيفيد ذلك الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وأن الأمر الديني والجزائي أثر من آثارها ، وموجب من موجباتها ، وهي مقتضية له)) (٢٧٠) .

٣ ـ أسماء الرحمة والفضل ؛ كالرحيم ، والرؤوف ، والغني ، والبر ، والشكور ؛ فإن هذه الأسماء ونظائرها تقتضي إيصال الثواب الموعود لأهله وعدم إخلافه .

---

(١) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ص/٩٠

(٢) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ص/٩١

٤ ـ أسماء الحكمة والعدل ؛ كالحكيم ، والحكم ، والعدل ، والمقسط ، والفتاح ؛ فإن عدل الله وحكمته يتضمنان وضع الأشياء في مواضعها ؛ فلا يعاقب من لا يستحق العقاب ، ولا يخلف من يستحق الثواب (٢٧١) .." (١)

"وهذا أصل مطرد في **نصوص الوعد والوعيد** ؛ فإنها لا بد أن تتحقق ، ويستحيل أن تتخلف . وهذا حكم كلي يطلق على وجه العموم والإطلاق لا على سبيل التعيين والتخصيص ؛ لأن المعين قد يقوم به مانع من موانع تحقق الوعد أو الوعيد . وقد دل الاستقراء الكلي لنصوص الوحي أن الموانع من إنفاذ الوعيد ثمانية ؛ ثلاثة من المذنب ؛ وهي التوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية . وثلاثة من غيره من الخلق ؛ وهي دعاء المؤمنين ، وإهداء ما يمكن وصوله من ثواب الأعمال ، والشفاعة في عصاة الموحدين . واثنان من الله تعالى ؛ وهما المصائب المكفرة في الدنيا والبرزخ والآخرة ، والعفو المحض بلا سبب من العباد ، وأدلة هذه الجمل معلومة مستفيضة (٢٧٧) .

أما الموانع من تحقق الوعد فهي كثيرة جدا ، ويجمعها عدم تحقيق الإيمان قولا وعملا ، أو وجود محبط من محبطات الأعمال ؛ كالرياء ، وإرادة الدنيا بالعمل الصالح ، والبدع ، والكبائر ، والردة المتصلة بالموت . وهذه المحبطات متفاوتة التأثير ؛ فمنها ما يمنع تحقق الوعد مطلقا ؛ كالردة ، ومنها ما قد يمنعه في بعض الأوقات دون بعض ؛ كالكبيرة ؛ فإن من شاء الله مؤاخذته من أصحاب الكبائر عذبه بقدر ذنبه ثم إن مآله يكون إلى الجنة قطعا بإجماع أهل السنة والجماعة (٢٧٨) .

وهذه الطريقة أولى من قول من فرق **بين الوعد والوعيد** ؛ فجوز إخلاف الوعيد دون الوعد (٢٧٩) ؛ بحجة أن الخلف في الوعيد مع القدرة على إنفاذه يعد كرما يمدح به صاحبه ، كما قال عامر بن الطفيل : .

وإني إن أوعدته أو وعدته

؟

لمخلف إيعادي ومنجز وعدي

(٢٨٠)

وهذا غير مسلم ؛ لإن إخلاف الوعيد يجوز على العباد ، ويعد كرما في حقهم ، ولكنه لا يجوز على الله تعالى ؛ لأنه يستلزم لوازم باطلة ، منها : .." (٢)

"ولشيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله تفصيل طويل في مثل هذا المقام فيمن يأتي بالمكفرات حيث يكفر بعضهم وبعضهم لا يكفر فنحن نعيش بين أناس نعرف عقائدهم وموقفهم من الإسلام لذلك لابد من التفصيل ومن لم يتبين له الهدى وظن أن ما هو عليه هو الإسلام الذي جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحالت بينه وبين الفهم الصحيح شبة وجهل وإشكال على كلام المشائخ والمنتسبين إلى العلم الذين لا يفرقون بين الشرك وبين التوحيد نشأوا في تلك البيئة وظنوا أن ما هم عليه هو الإسلام ويسمعون من بعض المشائخ من يقول إن الذبح لغير الله والنذر للصالحين والطواف بأضرحتهم ودعائهم والاستغاثة بهم كل ذلك من محبة الصالحين ولا يضر التوحيد وليس بشرك ، وظنوا أن هذا هو الحق ،

---

(١) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ص/٩٢

(٢) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ص/٩٥

أمثال هؤلاء لابد أن يعذرون حتى ينتقلوا من تلك البيئة ويفهموا عقيدة دين الإسلام الفهم الصحيح ومرجع من يفصل هذا التفصيل يستدل بآيتين من سورة البقرة ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفي آية في سورة النساء ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ أما من لم يتبين له الهدى ولم يتعمد مشاقة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام بل ظن أن ما يفعله هو الهدى وهو الحق الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لابد من بيان الحق له أولا [دعوته] ومحاولة [إصلاحه] فإذا تبين له ونفسر بعد ذلك بما هو عليه وتقاليده يحكم عليه بأنه كافر كفرا بواحا ومشركا شركا أكبر لابد من هذا التفصيل كما نفهم ذلك من واقع الناس لأنك لو وعضت هؤلاء الذين يشركون بالله هذا الشرك الأكبر وذكرتهم بالله وذكرت لهم الجنة والنار وأسمعتهم **نصوص الوعد والوعيد لوجدهم** يتأثرون تأثرا بالغا بمعنى لم يصب قلوبهم شئ من الخراب ، خراب القلب هو الكفر طالما يوجد في قلب المرء خشية وخوف من الله والرجاء." (١)

"واما إدخال أسماء الله وصفاته او بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله او اعتقاد آن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تاويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فانهم وان أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام علي هذا من وجهين الاول من قال آن هذا من المتشابه وانه لا يفهم معناه فنقول آما الدليل علي ذلك فاني ما اعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا احمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفي أحد آن يعلم معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا ي قالوا آن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وانما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها و أبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عن عماد لت عليه ونصوص احمد اجمد والائمة قبله بينة في انهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص علي ما دلت عليه من معناها ويفهمون منه للبعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير ذلك واحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد مثل قوله " من غشنا فليس منا " وأحاديث الفضائل ومقصودة آن الحديث لا يحرف كلمة عن مواضيعه كما يفعله من يحرفه ويسمي تحريفه تاويلا بالصرف المتأخر فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل وكذلك نص احمد في كتاب الرد علي الزنادقة و الجهمية انهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم احمد علي ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تاويل الجهمية وجري في ذلك علي سنن الأئمة قبله فهذا اتفاق من الأئمة علي انهم يعملون معني هذا المتشابه وان لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر فاتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه او الحاد في أسماء الله وآياته انتهي .." (٢)

"وكذلك قوله: ﴿سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾ يستحق الساب الوعيد هنا أيضا فأهل السنة والجماعة لا ينفون استحقاق العاصي ومرتكب الكبيرة للعقوبة؛ لأن الله سبحانه وتعالى رتب في النصوص هذه العقوبة، فقال سبحانه: ومن

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للشيخ أمان الجامي، ص/٣٦

(٢) تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة، ص/٢٩

يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا [الفرقان:٦٨-٧٠] وقال سبحانه: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به [النساء:١٢٣] إذا هناك وعيد مستحق مترتب -كما ذكرنا- لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة، وقد قلنا: إن مثل هذا قول غلاتهم، ولا يعرف أن معينا منهم كتب هذا أو دعا إليه وإنما هو على سبيل الإلزام أحيانا، وعلى سبيل الجدل حينا آخر وأكثرهم غلوا هو جهم وهو خارج من الملة! ومذهبهم خارج عن دين الإسلام بالكلية -نسأل الله العفو والعافية- والمهم أن هذه المقولة: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة لم يعرف أن أحدا منهم صرح بهذا اللفظ والتزمه، وقد ذكرنا أن الخوارج الغلاة ومنهم الأزارقة ثم النجدات ثم الإباضية فالأزارقة لا يعلم لهم الآن كتاب نحاكمهم إليه؛ لكن أقرب مصدر فيه أخبار الأزارقة هو كتاب (الكامل) ومؤلفه المبرد النحوي وقد كان متهما برأيهم ويميل إليهم وأسانيده عالية، وهو من أهم المصادر وأقدمها وقد أطال في ذكرهم.

أما الإباضية فقد قامت عليها دولة فتطبع وتنشر لها، بل إن لها بعض المؤسسات في دول أخرى.

قبل أن نقول: ما الحكم إذا اجتمع الوعد والوعيد على مذهب أهل السنة والجماعة فقد سبق أن ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿كلها في النار إلا واحدة ﴾ فهذا يدل على الوعيد.." (١)

"فمذهب أهل السنة والجماعة مذهب عدل، نقول: لا ننفي مطلقا ولا نثبت مطلقا، فيلحق الوعيد بعضهم، وبعضهم لا يلحقه، لأسباب وموانع والله سبحانه وتعالى يحكم بينهم جميعا بالقسط، وهذا هو الحق الذي يليق بالله سبحانه وتعالى وصفاته، كما هو الحق في نظر أي إنسان.

فساد كلام المرجئة والخوارج

ثم يقول المصنف رحمه الله: "وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي احتجت بها المرجئة كقولهم: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وجمع معها نصوص وآيات الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة مثل ﴿لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ﴾ " إذا اجتمعت تبين لك فساد القولين " -أي: يظهر لك فساد قول الخوارج والمعتزلة من نصوص الوعد- ويتبين فساد قول المرجئة من نصوص الوعيد، ويتبين أن الحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بالجمع بين الوعد والوعيد؛ ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد كلام الطائفة الأخرى" الأصل أن لا نحتاج في الرد على الخوارج إلى كلام المرجئة ولا نحتاج إلى كلام الخوارج في الرد على المرجئة ؛ لكن من الإنصاف أننا لم نستفد من كلام كل طائفة شيئا، إلا أننا عرفنا فساد الطائفة الأخرى، فربما يكون هناك خصمان تسمع من أحدهما فتتيقن أن كلامه في حق خصمه حق؛ لكن لا يلزم من ذلك أنه على الحق لاحتمال أن يكون الحق عند ثالث لهما، فقد يختلف المختلفان وكلاهما مخطئ؛ لكن لنعتبر أن الاثنين مخطئان فأين الحق؟ بالتأكيد أنه عند ثالث غيرهما.

---

(١) تكفير أهل القبلة، ص/١٢

فأنت لا تستفيد من كلام المرجئة لأنك تعرف أن مذهب الخوارج باطل من نصوص الوعد، ولا تستفيد أيضا من كلام الخوارج أن كلام المرجئة باطل، لأنك تعرف هذا من نصوص الوعيد، ومن خلال الاستدلالات العقلية التي يأتون بها، لكن لا يلزم من ذلك أنه إما هؤلاء على حق أو هؤلاء على حق وإما كلاهما على حق، بل الواضح الجلي أن كلا منهما على باطل وعلى ضلالة.

وسطية مذهب أهل السنة بين الفرق." (١)

" إن كانوا صادقين الطور ٣٣ وقال تعالى وتقدس أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون هود ٣١ ٤١ وقال تعالى وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين البقرة ٣٢ ٤٢ فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهجزه ورجزه مع شدة معاندتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم مالا يطيقون كلام ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى الذي لا سمي له ولا كفو له وليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة والأحكام الواقعة **ونبأ الوعد والوعيد والترغيب** والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان علموا أنه ليس كلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق وإنما رموه بالافك والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئا ولما عدلوا الى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء ولكنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين وتبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين ." (٢)

"ثم استمر القرآن الكريم يتنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سائر العهد المكي ، لتثبيت العقيدة وتقريرها ، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده ، و اتباع رسوله – صلى الله عليه وسلم .

لذلك نجد أن أغلب آيات القرآن الكريم في العقيدة : إما بصريح العبارة، وإما بالإشارة ، حيث إن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وأصول الإيمان والإسلام ، وأمور

---

(١) تكفير أهل القبلة، ص/١٤

(٢) معارج القبول، ١/٢٨٣

الغيب والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر ، والجنة وأهلها ونعيمها ، والنار وأهلها وعذابها (**الوعد والوعيد**) ، وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور .

وقد ذكر العلماء أن القرآن : ثلث أحكام ، وثلث أخبار ، وثلث توحيد (١) . وهذا ما فسروا به قول النبي– صلى الله عليه وسلم– : " قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن " (٢).

فإن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ اشتملت على أعظم التوحيد والتنزيه لله – تعالى – .

وآيات الأحكام لاتخلو من ذكر للعقيدة وأصول الدين ، وذلك من خلال ذكر أسماء الله وصفاته ، وطاعته وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وذكر حكم التشريع ... ونحو ذلك .

وكذلك آيات الأخبار والقصص أغلبها في الإيمان والاعتقاد ، وذلك من خلال أخبار المغيبات والوعيد واليوم الآخر ، ونحو ذلك .

---

(١) – فممن قال بذلك ابن سريح وابن تيمية وابن حجر – رحمهم الله – . انظر : جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، لابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١٧ / ١٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ . وانظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ٩ / ٦١ .

(٢) – أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، واللفظ لمسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافر ، باب فضل قرآءة قل هو الله أحد الحديث / ٨٠٠ . والبخاري ، كتاب فضائل القرىن ، باب فضل قل هو الله احد ، ٩ / ٦١ الفتح .."

(١)

"هذه نبذة ميسرة عن الخبر والإنشاء والطلب، وللتفصيل موضع آخر سيأتي.

وبعد هذا نأتي إلى التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان خبرا أو طلبا.

التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان خبرا: تأويل الأخبار: هو حقيقتها، ونفس وجودها.

فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات.

وتأويل ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد.

وتأويل قيام الساعة، وما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب، والنكاح، هو الحقائق الموجودة أنفسها (١).

وتأويل رؤيا يوسف _عليه السلام_ هو وقوعها في الخارج، وتحققها، وهكذا...

إلى غير ذلك من الأمثلة التي يصعب حصرها.

فهذا هو التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان خبرا.

التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان طلبا: الطلب: إما أن يكون أمرا، وإما أن يكون نهيا؛ فالأمر: طلب الفعل، والنهي: طلب

---

(١) مباحث في العقيدة للدكتور ناصر العقل، ص/٢١

الكف.

فإذا كان الطلب أمرا فتأويله: هو نفس الفعل المأمور به، أي امتثاله، والعمل به.

وإذا كان الطلب نهيا فتأويله: هو نفس اجتناب المنهي عنه، أي تركه.

أمثلة لتأويل الأمر:

١ ــ قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ: كان النبي " يقول في ركوعه، وسجوده: =سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي+ يتأول القرآن (٢).

وتعني بذلك قوله ــتعالىــ: [فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] (النصر:٣).

وتريد بذلك أنه يعمل بأوامر القرآن، ويفعل ما أمر به فيه؛ حيث أمر في آخر حياته أن يسبح بحمد ربه ويستغفره، فكان يتأول القرآن، أي يعمل به، ويطبقه؛ فنفس فعله هذا هو تأويل الأمر، وهو قوله ــعز وجلــ: [فسبح] و[استغفره].

---

(١) ــ انظر التدمرية ص٩٦، والفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية تحقيق د. عبدالمحسن التويجري ص٢٩٠.

(٢) ــ رواه البخاري (٨١٧) ومسلم (٤٨٤).." [1]

"ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية :

١- حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين .

٢- مراعاة قواعد الاستدلال ، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض ، بل يردون المتشابه إلى المحكم ، والمجمل إلى المبين ، ويجمعون بين **نصوص الوعد والوعيد والنفي** والإثبات ، والعموم والخصوص ، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك .

٣- يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره .

٤- يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة والعكس ، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم ؛ لأنها لغة القرآن والسنة ، ويردون ما يخالف ذلك .

٥- يعتمدون تفسير الصحابة ، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم ؛ لأنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أفضل الأمة وأزكاها ، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع ، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون .

٦- ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به ، وما اشتبه عليهم علمه ، أو علم كيفيته ، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله – سبحانه وتعالى – ولا يخوضون فيه .

٧- يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب ؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالا .

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد، ص/١٠

٨- يتجنبون المراء والخصومات في الدين ، ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن .

٩- ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع ، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع ، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها .

١٠- يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات - بغير دليل شرعي صريح - لأنه قول على الله بغير علم ؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية .

١١- يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين .." (١)

"أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالا فإنه يقوم على الأسس التالية :

١- عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي ، حتى في العقائد ، (وهي توقيفية) ، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام ، والفلسفات ، ويسمونها (العقليات) ، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة ، وآراء الرجال في الدين ، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك .

٢- لا يراعون قواعد الاستدلال ، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فيتبعون ما تشابه منه ﴾(آل عمران: من الآية٧) ، ويضربون الأدلة بعضها ببعض ، ويزعمون التعارض بينها ، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبين ، ولا يجمعون بين **نصوص الوعد والوعيد** ، ولا النفي والإثبات ، ولا العموم والخصوص .

٣- يضعون لأنفسهم أصولا يبتدعونها بأهوائهم ، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة ، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال ، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع ، يردونه ، أو يؤولونه .

٤- يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم ، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض ، ولا يعتمدون معاني اللغة ، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف ، وعن الدلالات الأخرى .

٥- لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح ، ولا فهمهم للنصوص ، ولا آثارهم وعملهم وهديهم ، بل يجانوبنهم ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين .

٦- يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ﴾(آل عمران: من الآية٧)

٧- يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر) .

٨- يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل .." (٢)

"إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة. فأما الأكياس فإذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم)) .

قال المصنف: وفيه جواز كتمان العلم للمصلحة، والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. وسئل عن معنى هذا الحديث،

---

(١) حراسة العقيدة، ص/٢٣

(٢) حراسة العقيدة، ص/٢٤

ومعنى " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله "٢ فقال: معنى حديث معاذ عند السلف على ظاهره، وهو من الأمور التي يقولون: أمروها كما جاءت، يعني نصوص الوعد والوعيد، وقوله: " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله " على ظاهره، وهو أن الله لو يستوفي حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ ٣ .

(٢) أي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة. والبخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد وغير ذلك. روى عن أحمد والحميدي وابن المديني وطبقتهم، وعنه مسلم والنسائي والترمذي وغيرهم، ولد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ.

و مسلم هو ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح والعلل والوحدان وغير ذلك، روى عن أحمد وابن معين وابن أبي شيبة والبخاري وطبقتهم، وعنه الترمذي وخلق. ولد سنة ٢٠٤، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١ هـ.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

١ البخاري : الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، ومسلم : الإيمان (٣٠) ، والترمذي : الإيمان (٢٦٤٣) ، وابن ماجه : الزهد (٤٢٩٦) ، وأحمد (٢٦٠/٣، ٢٢٨/٥، ٢٢٩/٥، ٢٣٠/٥، ٢٣٤/٥، ٢٣٦/٥، ٢٣٨/٥، ٢٤٢/٥).

٢ البخاري : الإيمان (٤٨) ، ومسلم : الإيمان (٦٤) ، والترمذي : البر والصلة (١٩٨٣) والإيمان (٢٦٣٤، ٢٦٣٥) ، والنسائي : تحريم الدم (٤١٠٥، ٤١٠٦، ٤١٠٨، ٤١٠٩، ٤١١٠، ٤١١١، ٤١١٢، ٤١١٣) ، وابن ماجه : المقدمة (٦٩) والفتن (٣٩٣٩) ، وأحمد." (١)

"وكذلك حديث عبادة بن الصامت قال – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ﴿ من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ﴾ (١).

فالخوارج والمرجئة كلا منهما نظر إلى النصوص بعين الأعور، وأما أهل السنة والجماعة فهم جمعوا بين هذه النصوص أي نصوص الوعد والوعيد.

فائدة وإيضاح

حتى لا يغتر أهل المعاصي والكبائر أو من دونهم فإن النصوص:

الوعد: كحديث عتبان بن مالك – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال ﴿ إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله(٢) ﴾ .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – ﴿ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة(٣) ﴾ وغيرهما من الأحاديث الواردة في ذلك. إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ١٣/٢

الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم ﴾ فهؤلا كانو يصلون ويسجدون لله (٤) فورود مثل تلك النصوص والتي تؤكد دخول العصاة النار مع أنهم كانوا ، فمع أنهم كانوا كذلك دخلوا النار... كيف بمن دونهم...؟

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٦٦-(بتصرف).." [1]

"باب الإيمان بالوعد والوعيد

ونؤمن بنصوص الوعد والوعيد، ونمرها كما جاءت، ونشهد لمن مات على الإسلام بظاهر إسلامه على العموم بأنه من أهل الجنة، ولا ندري بما يختم للعبد عند الله تعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم:«إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»(٧٦).

ونشهد للكفار والمنافقين والمرتدين بأنهم من أهل النار.

ونشهد لكل من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، بأنه من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وعكاشة، والمرأة السوداء التي كانت تقم المسجد، وعبدالله بن سلام، وآل ياسر، وبلال بن رباح، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وجميع أزواجه وغيرهم.

ومن جاءت النصوص بأنهم من أهل النار، فنشهد لهم بذلك، كأبي لهب وامرأته.

ولا نجزم لأحد بعينه كائنا من كان بجنة ولا بنار إلا من جزم له النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا نوجب العذاب لكل من توجه إليه الوعيد، فقد يغفر الله له بما فعله من طاعات أو شفاعات أو توبة أو بمصائب وأمراض مكفرة.

ونؤمن بأن وعد الله للمؤمنين بالجنة، ووعيده بتعذيب العصاة الموحدين، وتعذيب الكفار والمنافقين في النار ـ حق لا يخلف الله وعده، قال تعالى:﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [النساء: ١٢٢].

ولكن يعفو عن عصاة الموحدين بفضله وكرمه، وقد وعد الله تعالى بالعفو للموحدين، ونفاه عن غيرهم.

---

(١) غيث العقيدة السلفية، ص/٨٤

(٧٦) أخرجه البخاري كتاب المغازي (٤٢٠٧) من طريق أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد.." [١]

"٢. أن المصنف أستخرج عليه مسألة فبنى عليه أحكام ، وبناية الأحكام فرع التصحيح ، وأيضا صاحب التيسير ص٤٥ نقل تحسين الترمذي لهذا الحديث .

وهناك من أهل العلم من ضعف الحديث فالمسألة اجتهادية ونمشي على اختيار المصنف ، ولكن لفظ الترمذي فيه اختلاف يسير .

واستخرج مسألة على هذا الحديث (وقال التنبيه على وصية الرسول عند موته) وهي الحث على التوحيد والنهي عن الشرك .ومناسبة هذا الأثر يدل على عظم وأهمية التوحيد لأن الرسول أوصى به عند موته ولا يوصي إلا بالشيء العظيم لا سيما في آخر اللحظات

الحديث الثاني:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :(كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟قلت الله ورسوله أعلم قال:حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت يا رسول الله :أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا) أخرجاه في الصحيحين

الشاهد منه قوله :(أتدري ما حق الله على العباد) كي يدلل (أي المصنف) أن التوحيد حق لله .

وهذا الحديث تكلم عليه المصنف في تاريخ نجد ص٤٤٣ :لما سئل عن معنى حديث معاذ (حق الله على العباد)فقال المعنى عند السلف على ظاهره وهو من الأمور التي يقولون أمروها كما جاءت أعني **نصوص الوعد والوعيد لا** يتعرضون للمشكل منه) اهـ .." [٢]

"لنأخذ مثلا وهو قوله تعالى (الذين آمنوا) : ما معنى آمنوا ؟ وهل المقصود أن نشرحها بمعنى الإيمان وهل ندخل الإيمان في مسمى الإسلام ؟ الحقيقة في هذا الباب لا حاجة لكل ذلك لأن المصنف أراد شيئا معينا ولم يرد تفسير الآية كما قال المفسرون فيسرد تفسيرها وينقل كلام ابن جرير والبغوي وابن كثير رحمهم الله وغيرهم لا وإنما أراد شيئا معينا ، ياترى ما هو الشيء المعين ؟ قصد بالذين آمنوا :أي وحدوا ولذلك صاحب الفتح أشار إلى ذلك ونقل كلام ابن جرير وابن كثير ، ونقل كلام الربيع بن أنس رحمه الله في معنى (الذين آمنوا) أنه الإخلاص لله أي أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا بالله شيئا وأما صاحب التيسير فلم يعرج على كلمة (آمنوا) ،

وبالمناسبة فينبغي في شرح كتاب التوحيد إذا أراد أن يشرحه شارح فإذا شرح ما فيه من آيات وأحاديث فلا يتناولها كما يتناولها المفسر وشارح الحديث بجميع جوانبها وما فيها من أشياء وإنما يقتصر على ما أراد المصنف من التوحيد ونحن هنا

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص/٥٤

(٢) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد، ص/٢٣

أعطينا نموذجا لذلك في كلمة (آمنوا) وقلنا إن قصد المصنف وحدوا لأن ذلك هو المقصود مع أن كتب التفسير أطالت في كلمة (آمنوا) ،وهو الذي جعلنا نسمى هذا الكتاب بالتجريد حتى يتمحض ويجرد في التوحيد اختصارا وعدم إطالة وحتى يحصل التركيز وهذا هو منهج المصنف ،وهذه المرة الثالثة التي نبين فيها لماذا سمينا هذا الكتاب بالجمع والتجريد مسألة : وهذا الكلام الذي سوف أنقله هو دليل على التوجه نحو التفصيل في أحاديث الوعد في كلام الشراح الثلاثة ، أما تفصيل ابن تيمية رحمه الله فيختلف عن تفصيل الشراح ، لأن ابن تيمية تناولها في كتاب الإيمان وفيه ذكر **مسائل الوعد والوعيد والاسم** والحكم ،فلا بد من التفصيل في ذلك ، أما هم فهم في باب واحد واضح المعالم وهو باب الوعد ، فيكون السياق مفرق بينهما .." (١)

"و معظم المتأخرين إذا تناولوا هذا الحديث تناولوه بالتفصيل فقالوا مثلا : إن كلمة (النار) فيها تفصيل على حسب القول لـ : لا اله الا الله ، الذي فيه تفصيل ، فإن قالها بكمال واجتماع شروط حرم على النار دخولا وخلودا وإن قالها بنقص فكلمة النار تحمل إما على نار الكفار فيحرم عليها أو يحرم على النار خلودا ، أما على الطريقة التي ذكرنا يقال : إن الحديث من أحاديث الوعد ، والمقام مقام مدح وثناء ممن قال لا اله الا الله ، ويقصد به أهل الكمال أو من قالها وغلب عليها الكمال وحسناته أكثر ، لأن هذا هو مقتضى المدح والثناء ، فيحرم على النار على ظاهر الحديث ، وقال المصنف في تاريخ نجد ص٤٤٣ :لما سئل عن معنى حديث معاذ (حق الله على العباد)فقال المعنى عند السلف على ظاهره وهو من الأمور التي يقولون أمروها كما جاءت أعني **نصوص الوعد والوعيد لا** يتعرضون للمشكل منه) اهـ .

وهذا الحديث استخرج المصنف عليه مسائل :

وهي المسألة السادسة وهي مشتركة استخرجها من حديث عبادة وعتبان وقد مرت علينا قبل قليل وأراد المصنف بقوله (يبتغي بذلك وجه الله) التقييد وهو قيد مهم .

واستخرج المسألة السابعة قال (التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان) ما هو الشرط ؟ هو قوله يبتغي بذلك وجه الله وهو ما يعرف بشرط الإخلاص والصدق المنافي للشرك والنفاق وسماه المصنف شرطا. والشرط هو : ما يلزم من عدمه العدم . وإذا لم يوجد الإخلاص ولا الصدق لم تنفع هذه الكلمة .." (٢)

"ثالثا: وهم وسط في **باب الوعد والوعيد بين** المرجئة الذين غلبوا جانب الوعد وأهملوا جانب الوعيد، فقالوا: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والخوارج والمعتزلة الذين غلبوا جانب الوعيد وأهملوا جانب الوعد، فجعلوا مرتكب الكبيرة خارجا من الإيمان في الدنيا، خالدا مخلدا في النار في الآخرة، فأهل السنة والجماعة أعملوا نصوص الوعد ونصوص الوعيد معا، وجعلوا مرتكب الكبيرة ليس خارجا من الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة أمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وإذا عذبه فإنه لا يخلده في النار كما يخلد فيها الكفار، بل يخرج منها ويدخل الجنة.

رابعا: وهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين المرجئة الذين فرطوا، فجعلوا العاصي مؤمنا كامل الإيمان، وبين الخوارج

---

(١) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد، ص/٣٥

(٢) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد، ص/٤٧

والمعتزلة الذين أفرطوا فأخرجوه من الإيمان، ثم حكمت الخوارج بكفره، وقالت المعتزلة: إنه في منزلة بين المنزلتين، فأهل السنة وصفوا العاصي بأنه مؤمن ناقص الإيمان، فلم يجعلوه مؤمنا كامل الإيمان، كما قالت المرجئة، ولم يجعلوه خارجا من الإيمان كما قالت الخوارج والمعتزلة، بل قالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلم يعطوه الإيمان المطلق، ولم يسلبوا عنه مطلق الإيمان، ويجتمع في العبد إيمان ومعصية وحب وبغض، فيحب على ما عنده من الإيمان، ويبغض على ما عنده من الفسوق والعصيان، وهو نظير الشيب الذي يكون محبوبا إذا نظر إلى ما بعده وهو الموت، وغير محبوب إذا نظر إلى ما قبله وهو الشباب، كما قال الشاعر:

الشيب كره وكره أن نفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب." (١)

"وجوب الإخلاص لله

الواجب على الإنسان أن يكون عبدا لله، وأن يخلص العبادة لله جل وعلا، وألا يكون قلبه وعمله مفرقا بين معبودات شتى، والله لا يقبل من العباد إلا أن يعبدوه وحده، وكل القرآن في هذا المعنى كما ذكر ابن القيم ؛ لأن القرآن لا يخلو إما أن يكون في أوصاف الله حتى يدعو ذلك إلى تعظيمه وتوقيره، ويدخل في أوصافه أفعاله تعالى وتقدس، أو يكون الأمر صراحة أن نخلص له العبادة، كقوله: فاعبد الله مخلصا له الدين [الزمر:٢]، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا [التوبة:٣١] في آيات كثيرة، فهذا واضح جدا، أو يكون في الأوامر والنواهي التي هي من حقوق هذا التوحيد، مثل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وفعل الخيرات كلها، وهذا كله من مكملات التوحيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله)، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، (إلا بحقها) يعني: بحق (لا إله إلا الله)، فالذي -مثلا- يمتنع عن الصلاة لم يؤد حقها، ولم يقم بحقها، وهكذا إذا امتنع من الواجبات الواجبة عليه لم يؤد حقها؛ لأنه أخل بها. أو يكون القرآن في الجزاء وما أعد الله جل وعلا لأهل التوحيد في الجنة، وما وعدهم به من النصر والتأييد في الدنيا، أو يذكر عقاب من خالف هذا التوحيد وتركه، فيذكر عقاب من ترك التوحيد وخالفه وعقابه في الدنيا أو في الآخرة، ويدخل في هذا قصص الأمم، وقصص الأنبياء، ويدخل فيه الوعد والوعيد. إذا القرآن كله في التوحيد كما قال ابن القيم رحمه الله، وعلى هذا التفسير إذا تأمل الإنسان كتاب الله جل وعلا وجده لا يخرج عن ذلك. ......

إثبات الإلهية لله وحده." (٢)

"وجوب الإخلاص لله

الواجب على الإنسان أن يكون عبدا لله، وأن يخلص العبادة لله جل وعلا، وألا يكون قلبه وعمله مفرقا بين معبودات شتى، والله لا يقبل من العباد إلا أن يعبدوه وحده، وكل القرآن في هذا المعنى كما ذكر ابن القيم ؛ لأن القرآن لا يخلو إما أن يكون في أوصاف الله حتى يدعو ذلك إلى تعظيمه وتوقيره، ويدخل في أوصافه أفعاله تعالى وتقدس، أو يكون الأمر صراحة أن نخلص له العبادة، كقوله: فاعبد الله مخلصا له الدين [الزمر:٢]، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا [التوبة:٣١] في آيات

---

(١) قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني، ص/١٧

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٤٧/١

كثيرة، فهذا واضح جدا، أو يكون في الأوامر والنواهي التي هي من حقوق هذا التوحيد، مثل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وفعل الخيرات كلها، وهذا كله من مكملات التوحيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله)، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، (إلا بحقها) يعني: بحق (لا إله إلا الله)، فالذي -مثلا- يمتنع عن الصلاة لم يؤد حقها، ولم يقم بحقها، وهكذا إذا امتنع من الواجبات الواجبة عليه لم يؤد حقها؛ لأنه أخل بها. أو يكون القرآن في الجزاء وما أعد الله جل وعلا لأهل التوحيد في الجنة، وما وعدهم به من النصر والتأييد في الدنيا، أو يذكر عقاب من خالف هذا التوحيد وتركه، فيذكر عقاب من ترك التوحيد وخالفه وعقابه في الدنيا أو في الآخرة، ويدخل في هذا قصص الأمم، وقصص الأنبياء، ويدخل فيه الوعد والوعيد. إذا القرآن كله في التوحيد كما قال ابن القيم رحمه الله، وعلى هذا التفسير إذا تأمل الإنسان كتاب الله جل وعلا وجده لا يخرج عن ذلك. ......
إثبات الإلهية لله وحده." (١)

"ولهذا كل أحد في هذه الأمة لا يخرج من الفرق الاثنين والسبعين، فقد لا يخرج في انتسابه للكتاب والسنة، فكل يقول إننا على الكتاب والسنة، وسواء في ذلك ما كان من دينهم صوابا أو ما كان خطأ وضلالا، فالكل يقول نحن ننتسب إلى الكتاب والسنة، ولهذا اعتنى أئمة الإسلام من سلف هذه الأمة بالتنصيص على شيء زائد على اتباع الكتاب والسنة، ألا وهو اتباع سلف هذه الأمة لأن نسبة الباطل إلى الأنبياء كثر في الأمة جدا، نسبة الباطل إلى النبي عليه الصلاة والسلام كثر في هذه الأمة جدا، حتى إنه لا يعجز من كان عنده هوى أن يستخرج من نصوص الكتاب والسنة ما يدل على بدعته وما يؤيد به نحلته، وقد أطنب الشاطبي رحمه الله في الموافقات في ذكر هذه المسألة وكذلك في الاعتصام، وبين أن النصارى احتجوا على المسلمين بخصوص بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى ؟وأنذر عشيرتك الأقربين؟[الشعراء:٢١٤]، وبين أيضا أن من هذه الأمة من قال إنه لم يرد في القرآن تحريم للخمر وذلك لأن الله جل وعلا قال ؟فاجتنبوه لعلكم تفلحون؟[المائدة:٩٠] ولم يحرمها تحريما.
وكذلك ما استدل به الخوارج واستدل به المرجئة في مسائل الوعد والوعيد، فالخوارج غلو في التكفير والمرجئة جفوا في النصوص حتى أدخلوا في الإيمان والإسلام من ليس مسلما ولا مؤمنا وأخرجوا العمل عنه.." (٢)

"- تأييدا لباطلهم، فكل من أهل الأهواء في هذه الأمة يستدل على باطله بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو بما قاله عليه الصلاة والسلام أو ببعض نصوص الكتاب، ولهذا احتاجت الأمة أعظم حاجة إلى صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم -، لكي يبينوا للناس تلك النصوص، فضل الخوارج أول ما ضلوا في آيات الأسماء **وآيات الوعد والوعيد وفي** أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - في الأسماء وفي الوعد والوعيد، فبين الصحابة ما يعنى بذلك، فضلوا في بيان مسألة الحكم بغير ما أنزل فكفروا بها، والصحابة رضوان الله عليهم بينوا لهم الصواب في ذلك.
وهكذا لم يزل الناس محتاجون إلى صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيانه، لهذا كان أئمة الإسلام ينتسبون

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٦٨/١
(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ١٢٦/٢٠

إلى الجماعة، ينتسبون إلى السنة والجماعة، ولا يكتفون بنسبتهم إلى السنة؛ لأن النسبة إلى السنة يدخل فيها كثير من أهل البدع في مقابلة الرافضة، وأما السنة والجماعة فإنها تلخص الطريق الذي يكون أتباعه ويكون معتقدوه على طريقة الصحابة وعلى طريقة الجماعة قبل أن تظهر الأهواء وقبل أن تفسد العقول والقلوب.

كذلك احتاج إلى أسماء يميزهم منها الانتساب إلى السلف، إلى الأثر إلى الجماعة، إلى الحديث ونحو ذلك، مما يميز أهل الحق من غيرهم من أهل الأهواء، وتجد في عصور هذه الأمة في كل القرون المتقدمة لا يعزب أحد أن ينسب شيئا من باطله إلى الكتاب والسنة، بل قد يجد من نصوص أهل العلم ما يدل لباطلهم، فيكون نسب باطله إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى بعض أئمة أهل العلم، وأهل السنة يقولون إذا كان في كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ما هو مشتبه، فكذلك يكون في كلام أهل العلم ما هو مشتبه، لا يفهمه إلا أهل العلم الراسخون، فإذا كان من الناس من ليس بذي رسوخ في العلم، ربما يجد في نصوص أهل العلم ما لا يتضح المراد منه حتى نصوص أئمة أهل السنة والجماعة.." (١)

"– ومنها الجهل بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عندها ولا يتعداها ويتمثل هذا في كل أنواع الغلو المجاوزة لحدود الشريعة وذلك كتحريم المباح أو إيجاب ما ليس بواجب ويدخل فيه الخروج ببعض الأنبياء أو الصالحين عن حد البشرية بوصفهم بصفات الألوهية .

– ومنها القصور في فهم نصوص الشريعة ، ويتجلى هذا الأمر في النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشريعة .

فمثلا . وردت النصوص الشرعية **في الوعد والوعيد** . فنصوص الوعد تبعث في قلوب الخائفين والمذنبين الرجاء والأمل في التوبة والوعد بالمغفرة والرحمة لكل من أقبل على الله تائبا من ذنبه .

وفي المقابل نرى نصوص الوعيد تتوعد الكفار والمشركين وأهل الكبائر المصرين على ذنوبهم بأليم العذاب وشديد العقاب إذا لم يتوبوا ويؤمنوا . فإن تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تاب الله عليهم .

فهذه هي النظرة المتكاملة في **باب الوعد والوعيد ولكن** قصور الفهم يأتي من النظرة الجزئية إلى أحد الجانبين وإهمال الجانب الآخر والإعراض عنه ، ومحاولة التأويل المتعسف للنصوص الشرعية .." (٢)

"فهذه الآيات تدل على أن كل مسلم يجب عليه أن ينفر، فجاءت آيات وأحاديث أخرى تخصص الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون نفقة الجهاد، والذي لم يستأذن أبويه، أو كان أبواه ضعيفين وهكذا: فالألفاظ التي في الكتاب والسنة التي لا يؤخذ ظاهرها بإطلاق، مثل العام المخصص، أو المطلق المقيد، أو المجمل المبين وهذا لا يكون إلا في الأحكام إلا أنه قد تشتبه بعض المعاني، فنحتاج إلى أن نجمع بين النصوص في غير الأحكام في أمور العقيدة كما يأتي، مثل: **أمور الوعد والوعيد وما** أشبه ذلك، لكن هذه ليست هي الأصل فيما نقوله هنا؛ بل تدخل في قسم المتشابه على قول بعض السلف .

فالمقصود: أن نعرف أن بعض ألفاظ الكتاب والسنة يراد بها غير ظاهرها –كما سبق– أما أن يأتي لفظ من الكتاب والسنة

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ٢٠/١٢٨

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص/١٩٠

ويغير معناه بالكلية إلى معنى آخر بعيد لمجرد قرينه عقلية كما يسميها أصحابها فلا. هذا هو التأويل الذي وقع فيه المتأخرون.

قال المصنف رحمه الله: [ليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلا] لأن التأويل له معان: منها حق ومنها باطل [ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التي يدل الكتاب والسنة على فسادها؛ وترك القول على الله بلا علم] ففي نفي شيء أثبته الله لنفسه، أو إثبات شيء لم يثبته الله لنفسه قول على الله تعالى بغير علم، وكفى بذلك إثما مبينا.
. بعض التأويلات الفاسدة." (١)

"والمتشابهات: مثل الوعد والوعيد، وما يؤمن به ولا يعمل به كثير من السلف كما في الدر المنثور ، يعبرون عن أنفسهم وعن حالهم مع كتاب الله عز وجل. يقولون: نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهة، ونتدبر أمثاله وأقسامه فبعضهم يقول: إذا المحكم هو الحلال والحرام والأمر والنهي أي: ما نعمل به مثل: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومثل : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء [البقرة:٢٢٨] إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن [الطلاق:١] فكفارته إطعام عشرة مساكين [المائدة:٨٩] فهذه الآيات في الأحكام نعمل بها، وأيضا في الأوامر والنواهي كما في الآيات التي في سورة الإسراء كالنهي عن الإسراف والتبذير والكبر والحقد والغل وغيرها من النواهي، والمتشابه **مثل: الوعد والوعيد والأمثال**، وكثير من الناس لا يفهم ما هو المراد بأمثال القرآن، ولكنه يؤمن به ويقول: كل من عند ربنا [آل عمران:٧] وهذا قول أكثر السلف .
وقال بعض السلف رحمهم الله: المحكم هو الذي لم ينسخ، والمتشابه: المنسوخ، وهذا في الحقيقة جزء من ذلك، لأن الإحكام قد يقابل النسخ، فمثلا سورة المائدة: قد روى الحاكم وصححه والنسائي أن عائشة –رضي الله عنها– قالت: هذه السورة من آخر ما نزل، فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه، أو: فإنها محكمة، أي: أن سورة المائدة محكمة. فليس فيها حكم منسوخ لأنها آخر ما نزل. بخلاف السور الأخرى التي نزلت من قبل فقد يكون فيها آيات منسوخة.." (٢)

"إذا: فالمحكم يأتي مقابل المنسوخ كما في أصول الفقه، ولكن إذا جاء المحكم مقابل المتشابه فمعناه الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا أو هو النص الواضح الجلي، والمتشابه: ما يلتبس معناه وما يخفى، وقوله: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه [آل عمران:٧] فهو ولا يريد الذين يتبعون المنسوخ بل الذين يتبعون ما تشابه منه **مثل: الوعد والوعيد والأمثال** والأقسام وأمثال ذلك مما قد يدق معناه ويخفى
ولهذا قال: ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وقد روي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لا يصح رفعه "إنهم الخوارج " هكذا فسرها المفسرون من السلف ، وقد جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–: لما قرأت هذه الآية قالت: "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم" وكأن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٩٠٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٩١٩

تشير إلى الخوارج "الحرورية " فهم مثلا يتبعون قوله تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون [المائدة:٤٤] فيجدون قاضي من قضاة المسلمين خالف أمر الله في مسألة فيقولون: هذا كافر، وآخر من المسلمين شرب الخمر فيقولون: هذا كافر؛ لأن معصية الله تعالى عندهم كفر ويستدلون بقوله تعالى : ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا [الأحزاب:٣٦] الضلال المبين هو الكفر كما في آيات أخرى.." (١)

"فالله تعالى يذمهم بالجهل، ويعيب عليهم أنهم لا يعلمون هذا التأويل، وتأويله لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، وأولئك الذين يتبعون الفتنة ليسوا من الراسخين في العلم، ومن هنا يخرج قول ابن عباس –رضي الله عنه– لما قال: (أنا من الراسخين في العلم) فنافع بن الأزرق الذي أول كتاب الله، واستحل دماء المسلمين، لو رد هذه الآيات إلى الراسخين في العلم من **آيات الوعد والوعيد وغيرها** إلى أمثال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وقعت الفتنة، ولكنه ردها إلى عقله وهواه، فقال: هؤلاء كفار واستحل دمائهم وأموالهم.

فلذلك ذهب المصنف إلى أن الأرجح في الآية: أن يكون التأويل فيها بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الشيء إذا وقفنا على قوله: وما يعلم تأويله إلا الله ويكون الوقف على والراسخون في العلم إذا كان المقصود بالتأويل هو المتشابه الإضافي.

الوقف على "إلا الله " ارجح

لكننا نقول: ما ميزة الراسخين في العلم وبمقدور كل إنسان أن يقول: آمنا به كل من عند ربنا ؟ نقول: إذا كان الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به وبمعانيه وبحقائقه وهم لا يعلمونها، فأولى وأحرى بمن كان دونهم من الجهال والعوام والأتباع أن يتأسوا بهم، وهذا معنى عظيم في الآية.

فلا يتجرأ بعد ذلك مبتدع أو صاحب شبهة في التعدي والتقول على الله تعالى، وليقف حيث وقف القوم هذا هو الذي يقوي وجهة نظر القائلين بأن الوقف أولى.

وتعبير المصنف [المتشابه في نفسه الذي لا يمكن أن يعرفه أحد؛ لأنه في ذاته متشابه] كما إذا قلنا: إن حقائق اليوم الآخر لا يمكن أن يعرفها أحد، لأنها في ذاتها متشابه، أي: يدق معناها، ويصعب فهمها في ذاتها فلذلك نؤمن بها. هذا هو المتشابه في نفسه.." (٢)

"وآخرهم وأفضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح من رواية على بن أبي طالب وغيره بعد قوله: (وجهت وجهي) إلى آخره، (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، لا يغفر الذنوب إلا أنت) إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى عليه السلام: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم [القصص:١٦] وأيضا فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت [القلم:٤٨] فنهي نبينا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به، وأمره بالتشبه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٩٢٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٩٢٣

بأولي العزم، حيث قيل له: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [الأحقاف:٣٥] فقد يقول من يقول: (أنا خير منه) وليس للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل فإن الله لا يحب كل مختال فخور.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد) ، فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم، فلهذا قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) ، فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس.

وقوله: (من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب) ، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم بل هو تقدير مطلق، أي من قال هذا فهو كاذب وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر:٦٥] وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال] اهـ.

الشرح:." (١)

"هذا باطل، الله تعالى في العلو فوق العرش، ومحمد -عليه الصلاة والسلام- في العلو، عرج به إلى العلو، إلى الله في العلو، ويونس في قعر البحار، فأين هذا من هذا؟ كيف يقال: إن قربهما واحد؟

وليس فيه نهي تفضيل محمد -عليه الصلاة والسلام- على يونس، وكيف يقال: إنه لا يفضل عليه ومحمد -عليه الصلاة والسلام- عرج الله به، عرج به إلى السماء، فهو مقرب معظم مبجل، ويونس ممتحن مؤدب مسجون في قعر البحار، فأين المعظم المقرب المبجل من الممتحن المؤدب؟

ولكن الحديث، صواب الحديث: (لا يقول أحدكم إني خير من يونس بن متى) وفي لفظ: (من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب) وذلك لأنه لا ينبغي للإنسان أن يفضل نفسه على يونس، حتى لو كان فاضلا، فكيف إذا كان مفضولا؟ فكيف على نبي كريم يفضل نفسه عليه؟

وهذا لا يقوله نبي، ومن قال إنه خير من يونس بن متى حتى ولو كان فاضل التقدير لكان قوله هذا يحط من مرتبته، ويكون ناقصا، وتكون مرتبته نازلة، فلا يكون أفضل منه، هذا لو قاله أحد، من قال ذلك فهو كاذب.

وهو من باب التقدير، وإن كان لا يقوله نبي كريم، يعني من قال هذا، لو قال هذا أحد فهو كاذب، وهذا من باب الشرط المقدر كقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الشرك، **ولكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وسبب ذلك أن يونس -عليه الصلاة والسلام- لما ذهب مغاضبا والتقمه الحوت وهو مليم فسبح وقال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧)﴾ يظن بعض الناس أنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه يونس، وأنه لا يحتاج إلى الندم؛

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/١٦٩٠

لأنه لم يذنب كما أذنب يونس.
وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم نهاه الله عن التشبه بيونس قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ و أمره بالتشبه بأولي العزم: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ .
فقد يظن بعض الناس أنه خير من يونس بن متى، وأنه لا يحتاج إلى هذا المقام، إلى مقام الاستغفار والتسبيح، وهذا باطل؛ لأن كل أحد يحتاج إلى أن يستغفر من ذنبه، وكل أحد ظالم لنفسه.
وقد أخبر الله عن الأنبياء كلهم، أولهم آدم، وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أخبر الله عن آدم أنه قال عن الأبوين: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣)﴾ موسى أخبر الله عنه ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ .
محمد -عليه الصلاة والسلام- وهو أشرف الخلق كما في حديث الاستفتاح: (وجهت وجهي) وقال: (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .
فكل أحد يحتاج إلى ما احتاج إليه يونس فمن وقع في نفسه أنه خير من يونس بن متى فهو كاذب. نعم.." [١]
"فهذه ثلاث آيات أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم فيها على البعث، وأخبر الله -سبحانه وتعالى- عن اقترابها بقوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر (١)﴾ ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١)﴾ ﴿سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢)﴾ إلى قوله: ﴿إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧)﴾ وذم الله المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين (٤٥)﴾ ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨)﴾ ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٦٦)﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا﴾ إلى أن قال: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين (٣٩)﴾ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩)﴾ ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٩٨)﴾ .
وقد أخبر الله بأنه أرسل الرسل مبشرين، ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١)﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفرة الداخلين جهنم، أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها في الدنيا وفي الآخرة .
ومن شبه المنكرين للمعاد: الجهل بالله، وزعمهم عدم إعادة العظام والرفات خلقا جديدا، فقال تعالى: ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٤٩)﴾ والله -سبحانه وتعالى- يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/٧٠

حكمته، فإن شبه المنكرين للمعاد كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:
أحدها: اختلاط أجزاء بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز، ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص.
الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.
الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة إنما اقتضت دوام هذا النوع الإنساني، شيئا بعد شيء هكذا، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله، ثم يحييه بعد ذلك، فلا حكمة في ذلك. فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:
أحدها: تقدير الكمال، علم الرب –سبحانه– كما قال في جواب من قال: ﴿من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩)﴾ وقال: ﴿وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦)﴾ وقال ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ .
الثاني: تقدير كمال قدرته كقوله: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ وقوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٤)﴾ وقال: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦)﴾ ويجمع الله – سبحانه– بين الأمرين كما في قوله: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (٨١)﴾ .." (١)

"[المسألة الخامسة]:

يدخل في الكلام على الكتب الكلام على القرآن، وعلى إعجاز القرآن، وعلى بحث هذه المسألة؛ لأن القرآن آية محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد قدمنا لك تفصيل الكلام على إعجاز القرآن في درس مستقل(١) أظن عند قول الشيخ الطحاوي رحمه الله في أول الكلام (فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) إلى قوله (علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر. ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)، ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه، هذا من أعظم المسائل في هذا الباب.

إذا تبين ذلك فنقول:

الإيمان بأركان الإيمان الستة –إذا أخرجنا الإيمان بالقدر– فإن بعض أهل العلم يسميها أصول الدين الخمسة، وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القدر، والقدر جاء منفصلا في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنة.

هذه الأصول الخمسة تبع الإيمان بها أن أهل البدع أصلوا أصولا في مقابلة هذه الأصول الخمسة:

فجاء المعتزلة مع إيمانهم بجمل هذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولا خمسة لتميزهم عن غيرهم، وهذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وكتب فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة، ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرافضة.

الأصول الخمسة هذه هي:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٣١١

١ – أولا: التوحيد.

٢– والثاني: العدل.

٣– والثالث: الوعد والوعيد.

٤ – والرابع: المنزلة بين المنزلتين.

٥ – والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون معتقد المعتزلة في الغالب، فجعلوا لهم أصولا أربعة في مقابلة ذلك وهي:

١ – التوحيد.

٢– والعدل.

٣– والنبوة.

٤ – والإمامة.

يدخلون في هذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وهذه الجملة تحتاج إلى تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات.

المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو أركان الإيمان الستة أو الخمسة -يعني بخلاف الإيمان بالقدر- هذه جعل في مقابلتها أشياء وضعها أهل البدع للتعليم وللتميز ليعلموا على أساسها وليتميزوا عن غيرهم.

ولاشك أن الذي دل عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلى أن ابتدعت المعتزلة بدعتها هو أن أركان الإيمان ستة، ولا دخل لتلك المسائل التي ذكروها **من الوعد والوعيد والمنزلة** بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين.

في هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى.

ونقف عند قولنا (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين).

فيه مسائل -ذكرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خيرا- وهي تحتاج منا إلى أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وهو ما في كل مسألة في الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثم مسألتان:

المسألة الأولى: تفاضل الإيمان بأجمعه بتفاضل الإيمان الأنبياء والمرسلين. هذه مسألة.(٢)

المسألة الثانية: أثر الإيمان بالمرسلين جميعا على الإيمان العام.

كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعا: تفاضل الإيمان بالكتب، والثانية أثر الإيمان بكتب الله – عز وجل – على الإيمان.

يمكن أنتم تستنتجونها وتبحثونها إن شاء الله تعالى. نكتفي بهذا القدر، نستودعكم الله.

---

(١) سبق ذكره (١٢٣)

(٢) - راجع الشريط ٢٣." [١]

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

الأسئلة

س١رحمه الله ما توجيهكم لحديث البطاقة وحديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطيئة ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه مسلم(١) مع العلم أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة؟

جرحمه الله ما فهمت وجه الاستشكال؛ لكن لعله أنه فهم من العموم في حديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» فهم من العموم أن هذا يعارض كون صاحب الكبيرة تحت المشيئة إذا مات غير تائب.

وهذا غير وارد لأن النصوص يصدق بعضها بعضا، والآيات يفسر بعضها بعضا، والأحاديث يفسر بعضها بعضا، وكذلك الوعد لا ينافي الوعيد، فقوله «أتيتك بقرابها مغفرة» هذا وعد من الله - عز وجل - لمن حقق التوحيد لا يشرك بالله شيئا، وكون صاحب الكبيرة تحت المشيئة لا يعارض هذا الأصل؛ لأن هذا والوعد والوعيد يطلقان ويكونان على إطلاقهما، وكذلك يجتمعان في حق المعين، فيجتمع في حق المعين الوعد والوعيد، وهذا في حق مرتكب الكبيرة، ويدخل في عموم أهل الإيمان الذين وعدهم الله - عز وجل - بالجنة، كل مؤمن وعده الله - عز وجل - بالجنة، يدخل في المسلمين الذين جعل الله - عز وجل - لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في آية الأحزاب ﴿المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[الأحزاب:٣٥] ونحو ذلك.

فأهل السنة والجماعة في مثل هذه الأدلة التي فيها الوعد وفيها الوعيد، يعملون الوعد ويعملون الوعيد والوعد بشرطه والوعيد أيضا بشرطه، فلا منافاة ما بين الأدلة بل الأدلة يصدق بعضها بعضا.

س٢/ رحمه الله ما الضابط في التفريق بين الفعل والصفة في صفات الله - عز وجل - وأفعاله؟

ج/ رحمه الله صفة الرب - جل جلاله - مشتملة على فعل له سبحانه وتعالى ومشتملة على ما هو لازم من غير الفعل؛ يعني أن صفات الرب - جل جلاله - منها ما هو صفة فعل ومنها ما هو صفة ذات، فليست كلها متعدية تعدي الأفعال. فمثلا وجه الرب - جل جلاله - صفة وليس بفعل، اليدان للرب - جل جلاله - وصف له سبحانه وليستا باسم ولا فعل.

فإذا الفعل هو فعل يفعله الله - عز وجل - له أثره، فالصفات منها ما هو صفة فعل مثل الرحمة وهي صفة ذات لكن لها أثرها ومثل النزول وأشباهه والغضب الرضا، وهذا يتعلق بالمخلوق، فيفعله - عز وجل - ويتصف به سبحانه وتعالى.

وهناك القسم الآخر التي هي صفات الذات، صفات الذات كثيرة لا علاقة لها بالأفعال.

فإذا نقول: ليست كل صفة لله - عز وجل - فعلا، فقد تكون متعلقة بفعل أو لها فعل أو أثرها فيه فعل، وقد لا يكون

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ، ص/٣٢٢

ذلك، ولهذا لا يشتق من الصفة فعل مطلقا، كما أنه لا يشتق من الفعل صفة مطلقا، وذلك أن الأفعال أوسع في باب وصف الله – عز وجل – من الصفات، فقد يكون ثم فعل لله – عز وجل – ولا نشتق منه صفة؛ يعني لا نشتق من الحدث المستكن في الفعل صفة لله – عز وجل –.

مثلا الأفعال المنقسمة إلى محمود ومذموم مثل المكر ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾[الأنفال:٣٠]، ومثل ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾[النساء:١٤٢]، ومثل ﴿مستهزئون(١٤)الله يستهزئ بهم﴾[البقرة:١٤-١٥]، ونحو ذلك من الأسماء نشتق منها صفات مطلقا(٢)، ونقول الفعل أطلق على الله – عز وجل – فنقول له صفة الاستهزاء، له صفة المخادع، له صفة المكر، وهكذا، بل تطلق هذه الصفات مقيدة لأن المكر والمخادعة والاستهزاء ليست كمالا في كل حال؛ بل قد تكون كمالا، وقد تكون نقصا، فتكون كمالا إذا كانت بحق، ومن آثار صفات الكمال الأخر، وتكون نقصا إذا كانت بباطل، وكانت من آثار صفات النقص في المخلوق.

فإذا باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وليس كل فعل نشتق منه صفة لله – عز وجل –، وليست كل صفة نشتق منها الفعل لله – عز وجل –؛ لأن الصفات منها ما هو صفة ذات ومنها ما هو صفة فعل.

نكتفي بهذا.

---

(١) مسلم (٢٦٨٧)

(٢) – لعل مراد الشيخ (ونحو ذلك من الأفعال لا نشتق منها صفات مطلقا)." (١)

"[المسألة الثالثة]:

في قوله (من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) هذه الجملة أو شبه الجملة لا مفهوم لها، فليس هذا الحكم خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو عام لهذه الأمة ولغيرها؛ لأنه:

– لم يدل دليل على تخصيص هذه الأمة بهذا الفضل.

– ولأن هذه ترجع إلى قاعدة الوعد والوعيد، وهما مما تشترك فيه الأمم لأن أصلها واحد، قال (وأهل الكبائر في النار لا يخلدون –أو يخلدون–) بشرط (إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين).." (٢)

"فليسوا فرقة واحدة لكن في تفسير الأصول الخمسة وفي أصولها، أصول التوحيد عندهم، أصول العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأصول يتفقون، لكن في التفاصيل يختلفون.

٣– الفرقة الثالثة: الجهمية:

والجهمية ينسبون إلى جهم بن صفوان الترمذي وكان عالما فقيها، ينسب إلى الحنفية في الفقه، ولكنه لشدة اعتنائه بالرأي كان يناظر ويكثر من المناظرة حتى ناظر طائفة من دهرية الهند، الدهرية بضم الدال ينسبون إلى القول بالدهر ﴿وما يهلكنا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٤٣٩

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٤٤٠

إلا الدهر﴾[الجاثية:٢٨]، ينسب إلى الدهر، دهري بضم الدال على غير [اعتياد] كما قاله المرتضى في كتاب تاج العروس وقاله غيره.

المقصود ناظره قوم من الدهرية يقال لهم السنمية في الصفات لأنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلا ويريد أن يقنعهم بوجود الله، فجرى منه معهم مناظرة ذكرتها لكم في مكان آخر، فآل به الأمر، نتيجة المناظرة وتوابعها وما حصل -وقد ذكر أصل القصة البخاري في خلق أفعال العباد-، نتج عن ذلك أنه نفى الصفات وعطل الرب - عز وجل - من صفاته وآمن بالوجود المطلق.

فالجهمية في مسائل العقيدة يذهبون في الصفات إلى النفي، فينفون عن الله - عز وجل - كل الصفات، ويجعلون الصفة الواحدة الموجودة هي صفة الوجود المطلق، ويقولون بشرط الإطلاق.

وفي الأسماء يثبتون الأسماء كدلالات على الذات -أسماء أعلام- ويفسرونها بمخلوقات منفصلة، فيجعلون الكريم هو الذات التي حصل عنها إكرام فلان -يعني يفسرونها بالكرم الذي خلقه الله-، القوي بالقوة التي خلقها الله، العزيز بالعزة التي خلقها الله يعني في الإنسان، في المخلوق يعني من حيث هو، ويجعلون تفسير الأسماء في القرآن وفي السنة يفسرونها بمخلوقات منفصلة؛ لأنه لا دلالة للأسماء على صفة، لأنهم ينفون الصفات، وإنما يجعلونها دالة على علم لا تفسير لها من حيث العلمية لكن تفسيرها من حيث الصفة بأنها مخلوقات منفصلة.

لهذا قال بعض أهل العلم ينفون الأسماء والصفات، الجهمية ينفون الأسماء والصفات، وهذا صحيح باعتبار الحقيقة.

وطائفة يقولون لا، لا ينكرون الأسماء باعتبار أنهم يثبتون شيئا من الأسماء على طريقتهم لأن عندهم الأسماء دلالات على ذات بدون صفة في الاسم، وإنما هو مثل ما تقول مثلا (ماء سلسبيل) أو تقول في السيف حسام ومهند وسيف إلخ للدلالة على شيء واحد بدون صفة، أما صفة أنه يحكم فلا، أما صفة أنه صنع في الهند فلا، أما صفة أنه كذا فلا.

فهم يجعلونها من جهة الدلالة على الذات واحدة ومن جهة الدلالة على الصفات أنها لا تدل على صفة.

ولهذا في الآيات يفسرون الأسماء في الآيات بالمخلوقات المنفصلة، يعني أثر الصفة في المخلوق ويجعلونه مخلوقا.

أما في الإيمان فالجهمية مرجئة، وهم أشد فرق الإرجاء لأنهم قالوا يكفي في الإيمان المعرفة فقط.

ففرعون عندهم مؤمن وإبليس عندهم مؤمن.

ولم يكفر فرعون عندهم بعدم الإيمان وإنما بمخالفة الأمر، وإبليس لم يكفر بعدم الإيمان؛ بل بمخالفة الأمر، وهكذا، وهذا القول مشهور عنهم في أنه يثبت الإيمان بالمعرفة.

وفي القدر هم جبرية يرون أن الإنسان في أفعاله هو كالريشة في مهب الريح لا اختيار له البتة، هو مجبر على كل شيء، وأنه يفعل به ولا يفعل شيئا.

وفي الغيبيات ينكرون كل ما لا يوافق العقل من أمور الغيب.

وفي الآخرة ينكرون دوام الجنة والنار.

يقولون الجنة لا تدوم والنار لا تدوم لأن دوام الجنة والنار ظلم، فتفنى الجنة وتفنى النار معا.

بخلاف المعتزلة فإنهم يقولون بفناء النار والجنة كدار نعيم وعذاب، لكن التلذذ والألم يبقى، فيستمر التلذذ ويستمر الألم ولا

تستمر الدار.

فيه أقوال مختلفة نسأل الله – عز وجل – السلامة منها ومما جر إليها.

المقصود فيه مباحث ترجعون إليها في مواطنها.

٤– الفرقة الرابعة: الجبرية:

والجبرية مذهب منسوب إلى القول بالجبر.

والجبر هو أن الله أجبر الإنسان المكلف على أفعاله.

والجبرية قسمان:

– جبرية غلاة.

– وجبرية متوسطة أو غير غلاة.

@ أما الجبرية الغلاة فهم الجهمية وغلاة الصوفية الذين ينفون أصل الاختيار، ويقولون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح.

@ وأما الجبرية غير غلاة فهم الذين يثبتون الجبر باطنا والاختيار ظاهرا، يقولون:

هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر، هؤلاء الأشاعرة ومن نحا نحوهم.

وقد مر معنا البحث في هذه المسألة وأنهم اخترعوا لفظ الكسب وجعلوه مخرجا للعلاقة ما بين جبر الباطن واختيار الظاهر مما ابتدعوه وأحدثوه.

وذكرت لكم أن الكسب على ثلاثة إطلاقات:

فيه كسب عند أهل السنة وكسب عند الجبرية وكسب عند القدرية ترجعون له في مكانه.

٥– الفرقة الخامسة: القدرية:." (١)

"الكلام على المفاضلة بين محمد ويونس عليهما السلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما ما يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تفضلوني على يونس) وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا، فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيرا عظيما.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظا ومعنى، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)، وفي رواية: (من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب)، وهذا اللفظ يدل على العموم، أي: لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدا على يونس؛ وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٧٥٢

وقال تعالى: ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء:٨٧].

فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام؛ إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء:٨٧]، كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم قد قال: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف:٢٣].

وآخرهم وأفضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح من رواية علي بن أبي طالب وغيره بعد قوله: (وجهت وجهي) إلى آخره قال: (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، لا يغفر الذنوب إلا أنت) إلى آخر الحديث.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [القصص:١٦]، وأيضا فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه: ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ [القلم:٤٨] فنهي نبينا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم؛ حيث قيل له: ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ [الأحقاف:٣٥]، فقد يقول من يقول: أنا خير منه، وليس للأفضل أن يفتخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل؛ فإن الله لا يحب كل مختال فخور.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)، فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟! فلهذا قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)، فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس.

وقوله: (من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب) فإنه لو قدر أنه كان أفضل فهذا الكلام يصير نقصا، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى: ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [الزمر:٦٥]، وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره؛ إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ولهذا أتبعه بقوله: (ولا فخر) كما جاء في رواية، وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: إن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟ فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب، فانظر إلى هذا الاستدلال؛ لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله: (محيط بكل شيء وفوقه) إن شاء الله تعالى].

في هذا الشرح الطويل رد على بعض علماء الأشاعرة، وهو الجويني ، ذكروا أنه استدل بقوله في الحديث: (لا تفضلوني على يونس) استدل به على مسألة نفي العلو، أن الله ليس فوق عرشه وليس فوق عباده، وفسر ذلك بأن يونس في وسط البحر ومحمد فوق السموات السبع، وكلاهما بالنسبة إلى الله سواء، يعني: كلاهما في القرب منه سواء، فالذي في لجة البحر والذي فوق سبع سماوات كلاهما في القرب من الله سواء، استدل الجويني بهذا على أنه ليس الرب تعالى فوق العرش ولا فوق السموات، كقولهم: إن الله في كل مكان -تعالى الله عن قولهم-، ورد عليهم الشارح بما سبق، وبين أن هذه مقالة شنيعة من وجوه: أولا: أن الحديث لم يثبت بهذا اللفظ: (لا تفضلوني على يونس بن متى)، وإنما الذي ثبت قوله: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى).

وسبب الحديث أنه قد يقول رجل: أنا خير من يونس، فيونس ذهب مغاضبا وظن ألن يقدر عليه، ويونس نبذ بالعراء وهو مذموم، ويونس التقمه الحوت، فأنا خير منه إذا ما فعلت هذه الأفعال، فقد يقول ذلك بعض الناس، فنهاهم وقال: لا تقولوا؛ فإن يونس نبي من أنبياء الله أجرى الله على يديه هذه الآيات وهذه المعجزات؛ حيث إنه التقمه الحوت ولم يمت في بطن الحوت، ولبث في بطنه مدة ولم يمت، وكذلك أمر الله الحوت أن ينبذه على ساحل البحر، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وأرسله إلى قومه وهم مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، فله فضائل، ولو أنه قد اعترف بالظلم، نقول: هذا الظلم لا ينقصه، بل نبينا عليه السلام قد اعترف بالظلم، وكذلك أبوه آدم قد اعترف بقوله: ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا ﴾ [الأعراف:٢٣] إلى آخره، فلا ينبغي أن يغتر بهذه اللفظة المنقولة عن هذا الرجل الذي هو الجويني ، ذكروا أنه قال: في هذه الآية دليل على أن الله ليس فوق العرش في هذا الحديث، ولا أفسره حتى تجمعوا لي مالا، فجمعوا له أموالا وأعطوه إياها، فلما فسرها لهم هذا التفسير أعجبوا به غاية الإعجاب، وهو تفسير بعيد عن الصواب.." (١)

"قبول ما جاء في كلام المعتزلة من حق

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وبالجمة فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء وأنه يتكلم شيئا بعد شيء، فهو حق يجب قبوله، وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وإنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منها.

فإذا قالوا لنا فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث -بهذا المعنى- به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضا مع صريح العقل].

يعني: أننا نقبل ما جاءوا به من الحق ونرد الباقي، فإذا قالوا: إن كلام الله تعالى صفة قائمة بذاته.

قلنا: هذا صحيح، ولكن قولهم: إنه معنى واحد، هذا لا نوافقهم عليه، وذلك لأن فيه ذكر الجنة وفيه ذكر النار، فعلى أنه معنى واحد لا يكون بين **آية الوعد والوعيد فرق**، وكذلك فيه ذكر العذاب وفيه ذكر الرحمة، وإذا كان معنى واحدا لم يكن بين هذه الآية وهذه الآية فرق.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ١٠/١٥

فإذا لا يوافقون على قولهم: إنه معنى واحد، ولكن يوافقون على أنه قائم بذاته، كما أن سائر الصفات قائمة بالموصوف، فلا تعقل صفة إلا وهي قائمة بالموصوف، فالبياض لابد أن يكون قائما بشيء أبيض، ولا يوجد منفصلا، ولا ينتزع البياض من الثوب ويقبض عليه ويقال: هذا البياض انتزع، وكذلك الحمرة -مثلا- والسواد لابد أن تقوم بشيء يوصف بأنه أبيض أو أسود أو أحمر، فكذلك الصفات، فالسمع لابد أن يقوم بمن يسمع، والكلام لابد أن يقوم بمن يتكلم ولا يقوم بذاته.

فإذا الصفات نوافق في أنها قائمة بذاته، ولكن نرفض قولهم: إننا إذا قلنا إنه يتكلم وإنه يعلم ويقدر يكون ذلك سببا لكون الحوادث تقوم به.

وهذه أكبر شبهة يتشبثون بها، فيرمون أهل السنة بأنهم يقولون إن الحوادث تقوم بذات الله.

على معتقدهم أن الله تعالى قائم بذاته وبأفعاله، وأنه لا يحدث منه شيء بعد أن لم يكن، وهذا خطأ، بل الله تعالى يحدث ما يشاء، فيسمع ما يحدث بعد أن لم يكن حادثا، يسمع الأصوات التي حدثت بعد أن لم تحدث، ويرى الأشخاص الذين تجدد خلقهم بعد أن لم يكن متجددا.

والرؤية جنسها قديم وهي حادثة، فيقال: بصر الله تعالى وصفته بأنه يرى قديم، ولكن هذا الإبصار حادث، ولا يلزم قيام الحوادث بذات الله.." (١)

"إيراد الأدلة القرآنية المتنوعة على البعث

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ [الزمر:٧١]، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها **ذكر الوعد والوعيد يذكر** فيها الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾ [سبأ:٣] ، وقال تعالى: ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ [يونس:٥٣] ، وقال تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ [التغابن:٧].

وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ [القمر:١] ، وقال: ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ [الأنبياء:١] ، ﴿ سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع ﴾ [المعارج:١-٢]، إلى أن قال: ﴿ إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا ﴾ [المعارج:٦-٧].

وذم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ [يونس:٤٥] ، ﴿ ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ [الشورى:١٨] ، ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٥/١٧

عمون ﴾ [النمل:٦٦] ، ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ﴾ [النحل:٣٨] ، إلى أن قال: ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ [النحل:٣٩] ، وقال تعالى: ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ [غافر:٥٩] ، وقال تعالى: ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ [الإسراء:٩٧-٩٩] ، وقال تعالى: ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢].

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال سؤال على التفصيل، فإنهم قالوا: أولا: ﴿ أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ [الإسراء:٤٩]، فيقال لهم في جواب هذا

ꝍ إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب، فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم من ذلك، فإن قلتم: كنا خلقا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم، وبين إعادتكم خلقا جديدا؟ وللحجة تقدير آخر: وهو لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على أن يفنيكم، ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة، فما الذي يعجزه فيما دونها؟ ثم أخبر أنهم يسألون سؤالا بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿ قل الذي فطركم أول مرة ﴾ [الإسراء:٥١] ، فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به تعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا بقوله: ﴿ عسى أن يكون قريبا ﴾ [الإسراء:٥١]].

قد ذكرنا أن القرآن اشتمل على الأدلة الكثيرة في تقرير البعث والنشور، وفيه ذكر عظم قدرة القادر، وأنه لا يعجزه شيء، وأن الرسل أولهم وآخرهم كلهم بلغوا هذا البيان، الذي هو الخبر عن اليوم الآخر والبعث والجزاء في الدار الآخرة، وذكروا ما يكون بعد الموت، فقد اتفقت دعوة الرسل كلهم على ذلك.." (١)

"بيان السبب في أن الداعي قد لا يعطى شيئا أو يعطى غير ما سأل

قال المؤلف رحمه الله: [وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئا، أو يعطى غير ما سأل؟ وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة: أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له).

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٥/٦٣

ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر:٦٠] بالدعاء الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ [غافر:٦٠] يؤكد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: الله أكثر)، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية من العدوان من عطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة، المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، **ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة** في الظاهر من هذا الباب، وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، وكان غالطا، وكذا قد يدعو باضطرار عند القبر فيجاب فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما، والساعد ساعدا قويا، والمحل قابلا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

] هذه الأجوبة قد تقدمت الإشارة إلى بعضها، والسؤال هو: أن بعض الناس يدعو ويكرر الدعاء، ومع ذلك لا يستجاب دعاؤه، والله تعالى يقول ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر:٦٠].

؟! وقد يقال: لماذا لا يستجيب وقد وعد بالإجابة؟ وكذلك قوله: ﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة:١٨٦]، فكيف لم تحصل الإجابة؟ ومن هذه الأجوبة التي ذكرها الشارح: القول بأن الإجابة أعم من الإعطاء،

حيث إن الله: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر:٦٠] وقال: ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ [البقرة:١٨٦]، ولم يقل: أعطيه مطلبه، ولا أعطيه ما سأل، فالإجابة يدخل فيها الثواب، ويدخل فيها التلبية لطلبه أو نحو ذلك، أو السماع، أي أنه سمع دعوته سماع قبول وقبل دعوته، فيكون هناك فرق بين إعطائه سؤله وبين إجابة الدعوة، فالله ذكر إجابة الدعوة ولم يذكر إعطاء المسئول، فلا يكون هناك اعتراض على الآية.

وسمعنا الاستشهاد بحديث النزول الذي يقول الله فيه: (من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟)، ويظهر هنا الفرق بين السؤال والدعاء، ففي السؤال قال: أعطيه، أما في الدعاء فقال: أجيبه، والآية ليس فيها إلا الدعاء: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر:٦٠]، فإذا أجابه بأن سمع دعاءه أو بأن قبل دعاءه صدق عليه أنه أجابه، فيقال: أنت ممن قبل الله دعاءك وإن لم يعطك سؤلك.

أما الجواب الثاني ففيه: أن الداعي لا يسلم من إحدى ثلاث: الحالة الأولى: أن يعطى سؤله في الدنيا.

الحالة الثانية: أن يدخر له في الآخرة.

الثالثة: أن يصرف عنه من الشر مثله.

فهو رابح بكل حال.

أما الجواب الثالث فهو: أن الدعاء قد يتخلف سبب الإجابة فيه؛ وذلك لأن الإجابة لها أسباب وموانع، فمثلا: كون الإنسان مؤمنا صحيح الاعتقاد هذا يعتبر سببا من أسباب الإجابة، وكذلك الإلحاح في الدعاء، واستحضار القلب، واجتماع القلب واللسان على الدعاء، وكذلك الاضطرار، بأن يقع المرء في شدة وضرورة فيلجأ إلى ربه صادقا في دعائه أن يرزقه وأن يستره وأن ينصره، ومن ذلك أن يستعمل المرء أدعية مأثورة، وكذلك تحري أوقات الإجابة وأماكن الإجابة، فإذا اجتمعت فيه الأسباب أعطي سؤله.

فلو حصل ذلك لرجل فسمع به رجل آخر وقال: فلان أعطي سؤاله لما دعا بقوله مثلا: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، أو لما قال: اللهم ارزقني رزقا حسنا ويسر لي اليسرى وجنبني العسرى، وأنا دعوت ولكن لم يستجب لي، فأنا لا أزال في شدة، ولا أزال في جهد.

نقول: تخلف فيك سبب من أسباب الإجابة، فلو اجتمعت الأسباب فيك لاستجيب دعاؤك، ولكن العلة أنه تخلف سبب أو وجد مانع، فمثلا: قد يكون التقصير في شيء من الأعمال مانعا من الإجابة، وارتكاب شيء من السيئات والمخالفات يكون مانعا من الإجابة.

ثم ما مثل به الشارح رحمه الله بقوله: قد يوجد مثلا من إنسان دعاء عند قبر ولكنه دعا وهو مضطر، ودعا وهو صادق الرغبة فظن أن إجابته بسبب ذلك القبر، فسمعه الآخرون فقالوا: هذا القبر تستجاب عنده الدعوة، وهذا القبر يجيب من دعاه، وليس كذلك في الحقيقة، بل الأمر إنما حصل إما مصادفة، وإما بأمر سماوي، وإما بحاجة حصلت له، فالحاصل أن الإنسان عليه أن ينظر ويأتي بالأسباب التي تكون مؤثرة ومفيدة في إجابة الدعاء.

نحمد الله على ما أولى من النعم، ودفع من النقم، نحمد الله على طول الأعمار والتردد في الآثار، نحمد الله على ظهور فضله ونسأله سبحانه الإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته.." (١)

"عقيدة الرافضة في الصحابة ولازم قولهم فيهم

لم تزل عقيدة المسلمين أن الله سبحانه وتعالى فضل هؤلاء الصحابة، وذكر ميزتهم وذكر فضلهم، فقبلوا خبر الله تعالى، وقبلوا ما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا ميزة هؤلاء الصحابة، وفضلوهم؛ لأنهم الذين حملوا هذه الشريعة الإسلامية إلينا، فهم الذين بلغوا القرآن كلام الله، وهم الذين حفظوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوها لمن بعدهم، وعملوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب)، وعملوا بقوله: (بلغوا عني ولو آية) فإذا كانوا –كما تقول الرافضة– كفارا مرتدين فكيف يقبل خبرهم؟ وكيف يقبل تبليغهم؟ ومعنى كلام الرافضة أن دين الله مغير، وأن كلام الله مبدل، وأن شريعة الله غير محفوظة، وأن الله ما صدق في كلامه بقوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر:٩] ولم يحفظ دينه وكتابه، بل وكله إلى كفرة فجرة –في زعم أولئك الرافضة– غيروا فيه وكتموا وكذبوا، وزادوا ونقصوا وحرفوا، وقالوا ما يشتهونه، وولوا من يريدونه، وعزلوا من يبغضونه، هذا مقتضى قول هؤلاء الرافضة.

إذا: فينبني على قول الرافضة أن الله ما حفظ شريعته، وأن هذه الشريعة ليست هي الإسلام؛ لأن طعنهم في الصحابة ليس طعنا في ذواتهم خاصة بل هو طعن في الشريعة، وطعن في الإسلام، وطعن في الدين، وطعن في القرآن، وطعن في السنة، وطعن في الأحاديث النبوية، وطعن في الأحكام، وطعن في الأوامر والنواهي، وطعن في الوعد والوعيد، وطعن في الخبر والأمر، وطعن في كل ما جاء في هذه الشريعة، هذا لازم طعن هؤلاء الرافضة، لكن الله تعالى قيض هؤلاء الصحابة حتى حفظوا الشريعة وبلغوها، وقيض لهم تلامذة يتقبلون منهم، ويأخذون عنهم السنة، وقيض للتلامذة آخرين من تلامذتهم إلى أن حفظت الشريعة الإسلامية في الأقوال والأفعال، وصدق الله في حفظ شريعته من الضياع لتقوم الحجة على الآخرين كما قامت على الأولين، فإن الله تعالى له الحجة ﴿ قل فلله الحجة البالغة ﴾ [الأنعام:١٤٩] وليست الحجة لأحد من خلقه، فإذا كنت الحجة لله سبحانه؛ فإن كلامه لم يتغير، فيكون حجة علينا وحجة على آبائنا وعلى أبنائنا، وعلى الخلق كلهم إلى أن تقوم الساعة، ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾ [المائدة:١٩]، ولئلا يقول الناس: ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ [القصص:٤٧].

فإذا: قد جاءهم الرسول، وقد بلغ الرسول الشريعة، وقد حفظت شريعته التي بلغها، وقد قيض الله له صحابة أتقياء أنقياء ليس فيهم طعن، اعترفت الأمة بفضلهم، ورأوا فضائلهم التي في القرآن والتي في السنة، وأقروها في شروحهم وفي كتبهم ومؤلفاتهم، فتجدون مؤلفات أهل السنة مليئة بذكر فضائلهم، فقد ألف الإمام أحمد كتابا مطبوعا في مجلدين سماه: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك في صحيح البخاري كتاب الفضائل، ذكر فيه فضائل الصحابة بدءا بالخلفاء الراشدين، وهكذا صنع مسلم رحمه الله في كتابه الصحيح، فجعل كتابا في فضائل الصحابة روى فيه فضائلهم بدءا بالخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، وهكذا أكثر المؤلفين ذكروا فضائلهم، ورووها بالأسانيد الصحيحة الثابتة التي لا مطعن فيها؛ اعترافا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – ابن جبرين، ٨/٧٨

منهم بأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم هم أزكى هذه الأمة، وهم الذين حازوا هذه الفضائل، وهم الذين أجمعت الأمة على فضلهم، وأجمعت على تقديمهم، ومع تفاوتهم في الفضل، فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهكذا بقية الصحابة، ولم تزل الأمة تترضى عنهم كما رضي الله عنهم، والله تعالى ذكر الرضا عنهم في قوله: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾ [الفتح:١٨]، وإذا رضي الله عنهم، فمتى علمتم -يا رافضة!- أنه سخط عليهم بعد الرضا؟ وكيف يسخط عليهم وقد رضي عنهم؟! يقول الله: ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ [التوبة:١٠٠] أعدها لهم، وكذلك لمن اتبعهم بإحسان ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾ ، ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ [التوبة:١١٧]، فإذا تاب عليهم فكيف يعذبهم؟ فعلى المسلم أن يعرف فضلهم، وأن يعترف بفضائلهم، وأن يصدق ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يترضى عنهم ويحبهم، وينشر بين المسلمين فضائلهم، وأن يحذر من الرافضة الذين يطعنون فيهم ويكفرونهم، وينزلون عليهم الآيات التي جاءت في المنافقين، ويجعلونهم منافقين أو مرتدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك تعرف طريقة أهل السنة وطريقة الرافضة الذين سموا أنفسهم شيعة، ولعله يأتينا كلام أوسع من هذا على هؤلاء الصحابة في الشرح إن شاء الله.." (١)

"وسطية الإسلام بين المشبهة والمعطلة في صفات الله

دين الإسلام وسط في باب صفات الله تعالى بين المشبهة الممثلة الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه، وبين المعطلة الذين نفوا صفات الله، وعطلوه من صفات الكمال.

فأهل السنة توسطوا، وهم الذين أثبتوا لله تعالى صفات الكمال، ونفوا عنه التشبيه والتمثيل بالمخلوقات، فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

وهم كذلك وسط في **باب الوعد والوعيد بين** الوعيدية والمرجئة.

فهناك الوعيدية الذين شددوا وحكموا بأن من عصى أدنى معصية فقد كفر، وحل ماله ودمه.

وآخرون قالوا: المعاصي لا تؤثر ولا تضر.

هؤلاء غلوا وهؤلاء نقصوا، والإسلام وسط جاء يحذر من الإصرار على المعاصي وكبائر الذنوب، والاستمرار على صغائرها، وجاء يأمر بترك التكفير والخروج على أئمة المسلمين، والخروج على عامتهم، بل جعلهم وسطا أي: صار أهل السنة وسطا بين هؤلاء وهؤلاء.." (٢)

" قوله : (وسيد المرسلين)

ش : [قال صلى الله عليه و سلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع] رواه مسلم وفي أول حديث الشفاعة : [أنا سيد الناس يوم القيامة] [و] روى مسلم و الترمذي عن واثلة بن الأسقع

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٧/٨١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٥/١٠٠

رضي الله عنه قال : [قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم]

فإن قيل : يشكل على هذا قوله صلى الله عليه و سلم : [لاتفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله ؟] خرجاه في الصحيحين فكيف يجمع بين هذا وبين قوله [أنا سيد ولد آدم ولا فخر]

فالجواب : أن هذا كان له سبب فإنه كان قد قال يهودي : لا والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه مسلم وقال : أتقول هذا ورسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرنا ؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه فقال النبي صلى الله عليه و سلم هذا لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموما بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموما فإن الله حرم الفخر وقد قال تعالى : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وقال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر أو على وجه الإنتقاص بالمفضول وعلى هذا يحمل أيضا [قوله صلى الله عليه و سلم : لا تفضلوا بين الأنبياء] إن كان ثابتا فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى وهو في البخاري وغيره لكن بعض الناس يقول : إن فيه علة بخلاف حديث موسى فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر وهو : [أن قوله صلى الله عليه و سلم لا تفضلوني على موسى] [وقوله : لا تفضلوا بين الأنبياء] نهي عن التفضيل الخاص أي : لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه بخلاف [قوله : أنا سيد ولد آدم ولا فخر] فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه وهذا كما لو قيل : فلان أفضل أهل البلد لا ينصب على أفرادهم بخلاف ما لو قيل لأحدهم : فلان أفضل منك ثم إني رأيت الطحاوي رحمه الله قد أجاب بهذا الجواب في شرح معاني الآثار

وأما ما يروى [أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تفضلوني على يونس [بن متي]] وأن بعض الشيوخ قال : لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج وعدوا هذا تفسيرا عظيما وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظا ومعنى فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها وإنما اللفظ الذي في الصحيح : [لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متي] وفي رواية : [من قال أني خير من يونس بن متى فقد كذب] وهذا اللفظ يدل على العموم لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدا على يونس وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم أي : فاعل ما يلام عليه وقال تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس فلا يحتاج إلى هذا المقام إذ لا يفعل ما يلام عليه ومن ظن هذا فقد كذب بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ كما قال أول الأنبياء وآخرهم فأولهم : آدم قد قال : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ وآخرهم وأفضلهم وسيدهم : محمد صلى الله عليه و سلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح [من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره بعد قوله

وجهت وجهي آخره : اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت] إلى آخر الحديث وكذا قال موسى عليه السلام : ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وأيضا : فيونس صلى الله عليه و سلم لما قيل فيه : ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ فنهى نبينا صلى الله عليه و سلم عن التشبه به وأمره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ فقد يقول من يقول : أنا خير من يونس - : للأفضل أن يفخر على من دونه فكيف إذا لم يكن أفضل فان الله لا يحب كل مختال فخور وفي صحيح مسلم [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد] [فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين] فكيف على نبي كريم ؟ فلهذا قال : [لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متي] فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس وقوله : [من قال إني خير من يونس بن متي فقد كذب] فانه لو قدر أنه كان أفضل فهذا الكلام يصير نقصا فيكون كاذبا وهذا لا يقوله نبي كريم بل هو تقدير مطلق أي : من قال هذا فهو كاذب وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ وإن كان صلى الله عليه و سلم معصوما من الشرك **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال

وإنما أخبر صلى الله عليه و سلم أنه سيد ولد آدم لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر كما جاء في رواية وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر : إن مقام الذي أسري به الى ربه وهو مقرب معظم مكرم - كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم ؟ ! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب ؟ ! فهذا في غاية التقريب وهذا في غاية التأديب فانظر إلى هذا الإستدلال لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه التي تزيد على ألف دليل كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله محيط بكل شيء وفوقه إن شاء الله تعالى ." (١)

" قوله : (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان)

ش : الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن وذلك : أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ومحمد صلى الله عليه و سلم لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين وكان هو الحاشر المقفي - بين تفضيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه و سلم وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/١٥٩

والقرآن بين معاد النفس عند الموت ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان ويقول من يقول منهم : إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه و سلم على طريق التخييل ! وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم فقال تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ ولما قال إبليس اللعين : ﴿ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وأما نوح عليه السلام فقال : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ إلى آخر القصة وقال : ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ وقال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى قال تعالى حكاية عنه : ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ إلى قوله : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وقال موسى : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴾ وقد أخبر الله في قصة البقرة : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات [من] القرآن وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة فعامة سور القرآن التي فيها **ذكر الوعد والوعيد يذكر** ذلك فيها : في الدنيا والآخرة وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾ الآيات وقال تعالى : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ وقال تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ وأخبر عن اقترابها فقال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ ﴿ سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ﴾ إلى أن قال : ﴿ إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا ﴾ وذم المكذبين بالمعاد فقال : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ [﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ ﴿ ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ﴾ إلى أن قال : ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ﴾ ﴿ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض

قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ ﴿ قالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل : فإنهم قالوا أولا : ﴿ أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال : إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك ؟ ! فإن قلتم : كنا خلقا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء – فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقا جديدا ؟ ! وللحجة تقدير آخر وهو : لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما [فإنه] قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال الى حال ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة – فما الذي يعجزه فيما دونها ؟ ثم أخبر أنهم يسألون آخرا بقولهم : من يعيدنا اذا استحالت جسومنا وفنيت ؟ فأجابهم بقوله : ﴿ قل الذي فطركم أول مرة ﴾ فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال اخر يتعللون به بعلل المنقطع وهو قولهم : متى هو ؟ فأجيبوا بقوله : ﴿ عسى أن يكون قريبا ﴾

ومن هذا قوله : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال : من يحيي العظام وهي رميم ﴾ ؟ إلى آخر السورة فلو رام أعلم البشر وأفضحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا فكان في قوله : ﴿ ونسي خلقه ﴾ ما وفى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله : ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ؟ ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب معا فقال : ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر المتلىء بالرطوبة والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها [و] لا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم [على] الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد أقتدارا فقال : ﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ؟ فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامها وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى

كما قال في موضع آخر : ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقال : ﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة ومعين بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون : كن فإذا هو كائن كما شاءه وأراده ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وقوله : ﴿ وإليه ترجعون ﴾ ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملا عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء كما قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ إلى آخر السورة فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم شق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشده وأحكم خلقه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى ؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ومأخذه لقريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه

وكم في القرآن [من] مثل هذا الاحتجاج كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ﴾ إلى أن قال : ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى أن قال : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ وذكر قصة أصحاب الكهف وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية وقال فيها : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد خبط واضطراب وهم فيه على قولين : منهم من يقول : تعدم الجواهر ثم تعاد ومنهم من يقول : تفرق الأجزاء ثم تجمع فأورد عليهم : الإنسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله إنسان فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا ؟ وأورد عليهم : أن الإنسان يتحلل دائما فماذا الذي يعاد ؟ أهو الذي كان وقت الموت ؟ فإن قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض ! فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء : أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل ترابا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى : فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاما ولحما ثم أنشأه خلقا سويا كذلك الإعادة : يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح [عن النبي صلى الله عليه

و سلم أنه قال : كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب] [وفي حديث آخر : إن السماء تمطر مطرا كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات]

فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه والمعاد هو الأول بعينه وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق فعجب الذنب هو الذي يبقى وأما سائره فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها ومعلوم أن من رأى شخصا وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخا علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائما في تحلل واستحالة وكذلك سائر الحيوان والنبات فمن رآى شجرة وهي صغيرة ثم رآها كبيرة قال : هذه تلك وليست [صفة] تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال إن الصفات هي المغيرة لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم طوله ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروي : أن عرضه سبعة أذرع وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات وهذه النشأة فانية معرضة للآفات

وقوله : وجزاء الأعمال - قال تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ [والدين : الجزاء يقال : كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى] وقال تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ جزاء وفاقا ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ وأمثال ذلك [وقال صلى الله عليه و سلم فيما يروي عن ربه عز و جل من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] وسيأتي لذلك زيادة بيان عن قريب إن شاء الله تعالى

وقوله : والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب قال تعالى : ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ إلى آخر السورة ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه * فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا * إنه ظن أن لن يحور * بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ ﴿ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ إلى آخر السورة ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [وروى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب] يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده

لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولكنه تعالى يعفو ويصفح وسيأتي لذلك زيادة [بيان] إن شاء الله تعالى [وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور ؟] وهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم فإن قيل : كيف تصنعون بقوله في الحديث : [إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الارض فأجد موسى باطشا بقائمة العرش ؟] قيل : لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الإشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديثا في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذان الحديثان هكذا : أحدهما : [أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق] كما تقدم والثاني : [أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة] فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر وممن نبه على هذا أبو الحجاج المزي وبعده الشيخ شمس الدين بن القيم وشيخنا الشيخ عماد بن كثير رحمهم الله وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال : [فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز و جل] ؟ والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول وعليه المعنى الصحيح فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا لفصل القضاء فموسى عليه السلام إن كان لم يصعق معهم فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلي عوضا عن صعقة الخلائق لتجلي ربه يوم القيامة فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله وروى الإمام أحمد و الترمذي و أبو بكر بن أبي الدنيا عن الحسن قال : سمعت أبا موسى الأشعري يقول : [قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل الجنة ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار] وقد روى ابن أبي الدنيا [عن ابن المبارك] : أنه أنشد في ذلك شعرا :

(وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع)

(فكيف سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل ولا تدري بما تقع)

(أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع)

(تهوي بساكنها طورا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا)

(طال البكاء فلم يرحم تضرعهم ... فيها ولا رقية تغني ولا جزع)

(لينفع العلم قبل الموت عالمه ... قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا)

قوله : والصراط أي : وتؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط [كما قالت عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : هم في الظلمة دون الجسر] وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم [وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال : يجمع الله الناس يوم القيامة] إلى أن [قال] : [فيعطون نورهم على قدر أعمالهم وقال : فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفيء قام قال

: فيمر ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فيخلصون فإذا خلصوا قالوا : الحمد الله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد] الحديث

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور الصراط قال تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [وفي الصحيح أنه صلى الله عليه و سلم قال : والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة] قالت حفصة : فقلت : يا رسول الله أليس الله يقول : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال : [ألم تسمعيه قال : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾] أشار صلى الله عليه و سلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال : نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا ﴾ ؟ ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ﴾ ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾ ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك وكذلك حال الوارد في النار يمرون فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا فقد بين صلى الله عليه و سلم في حديث جابر المذكور : أن الورود هو الورود على الصراط [وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه و سلم : علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك] [أورد القرطبي وروى أبو بكر بن أحمد بن سليمان النجار عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي]

وقوله : والميزان أي : ونؤمن بالميزان قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال : وقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة والله أعلم

والذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان [روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله سيختص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا رب فيقول : ألك عذر أوحسنة ؟ فيبهت الرجل فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول أحضروه فيقول : يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في

كفة [والبطاقة في كفة] قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم] وهكذا روى الترمذي و ابن ماجه و ابن أبي الدنيا من حديث الليث زاد الترمذي : [ولا يثقل مع اسم الله شيء] وفي سياق آخر : [توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة] وفي هذا السياق فائدة جليلة وهي أن العامل يوزن مع عمله ويشهد له [ما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾] وروى الإمام أحمد [عن ابن مسعود : أنه كان يجني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مم تضحكون ؟ قالوا : يا نبي الله من دقة ساقية فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد] وقد وردت الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم [عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان] [وفي الصحيح وهو خاتمة كتاب البخاري قوله صلى الله عليه و سلم : كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] وروى الحافظ أبو بكر البيهقي [عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا] فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام ! ! فإن الله يقلب الأعراض أجساما كما تقدم وكما [روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يؤتى بالموت كبشا أغر فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ويقال : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ويرون أن قد جاء الفرج فيذبح ويقال : خلود لا موت] ورواه البخاري بمعناه فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات

فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه و سلم من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال ! ! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده [فإنه] لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه فتأمل قول الملائكة لما قال [الله] لهم : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله أن الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان ففي الصحيحين : أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا

هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة وليس يسقط منه أحد في النار والله تعالى أعلم ." (١)

" [قوله] : (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات)

ش : قال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم - : أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدا أو قائما وإجابة الله لدعاء العبد مسلما كان أو كافرا وإعطاؤه سؤله - : من جنس رزقه لهم ونصره لهم وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقا ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك وفي سنن ابن ماجه من [حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من لم يسأل الله يغضب عليه] وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

(الرب يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب)

قال ابن عقيل : قد ندب الله تعالى إلى الدعاء وفي ذلك معان : أحدها : الوجود فإن ليس بموجود لا يدعى الثاني : الغنى فإن الفقير لا يدعى الثالث : السمع فإن الأصم لا يدعى الرابع : الكرم فإن البخيل لا يدعى الخامس : الرحمة فإن القاسي لا يدعى السادس : القدرة فإن العاجز لا يدعى ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها : كفي ! ولا النجم يقال له : أصلح مزاجي ! ! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعا لا اختيارا فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطبائع

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة [الى] أن الدعاء لا فائدة فيه ! قالوا : لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء ! ! وقد يخص بعضهم بذلك خواصن العارفين ! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص ! ! وهذا من غلطات بعض الشيوخ فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام - فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية فإن منفعة الدعاء أمر أنشئت عليه تجارب الأمم حتى إن الفلاسفة تقول : ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بفنون اللغات يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات ! ! هذا وهم مشركون

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين : فإن قولهم عن المشيئة الإلهية : إما أن تقتضيه أولا - [ف] ثم قسم ثالث وهو : أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه وقد يكون الدعاء من شرطه كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه وكما توجب الشبع والري عند الأكل واثرب ولا توجبه مع عدمهما وحصول الولد بالوطء والزرع بالبذر فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء كما [لا] يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب فقول هؤلاء - كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفطرة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٤٠٤

ومما ينبغي أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء وهو : أن الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ! ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب كالكلية قدح في الشرع ومعنى التوكل والرجاء يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع

وبيان ذلك : أن الإلتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والإستناد إليه وليس في المخلوقات ما يستحق هذا لأنه ليس بمستقل ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر

وقولهم : إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء ؟ قلنا : بل قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة وكذلك قولهم : وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه ؟ قلنا : بل فيه فوائد عظيمة من جلب منافع ودفع مضار كما نبه عليه النبي صلى الله عليه و سلم بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه وإقراره به وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية التي هي من أعظم المطالب فإن قيل : إذا كان إعطاء الله معللا بفعل العبد كما يفعل من إعطاء المسؤول للسائل كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه ؟ ! قلنا : الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه فهذا الخير منه وتمامه عليه كما قال عمر رضي الله عنه : إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ فأخبر سبحانه أنه يبتدىء بتدبير [الأمر] ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء ويجعلها سببا للخير الذي يعطيه إياه كما في العمل والثواب فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها [وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه] وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه فما أثر فيه شيء من المخلوقات بل هو جعل ما يفعله سببا لما يفعله قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أحد أئمة التابعين : نظرت في هذا الأمر فوجدت مبدأه من الله وتمامه على الله ووجدت ملاك ذلك الدعاء

وهنا سؤال معروف وهو : أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئا أو يعطى غير ما سأل ؟ وقد أجيب عنه بأجوبة فيها ثلاثة أجوبة محققة - :

أحدها : أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا وإنما تضمنت إجابه الداعي والداعي أعم من السائل وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل ولهذا [قال النبي صلى الله عليه و سلم : ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟] ففرق بين الداعي والسائل وبين الإجابة والإعطاء وهو فرق بين العموم والخصوص كما أتبع ذلك بالمستغفر وهو نوع من السائل فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله - : وعلموا علمه ورحمته وقدرته فدعوه دعاء العبادة في حال ودعاء المسألة في حال [وجمعوا بينهما في حال] إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والإستعانة وقد فسر قوله ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ - بالدعاء الذي هو العبادة والدعاء الذي هو الطلب وقوله بعد ذلك : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ - يؤيد المعنى الأول

الجواب الثاني : أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال كما فسره النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه مسلم في صحيحه [أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته أو يدخر له من الخير مثلها أو يصرف عنه من الشر مثلها قالوا : يا رسول الله إذا نكثر قال : الله أكثر] فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا أو مثله من الخير مؤجلا أو يصرف عنه من السوء مثله

الجواب الثالث : أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب والسبب له شروط وموانع فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب بل قد يحصل غيره وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل تختلف باختلاف قوته وما يعنيها وقد يعارضها مانع من الموانع **ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة** في الظاهر – : من هذا الباب وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله أو حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك – فأجيبت دعوته فيظن أن السر في ذلك الدعاء فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي فانتفع به فظن أخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب وكان غالطا وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر فيجاب فيظن أن السر للقبر ولم يدر أن السر للإضطرار وصدق اللجء إلى الله تعالى فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى فالأدعية والتعوذات والرقي بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما والساعد ساعدا قويا والمحل قابلا والمانع مفقودا – : حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة – : لم يحصل الأثر ." (١)

" قوله : (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه و بيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق)

ش : الإشارة بقوله : فهذا كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا

والمشبهة : هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته وقولهم عكس قول النصارى شبهوا المخلوق – وهو عيسى عليه السلام – بالخالق وجعلوه إلها وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق كداود الجواربي وأشباهه

والمعتزلة : هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله في أوائل المائة الثانية وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة وقيل : إن واصل بن عطاء

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٤٥٨

هو الذي وضع أصول منه مذهب المعتزلة وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين وبين مذهبهم وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها : العدل والتوحيد وإنقاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ! ولبسوا فيها الحق بالباطل إذ شأن البدع هذا اشتمالها على حق وباطل وهم مشبهة الأفعال لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه ! وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد ! ! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسنا للقبيح وإما عاجزا فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده ؟ ! والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه فأما العدل فستروا تحته نفي القدر وقالوا : إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جورا ! ! والله تعالى عادل لا يجور ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يزيده فيريد الشيء ولا يكون ولازمه وصفه بالعجز ! تعالى الله عن ذلك وأما التوحيد فستروا تحت القول بخلق القرآن إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ! ! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض ! وأما الوعيد فقالوا : إذا أوعد بعض عبيده وعيدا فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد عندهم ! ! وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر ! ! وأما الأمر بالمعروف فهو أنهم قالوا : علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به وأن نلزمه بما يلزمنا وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا ! !

وقد تقدم جواب هذه الشبه الخمس في مواضعها وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للإعتضاد بها لا للإعتماد عليها فهم يقولون : لا نثبت هذه بالسمع بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل ! فمنهم من لا يذكرها في الأصول إذ لا فائدة فيها عندهم ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل ولإيناس الناس بها لا للإعتماد عليها ! والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب ! والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم ! وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه ! ! كما قال عمر بن عبد العزيز : لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ويخالفه إذا خالف هواه فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين وكما أن [الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى] والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته فالإعتقاد القوي يتبع أيضا علم ذلك وتصديقه فإذا كان تابعا للإيمان كان من الإيمان كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحا وإلا فلا فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح وفي المعتزلة زنادقة كثيرة وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

والجهمية : هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى وقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما

تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ! ثم نزل فذبحه وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى وكان جهم بعده بخراسان فأظهر مقالته هناك وتبعه عليها ناس بعد أن ترك الصلاة أربعين يوما شكا في ربه ! وكان ذلك لمناظرته قوما من المشركين يقال لهم السمنية [من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات قالوا له : هذا ربك الذي تعبده هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس ؟ فقال : لا فقالوا : هو معدوم ! ! فبقي أربعين يوما لا يعبد شيئا ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقادا نحته فكره فقال : إنه الوجود المطلق ! ! ونفى جميع الصفات واتصل بالجعد وقد قيل : إن جعدا كان [قد] اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران وأنه أيضا أخذ شيئا عن بعض اليهود المحرفين لدينهم المتصلين بلبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه و سلم فقتل جهم بخراسان قتله سلم بن أحوز ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس وتقلدها بعده المعتزلة ولكن كان جهم أدخل في التعطيل منهم لأنه ينكر الأسماء حقيقة وهم لاينكرون الأسماء بل الصفات وقد تنازع العلماء في الجهمية : هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا ؟ ولهم في ذلك قولان : وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة - عبد الله بن المبارك و يوسف بن أسباط وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين وفيها مات وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم - : جهل وظلم وأراد المعتصم إطلاقه أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه لئلا تنكسر حرمة الخلافة من بعد مرة ! فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة وخافوا فأطلقوه وقصته مذكوره في كتب التاريخ ومما انفرد به جهم : أن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز كما يقال تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس ! ولقد أحسن القائل :

(عجبت لشيطان دعا الناس جهرة ... إلى النار واشتق اسمه من جهنم)

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال : لعن الله عمرو بن عبيد هو فتح على الناس الكلام في هذا

والجبرية : أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه ! وهم عكس القدرية نفاة القدر فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء **من الوعد والوعيد بل** يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع فلا يجزمون بثواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب وكما لا يجزم لمعين وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان و عليا ولا يشهدون بإيمان ولا كفر ! !

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن : منها ما [روى أبو داود في سننه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا

تشهدوهم] وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيره تكلم أهل الحديث في صحة رفعها والصحيح أنها موقوفة بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث أخرج البخاري منها ثلاثة وأخرج مسلم سائرها ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة بل قولهم أراداً من قول المجوس فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين والقدرية اعتقدوا خالقين ! !

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة كما ذكر البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال : وقعت الفتنة الأولى يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحدا ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدا ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ أي عقل وقوة فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة فصار هؤلاء ﴿ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴾ - يقابلون البدعة بالبدعة أولئك غلوا في علي وأولئك كفروه ! وأولئك غلوا في الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين وأولئك غلوا في الوعيد حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة ! وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه ! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع ويعرضون عن الأمر المشروع وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل : اليهود والنصارى والمجوس والصابئين فثانهم قرؤوا كتبهم فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم وغيروه في اللفظ تارة وفي المعنى أخرى ! فلبسوا الحق بالباطل وكتموا حقا جاء به نبيهم فتفرقوا واختلفوا وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم نفيا واثباتا

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه فقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ فوحد لفظ صراطه و سبيله وجمع السبل المخالفة له [وقال ابن مسعود رضي الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾] ومن ههنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة إما فرضا أو ايجابا على حسب اختلاف العلماء في ذلك لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر المشتمل على أشرف المطالب وأجلها فقد أمرنا الله تعالى أن نقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقد ثبت [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون] وثبت في الصحيح [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ !]

قال طائفة من السلف : من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم - فيه شبه من اليهود حتى أن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى وأكثر المنحرفين من

العباد من المتصوفة ونحوهم - فيهم شبه من النصارى ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والإتحاد ونحو ذلك وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان : طريقة التبديل وطريقة التجهيل أما أهل التبديل فهم نوعان : أهل الوهم والتخييل وأهل التحريف والتأويل

فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون : أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه ! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير وأن الأبدان تعاد وأن لهم نعيما محسوسا وعقابا محسوسا وإن كان الأمر ليس كذلك لأن مصلحة الجمهور في ذلك وإن كان كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور ! ! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل

وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون : أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر وأن الحق في نفس الأمرهو ما علمناه بعقولنا ! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات ! ! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون : يجوز أن يراد كذا وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ

وأما أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم : أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما أراد الله بما وصف [به] نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء ! ويقولون : يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء فضلا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأن [محمد صلى الله عليه و سلم كان يقرأ : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ - وهو لا يعرف معاني هذه الآيات !] بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى ! ! ويظنون أن هذه طريقة السلف ! !

ثم منهم من يقول : إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة ! ومنهم من يقول : بل تجري على ظاهرها ! ! وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلا ! ثم منهم من يقول : لم يعلم معانيها أيضا ! ومنهم من يقول : علمها ولم يبينها بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص ! ! فهم مشتركون في أن الرسول لم يعلم أو لم يعلم بل نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول على ما يوافق عقولنا وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات ! ! ولا يفهمون السميعات ! ! وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل

نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ." (١)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٥٢٠

"ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقا من العلماء إلى القول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين ، وإنهم ليسوا بداخلين **في الوعد والوعيد** (١) .

ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم . أما القول بعدم تكليفهم مطلقا ، فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [النحل : ٥٠] . وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية ، كما قال فيهم : (وهم من خشيته مشفقون) [الأنبياء : ٢٨] .

مكانة الملائكة :

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله ، ولكنهم عباد مكرمون ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة – بنات الله – دعوى باطلة ، لا نصيب لها من الصحة ، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول ، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع ، قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون – لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون – يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون – ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) [الأنبياء : ٢٦-٢٩] .

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة ، منفذون للتعاليم ، وعلم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم ، خائفون وجلون . وعلى احتمال أن بعضهم تعدى طوره ، فإن الله يعذبه جزاء تمرده .." (١)

"وجوب الإخلاص لله

الواجب على الإنسان أن يكون عبدا لله، وأن يخلص العبادة لله جل وعلا، وألا يكون قلبه وعمله مفرقا بين معبودات شتى، والله لا يقبل من العباد إلا أن يعبدوه وحده، وكل القرآن في هذا المعنى كما ذكر ابن القيم ؛ لأن القرآن لا يخلو إما أن يكون في أوصاف الله حتى يدعو ذلك إلى تعظيمه وتوقيره، ويدخل في أوصافه أفعاله تعالى وتقدس، أو يكون الأمر صراحة أن نخلص له العبادة، كقوله: ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [الزمر:٢]، ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ﴾ [التوبة:٣١] في آيات كثيرة، فهذا واضح جدا، أو يكون في الأوامر والنواهي التي هي من حقوق هذا التوحيد، مثل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وفعل الخيرات كلها، وهذا كله من مكملات التوحيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله)، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، (إلا بحقها) يعني: بحق (لا إله إلا الله)، فالذي -مثلا- يمتنع عن الصلاة لم يؤد حقها، ولم يقم بحقها، وهكذا إذا امتنع من الواجبات الواجبة عليه لم يؤد حقها؛ لأنه أخل بها.

---

(١) عالم الملائكة الأبرار، ص/٢١

أو يكون القرآن في الجزاء وما أعد الله جل وعلا لأهل التوحيد في الجنة، وما وعدهم به من النصر والتأييد في الدنيا، أو يذكر عقاب من خالف هذا التوحيد وتركه، فيذكر عقاب من ترك التوحيد وخالفه وعقابه في الدنيا أو في الآخرة، ويدخل في هذا قصص الأمم، وقصص الأنبياء، ويدخل فيه الوعد والوعيد.

إذا القرآن كله في التوحيد كما قال ابن القيم رحمه الله، وعلى هذا التفسير إذا تأمل الإنسان كتاب الله جل وعلا وجده لا يخرج عن ذلك.." (١)

"(ومن أعاظم المكفرات) المخرجة عن ملة الإسلام (إنكار ثابت المغيبات) من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: إنكار المغيبات الثابتة بالأدلة الشرعية القطعية (ك) إنكار (الجن والملائك الكرام و) إنكار (البعث بالأرواح والأجسام) معا.

ومن نواقض الإيمان (جحد) أي إنكار (نصوص الوعد والوعيد) الثابتة (أو صرف معناها عن) المعنى (المقصود) بها في الكتاب والسنة، إلى معان أخرى باطلة؛ وكذلك (إنكار معلوم بالاضطرار) أي: دون حاجة إلى نظر واجتهاد (من دين بارئ الدنى) جمع دنيا (الجبار) سبحانه وتعالى.

فهاهنا مجموعة من نواقض الإيمان، أتكلم عليها على وجه الإيجاز، فأقول:

إنكار المغيبات:

عرف الراغب الأصبهاني الغيب بأنه : "ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعرف بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد"(١).

ولا شك أن الإيمان بالغيب أصل من أصول الإيمان، بل هو الفيصل الحقيقي بين المؤمن الحق الثابت الراسخ، وبين الآخر الذي تزعزعه أعاصير الشبهات، وتعصف به رياح الشهوات.

ويشمل الإيمان بالغيب أمورا متعددة ثبتت بالقرآن والسنة مثل الإيمان بالملائكة والجن واليوم الآخر بما فيه من بعث ونشور، وصراط وميزان، وجنة ونار، وغير ذلك.

- الإيمان بالملائكة:

هذا أحد أركان الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل وغيره، ومعناه الإقرار الجازم بوجودهم إجمالا، والإيمان بمن ذكر منهم في الكتاب والسنة تفصيلا وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وخزنة الجنة والنار وغيرهم.

فمن أنكر وجود الملائكة كفر بلا تردد، لقوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ ، ولأن إنكارها تكذيب بخبر الله تعالى وخبر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ومخالفة للإجماع القطعي اليقيني الذي يكفر مخالفه.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ٣/٧

(١) المفردات :." (١)

"قال القرطبي رحمه الله: " وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصح طعامهم، اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم"(١). وقال ابن حزم رحمه الله: "فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال"(٢).

وإنكار الجن من نواقض الإيمان العصرية التي ابتلي بها أهل "الحداثة والتغريب" والله حافظ دينه ولو كره المشركون.

– الإيمان بالبعث :

يدخل في ركن الإيمان باليوم الآخر – الذي هو أحد أركان الإيمان الستة – أشياء كثيرة مثل عذاب القبر ونعيمه، والبعث والنشور والعرض والحساب والصراط والميزان والجنة والنار وغير ذلك.

فنفي شيء من ذلك هو إنكار للقرآن ومتواتر السنة وإجماع الأمة، فهو إذن كفر بواح. وقد ذكرت في النظم مثالا واحدا يكفي للإشارة إلى ما سواه، وهو إنكار البعث بالأرواح والأجسام معا، وذلك متضمن لمكفرين اثنين هما: إنكار البعث مطلقا، وإنكار معاد الأجساد مع الإقرار بمعاد الأرواح. يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط. وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون: لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد. ... وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية ... ومثل المتفلسفة الصابئة ... وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم، أو منافق، هؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان... "(٣)

جحد نصوص الوعد والوعيد:

(١) تفسير القرطبي: ٦/١٩.

(٢) الفصل: ١٧٩/٣.

(٣) مجموع الفتاوى : ٣١٤/٤.." (٢)

"يشتمل القرآن الكريم على عدد كبير من نصوص الوعد والوعيد، فالوعد بالجنة والمغفرة والثواب، والوعيد بالنار والغضب والعقاب. ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل لا يخلف وعده تكرما منه عز وجل وتفضلا، فأهل التوحيد مآلهم إلى الجنة قطعا. قال تعالى: ﴿ لا يخلف الله وعده ﴾ . أما الوعيد ففيه تفصيل، فالمشرك الذي يختم له بالشرك في النار، لقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ ، وأما المؤمن العاصي ففي مشيئة الله، فقد يقع الوعيد في حقه

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٢٠٢

(٢) شرح منظومة الإيمان، ص/٢٠٤

وقد يتخلف.(١)

وقد مضى سلف الأمة وعلماؤها وصالحوها على الإيمان **بنصوص الوعد والوعيد وأنها** حق، بما في ذلك الإيمان بالجنة والنار، إلى أن ظهر الفلاسفة فزعموا **بأن الوعد والوعيد تخييل** للحقائق موجه إلى عوام الناس، وظهر غلاة الصوفية فزعموا أن الجنة عبارة عن تنعم الأرواح، والنار عبارة عن تألمها. ووجد في هذا العصر من **ينكر الوعد والوعيد مطلقا**، أو يسخر بذلك ويظهر الاستهزاء به، أو من يسلك مسلك الباطنية في تأويل تلك النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة. وكل هذا كفر مناقض للإيمان بما جاء به الرسل، ونزلت به الكتب.

يقول القاضي عياض رحمه الله: "... وكذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية، ومعان باطنة"(٢).

إنكار معلوم من الدين بالضرورة:

---

(١) في مسألة إخلاف الوعيد، انظر اضواء البيان: ٤٢٥/٧.

(٢) الشفا: ٦١٥/٢.." [(١)]

"البدعة ليس على سنة في كثير من أفعاله. الأمر الثاني: الإخلاص لله، وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله: ليبلوكم أيكم أحسن عملا [الملك:٢]، أي: يكون خالصا صوابا، ظاهرا وباطنا، ولذلك يقول الله في القرآن: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر [العنكبوت:٤٥]؛ لأن من حققها نهته. فهذه المعاني يجب أن تفقه في القرآن، لأن القرآن يصدق بعضه بعضا، والسنة كذلك، وكل حديث نطق به الرسول فهو على ظاهره، لكن يحتاج إلى قدر من التأمل والاعتبار، وأما فرض ظهور التعارض كثيرا في كلام الرسول كما هو دارج على ألسنة كثير من المتأخرين فلا. والأصل في هذا: أن من أشكل عليه بعض الأحاديث فعليه الرجوع إلى المجتهدين فيسأل عنها، أما أن تصنف أحاديث كثيرة، ويقال: ظاهرها التعارض كأحاديث الوعد والوعيد. فهذه من بدع المبتدعين، فالأحاديث ليس ظاهرها التعارض لا ظاهرا ولا باطنا، ولذلك تجد نوعا من الأحاديث سماها أئمة السنة من المتقدمين: هذا ظاهره التعارض، نعم! قد تشكل على بعض المجتهدين، فيكون ظاهر الأحاديث عنده هو فقط، لكن أن تقرر للمسلمين أن أحاديث كذا وكذا ظاهرها التعارض، وأن كل مسلم يفترض أن يؤمن بهذه الحقيقة، هذا غير صحيح، الأصل أنه لا يوجد تعارض بين حديث وحديث أو آية وحديث، لكن من عرض له هذا التعارض فلا يجعل هذا سنة في الأحاديث. ......

؟؟

؟امتناع الجبر حسا وشرعا." [(٢)]

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٢٠٥

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ الغفيص، ص/١٢٠

"فقوله: " والذي نفسي بيده" أي روحي، وحياتي وموتي، يتصرف في كيف يشاء. وسيأتي، إن شاء الله تعالى – الكلام على صفة اليد، وأنها من صفات الله الثابتة قطعا، وأنها يد حقيقية تليق بعظمة الرب وقدره، تعالى وتقدس عن مشابهة الخلق، وعن الظنون السيئة التي أوجبت لأصحابها تعطيل الله- تعالى- عن صفاته، ودعتهم إلى الإلحاد في أسمائه وصفاته.

قوله: " إنها لتعدل ثلث القرآن " عدل الشيء بفتح العين: ما عادله من غير جنسه، والعدل بكسر العين: المثل، تقول: عندي عدل شاتك، أو عدل مالك، إذا كان عندك شاة مثل شاة من تخاطبه، ومال مثل ماله، فإن أردت ما يعادل ذلك من غير جنسه فتحت العين، ذكر ذلك بعض أهل اللغة. (١)

ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن: أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام: ثلث منه الأحكام وبيان الحلال من الحرام.

وثلث منه الوعد والوعيد، والجزاء، وما وقع بمن كذب الله ورسله، وما سيقع بهم في الآخرة، وكذا من أطاعه.

ص٤٩

وثلث منه في أسماء الله تعالى وصفاته. وهذه السورة خالصة في الأسماء والصفات، قاله أبو العباس ابن سريج، وغيره من السلف.

واعتراض ابن عبدالبر على هذا: بأن في القرآن آيات كثيرة اشتملت على أكثر مما في هذه السورة من التوحيد، كآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وأول سورة الحديد، قد أجاب عنه القرطبي في شرحه لمسلم: بأن سورة الإخلاص قد اشتملت على اسمين من أسماء الله متضمنين جميع أوصاف الكمال، ولم يوجدا في غيرها من السور، وهما "الأحد" و"الصمد".

" والقرآن باعتبار معانيه ثلاثة أقسام: توحيد، وقصص، وأمر ونهي، وكله كلام الله تعالى، والكلام إما إنشاء، وإما إخبار.

فالإنشاء: هو الأمر والنهي، وما يتبع ذلك كالإباحة.

والإخبار: أما عن الخالق – تعالى -، أو عن المخلوق، فالإخبار عن الخالق هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

والإخبار عن المخلوق، هو القصص، وهو الخبر عما كان، وما يكون.

---

(١) انظر : " ترتيب اللسان" (٣/٧٠٧).." [1]

"قال شيخ الإسلام في (ص:٤٦٨) من المجلد الثاني عشر من مجموع الفتاوى : "فصل، إذا تبين ذلك فاعلم أن (مسائل التكفير والتفسيق) هي من مسائل (الأسماء والأحكام) التي يتعلق **بها الوعد والوعيد في** الدار الآخرة" ثم تكلم عن الفرق وعن معنى الإيمان، إلى أن يقول في (ص:٤٧٤): "ولهذا قال علماء السنة في وصفهم اعتقاد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب" وهي العبارة التي يشرحها المصنف رحمه الله هنا، ثم يستمر الكلام إلى أن يقول في (ص:٤٧٧): "وإذا عرف مسمى الإيمان؛ فعند ذكر استحقاق الجنة والنجاة من النار، وذم من ترك بعضه ونحو ذلك، يراد به الإيمان الواجب" وهذا أيضا سيأتي إن شاء الله شرحه في موضوع الإيمان؛ لأنه رحمه الله يتوسع ويستطرد في كلامه،

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان، ١/٤٦

فتتداخل عنده القضايا، لكن الأمر المهم الذي نريد أن نصل إليه هو قوله في (ص:٤٧٨): "وإذا تبين هذا" يعني: إذا تبينت حقيقة الإيمان والخلاف فيه، وأن الإيمان إذا نفي، فالمقصود به الإيمان الواجب لا الكامل المستحب، وإن قيل: الكامل، فالمقصود به الكمال الواجب، قال: "وإذا تبين هذا، فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه، إما لعدم تمكنه من العلم: مثل ألا تبلغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل، لم يكن مأمورا بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه، وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل؛ بمنزلة صلاة المريض، والخائف، والمستحاضة، وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة، فإن صلاتهم صحيحة بحسبما ما قدروا عليه" يعني من الصلاة أو من الطهارة، "وبه أمروا إذ ذاك" والمقصود من هذا أن المعذور الذي لم تبلغه المسائل العلمية، فحاله كحال المتفق عليه بين الجميع، وهو المعذور في الأمور والأحكام الشرعية الواضحة؛ كالمستحاضة والعاجز عن القيام والمريض.

اجتماع الثواب والعقاب في حق المعين عند أهل السنة." (١)

"يقول: "والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه" يعني أنه لا تعارض بين آيات وأحاديث الوعد وبين آيات وأحاديث الوعيد، يقول: "فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط" يعني أن من كفر فقد حبط عمله والعياذ بالله، حيث قال الله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله [المائدة:٥] قال: "لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة"، أي: مشروطة بعدم إيمانهم إن كانوا كفارا، أو توبتهم إن كانوا فساقا، فهذه مع تلك عمومها باق، ولكن يدخلها التخصيص في حق المعينين.

ثم يقول: "فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل"، كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه﴾ رواه مسلم .

قال: "وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي في ذلك العمل" قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين [المائدة:٢٧] يعني: من صلى بإخلاص وتصدق برياء؛ فإن الله يقبل صلاته؛ لأنه كان متقيا فيها، ولا يقبل صدقته منه؛ لأنه راءى فيها؛ فهناك حسنات وموانع لوقوعها، وهناك سيئات وموانع لوقوعها.." (٢)

"يقول: "والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه" يعني أنه لا تعارض بين آيات وأحاديث الوعد وبين آيات وأحاديث الوعيد، يقول: "فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط" يعني أن من كفر فقد حبط

---

(١) التكفير وضوابطه لسفر الحوالي، ص/٢٣٤

(٢) التكفير وضوابطه لسفر الحوالي، ص/٢٣٧

عمله والعياذ بالله، حيث قال الله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله [المائدة:٥] قال: "لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة"، أي: مشروطة بعدم إيمانهم إن كانوا كفارا، أو توبتهم إن كانوا فساقا، فهذه مع تلك عمومها باق، ولكن يدخلها التخصيص في حق المعينين.

ثم يقول: "فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل"، كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه ﴾ رواه مسلم .

قال: "وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي في ذلك العمل" قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين [المائدة:٢٧] يعني: من صلى بإخلاص وتصدق برياء؛ فإن الله يقبل صلاته؛ لأنه كان متقيا فيها، ولا يقبل صدقته منه؛ لأنه راءى فيها؛ فهناك حسنات وموانع لوقوعها، وهناك سيئات وموانع لوقوعها.." (١)

"ففي الحديث الثاني علل النبي صلى الله عليه وسلم نهيه عن لعن شارب الخمر بقوله: ﴿إنه يحب الله ورسوله ﴾ أي أنه وجد في هذا الشخص بعينه مانع يمنع لحوق الوعيد العام به، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم اللعن في العموم؛ لأنه هو الذي قاله وأطلقه؛ فلو أنك سمعت أن رجلا شرب الخمر، فقلت: لعن الله شاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها، فما عليك شيء؛ لأنك لم تلعنه هو بعينه؛ بل أطلقت اللعن بعمومه؛ فإن كان هذا الرجل يستحق اللعن شمله اللعن، وإن لم يكن مستحقا للعن، فأنت حينئذ ما أخطأت وما أثمت، لكن إن قلت: فلان ملعون، فقد يقال: هناك مانع يمنع من إطلاق هذا الحكم.

وربما لو انتفى هذا المانع في حق ذلك الرجل، لسكت النبي صلى الله عليه وسلم وأقر اللاعن له على لعنه، لكن وجد المانع وهو حب الله ورسوله، يقول: "فنهى عن لعن هذا المعين، وهو مدمن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله، وقد لعن شارب الخمر على العموم".

تكفير أهل البدع والأهواء متفرع عن مسألة الأحكام والأسماء

من درس: التكفير وضوابطه (الحلقة التاسعة)

ضوابط أهل السنة في تكفيرهم لأهل البدع والأهواء

ثم يقول: "فصل، إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر والفاسق الملي، وفي حكم الوعد والوعيد، والفرق بين المطلق والمعين، وما وقع في ذلك من الاضطراب؛ ف(مسألة تكفير أهل البدع والأهواء) متفرعة على هذا الأصل".

---

(١) التكفير وضوابطه لسفر الحوالي، ص/٢٤٤

فهذه المسألة هي موضوع بحثنا، والتي بناء عليها ذكر ابن أبي العز رحمه الله حديث الرجل الذي أمر أبناءه، وأوصاهم بحرقه بعد الموت وذر رماده في البحر؛ يبين شيخ الإسلام رحمه الله أن هذه المسألة متفرعة عن هذه القضايا.." (١)

"فنقول: نعم الإسلام جاء بحرية الاجتهاد؛ فيجوز أن يجتهد الإنسان في ضوء الأدلة والنصوص، لكن الاجتهاد قد يكون خطأ، وقد يكون المجتهد مأجورا عليه عند الله، ولكنه في الدنيا يعاقب.

وغاية ما عندهم أن يقولوا: إن هذا الرجل وقع في البدعة عن اجتهاد، فنقول: إن كان مجتهدا مخطئا، فذلك يجعله غير معاقب عند الله، لكن نحن في الدنيا لابد أن نقيم الحد عليه وأن نعاقبه.

فمن أنكر شيئا من أصول العقائد والأحكام، ومن قال: إن القرآن مخلوق، ومن قال: إن الله لا يرى في الآخرة، ومن أنكر القدر، ومن سب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أو كفرهم، أو أتى بأي بدعة من هذه البدع، فإنه يقتل تعزيرا دفعا لبدعته بغض النظر عن الكفر وعدمه؛ يقتل من جهة النظر إلى مصلحة الدين واستقامة المسلمين.

وعلى هذا قتل الجعد بن درهم ، وقتل غيلان الدمشقي لما أنكر القدر، وكثير غيره من أهل البدع، ثم جاء الحلاج وأمثاله، فأجمعت الأمة على قتلهم.

وهذا أصل أحببنا أن ننبه عليه؛ لأنه يوجد الآن من يحاول أن ينكره، ويقول: كل هؤلاء ما قتلوا إلا لأغراض سياسية، فلو كانت أغراضا سياسية من الحكام، فهل حين كفرهم العلماء أو استحسنوا قتلهم -هل كان ذلك لأغراض سياسية؟!

إن هؤلاء السلف أو علماء الأمة حين رضوا بقتلهم وأثنوا على فاعله جعلوا ذلك من باب العقوبة الشرعية، والله تبارك وتعالى أعلم بالنيات، والظاهر من حال من قتلهم أنه إنما قتلهم من أجل المصلحة الدينية.

ضوابط أهل السنة في تكفيرهم لأهل البدع والأهواء

من درس: تكفير أهل البدع والأهواء متفرع عن مسألة الأحكام والأسماء

ثم يقول: "فصل، إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر والفاسق الملي، وفي حكم الوعد والوعيد، والفرق بين المطلق والمعين، وما وقع في ذلك من الاضطراب؛ ف(مسألة تكفير أهل البدع والأهواء) متفرعة على هذا الأصل".." (٢)

"فأقرب فرق المرجئة من قال: الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط، وليست العبادة من الإيمان، وأبعدهم الجهمية القائلون بأن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الوثن من غير تقية، والكرامية القائلون بأن الإيمان قول باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه... -وساق الكلام على بقية الفرق، ثم قال -:... فأما المرجئة فعمدتهم الكلام في الإيمان والكفر فمن قال: إن العبادة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص ولا يكفر مؤمنا بذنب، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجئا، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم.

و أما المعتزلة فعمدتهم الكلام **في الوعد والوعيد والقدر**، فمن قال: القرآن ليس بمخلوق، وأثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي، ولو وافقهم

(١) التكفير وضوابطه لسفر الحوالي، ص/٢٤٨

(٢) التكفير وضوابطه لسفر الحوالي، ص/٢٦١

في سائر مقالاتهم.. -وساق بقية ذلك إلى أن قال -... وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمس من مثبت لها وناف، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علوا كبيرا، ونظير هذا التباين قول الجهمية أن العبد لا قدرة له أصلا، وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه.انتهى.

و قال القرطبي في شرح حديث "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ": هذا الشخص ...." (١)

" فترى الناس على اختلاف طبقاتهم من الآراء والنحل ، يفزعون عند حدوث الأمراض إلى الطب والتداوي ، ويتعللون به ، ويستأنسون إليه . فإذا لم ينجح العلاج ، وأعياهم الأمر قالوا : قدر الله ومشيئته ، وسلموا للقضاء وأعطوا بأيديهم ، ولم يلوموا طبيبا ، ولم يعيبوا دواء . ومن خالفهم في هذا المذهب ، ولم يأخذ بالحزم ولم يستعمل العلاج كان عند أكثرهم ملوما معاتبا . فترى الناس يفزعون إلى الأدوية والمعالجات ، الأقدار من الله جارية في الآجال والأمراض والصحة ، ولا مزيد عليها ولا نقصان ، ولا متأخر عنها ولا متقدم . كذلك أمور الآخرة مقضية مقدرة مقسومة ، والأعمال من العباد في أسبابها الظاهرة جارية ، والأوامر والنواهي فيها ثابتة والوعد والوعيد والثواب والعقاب فيها عامل . وما قضاه الله وقدره من ذلك فلا مزيد عليه ولا نقصان ، ولا متأخر عنها ولا متقدم . وعلى هذا تجري أمور العوذة والدعاء . قال : وإنما حملنا على ذكر هذا الأصل ، وبيان الأمثلة ، والأشباه لأن الذي يعتمد عليه الخصوم في رد القضاء والقدر هو أنهم يقولون : إذا قدمنا القدر وغلبنا الحكم بطل العمل وسقط معنى التبعد وهو : التكليف وتعطل **الوعد والوعيد**، والثواب والعقاب .

." (٢)

" أبا عمرو ؟ ويخلف الله ما وعده ؟ قال : لا . قال : أفرأيت من أوعده الله على عمل عقابا ، أيخلف الله وعده فيه ؟ فقال : أبو عمرو بن العلاء : من العجمة أتيت يا أبا عثمان . إن الوعد غير الوعيد . إن العرب لا تعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا ، ثم لا تفعله . ترى ذلك كرما وفضلا . وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله . قال : فأوجدني هذا في كلام العرب ؟ قال : نعم . أما سمعت إلى قول الأول : (ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ** ولا أنا أخشى صولة المتهدد) (وإني وإن أوعدته ، ووعدته ** لمخلف ميعادي ، ومنجز موعدي) قال أبو الشيخ : حكي لي عن يحيى بن معاذ قال **: الوعد والوعيد** حق . فالوعد حق العباد على الله ، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا .

---

(١) التعليقات السنية على العقيدة، ص/٧٣

(٢) الحجة في بيان المحجة، ٢/٥٦

." (١)

"يعبد فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله، والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر"١.

وقد ستروا تحت قولهم في التوحيد باطلا كثيرا، أما قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له؛ فليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلهين اثنين ونحو هذا، فإن هذا حق لا ريب فيه، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يشهد، ولا يرى منه شيء دون شيء، ولا يدرك منه شيء دون شيء، ولا يعلم منه شيء دون شيء، ولا يمكن أن يشار منه إلى شيء دون شيء، بحيث أنه ليس له في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها، يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم٢.

وأما قولهم واحد في صفاته لا شبيه له: فهذه الكلمة –كما يقول شيخ الإسلام – أقرب إلى الإسلام، لكن أجملوها فجعلوا نفي الصفات أو بعضها داخلا في نفي التشبيه٣.

وأما قولهم واحد في أفعاله لا شريك له: فهذا معنى صحيح، وهو حق، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم، حيث اعترفوا فيه بأن الله خالق كل شيء، ومربيه ومدبره –مع خلاف المعتزلة٤ في خلق أفعال العباد – ٥، ولكنهم جعلوا هذا النوع هو الغاية وأطالوا في تقريره وشرحه، مع أن المشركين كانوا يقرون به وهم مع ذلك مشركون، ومن

---

١ – التدمرية ص١٨٥ – ١٨٦، وانظر: درء التعارض ٢٢٦/١، ٣٧٧/٩، اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٥/٢.

٢ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٢٠٣/٥ – ٢٠٤، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٤/١ – ٤٧٥، التدمرية ص١٨٤ – ١٨٥، مجموع الفتاوى ٤٤٩/١٧ – ٤٥٠.

٣ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٢٠٤/٥، التدمرية ص١٨٢ – ١٨٣، الصواعق المرسلة ١١١١/٣.

٤ – المعتزلة ويلقبون بالقدرية، ويسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، ولعل الراجح في تسميتهم بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم واصل ابن عطاء حلقة الحسن البصري، وهم يقولون بالأصول الخمسة وهي: "التوحيد" وستروا تحته نفي الصفات والقول بخلق القرآن، و"العدل" وستروا تحته القول بخلق الإنسان لأفعاله، و"المنزلة بين المنزلتين" وستروا تحتها تكفير مرتكب الكبيرة، و"إنفاذ الوعد والوعيد" وستروا تحته تخليد مرتكب الكبيرة في النار، و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وستروا تحته وجوب الخروج على الإمام الجائر.انظر عن المعتزلة: الملل والنحل للشهرستاني٤٣/١ – ٤٤، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق.

٥ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٢٠٧/٥، التدمرية ص١٨٠ – ١٨١.." (٢)

---

(١) الحجة في بيان المحجة، ٧٣/٢

(٢) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، /

" تكفير أبي الهذيل وكذا الجبائي وذكرا في تصنيفهما أن قوله يؤدي إلى قول الدهرية

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء قال وإذا دخل ذلك الوقت فنى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده إلى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى أن يوصل تلك الثمرة إلى يده ولا على أن يقدر العبد على أن يوصل يده إليها وأهل الجنة كلهم يبقون همودا جمودا ساكنين لا يقدرون على حركة ولا على نطق وينقطع عذاب أهل النار في ذلك الوقت وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ويهدم **فائدة الوعد والوعيد ولئن** قصد بعض أصحابه أن يستر عليه هذه الفضيحة ويخفي هذه البدعة لم يمكنه لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب الحجج وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقها بهذه المقالة إلى تمهيد الحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بإرتكابهم هذه البدعة

ومن فضائحه قوله بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال ليس في الدنيا زنديق ولا دهري إلا وهو قطب الله تعالى في كثير من الأشياء ولم يكن له قصد التقرب إلى الله عز و جل لأنه لا يعذبه

ومن فضائحه بأن علم الباري هو هو وقدرته هي هو ولو كان كما قاله لم يكن عالما ولا قادرا ولكن علمه قدرته وقدرته علمه وكان لا يتحقق الفرق بينهما اذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة

ومن فضائحه قوله في أن كلام الله تعالى ما هو إلا عرض لا في محل ولو جاز هذا لجاز أن يكون سائر الاعراض لا في محل ولكن مالا محل له لا يكون متكلما به لا هو ولا غيره ولا يمكنه أن يقول إن فاعل الكلام هو المتكلم به لأن كلام أهل الجنة وأهل النار وجميع أفعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة فلا يمكنه أن يقول أنه ." (١)

" الجماعة والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة

ومنه قوله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء فتبين أن الذين فارقوا دينهم أو فرقوا دينهم هم ليسوا على طريق الحق وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم كما وصفناه من اختلافهم فبان به أنهم مفارقون للدين وأهل السنة والجماعة متمسكون به بعروة الإسلام وحبل الدين مجتمعون في أصولهم غير متفرقين فكانوا هم أهل النجاة دون من خالفهم في هذه الصفة الفصل الثالث من فصول المفاخر لأهل الإسلام وبيان فضائل أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم

اعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الإجتهادات إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى والسهم الأوفر

أما العلوم فأولها الرقي في مدارج الفضل والأدب هو ترجمان جميع العلوم ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدنيا والآخرة إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول إلا بمعرفة الأدب وجملة الأئمة في النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام كانوا من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث والرأي ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع

---

(١) التبصير في الدين، ص/٧٠

الروافض ١٨٨ والخوارج والقدرية مثل أبي عمرو بن العلاء الذي قال له عمرو بن عبيد القدري قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد والله تعالى يصدق وعده ووعيده فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فقال أبو عمرو فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا وعد عفا وإذا وعد وفى وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد وبعد من بدعهم بعيد مثل الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش والزجاج والمبرد وأبي حاتم ." (١)

" والقدرية مثل أبي عمرو بن العلاء الذي قال له عمرو بن عبيد القدري قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد والله تعالى يصدق وعده ووعيده فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فقال أبو عمرو فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا أوعد عفا وإذا وعد وفى وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد وبعد من بدعهم بعيد مثل الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش والزجاج والمبرد وأبي حاتم ." (٢)

"فقيل لهم : فقد قال تعالى : ﴿ لا يحب الفساد ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ، ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ [الزمر : ٧] . فقالوا : هذا بمنزلة أن يقال : لا يريد الفساد، ولا يريد لعباده الكفر، وهذا يصح علي وجهين :

وإما أن يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد، ولا ريب أن الله لا يريد ولا يحب مالم يقع عندهم، فقالوا : معناه لا يحب الفساد لعباده المؤمنين، ولا يرضاه لهم .

وحقيقة قولهم : أن الله ـ أيضا ـ لا يحب الإيمان ولا يرضاه من الكفار . فالمحبة والرضا عندهم كالإرادة عندهم متعلقة بما وقع دون مالم يقع، سواء كان مأمورا به أو منهيا عنه . وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم، وعندهم أن الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان، ولا يحب ما لم يوجد من الإيمان والطاعة، كما أراد هذا دون هذا .

والوجه الثاني : قالوا : لا يحب الفساد دينا، ولا يرضاه دينا، وحقيقة هذا القول أنه لا يريده دينا، فإنه إذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مريدا له علي خلاف تلك الصفة، وهو إذا أراد وقوع شيء مع شيء/ لم يرد وقوعه وحده فإنه إذا أراد أن يخلق زيدا من عمرو لم يرد أن يخلقه من غيره . وإذا أراد أن ينزل مطرا فتنبت الأرض به، فإنه أراد إنزاله على تلك الصفة، وإذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم، ، ويسلم بعضهم، ويربح بعضهم، فإنما أراده على تلك الصفة، فكذلك الإيمان والكفر، قرن بالإيمان نعيم أصحابه، و بالكفر عذاب أصحابه، وإن لم يكن عندهم جعل شيء لشيء سببا، ولا خلق شيء لحكمة، لكن جعل هذا مع هذا .

---

(١) التبصير في الدين، ص/١٨٧

(٢) التبصير في الدين، ص/١٨٨

وعندهم جعل السعادة مع الإيمان، لا به كما يقولون : أنه خلق الشبع عند الأكل، لا به، فالدين الذي أمر به هو ما قرن به سعادة صاحبه في الآخرة، والكفر والفسوق والعصيان عندهم أحبه ورضيه كما أراده، لكن لم يحبه مع سعادة صاحبه، فلم يحبه دينا، كما أنه لم يرده مع سعادة صاحبه دينا .

وهذا المشهد الذي شهده أهل الفناء في توحيد الربوبية، فإنهم رأوا الرب تعالي خلق كل شيء بإرادته وعلم أن سيكون ما أراد، ولا سبب عندهم لشيء ولا حكمة، بل كل الحوادث تحدث بالإرادة .

ثم الجهم بن صفوان ونفاة الصفات من المعتزلة ونحوهم لا يثبتون إرادة قائمة بذاته، بل إما أن ينفوها، وإما أن يجعلوها بمعنى الخلق والأمر، وإما أن يقولوا : أحدث إرادة لا في محل .

وأما مثبتة الصفات، كابن كلاب والأشعري وغيرهما . ممن يثبت/ الصفات، ولا يثبت إلا واحدا معينا . فلا يثبت إلا إرادة واحدة تتعلق بكل حادث، وسمعا واحدا معينا متعلقا بكل مسموع، وبصرا واحدا معينا متعلقا بكل مرئي، وكلاما واحدا بالعين يجمع جميع أنواع الكلام، كما قد عرف من مذهب هؤلاء، فهؤلاء يقولون : جميع الحادثات صادرة عن تلك الإرادة الواحدة العين المفردة التي ترجح أحد المتماثلين لا بمرجح، وهي المحبة والرضا وغير ذلك .

وهؤلاء إذا شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين جميع الحوادث في الحسن والقبح إلا من حيث موافقتها للإنسان، ومخالفة بعضها له، فما وافق مراده ومحبوبه كان حسنا عنده، وما خالف ذلك كان قبيحا عنده، فلا يكون في نفس الأمر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهها إلا بمعنى أن الحسنة هي ما قرن بها لذة صاحبها، والسيئة ما قرن بها ألم صاحبها من غير فرق يعود إليه . ولا إلى الأفعال أصلا؛ ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسنا ولا قبيحا . لا بمعنى الملائم للطبع والمنافى له، والحسن والقبح الشرعي هو ما دل صاحبه على أنه قد يحصل لمن فعله لذة، أو حصول ألم له .

ولهذا يجوز عندهم أن يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان، وينهى عن كل شيء حتى عن الإيمان والتوحيد، ويجوز نسخ كل ما أمر به بكل ما نهى عنه، ولم يبق عندهم في الوجود خير ولا شر، ولا حسن ولا قبيح، إلا بهذا الاعتبار، فما في الوجود ضر ولا نفع، والنفع والضر/أمران إضافيان، فربما نفع هذا ما ضر هذا . كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يعتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين :

حزبا من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الطبيعي، وقالوا : ما ثم فرق إلا الفرق الطبيعي، ليس هنا فرق يرجع إلى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا .

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد، إما لقوله بالإرجاء، وإما لظنه أن ذلك لمصالح الناس في الدنيا إقامة للعدل، كما يقول : ذلك من يقوله من المتفلسفة، فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل إلا ما يحبه هو ويبغضه، فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله، وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه، وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي؛ الذين يرون رأي جهم

والأشعري ونحوهما في القدر، تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعادات إلا إلى محض أهوائهم وإرادتهم، وهو الفرق الطبيعي .." [1]

"المحور الثالث: مبحث الإدارة: ويحمل في كتاب ابن حزم عنوانا مطولا هو: "الكلام في هل شاء الله عز وجل كون الكفر والفسق، وأراده تعالى من الكافر والفاسق أم لم يشأ ذلك ولا أراد كونه"

(١)، وبطبيعة الحال نجده كما عهدنا في السابق، يطيل الكلام في هذه المسألة معرجا في النهاية على ذلك المبحث الذي اشتهرت به المعتزلة وهو القول بالأصلح(٢).

المحور الرابع: مبحث الإيمان ويحمل عنوانا مستقلا هو: "كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد"(٣). ويعتني ابن حزم اعتناء خاصا بهذا المحور من كتابه ويبحثه من مختلف الجوانب وتدل الصفحات الكثيرة التي كتبها على هذه العناية(٤). وهو لا ينتهي من هذا المحور حتى يجعل الكلام في عصمة الأنبياء من ضمن مباحثه(٥)، وأخيرا يصل إلى الكلام **في الوعد والوعيد وهذه** هي نهاية هذا المحور.

المحور الخامس: مبحث السمعيات، وهي المسائل الكلامية الفرعية والتي كان لكل طائفة من المتكلمين نصيب فيها، مثل عذاب القبر(٦)، ومستقر الأرواح(٧)، وبعث الأجساد وغيرها(٨) .

المحور السادس: مبحث الإمامة، وقد أدرج فيه كلام على مواضيع كثيرة أهمها مسألة المفاضلة بين الصحابة، وما يتعلق بالإمامة من أمور مثل: الكلام في إمامة المفضول(٩)، وعقد الإمامة(١٠).

المحور السابع: المبحث الكلامي، وفيه اعتنى بالمسائل الكلامية المعقدة مثل الكلام في الاسم والمسمى(١١) والمعاني والجواهر(١٢) والأعراض(١٣) وغيرها من المسائل الكلامية الدائرة على ألسنة الفلاسفة.

---

(١) الفصل، (١٧٩/٣).

(٢) الفصل، (٢٠١/٣).

(٣) الفصل، (٢٢٧/٣).

(٤) الفصل، (٢٢٧/٣- ٣٠٢).

(٥) الفصل، (٥/٤- ٦٠).

(٦) الفصل، (١١٧/٤).

(٧) الفصل، (١٢١/٤).

(٨) الفصل، (١٣٧/٤).

(٩) الفصل، (٥/٥- ١٢).

(١٠) الفصل، (٥/ ١٣- ١٨).

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٥٥

(١١) الفصل، (٥/١٣٥).

(١٢) الفصل، (٥/١٦١).

(١٣) الفصل، (٥/١٩٣).." [(١)]

"٢- الحديث النبوي: يأتي اهتمامه بالحديث النبوي، في إيراد الأمثلة والشواهد، بالدرجة الثانية، ودراسة نموذج لهذا الاستشهاد مهمة في بيان كيفية استفادته من الحديث لتدعيم وجهة نظره، فهو عندما يتكلم **حول الوعد والوعيد يبين** للقارئ بأن: "كل كافر عمل خيرا وشرا ثم أسلم فإن كل ما عمل من خير يكون له مجازى به في الجنة، وأما ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وإن تمادى عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في إسلامه وبرهان ذلك: حديث حكيم ابن حزام عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (يا رسول الله أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسلمت على ما سلف لك من خير)(١)، فأخبر أنه خير، وأنه له إذا أسلم وقالت عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله أرأيت ابن جدعان فإنه يصل الرحم ويقري الضيف، أينفعه ذلك؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)(٢). فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنفعه ذلك(٣) وهكذا نجد ابن حزم كيف وظف الحديث الشريف لخدمة منهجه في إبراز الحقيقة، وبرهن بذلك على أن النص مهم في مجال البحث العقائدي(٤).

---

(١) أحمد، المسند، (٣/٤٣٤)، البخاري، الصحيح، (٢/١٤١)، مسلم، الصحيح، (١/١١٣).

(٢) مسلم: الصحيح، (١/١٩٦).

(٣) الفصل، (٤/٩٥).

(٤) ينظر أمثلة لهذا الاستشهاد في الفصل، (٣/٢٤٣- ١٤٤)، (١٦٧- ١٦٨)، (٢٤٦- ٢٤٧).." [(٢)]

"ص -٢٢- ... قال: لا تبشرهم فيتكلوا "١ (١) أخرجاه في الصحيحين (٢).

....

(١) وفي رواية: " إني أخاف أن يتكلوا " أي يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة اعتمادا على ما يتبادر من ظاهر الحديث. وفي رواية: فأخبر بها معاذ عند موته تأثما أي تحرجا من الإثم. قال أبو المظفر: ((لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة. فأما الأكياس فإذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم)) .

قال المصنف: وفيه جواز كتمان العلم للمصلحة، والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. وسئل عن معنى هذا الحديث، ومعنى " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله "٢ فقال: معنى حديث معاذ عند السلف على ظاهره، وهو من الأمور التي

---

(١) منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية، ص/٢

(٢) منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية، ص/١٥

يقولون: أمروها كما جاءت، يعني نصوص الوعد والوعيد، وقوله: " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله " على ظاهره، وهو أن الله لو يستوفي حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ ٣ .

(٢) أي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة. والبخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد وغير ذلك. روى عن أحمد والحميدي وابن المديني وطبقتهم، وعنه مسلم والنسائي والترمذي وغيرهم، ولد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ.

و مسلم هو ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح والعلل والوحدان وغير ذلك، روى عن أحمد وابن معين وابن أبي شيبة والبخاري وطبقتهم، وعنه الترمذي وخلق. ولد سنة ٢٠٤، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١ هـ.." (١)

"وقال بعضهم: المعتزلة نسبة إلى الاعتزال، وهو (الاجتناب) والجماعة المعروفة بهذه العقيدة إنما سموا بهذا الاسم لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد لما أحدث ما أحدث من البدع، واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه سموا (معتزلة) ، وهناك رأي آخر، وهو أنهم سموا معتزلة لقولهم: إن صاحب الكبيرة اعتزل عن الكافرين والمؤمنين، فالمعتزلة على هذا هم القائلون باعتزال صاحب الكبيرة عن الكفار والمؤمنين معا، هذا بعض ما قيل في أسباب تسمية المعتزلة بهذا الاسم.

أصولهم الخمسة:

لما تكونت المعتزلة بالطريقة التي ذكرناها وضعوا لهم أصولا خمسة، امتازوا بها من بين الناس وعرفوا بها، ودعوا إليها بكل جرأة، وهي:

١- التوحيد.

٢- المنزلة بين المنزلتين.

٣- العدل.

٤- الوعد والوعيد.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه الأصول الخمسة يتفق عليها جميع طوائف المعتزلة على اختلاف بينهم بل لا يعتبر معتزليا من لم يؤمن بها على تفسيرهم الفلسفي، ولو ادعى أنه منهم.

يقول الخياط وهو أحد زعمائهم في القرن الثالث: "وليس يستحق أحد اسم (الاعتزال) حتى يجمع القول بالأصول الخمسة، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي" اهـ.

ومن تلك الأصول عندهم (التوحيد) حيث فسروه تفسيرا خاصا وفلسفيا، وبالغوا في تحليله - في زعمهم- وفي فلسفته إلى أقصى حد وصوروا للناس معنى التوحيد بأنه سلوب محض، يقشعر جسم المؤمن الذي يقدر الله حق قدره عند قراءتها أو

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد، ٣١/٨

سماعها وهي سلوب لا تتضمن أي مدح أو كمال كقولهم: ليس بجسم ولا بذي عرض، ولا طول ، إلى آخر تلك السلوب التي أسرفوا فيه إسرافا.." (١)

"خامسها: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وهو يقابل إلحاد المعطلة الذي تحدثنا عنه آنفا: فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم الطرق، -كما يقول الإمام ابن القيم - وهو أمر واضح فلا تتم السلامة من الإلحاد إلا لمن نهج منهج السلف وعلماء الحديث بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يعطل ولا يشبه بل هو وسط بين الفريقين، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب التي تتفرق فيها الفرق -وهم بين التفريط والإفراط- مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ولهذا كله يعتبر منهج السلف الصالح سفينة نوح عليه السلام التي لا تكتب النجاة والسلامة إلا لركابها، وأما من تخلف عنها فله الغرق والهلاك ولا محالة.

الباب السادس: الحديث عن خلاصة المقارنة بين موقف السلف والخلف من معاني الصفات

وبعد: سبق أن أجرينا مقارنة واسعة بين موقف السلف والخلف من العقيدة في موضعين اثنين.

١- عند الكلام على منهج السلف الذي اعتبرناه منهج الرسالة في أوائل المدخل في المبحث الخامس.

٢- عند الكلام على معاني بعض الصفات الخبرية في آخر الفصل الثالث من الباب الثاني.." (٢)

"وقال - رحمه الله - في الخوارج والرافضة ونحوهم ممن وقع في بعض المكفرات: (وأما تكفيرهم وتخليدهم: ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران: وهما روايتان عن أحمد، والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم. والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا، وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع ؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه، فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له). "الفتاوى" (٢٨/٥٠٠-٥٠١).

وقال - رحمه الله -: (والعلماء قد تنازعوا في تكفير أهل البدع والأهواء، و تخليدهم في النار، وما من الأئمة إلا من حكي عنه في ذلك قولان، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وصار بعض أتباعهم يحكي هذا النزاع في جميع أهل البدع؛ وفي تخليدهم، حتى التزم تخليدهم كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه، وفي هذا من الخطأ مالا يحصى، وقابله بعضهم فصار يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء، وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد(أ).." (٣)

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، ص/١٠٥

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، ص/٢٨٢

(٣) مفهوم أهل السنة والجماعة، ص/١٣٥

"الأصل الرابع

الإيمان بنصوص الوعد والوعيد

الإيمان بنصوص الوعد والوعيد

ومن أصول عقيدة السلف الصالح ، أهل السنة والجماعة :

الإيمان **بنصوص الوعد والوعيد** ، يؤمنون بها ، ويمرونها كما جاءت ، ولا يتعرضون لها بالتأويل ، ويحكمون **نصوص الوعد والوعيد** ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء : الآية ، ٤٨ .." (١)

" بكل واحد منهما منفردا ويعلموا انه عام علما لا شك فيه كما وصفنا ويجوز ان يكون على خلاف ذلك فاذا جاء مع الوعيد الوعد عندهم في قوم فعليهم ان يعلموا ان احدهما مستثنى من الآخر اما ان يكون الوعد مستثنى من الوعيد واما ان يكون الوعيد مستثنى من الوعد وعلى السامع لذلك ان يقف فلا يدرى لعل الخبر في اهل التوحيد كلهم او في بعضهم غير انه يعلم انه لا **يجتمع الوعد والوعيد في** رجل واحد لان ذلك يتناقض

وقالت الفرقة الرابعة وهم اصحاب محمد بن شبيب وجدنا اللغة اجازت جاء بنو تميم وجاءت الازد وانا يعنى بعض بنى تميم وبعض الازد وصرمت ارضى انما صرم بعضها وضرب الامير اهل السجن وانما ضرب بعضهم قالوا فلما وجدنا اللغة اجازت ذلك وسمعنا الاخبار في القرآن مما مخرجه عام اجزنا ان يكون معناها في الخاص من اهل كل طبقة ذكرهم الله سبحانه بوعيد واجزنا ان يكون ذلك عاما وذلك مثل قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية وكقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية وكقوله والذين يرمون المحصنات الآية واشباه ذلك من آى الوعيد التي جاءت مجيئا زنا ذلك لما ذكرنا من اجازة ." (٢)

"١٧- يوم الآزفة : قال تعالى : (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [غافر : ١٨] ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى : (أزفت الآزفة -ليس لها من دون الله كاشفة) [النجم : ٥٧-٥٨] . والساعة قريبة جدا . وكل آت فهو قريب وإن بعد مداه . والساعة بعد ظهور علاماتها أكثر قربا .

١٨- يوم الجمع : قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه) [الشورى : ٧] ، سميت بذلك ، لأن الله يجمع فيه الناس جميعا ، كما قال تعالى :(ذلك يوم مجموع له الناس) [هود : ١٠٣].

١٩- الحاقة : قال تعالى : (الحاقة – ما الحاقة) [الحاقة : ١-٢] ، سميت بذلك – كما يقول ابن كثير – لأن فيها

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ص/١٠٥

(٢) مقالات الإسلاميين، ص/١٤٦

يتحقق الوعد والوعيد (١١) .

قال البخاري في صحيحه : " هي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور . الحقة والحاقة واحد " . وقال ابن حجر في شرحه لكلام البخاري : " هذا أخذه من كلام الفراء. قال في معاني القرآن . الحاقة : القيامة . سميت بذلك لأن فيها الثواب وحواق الأمور . ثم قال : الحقة والحاقة كلاهما بمعنى واحد . قال الطبري : سميت الحاقة لأن تحق فيها . وهي كقولهم : ليل قائم . وقال غيره : سميت الحاقة لأنها أحقت لقوم الجنة ولقوم النار . وقيل : لأنها تحاقق الكفار الذين خالفوا الأنبياء . يقال : حاققته فحققته ، أي : خاصمته فخصمته . وقيل : لأنها حق لا شك فيه " (١٢) .

٢٠- يوم التلاق : قال تعالى : (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) [غافر : ١٥] .." [1]

"أعدت انتهت، خلقت وأعدت، ثم **أيضا الوعد والوعيد في** الجنة والنار لا شك أنها إذا كانت مخلوقة ليس كما إذا قيل: إنها تخلق يوم القيامة. المعتزلة يقولون: ما فيه لا

جنة ولا نار تخلقان يوم القيامة، إذا كان يوم القيامة خلقهما الله؛ أما الآن عبث لماذا؟ قالوا: لأن وجودهم ولا جزاء عبث، والعبث محال على الله وهذا من جهلهم وضلالهم.." [2]

"ولإعادتهم إلى خط التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى وإنقاذهم من الهلاك المخزي في الدنيا والآخرة نتيجة الكفر المبين والشرك اللعين، بعث الله إليهم نبيه الكريم هود عليه الصلاة والسلام، يدعوهم إلى الله الواحد القهار.

(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) الأعراف/٦٥

(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون)

وبعد هذه الدعوة الكريمة العظيمة في مضمونها والعظيمة في أهدافها لأنها من عظيم عليم، ينصحهم نبيهم أن يتركوا سلوك الإجرام الذي ألفوه والبطش والسلب والنهب الذي اعتادوه نتيجة إشراكهم بالله بعد أن بين لهم أنهم مفترون وعن الصراط لناكبون:

(يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين)هود / ٥١-٥٢

ويبين لنا ربنا حالة أخرى من حالات الاستكبار والجبروت في الأرض والذي هو شأن كل الأمم الكافرة بالله في القديم والحديث، يقول سبحانه وتعالى مبينا اعتقاد ملة الكفر به وباليوم الآخر كما في مثال قوم عاد:

(أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون، هيهات هيهات لما توعدون، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين)المؤمنون/٣٥-٣٨

---

(١) القيامة الكبرى، ص/٨

(٢) المختار في أصول السنة، ٢٠٥/١

هذا الكفر بالله **وبيوم الوعد والوعيد تتبين** آثاره الواضحة في سلوك قوم هود من اعتزاز بالقوة والظن بها والاستكبار بها على من سواهم من أمم الأرض،.يقول سبحانه وتعالى:

(فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد من قوة، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وكانوا بآياتنا يجحدون)." (١)

"قال الله تعالى: ــ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ [آل عمران، آية ٩١]

ص (٤)

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[المائدة، آية ٥]

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾ [فاطر، آية ٣٦]

﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ [محمد، آية ٣٤]

ولما ذكر ابن تيمية رحمه الله مسألة التكفير وما يترتب عليها من نتائج وتبعات، كان مما قاله: –

" اعلم أن " مسائل التكفير والتفسيق " هي من مسائل الأسماء والأحكام " التي يتعلق **بها الوعد والوعيد في** الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان(١) "

٢– ونظرا لخطورة هذه النواقض، فإنه يتعين علينا العلم بها، ومعرفة أنواعها، فينبغي استبانة سبل الكافرين مخافة الوقوع فيها. قال عز وجل: ــ

﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾[الأنعام، آية ٥٥].

يقول ابن القيم ــ في هذا المقام: ــ

"والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبه هؤلاء مفصلة، وعاقبه هؤلاء مفصلة.." (٢)

"كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:– " " من وعده الله على عمل ثوابا، فهو منجز له، ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار.(٢) "

وقد جاء عمرو بن عبيد المعتزلي(٣) إلى أبي عمرو بن العلاء(١) فقال: يا أبا عمرو. ويخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقابا، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا، ثم لا تفعله، ترى ذلك كرما وفضلا، وإنما الخلف أن

---

(١) الكفر بالله وأثره في الأرض، ص/١٧

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢/١

تعد خيرا ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب؟ قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول(٢):

وإني وإن أوعدته أو وعدته ....لمخلف إيعادي ومنجز موعدي(٣)

وقال يحي بن معاذ:-

" **الوعد والوعيد حق**، فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله، والوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا، فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ لأنه حقه، وأولاهما ربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم.(٤)"

صـ٢٣٢

وعندما نتحدث عن الواجب تجاه نصوص الوعد والوعيد، فهو الإيمان بجميع تلك النصوص، والتسليم لها، وإجلالها وتعظيمها، فنؤمن بالله تعالى، وما جاء عن الله، على مراد الله تعالى، ونؤمن برسول الله، وما جاء عن الرسول، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن تيمية:-

" لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد، وقد قال الله تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [النساء آية، ١٠].." [(١)]

"وقال تعالى:- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴿٢٩﴾ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا﴾ [النساء، آية ٢٩، ٣٠] ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة، والعبد عليه أن يصدق بهذا وهذا ...(٥) "

ويقول أيضا:- ينبغي للمسلم أن يقدر كلام الله ورسوله، فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب، ونكفر ببعض، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس، فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول، فكذلك النص الآخر الذي تأوله، فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول بكلامه.(٦) "

وقد التزم سلف الأمة بهذا التسليم والتعظيم لنصوص الوعد والوعيد، " فهذا رجل يقول للزهري (١): يا أبا بكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لطم الخدود، وليس منا من لم يوقر كبيرنا " (٢) وما أشبه هذا الحديث؟

صـ٢٣٣

فأطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.(٣) "

ولما ذكر عبد الله بن المبارك حديث:- " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن(٤) فقال فيه قائل ما هذا؟ على معنى الإنكار،

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٠١/١

فغضب ابن المبارك وقال: – يمنعنا هؤلاء الأنان – أي كثيروا التشكي والكلام – أن نحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكلما جهلنا معنى حديث تركناه! لا بل نرويه كما سمعنا ونلزم الجهل أنفسنا.(٥) "." [١]

"ويقول ابن حزم:- " وأن كل ما في القرآن من خبر عن نبي، أو عن المعاد، أو عن أمة من الأمم، أو عن المسخ فعلى ظاهره، لا رمز في شيء من ذلك، ولا باطن ولا سر، وكذلك كل ما فيه من أمور الجنة من أكل وشرب، وجماع، والحور العين، والولدان المخلدين، ولباس، وعذاب في النار بالزقوم، والحميم، والأغلال. وغير ذلك، فكله حق. (٦)

صـ٢٣٥

ويقول ابن تيمية:- " الأكل والشراب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب، كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين: إما كافر، وإما منافق.(٧) "

ويقول ابن القيم – في تقرير وجود الجنة الآن –: " لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها.(١) "

٣- وإذا تقرر وجوب الإيمان بالوعد والوعيد، ومنه الإيمان بالجنة والنار ... فإن ما يناقض هذا الإيمان له عدة صور وأمثلة، فمنها:- إنكار الوعد والوعيد – ومنه إنكار الجنة والنار –، والقول بأن الوعد والوعيد تخييل للحقائق لكي ينتفع به الجمهور ... كما يقول به ملاحدة الفلاسفة. ومن صور هذا الإنكار والاستهزاء، ما يدعيه ملاحدة المتصوفة أن الجنة أو النار معان باطنة يقصد بها نعيم الأرواح أو تألمها فقط ... أو ما يزعمه بعضهم أن أهل النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة ...، ومن صور هذا الكفر: السخرية بالوعد والوعيد والاستهزاء بهما ... إلى غير ذلك من الأمثلة.(٢) "." (٢)

"فمن أمثلة هذه النواقض: إنكار الوعد والوعيد والاستهزاء بهما، ووجه كونه ناقضا عدة أمور منها ما يلي:-

(أ) أن الإيمان بنصوص الوعد والوعيد يتضمن الإقرار بها وتصديقها، وإجلالها وإكرامها، وهذا الإنكار يناقض هذا الإيمان، فإنكار الجنة والنار – مثلا –

صـ٢٣٦

يناقض تصديق القلب، كما يناقض قول اللسان، والاستهزاء بنصوص الوعد الوعيد – ومنها نصوص الجنة والنار – يناقض هذا الإجلال والتعظيم؛ لأنه يناقض عمل القلب الذي يوجب توقير وتعظيم نصوص الوعد والوعيد.

(ب) إن هذا الإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد تكذيب للقرآن الكريم، حيث فرض الله تعالى الإقرار بآياته،

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/٢٠٢

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/٢٠٤

وتصديقها، وعدم اتخاذها هزوا، وأيضا فإن الله تعالى قد حكم بالكفر على من جحد آياته، كما توعده بالعذاب المهين، وأخبر تعالى بأنه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله تعالى، وأنهم لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة ...

قال تعالى:- ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ [الأنعام، آية ١٥٧].

وقال سبحانه:- ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ [الأعراف، آية ٤٠].

وقال تعالى:- ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾[الحج، آية ٥٧].

وقال عز وجل:- ﴿وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ [الجاثية، آية ٩]." (١)

"وقد سمى الله تعالى الاستهزاء بآياته كفرا فقال:- ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴿٦٥﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة ٦٥ ، ٦٦].

(ج) أن إنكار **نصوص الوعد والوعيد وصرفها** عن ظاهرها، أو الاستهزاء بها يتضمن طعنا في الأنبياء عليهم السلام، وتنقصا لهم، وأنهم ربما كذبوا لمصلحة الجمهور كما يزعم ملاحدة الفلاسفة، مع أن الأنبياء عليهم السلام صادقون مصدقون، قد بلغوا البلاغ المبين، وأقاموا الحجة على الناس، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، وأكمل الخلق علما وعملا، حيث اختصهم الله تعالى بوحيه واصطفاهم من بين سائر الناس.

وإن الطعن في الأنبياء كفر ورده عن الإسلام -كما سبق بيانه (١) - بل إن الطعن

صـ٢٣٧

فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر، وجماع الضلالات -كما قرره ابن تيمية (٢)-.

يقول ابن تيمية عن هؤلاء الفلاسفة - في هذا الشأن -:-

" فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع بها الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين، منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون إن من الفلاسفة من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية، ومنهم من يقول بل الرسول علمها، لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.." (٢)

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٠٥/١

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٠٦/١

"ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يخبر بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ...(٣) "

كما يذكر ابن تيمية أن في هذا الإنكار " نسبة للرسول إلى التلبيس وعدم البيان، بل إلى كتمان الحق وإضلال الخلق، بل إلى التكلم بكلام لا يعرف حقه من باطله، ولهذا كان حقيقة أمرهم الإعراض عن الكتاب والرسول ...(٤) "

إضافة إلى ذلك، فإن هذا الإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد، هو تعطيل للشرائع وإبطال للأوامر والنواهي، وتلاعب بالنصوص الشرعية، وتشكيك فيها.

ص٢٣٨

(د) أن هذا الإنكار أو الاستهزاء مخالف للإجماع، وتكذيب له، فقد أجمعوا على **إثبات الوعد والوعيد والتصديق** به - كما سبق ذكره (١) -، وأجمعوا أيضا على تكفير منكره أو المستهزئ به، كما سنذكره الآن.

يقول ابن عبد البر:- " وأما الإقرار بالجنة والنار فواجب مجتمع عليه، ألا ترى أن ذلك مما يكتب في صدور الوصايا مع الشهادة بالتوحيد، وبالنبي صلى الله عليه وسلم.(٢)

ويقول القاضي عياض - " وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادعى في ذلك مصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع، كالمتفلسفين وبعض الباطنية، وغلاة المتصوفة، وأصحاب الإباحة، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الإخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة، والجنة والنار، وليس منها شيء على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به.(٣) "." [١]

"ومما قاله الشوكاني في هذه المسألة:- " علماء الملة الإسلامية مجمعون على ذلك [يعني على إثبات المعاد الجسماني، وإثبات اللذات الجسمانية والنفسانية في الجنة ...]، لا يخالف منهم فيه مخالف، ونصوص القرآن من فاتحته إلى خاتمته مصرحة بإثبات المعاد الجسماني، وإثبات تنعم الأجسام فيه بالمطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك، أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من تلك الأنواع المذكورة فيه، وهكذا النصوص النبوية المحمدية مصرحة بذلك تصريحا يفهمه كل

ص٢٤٠

عاقل، بحيث لو جمع ما ورد في ذلك منها لجاء مؤلفا بسيطا.(٤) "

٤- والآن نسوق جملة من أقوال أهل العلم في تكفير منكر الوعد أو الوعيد، أو المستهزئ بهما ... فذكر ابن نجيم كفر من أنكر الجنة أو النار أو الحساب، كما يكفر من أنكر الوعد والوعيد. (٥)

وجاء في الفتاوى البزازية:- " أو أنكر وعدا أو وعيدا يكفر، إذا كان الجزاء ثابتا بالقطع. (٦)

ويقول محمد بن إسماعيل الرشيد:- " وأعلم أن من أنكر القيامة، أو الجنة، أو النار، أو الصراط، أو الحساب، أو الصحائف المكتوبة فيها أعمال العباد كفر ...(٧) "

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٠٧/١

وكفر أبو حامد الغزالي من زعم أن الجنة لذة روحية، وأن النار شقاء نفسي ...ثم قال: " والذي نختاره ونقطع به أنه لا يجوز التوقف في تكفير من يعتقد شيئا من ذلك؛ لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع، والجميع كلمات القرآن من أولها إلى آخرها، فوصف الجنة والنار لم يتفق ذكره مرة واحدة أو مرتين، ولا جرى بطريق كناية أو توسع وتجوز، بل بألفاظ صريحة لا يتمارى فيها ولا يستراب. (١) "

وقال الشربيني:- " ويكفر إن أنكر الجنة، أو النار، أو الحساب، أو الثواب، أو العقاب، أو أقر بها، لكن قال المراد بها غير معانيها.(٢) "

ويقول ابن تيمية:- " وقد يقول حذاق هؤلاء من الإسماعيلية والقرامطة،

صـ٢٤١." [(١)]

"ولها أهميتها في تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض إلى عبودية الواحد القهار، وجعل التقوى هي الميزان والفخار الذي ينشده الناس، وليس العادات والتقاليد الجاهلية التي توارثها الأبناء عن الأباء والأجداد.

فحري بكل مسلم جاد في إسلامه أن يقدر لهذه الكلمة قدرها، حتى يكون ممن عبد الله على بصيرة وعلم ويقين .

١٧- انتشار كثير من نواقض التوحيد في هذه الأزمان، مع جهل كثير من المسلمين بهذه النواقض.

((إن نواقض الإيمان أعظم الذنوب على الإطلاق. فمن ارتكب ناقضا من تلك النواقض فقد خرج من الملة، فلا يبقى إيمان مع وجود أحد هذه النواقض، فهي تحبط جميع الطاعات إضافة إلى أن الله تعالى لا يغفر لمن مات عليها، بل صاحبها مخلد في نار جهنم، كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى قال عز وجل ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾[آل عمران: ٩١] ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[المائدة:٥] ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾[محمد:٣٤].

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مسألة التكفير وما يترتب عليها من نتائج وتبعات كان مما قاله:

((اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق **بها الوعد والوعيد في** الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان)) (٧١) .." [(٢)]

"الفصل الثالث: الإيمان عند الفرق ((إجمالا))، عرضت فيه لأقوال الوعيدية والمرجئة مع مناقشة أهم أقوالهم وأدلتهم:

أ- الإيمان عند الوعيدية:

- تعريفه - قولهم في الزيادة والنقصان.

- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/٢٠٩

(٢) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/٧٦

- الفرق بين الكبائر والصغائر عندهم.

- حكم أهل الكبائر عندهم.

ب- الإيمان عند المرجئة:

تعريف:

- الصلة بين الإيمان والعمل عندهم.

- موقفهم من الزيادة والنقصان.

- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.

- الكفر عندهم.

الباب الثاني:

ضوابط التكفير وموانعه عند أهل السنة: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: ضوابط التكفير: وأهم مباحثه:

- الحكم بالظاهر وأدلة ذلك.

- الاحتياط في تكفير المعين ((ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافرا)).

- ما تقوم به الحجة.

- عدم التكفير بكل ذنب.

الفصل الثاني: موانع التكفير وأهمها:

(١) الجهل: حالات الجهل، ومتى يكون عذرا؟

- أدلة العذر بالجهل.

- أدلة من لا يعذرون ثم الترجيح.

حكم من لم تبلغهم الدعوة.

(٢) الخطأ: المراد به.

- الفرق بينه وبين الجهل.

- متى يكون عذرا في العقائد والأحكام؟

(٣) الإكراه:

- المراد به.

- أنواعه، متى يكون عذرا؟

(٤) التأويل:

- المراد به.

- متى يكون عذرا؟

(٥) التقليد – المراد به في العقائد والأحكام.

- هل يكون عذرا؟

الباب الثالث:

نواقض الإيمان الاعتقادية، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ما يناقض قول القلب: ويشمل:

١- كفر الجحود والتكذيب.

٢- استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة.

٣- الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو خبر من أخباره.

٤- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم -٠

٥- الجهل، ومتى يكون كفرا.

٦- الشرك في الربوبية.

٧- اعتقاد ألوهية غير الله عز وجل.

الفصل الثاني: ما يناقض عمل القلب، ويشمل:

١- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

٢- النفاق الاعتقادي.." (١)

"الأول: أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة(١)، والثاني: أن من فعل الذنب وأصر عليه فهو مشرك، و إن كان غير مصر فهو مسلم إن كان من موافقيهم(٢)، والصفرية: انقسموا ثلاث فرق(٣): ففرقة تقول بأن مرتكب الكبيرة كافر ومشرك(٤)، وأخرى تقول: لا يكفر إلى أن يحده الوالي ويحكم بكفره(٥)، وثالثة تقول: كل ذنب له حد في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركا ولا كافرا، بل يدعى باسمه بأن يقال سارق وقاتل وقاذف.. الخ وكل ذنب ليس له حد فمرتكبه كافر. (٦)

ومر معنا تكفير الأزارقة لمرتكب الصغيرة.

٥- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد:

يترتب على ارتكاب الكبيرة مسألة الجزاء والثواب في الآخرة، وهو ما يسمى "الوعد والوعيد"، وهو أحد أصول المعتزلة الخمسة، ويتفق الخوارج جميعا معهم في هذا الأصل، وتتطابق تعريفاتهم وأدلتهم – كما ستلاحظ – وسنذكر رأي المعتزلة ثم رأي الخوارج، ثم نذكر أدلتهم على هذا الأصل.

أ- رأي المعتزلة:

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٤

(١) انظر مقالات الإسلاميين ٨٦، التبصير ٤٥، أصول الدين للبغدادي ٢٥٠.

(٢) الفصل ١٩٠/٤، والفرق بين الفرق ٨٩.

(٣) التبصير ٥٣، الفرق بين الفرق ٩١، فقد ذكروا هذه الفرق وأقوالها .

(٤) الإيمان لأبي عبيد ١٠٢، والفرق بين الفرق ١١٧.

(٥) الفصل ١٩٠/٤.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني ١٣٥/١.." [١]

"يقول القاضي عبد الجبار: (... و أما علوم الوعد والوعيد، فهو أنه يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة،ولا يجوز عليه الخلف و الكذب،والمخالف في هذا الباب إما أن يخالف في أصل الوعد والوعيد،أو يقول:أنه تعالى وعد وتوعد ولكن يجوز أن يخلف في وعيده، فالكلام عليه أن يقال:إن الخلف في حق الله تعالى كذب لما تقدم،والكذب قبيح والله تعالى لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه،ولغناه عنه،وإلى هنا أشار تعالى بقوله: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾(١)، وبعد فلو جاز الخلف في الوعيد لجاز في الوعد، لأن الطريق في الموضعين واحد، فإن قال: فرق بينهما، لأن الخلف في الوعيد كرم وليس كذلك في الوعد، قلنا: ليس كذلك، لأن الكرم من المحسنات، والكذب قبيح بكل وجه، فكيف تجعله كرما، أو يقال إن الله تعالى وعد وتوعد، ولا يجوز عليه الخلف والكذب، ولكن يجوز أن يكون في عمومات الوعيد شرطا واستثناء لم يبينه الله تعالى، والكلام عليه أن يقال: إن الحكيم لا يجوز أن يخاطبنا بخطاب لا يريد به ظاهره، ثم لا يبين مراده به لأن ذلك يجري مجرى الألغاز والتعمية، وذلك لا يجوز على الله تعالى، وبعد، فلو جاز في عمومات الوعيد لجاز في عمومات الوعد، بل في جميع الخطاب من الأوامر والنواهي، والمعلوم خلافه ...)(٢)أيضا من مذهبهم في الوعيد، أن من دخل النار لا يخرج منها، يقول يحيى بن الحسين(٣): (

---

(١) سورة ق، آية : ٢٩.

(٢) شرح الأصول الخمسة ١٣٥، ١٣٦، وانظر شرح هذا الأصل مفصلا (٦١١-٦٩٣).

(٣) يحيى بن الحسين : ابن القاسم الرسي، يلقب بالهادي إلى الحق، من أئمة الزيدية، المتأثرين بالمعتزلة أقام للزيدية دولة في اليمن، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٢٩٨هـ-، انظر الأعلام ١٤١/٨..." [٢]

"ثم يجب أن يعلم أن وعده ووعيده حق، من أطاعه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار أبد الآبدين، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفي ذلك ما يقول رب العالمين: ﴿خالدين فيها أبدا﴾(١)، ويقول: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾(٢)، ففي كل ذلك يخبر أنه من دخل النار فهو مقيم فيها غير خارج منها..) (٣)، ولذلك أنكروا شفاعته – صلى الله عليه وسلم – لمن دخل النار من أهل الكبائر، يقول القاضي عبد

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٤٧

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٤٨

الجبار في ذلك: (فصل في الشفاعة، ووجه اتصاله بباب الوعيد، هو أن هذا أحد شبه المرجئة الذين يوردون علينا طعنا في القول بدوام عقاب الفساق، وجملة القول في ذلك، هو أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها ثبتت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة..) (٤).

من كل ما سبق نستخلص، أن مذهب المعتزلة في الوعد والوعيد أن الله وعد المطيعين أن يثيبهم الجنة، أوعد العصاة النار، و أنه يفعل ذلك لا محالة، فلا خلف لوعده ولا وعيده، و أن من دخل النار فهو خالد مخلد فيها، فلا يخرج منها أحد ممن دخل فيها، وينكرون الشفاعة في أهل الكبائر وسنذكر أهم أدلتهم، بعد ذكر رأي الخوارج للتشابه بين أدلة الرأيين.

رأي الخوارج:

يقول خميس بن سعيد الرستاقي ملخصا مذهب الأباضية في ذلك: (.. والوعد: هو ما وعد الله به أهل طاعته من الثواب في الآخرة، وهو حق، والوعيد: ما أوعد الله به أهل الكفر والمعاصي من العقاب في الآخرة، وهو حق، ومن زعم أن الله تعالى أوعد قوما النار ثم لم يدخلهم إياها، فقد كذب على الله تعالى، والله تعالى

---

(١) سورة النساء ٥٧، ١٢٢، سورة المائدة ١١٩، والتوبة : ١٠٠،٢٢.. الخ.

(٢) سورة المائدة : ٣٧.

(٣) رسائل العدل والتوحيد ٦٧/٢، وانظر ١٥٥/١.

(٤) شرح الأصول ٦٨٧، ٦٨٨.." [1]

"ويرد أبو عمار عبد الكافي الأباضي(١)على من يقول: إن إخلاف الوعيد قد يكون من الكرم والجود فلماذا لا يجوز على الله عز وجل ذلك، فيقول: (ويحك قد ناظرت ما لم يكن نظيرا، وشبهت ما ليس بشبيه، وذلك أن أحدا منا قد يعد ويوعد، وهو لا علم له بالذي تصير إليه عاقبة وعده وتوعده ثم يكون من بعد ذلك تبدو له أمور يتبين بها أن عاقبة وعيده، إذا هو أمضاه تصير إلى فساد، وتنتهي إلى هلاك، فيرى أن الخلف الذي توعد به أصلح من إمضائه وإتمامه، فيقصر عندما بداله من إنجاز ما توعد به، والله عز وجل غير موصوف بأن يكون يجهل عاقبة أمر من الأمور، فيكون يبدو له ما لم يكن يعلم من ذلك، ولو كان الله عز وجل يعد أحدا أو يتوعده، ثم هو لا يفي له بذلك لوقع التوهم في جميع موعوداته، وشك في جميع أخباره..) (٢) أيضا ينكر الأباضية الشفاعة لمن دخل النار من أهل الكبائر، ويقصرونها على المؤمنين ممن أدوا الواجبات، وجانبوا المحرمات. (٣)

وبذلك يتضح لنا مذهب الأباضية في الوعد والوعيد حيث إنه لا يختلف عن مذهبه بقية الخوارج والمعتزلة، وقبل ذكر أدلتهم على هذا الأصل، نشير بإيجاز، إلى بعض الفروق التفصيلية بينهم في ذلك.

الفرق بين الخوارج والمعتزلة في مسألة الخلود:

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٤٩

(١) هو أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي، وتناوت، قرية من قرى وارجلان جنوب الجزائر، أخذ العلم عن أستاذه المتكلم الأباضي أبو يعقوب الورجلاني المتوفي سنة ٥٣٠هـ-. وارتحل إلى تونس ودرس فيها، يعتبر من الذين أحيوا المذهب الأباضي تأليفا وتعليما، وهو من أقدر مؤلفي الأباضية على التنظير والجدل، من أشهر كتبه "الموجز في علم الكلام" توفي سنة ٥٣٠هـ- على الراجح، وهي السنة التي توفي فيها شيخه، انظر آراء الخوارج د. عمار الطالبي ٢٢٩ – ٢٣٦.

(٢) الموجز ٨٦/٢.

(٣) انظر مشارق الأنوار ١٣٢/٢، ومنهج الطالبين ٥٢٠/١.." (١)

"قد بينا فيما سبق أنه ليس هناك فروق في أصل الوعيد لأهل الكبائر في الآخرة، و أنهم متفقون على الخلود في النار، وهناك فروق يسيرة، يذكرها بعض المصنفين في الفرق والمقالات، لا تعارض الاتفاق العام بينهم على هذا الأصل، من ذلك، ما ذكره صاحب مشارق الأنوار من أن (أهل الاستقامة ويعني بهم الأباضية) يقولون: إن التعذيب بعدل الله والثواب بفضله، والمعتزلة يقولون بوجوب ذلك عليه تعالى عن ذلك، بناءا على أصلهم الفاسد في التحسين والتقبيح العقليين) (١).

ومن الفروق ما ذكره الأشعري في المقالات، من أن الخوارج يقولون إن مرتكبي الكبائر ممن لم يتوبوا يعذبون عذاب الكافرين، أما المعتزلة فيقولون إن عذابهم أخف من عذاب الكافرين. (٢)

ومن ذلك ما ذكره البغدادي عن بعض شيوخ المعتزلة أنهم أجازوا مغفرة الله عز وجل ذنوب أهل الكبائر من غير توبة(٣)، بينما لم ينقل عن أي من فرق الخوارج أو شيوخهم رأيا مخالفا في هذا.

أ-أدلة الوعيدية في مسألة الوعد والوعيد:

استدلوا بأدلة كثيرة، ومن أكثر استدلالاتهم، احتجاجهم بعمومات الوعيد، ليؤكدوا أن صاحب الكبيرة – إن لم يتب – فهو خالد مخلد في النار ولابد فلا تشمله المغفرة، ولا يخرج من النار لا بشفاعة ولا بغيرها، وردوا على بعض الأدلة المخالفة لمذهبهم، ومن باب الاختصار، سأختار أهم أدلتهم على ذلك، وأهم ردودهم، على أهل السنة وسأجمل أدلتهم بما يلي:

(١) مشارق أنوار العقول ١٤٣/٢.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١٢٤، الملل والنحل ٤٥/١.

(٣) انظر الفرق بين الفرق ١١٦، نقل ذلك عن محمد بن شبيب البصري، والصالحي، والخالدي .." (٢)

"٢- أن القول بأن صاحب الكبيرة قد لا يعذب (فيه إغراء بمعصية الله تعالى فإن من علم أنه إن أتى الكبيرة لا يعذب، سارع في إتيانها) (١).

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٥١

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٥٢

٣- وم-ن أدلتهم العقلية على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر ما قاله القاضي عبد الجبار: (..أن الأمة اتفقت على قولهم: اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه لكان يجب أن يكون هذا الدعاء، دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق، وذلك خلف"(٢).

مناقشة مذهب الوعيدية في الإيمان:

سنركز في مناقشتنا لمذهب الوعيدية في الإيمان على رأيهم **في الوعد والوعيد واستدلالاتهم** عليه، وذلك للأسباب التالية:

١- لأنه سبق و أن ذكرنا في الفصلين السابقين، ما يمكن أن نعتبره ردا عليهم في بقية آرائهم، حيث ذكرنا مذهب أهل السنة في الإيمان، ودخول العمل في مسماه، وقولهم بزيادة الإيمان ونقصانه، وأدلتهم على عدم تكفير مرتكب الكبيرة، والرد على بعض الشبهات في ذلك.

٢- ولأن مسألة " الوعد والوعيد" وخاصة القول بوجوب الوعيد لأهل الكبائر وخلودهم في النار، هي أكبر انحراف وابتداع للمعتزلة والخوارج في مسألة الإيمان، وهو من أصولهم الرئيسية، لذلك كثر استدلالهم لها.

٢- إذا بينا فساد حججهم على ذلك، سقطت حججهم في غيرها من مسائل الإيمان التي هي في حقيقة الأمر فرع عن هذا الأصل، ولإيضاح ذلك يقال: إذا ثبت أن الله سبحانه يغفر لمن يشاء من أهل الكبائر، و أن من دخل النار منهم لا يخلد، دل ذلك على أن مرتكب الكبيرة لم يخرج من الإيمان فلم يحبط عمله، و إذا لم يخرج من الإيمان بارتكابه المعاصي فإن إيمانه سيكون أنقص ممن لم يعملها وهكذا..

مناقشة أدلتهم في "الوعد والوعيد":

---

(١) مشارق الأنوار ٢/١٤٩، وانظر شرح الأصول ٦٨٣.

(٢) شرح الأصول الخمسة ٦٩٢، وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/٦٣- ٦٥، مشارق الأنوار ٢/١٣٣.." [١]

"واقترب بعضهم أكثر من مذهب السلف فصرح بأن التصديق أيضا قابل للزيادة والنقصان، قال الإيجي(١): (... والحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان بوجهين.

الأول: القوة والضعف ... والثاني: التصديق التفصيلي في أفراد ما علم مجيئه به، جزء من الإيمان يثاب عليه ثوابه على تصديق بالإجمال، والنصوص دالة على قبوله لهما ...)(٢).

وجوز البغدادي الزيادة والنقصان، رغم تعريفه الإيمان بالمعرفة والتصديق، فقال بعد ما ساق الآيات الدالة على ذلك: (ففي هذه الآيات تصريح بأن الإيمان يزيد و إذا صحت الزيادة فيه، كان الذي زاد إيمانه، قبل الازدياد أنقص إيمانا منه في حال الازدياد) (٣).

٣- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد:

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٥٧

(١) الإيجي هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي، عالم بالأصول العربية، من أهل (إيج) بفارس ولي القضاء، جرت له محنة فمات مسجونا، من تصانيفه "المواقف"، و "شرح مختصر ابن الحاجب" وغيرها توفي سنة ٧٥٦هـ- انظر الدرر الكامنة ٣٢٢/٢، وطبقات السبكي ١٠٨/٦، والأعلام ٢٩٥/٣.

(٢) المواقف ٣٨٨.

(٣) أصول الدين ٢٥٣.." [١]

"وهذا القول الذي نقلناه عنهم، قال به بعض غلاة المرجئة من قبلهم، فقد نقل الأشعري والشهرستاني والبغدادي ذلك عن بعض متقدميهم، قال الشهرستاني: (و إلى هذا المذهب ميل ابن الراوندي، وبشر المريسي، قالا: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا، والكفر هو الجحود والإنكار، والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه، ولكنه علامة الكفر) (١)

مناقشة المرجئة:

سيقتصر النقاش على تعريفهم الإيمان، وعلى الكفر عندهم، لأنهما الأصل عندهم فإذا بطل الأصل، بطلت فروعه، و لأن مسألة الزيادة والنقصان سبق ذكر أدلتها من الكتاب والسنة وكلام الصحابة – في الفصل الأول – مما نعتبره كافيا في الرد عليهم، أما **مسألة الوعد والوعيد فهم** متفقون مع أهل السنة فيها.

أ- مناقشة تعريفهم للإيمان:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١٤٤/١، وانظر نفس النص – تقريبا، في مقالات الإسلاميين ١٤١، الفرق بين الفرق ٢٠٥، وانظر آراء شبيهة بذلك عن بعض فرق المرجئة كالتومنية والصالحية، في نفس المراجع المذكورة .." [٢]

"أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا، لكن تكفير الواحد المعين منهم، والحكم بتخليده في النار، موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه، فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد، والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له (١).

والخلاصة أن القوم بين عمر والرازي:

فأما عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما شتم ابنه عبيد الله، المقداد هم عمر بقطع لسانه، فكلمة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ذروني أقطع لسان ابني، حتى لا يجترئ أحد من بعدي، فيسب أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبدا (٢).

وأما الإمام أبو زرعة الرازي فقد قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٨٦

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/١٩٢

زنديق، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة (٣).

(تتمة): بعد خوض غمار السباب واللعن نشير إلى مسألتين تحتاج إلى

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٥٠٠

(٢) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٧/ ١٣٣٦

(٣) الخطيب: الكفاية: ٤٩." (١)

"ومطابقة الآية للترجمة إذا ﴿يوفون بالنذر﴾ هذا مدح لهم بالوفاء، أي يتممون ما أوجبوا على أنفسهم من الطاعات لله تعالى، فدلت على أن الوفاء بالنذر مشروع، يعني واجب كما سيأتي في النص الآتي. فمطابقة الآية للترجمة أن الله تعالى أثنى عليهم بذلك، وجعلهم من الأسباب التي بها يدخلون الجنة، ولا يكون سببا يدخلون به الجنة إلا وهو عبادة، أن الله تعالى أثنى عليهم بذلك وجعلهم من الأسباب التي بها يدخلون الجنة، ولا يكون سببا يعني موصلا إلى الجنة إلا إذا كان عبادة، الجنة لا يدخلها من يدخلها إلا برضا الرحمن، ولا يرضى الرحمن إلا عمن عبده على الوجه المشروع، ولا يكون سببا يدخلون به الجنة إلا وهو عبادة فيقتضي أن صرفه لغير الله شرك.

﴿يوفون بالنذر﴾ ذكر هذه الآية المصنف رحمه الله تعالى قال في ... ((القول المفيد)): ولو أعقب المؤلف هذه الآية بقوله تعالى ﴿وليوفوا نذورهم﴾ [الحج: ٢٩] لكان أوضح، لماذا؟ لأنه أمر، والأمر ألصق بالعبادة من المدح، يعني آكد، لأن المدح ممكن أن ينازع فيه، وأما الأمر فلا يمكن أن ينازع فيه منازع، فلو أورد هذه الآية أو أوردها تابعة للآية السابقة لكان أوضح، لأنه أمر والأمر بوفائه يدل على أنه عبادة، لأن العبادة ما أمر به الشارع، أو ما أمر به شرعا.

قال المصنف (وقوله: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠])، ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ ما هذه شرطية، ويحتمل أنها موصولة ﴿أنفقتم﴾ هذا فعل الشرط ﴿من نفقة﴾، ﴿من﴾ هذه بيانية، بينت (ما) أو نذرتم هذا معطوف على ﴿أنفقتم﴾، ﴿من نذر﴾ فإن الله .. ﴿من نذر﴾ يتعلق بنذرتم ﴿فإن الله يعلمه﴾ فإن هذه الفاء واقعة في جواب الشرط، والجملة جواب (ما)، ما الشرطية لها فعل وجواب، أين فعلها؟ أنفقتم، الجواب ﴿فإن الله يعلمه﴾، ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ النفقة هي بذل المال في الخير أو في غيره، لأنه أطلق هنا وأراد به الجزاء، والجزاء إنما يتعلق بماذا على الفعل مطلقا، إن فعلتم طاعة فالثواب، وإن فعلتم معصية فالعقاب هذا المراد به، ولذلك عمم ﴿فإن الله يعلمه﴾ أراد به المجازاة على الفعل، والنفقة قد تكون طاعة، وقد تكون معصية إذا من نفقة أراد به النفقة العامة فتشمل حينئذ الطاعة والمعصية، ولذلك نعرفها بأنها بذل المال في الخير أو في غيره، فيشمل كل صدقة مقبولة كانت أو غير مقبولة، يعني الطاعة

---

(١) الإصابة في الذب عن الصحابة - رضي الله عنهم -، مازن بن محمد بن عيسى ص/١٧٩

والمعصية، ﴿أو نذرتم من نذر﴾ كذلك يشمل النوعين يعني المقبول وغير المقبول ﴿فإن الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه، ففيه معنى الوعد والوعيد.." [1]

"لكن تزداد خطورة القول بلا علم في مسألة التكفير لما فيها من إباحة الدماء وقطع الموالاة فالتكفير " حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار". (١)

والحكم بالكفر تقرير لأمور خطيرة، منها " إسقاط العبادات عنهم إذا تابوا، وإسقاط جميع حقوق المخلوقين من الأموال والدماء وغيرهما، وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا، وسفك دمائهم .... ". (٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا تبين ذلك، فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان". (٣)

وكما سبق فإنه لا مدخل للعقل في هذه المسألة الشرعية، وكذلك فإن الهوى والتشفي والانتقام بالتكفير مذموم – من باب أولى – لما فيه من اعتداء على حكم الله وحقه وافتئات على عباده، لذا فإن "أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله". (٤)

ويقول: "وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال: هي كفر، قولا يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك، بأنه كافر

---

(١) بغية المرتاد (١/ ٣٤٥).

(٢) إيثار الحق على الخلق (٤٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٨).

(٤) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢ – ٤٩٣).." [2]

"مشابهة عقائد الثوبانية لعقائد المعتزلة

قال: والثوبانية يرون تأخير العمل كله عن الإيمان، يعني: أنه لا علاقة للعمل قط بالإيمان، لا عمل القلب ولا عمل اللسان ولا عمل الجوارح؛ لأن العمل عندهم خارج عن مسمى وماهية الإيمان، واتفقوا على أنه تعالى لو عفا يوم القيامة عن عاص فلابد أن يعفو عن كل من هو مثله، يعني: لو أن الله تبارك وتعالى عفا عن زان أو سارق أو شارب للخمر فعلى مذهب

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٤٢

(٢) التكفير وضوابطه – السقار، منقذ السقار ص/١٨

الثوبانية يلزمه لزوما أن يعفو عن كل من هو مثل هذا المذنب أو العاصي.

وهذا المبدأ عند الثوبانية يشبه مبدأ جبرية المعتزلة، وهذا المبدأ عند المعتزلة يسمونه العدل، وهو من أصولهم.

وأصول المعتزلة خمسة، أولا: التوحيد.

ثانيا: العدل.

ثالثا: المنزلة بين المنزلتين.

رابعا: الوعد والوعيد.

خامسا: تقديم العقل على النقل.

وهناك أصل سادس يدخل **تحت الوعد والوعيد وهو**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والناظر إلى هذه الأصول يجدها جيدة، يعني: إذا قلنا: من أصول المعتزلة التوحيد فليس هناك من يكره التوحيد، ولكن التوحيد عندهم يساوي تعطيل الصفات؛ لأنهم قالوا: بلزوم التشبيه حين إثبات الصفات، فقد قالوا: نحن نريد أن ننزه ربنا، فنفوا جميع الصفات الموجودة في الكتاب والسنة وأولوها، قالوا: لأن الإثبات يستلزم تشبيه الخالق بالمخلوق، فمثلا إذا أثبتنا اليد فإن الذهن ينصرف إلى تشبيه يد الخالق بيد المخلوقين، وإذا قلنا بهذا فنحن لم نوحده، بل جعلنا الخلق شركاء له في الصفات، فكلمة التوحيد التي يزعمونها أصلها ضلال.

ومن أصول المعتزلة العدل، وهو يعني عندهم وجوب الأصلح على الله عز وجل، وقيل: وجوب الصالح، يعني: أنهم مختلفون فيما بينهم، فالعدل عندهم يساوي وجوب الأصلح في حق الله أو وجوب الصالح، وكلاهما باطل.

والله تبارك وتعالى لا يشرع لعباده إلا الأصلح أو الصالح، ولا يقدر لهم إلا الأصلح أو الصالح.

وقالوا: بوجوب إثابة المطيع ومعاقبة العاصي، وأن هذا عدل، وأن الله تبارك وتعالى لا يساوي بين الطائع والعاصي، بل الطائع لزاما على الله أن يثيبه، والعاصي لزاما على الله أن يعاقبه، وهذه جرأة وقلة أدب مع الله عز وجل.

وأهل السنة والجماعة يقولون: لو مات مرتكب الكبيرة عليها فإنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، والله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فهو يفعل ما يشاء، فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، وأن هذه كلها مشيئة الله عز وجل، ولا يستطيع أحد أن يحاسب الله تعالى لم أثاب هذا ولم عاقب هذا، بل المقطوع به يقينا عند أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى لو أدخل عبدا الجنة لأدخله برحمته وفضله، ولو أدخله النار لأدخله بعدله غير ظالم له، وأنه إذا عفا تبارك وتعالى عن عبده فإن ذلك يكون لحكمة؛ لأن أفعال الله تبارك وتعالى كلها موصوفة بالحكمة.

وهؤلاء قالوا: العدل يعني: أن الطائع لابد أن يأخذ ثواب الطاعة، ونحن نسألهم: إذا رأينا رجلا يصلي لغير الله، ومعلوم أن الصلاة طاعة، أو يصلي رياء وسمعة، وآخر يجاهد رياء وسمعة، وآخر يعلم العلم رياء وسمعة وطلبا للشهرة والرئاسة وغير ذلك، هل يلزم الله تبارك وتعالى أن يثيب هذا العبد؛ لأنه طائع؟

A لا، والأعمال بالخواتيم، ونحن نعرف حديث ابن مسعود الطويل: (وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار -أي: طوال حياته- فإذا ما كان بينه وبينها إلا ذراع -يعني: وقت يسير جدا- سبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

والمعتزلة يقولون: لا، إذ كيف يعمل خمسين سنة بعمل أهل النار من المعاصي والفجور وغير ذلك ثم قبل أن يموت بيومين أو ثلاثة يعمل بالطاعة ويدخل الجنة؟ بل لابد أن يأخذ عقابه تماما على معاصيه طوال الخمسين السنة، وبعد ذلك يثاب على طاعة اليومين أو الثلاثة، مع أنه جاء في الحديث: (الأعمال بالخواتيم).

فهم قالوا بلزوم الأصلح في حق الله عز وجل أو بلزوم الصالح، ووجوب إثابة الطائع وعقاب العاصي على الله عز وجل، وأوجبوا ذلك على الله عز وجل.

وهذا المبدأ يسمى عند المعتزلة مبدأ العدل.

وكلمة العدل عند الإطلاق ممدوحة، ولكنها على تفسيرهم صارت مذمومة، وهذا من أجل أن تعلم أن كلام أهل البدع دائما مجمل؛ لأنهم لو شرحوه وبينوه فسيكون قبيحا وسيرد عليهم في ذلك.

واتفق الثوبانية على أنه تعالى لو عفا في القيامة عن عاص فإنه يلزمه أن يعفو عن جميع العصاة من أمثاله، وكذا لو أخرج أحدا من النار للزمه أن يخرج كل من هو مثله.

وهذا الكلام شبيه بمبدأ العدل عند المعتزلة.

والثوبانية لم يجزموا بخروج عصاة المؤمنين من النار، بل قالوا: يمكن أن يخرجوا ويمكن ألا يخرجوا.

وكلمة يمكن أنهم لا يخرجون تعني: أنهم قد يخلدون في النار، وأهل السنة والجماعة يجزمون بأنه لا يبقى في النار قط من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وإن دخل بعض المؤمنين النار بسبب أعمالهم التي استوجبت لهم العذاب في النار فإنهم لابد خارجون منها، وداخلون الجنة ومخلدون فيها، ولا يخلد في النار إلا الكفار والمنافقون، وأما المؤمنون فإنهم وإن دخلوا الن." (١)

"إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق الأمة إلى فرق وأحزاب

قال: [(إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة ويزيدون عليها ملة)].

وفي حديث آخر: (وأمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة.

فقالوا: يا رسول الله! وما هي؟ قال: الذي أنا عليه وأصحابي).

بعض الناس يتصور أن هذه الفرق كافرة، وأن هذه الفرق مخلدة في النار، وهذا فهم خاطئ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يحكم عليها بالكفر والخروج من الملة، ولذلك أثبت في أول الحديث أن هذه الفرق من الأمة، فقال عليه الصلاة والسلام: (كل أمتي).

وقال: (وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار).

فكيف تكون هذه الفرقة من الأمة وهي في النار؟

A صاحب المعصية وصاحب الكبيرة يدخل النار، ومع هذا لا يخلد فيها، وإنما إذا استحق جزاءه عذب في النار ثم خرج منها فدخل الجنة.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٩/٥٠

ولا سبيل إلى ضبط **نصوص الوعد والوعيد إلا** على هذا؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة) من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصام وصلى وزكى وحج وأمر بالمعروف ونهى عن منكر ليس كمن يشهد أن لا إله إلا الله ولكنه لا يعرف المعروف ولا يعرف المنكر فيقع في المنكر وينهى عن المعروف.

بل من الفرق الإسلامية أو من الفرق التي انتمت وانتسبت إلى الإسلام فرق كثيرة جدا تفرعت عن الفرق الأصلية، ذكرها ابن الجوزي في كتاب (فرق الأمة)، وذكرها ابن تيمية في كتاب (الفتاوى) وغيرها من الكتب التي تكلمت عن الفرق، قال: ومن الفرق الإسلامية فرق تفرعت عن الفرق الرئيسية.

هي ثلاث وسبعون، تفرقت عنها فرق خارجة عن ملة الإسلام لم تسلم قط، فهذه الفرق لا تعد من الفرق الإسلامية؛ لأن الفرق الإسلامية لم يحكم عليها النبي عليه الصلاة والسلام بالكفر، وإنما حكم عليها بالضلال والانحراف الذي استحق الوعيد، فكلها في النار، ولم يقل عليه الصلاة والسلام: كلها في النار خالدة مخلدة فيها أبدا، وإنما قال: (كلها في النار إلا واحدة)، فلا يلزم من دخول المرء النار الخلود فيها أبدا، وإنما دخول النار والخلود فيها بمعنى: المكث الطويل لا الأبدية.

ولذلك أنت لو راجعت نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة لوجدت أن لفظ: (خالدا مخلدا فيها أبدا) لم يرد إلا في حق الكفار الأصليين، أما المسلم المنحرف العاصي الذي أتى الكبائر وانحرف عن المنهج فلا تجد إلا خالدا مخلدا، ومعنى (خالد) أي: ماكث مكثا طويلا، لكنه في نهاية الأمر لابد أن يخرج من النار ويدخل الجنة؛ لأنه قال في يوم: لا إله إلا الله. ولابد من هذا التأويل حتى تستقيم النصوص ولا يحصل فيها تعارض ولا تناقض.

قال: [قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

فقيل: يا رسول الله وما هذه الواحدة؟ -ما هذه الفرقة؟ - فقبض يده وقال: الجماعة.

فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)].

قال: [عن عوف بن مالك قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار)] يعني: واحدة في الجنة: وهم الذين تبعوا موسى عليه السلام وعملوا بشرعه واهتدوا بهديه واستنوا بسنته قبل مجيء عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال: [(وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار.

قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: الجماعة)].

قال: [عن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: حججنا مع معاوية فلما قدمنا مكة صلينا صلاة الظهر في مكة، قام فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق ثلاثا وسبعين ملة -يعني: الأهواء والنحل- كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)]، ثم قال: [(إنه سيخرج في أمتي قوم يتجارى بهم كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)].

قوله: (وإن هذه الأمة يتجارى بها) أي: يتمادى بها كما يتمادى الكلب بصاحبه، والكلب بكسر اللام: داء يصيب الكلب، نقول: هذا الكلب مسعور.

أو نقول: هذا الكلب غير مسعور.

يعني: كلب طبيعي يألف ويؤلف.

وهناك كلب لا يستطيع حتى صاحبه أن يقترب منه؛ لأن كل من اقترب منه عضه.

ومعنى (الكلب المسعور): أنه أصيب بداء في بدنه هذا الداء يسمى الكلب؛ ولذلك من الأخطاء الشائعة أن يقال: مستشفى الكلب، يعني: يستشفى فيها من عض الكلاب.

والصحيح: مستشفى الكلب.

أي: المستشفى الذي يعالج به مرض الكلب، وليس مستشفى الكلب.

فالكلب داء يصيب الكلب، هذا الداء إذا أصاب الكلب في أي مكان يسري في بدنه سريان الشيطا." (١)

"تنبيه على إصدار أحكام التخطئة في فتن المسلمين

أحب أن أنبه على أمر من النوازل التي حدثت للمسلمين في الآونة الأخيرة، وهو ما يتعلق ببعض الفتن التي ظهرت في أرض الجهاد في أفغانستان، ولن أتكلم عن هذا الأمر بالتفصيل، وأرجو ألا يفهم كما يفعل كثير من المستعجلين، وألا ينتزع مني ما لم أقله، لكني أحب أن أعلق على هذه المسألة بمناسبة الكلام عن مسألة التكفير والتعادي والموالاة والمعاداة ونحو ذلك من أحكام الشرع.

أقول: لقد بدرت من بعض الناس -هداهم الله- بعض الألفاظ والأحكام والمواقف تجاه ما حدث بين الأفغان تخالف منهج السلف، حتى من بعض الذين عقائدهم صحيحة ولديهم شيء من العلم بالسنة، فأرى أنهم تجاوزوا منهج السلف في علاج هذه الأمور، أي: في أثناء الفتن؛ لأن للفتن فقها يخالف فقه سائر الأيام والأحوال، ولأن للفتن أحكاما تخصها، خاصة إذا حدثت الفتن بين فرقتين من المسلمين عملهم واحد في جبهة واحدة وفي مكان واحد كما هو حال المجاهدين، والخلل الذي حصل يتمثل في نظري فيما يتعلق بالمسألة التي ذكرتها في أمور: أولها: سرعة الحكم بالتكفير أو التفسيق أو التخطئة قبل التثبت.

وثانيها: الخلل في مسألة التفريق بين ما تجوز الموالاة فيه والمعاداة وما لا تنبغي الموالاة فيه والمعاداة.

والأمر الثالث: الحكم على الأشخاص باللوازم التي لا تلزم، فقد سمعنا حكما على أشخاص من خلال تصرفات أتباعهم، وحكما على الأتباع من خلال عقائد رءوسهم، وحكما على الغائبين قبل اللقيا بهم والأخذ عنهم، وحكما على المجاهدين من الأفغان -خاصة القيادات منهم- بمجرد أمور تخرج إما في جرائدهم وإما في كتب يعلمونها أتباعهم أو نحو ذلك، وهذا تكفير باللوازم.

نعم التخطئة ترد، ووزن الأمور بالموازين الشرعية أمر مطلوب، بمعنى: من هو الأفضل والأقرب للسنة، ومن هو الأبعد

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٨/٦

والأكثر بدعة، فهذا أمر ليس على المسلم حرج في أن يقوله، لكن الإلزام بما لا يلزم أمر خطير قد ترتبت عليه مواقف خطيرة، هذا أمر.

الأمر الآخر: إدراك المصالح العامة ودرء المفاسد، وهذا أمر غاب عن كثير ممن خاضوا في هذا الأمر، حتى بلغ الحد ببعضهم إلى أن يعتبر الجهاد في أفغانستان كله خطأ، وبعضهم ألغى راية الجهاد في سبيل الله وفسرها بتفسيرات بدعية أو بتفسيرات أهواء أو بتفسيرات شبهات أو شهوات عند أصحاب تلك الراية، وبعضهم -أيضا- تكلم في المجاهدين بما يمنع دعم المسلمين عنهم، وهذه مسألة خطيرة، فأنا أقول: حتى لو اقتنع واحد منا بأنه ينبغي أو يحسن ألا يدفع التبرع لفلان من الناس من رءوس المجاهدين، فهل هذا من المصلحة العامة المترتبة على موقفه هذا فيما يتعلق بأحوال المسلمين عامة؟! يجب ألا نبخل على المسلمين عامة، ويجب ألا نبخل على الأفغان من حيث الخصوص، فهناك الشيوعية الملحدة تحارب الله ورسوله، وهناك أناس يجاهدون في سبيل الله على مختلف نزعاتهم وعلى مختلف اتجاهاتهم ومشاربهم، فلو أن المسلمين اضطروا يوما من الأيام -كما حدث في فترات التاريخ- إلى أن يجتمعوا بفرقهم الضالة والمستقيمة ضد الكفار الخلص فهل يمنع هذا؟ أترك الجواب لكم، فتأملوا واسألوا أهل العلم وارجعوا إلى قواعد الشرع.

وأعود فأقول: إن نصوص الوعيد الواردة في الكتاب والسنة لابد من أن تجمع مع سائر النصوص الأخرى، كتلك النصوص السابق ذكرها وغيرها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء:٩٣]، فهذه الآية من نصوص الوعيد؛ إذ فيها إشارة إلى خلود القاتل عمدا في النار، ونصوص الوعيد ترد إلى نصوص الوعد، فيرد بعضها إلى بعض، ولا تؤخذ على ظاهرها، بمعنى: أنه لا نأخذ بنص واحد ونجعل الحكم القاطع مبنيا عليه، فالنصوص لابد من أن ننظر إليها بمجملها، كقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨]، فهذا من النصوص التي تبين ما يغفر وما لا يغفر، وهذا من **نصوص الوعد والوعيد في** وقت واحد، فنصوص الوعيد -أي: نصوص التخويف والنصوص التي تتعلق بدخول النار وغيرها- ترد إلى نصوص الوعد بمجموعها، وهذا هو النظر المتكامل الذي ينظره أهل السنة والجماعة، لا يأخذون بنص دون آخر، لذلك قالوا: من أخذ بنصوص الوعد دون نصوص الوعيد فهو مرجئ، ومن أخذ بنصوص الوعيد دون نصوص الوعد فهو حروري، خارجي.." (١)

"حقيقة الجبرية وأصل مذهبهم

قال رحمه الله تعالى: [والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر؛ فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله؛ إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية قدرية].

في هذا تجاوز في تعليل التسمية، أما كون القدرية سموا قدرية لنفيهم القدر فهذا واضح، أما المرجئة فسموا مرجئة لعدة أسباب بحسب حالهم، فمرجئة الفقهاء سموا مرجئة؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، ومرجئة المشككة -الذين سيأتي

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٨/١

الكلام عنهم بعد قليل- سموا مرجئة؛ لأنهم أرجئوا أمر الحكم على العباد، خاصة أصحاب الذنوب، والجهمية سموا مرجئة؛ لأنهم قالوا بالإرجاء المطلق، غلبوا جانب الرجاء مطلقا، ولم يعد للخوف ولا للوعيد عندهم أي اعتبار، وطائفة من الناس سميت مرجئة؛ لأنهم اختلفوا في بعض قضايا الدين، كاختلافهم فيما حدث بين الصحابة، أو كاختلاف بعضهم في المفاضلة بين علي وبين عثمان، فكل من هذه الطوائف قالوا: نرجئ الأمر ولا نبت فيه، يعني: نتوقف فيه، فسموا مرجئة؛ لأنهم أخروا الحكم فعلقوه بمشيئة الله عز وجل.

إذا: كل طائفة من المرجئة صار سبب تسميتها مرجئة راجعا إلى حالها، فهم لا يتشابهون في سبب التسمية، وما ذكره الشارح هنا لعله من أضعف الأقوال في سبب تسمية المرجئة، وإذا أطلقت بدون تقييد وبدون ما يدل عليها السياق، فإنها تعني مرجئة الفقهاء الذين يقولون بأن الإيمان تصديق، وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا استثناء في الإيمان، فهؤلاء هم المرجئة عند الإطلاق.

قال رحمه الله تعالى: [وقد تسمى الجبرية: قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر، كما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزم بعقوبة من لم يتب].

هؤلاء أيضا يسمون مرجئة، وهنا لم يأت بجواب العبارة: (كما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعيد والعيد) كما يسمى المرجئة كذلك.

وقوله: (بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع) يعني: الأنواع المتعلقة بالأحكام العامة البدهية، بعضهم يشكك فيها، مثل: الثواب على الطاعات، والعقاب على المعاصي مطلقا، يوجد من يشكك ويرجئ الأمر مطلقا، فهذا يعتبر نوعا من الوسواس، أو نوعا من الزندقة أحيانا، **وكذلك الوعد والوعيد لا** يقرون بوعد ولا بوعيد، ولا بثواب ولا بعقاب، أو يغلون في تعليق مصائر العباد، فلا ثواب ولا عقاب، ولا وعد ولا وعيد.

إذا: هذا معنى قوله: (في إرجاء كل أمر حتى الأنواع) يعني: أنواع الأحكام العامة من الثواب والعقاب، والوعد والوعيد ونحو ذلك.

قال رحمه الله تعالى: [وكما لا يجزم لمعين.

وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا ولا يشهدون بإيمان ولا كفر].

هنا أشار المؤلف رحمه الله إلى عدة أنواع من المرجئة، أولهم: المرجئة الجبرية الخالصة، المرجئة الغالية، مرجئة الجهمية، الذين يقولون: لا يضر مع المعرفة ذنب، وبعد ذلك تأتي بعدهم: مرجئة الكرامية، ولم يشر إليهم هنا، لكن يحسن ذكرها، وهم الذين يقولون بأن الإيمان قول اللسان فقط، وهم في الدرجة الثانية من حيث البدعة، أما المقولة الأولى فهي مقولة كفرية، وهي القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط، والمقولة الثانية بدعية، وهي أن الإيمان هو قول اللسان فقط، وهم الكرامية.

والنوع الثالث من المرجئة: مرجئة الفقهاء، الذين يقولون بأن الإيمان هو التصديق، أو التصديق والقول، فيخرجون الأعمال من مسمى الإيمان، ويمنعون زيادة الإيمان ونقصانه، ويمنعون الاستثناء في الإيمان.

والمرجئة الرابعة: مرجئة الأحكام، الذين لا يجزمون بحكم، لا يجزمون بثواب ولا بعقاب، ولا بوعد ولا بوعيد، وهم فرع عن

الجهمية، لكنهم أخف، وهؤلاء يكثرون في المتصوفة.
والمرجئة الأخيرة: هم مرجئة أمر الصحابة، فهم الذين أرجئوا الأمر فيما حدث بين الصحابة، فلا يرون أن أحدا من الصحابة محق على سبيل الجزم، فيقولون: لا نجزم، وهذا خلاف رأي جمهور السلف، وتفرع عن هذه المرجئة أيضا إرجاء أمر علي وعثمان، ترددوا في أيهما أفضل، ثم ترددوا في أيهما أحق بالخلافة، ثم نتج عن ذلك أيضا التردد في أمر علي ومعاوية رضي الله عنهما وأصحابهما، ممن حدث بينهم شيء من الخلاف في صفين والجمل وغيرها، فترددوا في الأمر، وقالوا: نرجئ أمرهم إلى الله عز وجل، وهذا كله خلاف قول السلف.
إذا: التجهم الأول: كفري، والثاني: بدعي، والثالث: بدعي، والرابع: لم يتكلم السلف في حق من قاله؛ لأنه قول انتهى، قاله قوم من السلف إبان الفتنة وبعده بقليل، قبل أن يستقر القول عند السلف في تفضيل عثمان رضي الله عنه على علي، وقبل أن يستقر عند السلف أن الفئة المحقة هي فئة." (١)

"مرحلة القرن الثاني

المرحلة الثانية: مرحلة ما ظهر في القرن الثاني، وقد استجد فيها على أئمة المسلمين أمر، وهو الرد على أهل البدع، وصاحب هذا الرد ضرورة وضع الموازين والأصول الأولى في مهمات العقيدة، كالإيمان تعريفه ومسماه وزيادته ونقصانه، والقدر ومفهومه، والرؤية، وكلام الله وأسمائه وصفاته، فهذه الأمور كانت في القرن الأول تفهم جملة، وما كان الناس يتحدثون عن جزئياتها؛ لأنهم يفقهونها في الجملة.
وأما في القرن الثاني فظهرت المرحلة الثانية، وهي ضرورة الدفاع عن هذه الأصول وإبرازها كأصول مستقلة لها حدود تعرف بها وتفهم عند الناس، ووضعت لها ضوابط معينة، وظهرت مسألة الاستدلال الشامل على هذه المسائل، بمعنى أنه اضطر أئمة الدين إلى أن يأخذوا الأدلة من الكتاب والسنة، ويبرزوها مستقلة إما على شكل كتب أو مصنفات، وإما على شكل مناظرات أو مجالس علمية في موضوع ما، كما في الرؤية، حيث استقيت نصوص الرؤية وظهرت في هذا الوقت جلية؛ لأنه ظهر من أنكر الرؤية وتكلم بذلك، وكذلك كلام الله، والقرآن، ومسألة أسماء الله وصفاته، فأبرزت النصوص المستقلة في هذا الأمر، وكذلك الوعد والوعيد، فاضطر السلف إلى أن يأخذوا نصوص الوعد ويبرزوها، ثم نصوص الوعيد ويبرزوها، وأخذوا منهجا وسطا -وهو منهج الحق- بين الوعد والوعيد، وهكذا بين منكري القدر والجبرية وغيرهم.
وفي المرحلة الثانية أيضا ظهرت المصنفات الصغيرة في جزئيات العقيدة، في الرد على فرق بعينها، وفي كتابة المسائل المحدودة المعينة، لكنها مصنفات قليلة.." (٢)

"الحكمة من خلق إبليس

قال رحمه الله تعالى: [فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته، من ذلك: أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١١/١١٠

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٢

من العباد وعملهم بما يغضب الرب تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها، منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا! كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر.

وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل؛ فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء].

يعني بذلك أنه لا تتحقق هذه المعاني إلا بوجود ابتلاء الخلق بالخير والشر، فهذا لحكمة، والله عز وجل يفعل في خلقه ما يشاء، فهو فعال لما يريد، وما فعله الله عز وجل كله خير وحكمة.

فخلق الله عز وجل الشر وخلق إبليس لحكم، منها: أنه لا تظهر آثار أسماء الله عز وجل القهرية إلا بمثل هذا الابتلاء، وبمثل هذه الفتنة التي فتن الله بها العباد، ولذلك جعل الله الشر والخير فتنة وابتلاء للخلق.

قال رحمه الله تعالى: [ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم).

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر].

الخير المحض لا تحصل به حقيقة الابتلاء ولا التكليف ولا معنى الجزاء ولا معنى الوعد والوعيد ولا تظهر فيه للعباد معاني الحكمة ومعاني الرحمة ومعاني القوة والجبروت وغير ذلك، فكان من خلقه تعالى المتضادات، ومن ذلك الخير والشر، وفيما يترتب عليهما من الجزاء للعباد في الدنيا والآخرة ظهور معاني الحكمة وحقيقة الابتلاء ونحو ذلك مما هو معلوم لدى العقلاء.

قال رحمه الله تعالى: [ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى، والمعاداة

فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها].

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟ فهذا سؤال فاسد، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.." (١)

"شرح العقيدة الطحاوية [٦٦]

أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في أبواب الأسماء والأحكام، فهم لا يكفرون أحدا بالكبائر، ولا يحكمون عليهم بالخلود في الآخرة كما تقول الخوارج، كما أنهم لا يقولون بقول المرجئة الذين يبرئون الإنسان من النار مهما ارتكب من ذنوب وسيئات ما لم يصل إلى الكفر، بل يجرون **نصوص الوعد والوعيد ويفهمونها** بفهم السلف الصالح، ويحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه مسلم عاص متوعد في الآخرة بالعقوبة والنار، وهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله وجوده وإحسانه، كما أن التكفير حكم شرعي يثبت على من يستحقه بشروط معروفة ومقررة عند أهل العلم.." (٢)

"التوقف في الحكم بإسلام المسلمين قبل التبين بدعة عصرية ضالة

المسألة التي تتبع هذا الأمر: مسألة التوقف والتبين، وهي من البدع التي انتشرت بين أبناء المسلمين في بعض البلاد التي يكثر فيها الجهل، ومسألة التبين والتوقف هي من آثار الهجرة والتكفير، وهي تابعة لمسألة التكفير، لكنها لم تصل إلى حد التكفير.

فهناك مجموعات أو جماعات أو أفراد -خاصة الذين ما أخذوا العلم على أصوله الصحيحة، ولا تعلموا على أيدي العلماء، وما عرفوا كيف يتناولون أصول الولاء والبراء ويرجعونها إلى قواعد الشرع، ولا عرفوا أقوال أهل العلم الراسخين في العلم- أخذوا نصوص الولاء والبراء **ونصوص الوعد والوعيد فنظروا** فيها ففهموا أنها تستدعي التوقف في إسلام جميع المسلمين أو أكثر المسلمين، وأنه لا بد من التبين قبل الحكم بالإسلام، وهذه النزعة هي من جنس التكفير، والغالب أنها تؤدي إلى التكفير، وقد كثرت في بعض المنتسبين للعلم الشرعي ممن لم يتعلموا على العلماء ولم يعرفوا قواعد الشرع.

فبعض هؤلاء يقول: إن المسلمين الأصل فيهم الإعراض عن الإسلام، وبعضهم يقول: الأصل فيهم الردة، وبعضهم يقول: الأصل فيهم عدم تحقق الإسلام، ولا يحكم بالردة ولا الكفر، إذا: نتوقف في إسلام أهل القبلة إلا من عرفته وأقمت عليه الحجة وتبين لي أنه مسلم، فمن هنا قد لا يصلون وراء كل أحد من عامة المسلمين، وقد لا يتعاملون التعامل الشرعي مع كل أحد، فقد لا يردون السلام، فبعضهم إذا سلم عليه مسلم آخر ما تبين له حاله يقول: صباح الفل، صباح الخير، أو: أهلا وسهلا، ولا يقول: وعليكم السلام، يقول: أخشى أنه غير مسلم، فأكون قد وقعت في الإثم.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٥٢

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١/٦٦

وقد يستغرب من هذه الظواهر، وقد يقول قائل: أين هي؟ وأقول: إنها موجودة، وإن كانت -والحمد الله- قليلة، ولكن ليس عندنا عصمة من الله عز وجل، فهذه الظواهر وصلت إلينا كما وصل التكفير إلى بعض من كانوا شذاذا لتساهلنا وعدم عنايتنا بهذه الأمور، فالتبين موجود الآن وظهرت له مؤلفات وكتب وله زخم كبير بين طائفة من المنتسبين للعلم، وتثار قضاياه، خاصة في مصر وفي أفغانستان وفي بعض البلاد الإسلامية.." (١)

"لازم القول بتكفير قائل البدعة

قال رحمه الله تعالى: [وهنا يظهر غلط الطرفين؛ فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله، ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين، كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه: (أن رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله)].

هذا من النصوص التي لا يطيقها الخوارج وأمثالهم، ويضيقون بها ذرعا، فالرسول صلى الله عليه وسلم شهد لهذا الرجل مع أنه حد في كبيرة من الكبائر بأنه يحب الله ورسوله، فينبغي للمسلمين أن يقتدوا بمثل هذه النصوص الجامعة الحاكمة، فهذا من النصوص الحاكمة التي تعطي التوازن، ويجب أن يرجع إليها الناس في مسألة الوعد والوعيد، فإن هذا الرجل اجتمع فيه تحقيق الوعيد والوعد له من النبي صلى الله عليه وسلم، فنفذ في هذا الرجل الحد في الدنيا بأن جلد، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بجلده، وفي نفس الوقت شهد له بالإيمان، إذا: مثل هذا النص يمثل القاعدة التي يجب أن يحتذيها المسلمون جميعا في الحكم على أهل القبلة، حتى في مسألة الولاء والبراء، فالقاعدة الشرعية أنك تحب المسلم بقدر ما فيه من الخير والفضيلة، وبقدر ما يظهر منه من الطاعات، وفي الوقت نفسه تكرهه بقدر ما يظهر منه من المعاصي، فإذا كان هناك من المسلمين من فيه معاص وفيه بعض مظاهر الخير تحبه بقدر ما فيه من الخيرات وتكرهه بقدر ما فيه من الشر، فيجتمع الحب والبغض والولاء والبراء في الشخص الواحد، وهذا أمر بدهي ضروري، فإذا أخذنا الأمور كلها بجزم فمن الذي نزكي؟! ولو أن طائفة زكت فلانا وأخرى لم تزكه فإن الفتنة تقع في الأرض.." (٢)

"تبيين القرآن لمعاد النفس والبدن ومعرفة ذلك عند الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق التخييل، وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٧/٦٦

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٨/٦٧

وقد أخبر الله بها من حين أن أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف:٢٤ - ٢٥]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر:٣٦ - ٣٨].

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح:١٧ - ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء:٨٢] إلى آخر القصة.

وقال: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم:٤١].

وقال: ﴿رب أرني كيف تحي الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠].

وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه:١٥ - ١٦] بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى قال تعالى حكاية عنه: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر:٣٢ - ٣٣] إلى قوله تعالى: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر:٣٩] إلى قوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٦].

وقال موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة:٧٣].

وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [الزمر:٧١]، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها **ذكر الوعد والوعيد يذكر** فيها الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾ [سبأ:٣].

وقال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ [يونس:٥٣].

وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن:٧].

وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١].

وقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء:١].

﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع﴾ [المعارج:١ - ٢]، إلى أن قال: ﴿إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا﴾ [المعارج:٦ - ٧].

وذم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ [يونس:٤٥].
﴿ألا إن الذين يمارون." (١)

"الحكمة في أن الداعي قد لا يعطى شيئا أو لا يعطى غير ما سأل

وهنا سؤال معروف: وهو أن من الناس من قد يسأل الله شيئا فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة: أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟).

ففرق بين الداعي والسائل وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بالعموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠] بالدعاء الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ [غافر:٦٠] يؤيد المعنى الأول].

أحب أن أشير إلى أن كثيرا من قضايا الدين ترد في نصوص مجملة، ثم إن كانت من أمور العقائد تفصل بإيضاح وبأخبار، وإن كانت من أمور العبادات تفصل بأوامر ونواه، ولا شك أنه ورد في النصوص الصريحة الصحيحة في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن الله يجيب دعوة الداعي في نصوص مجملة، لكن هناك نصوص أخرى صحيحة تفسر معنى الدعاء وحقيقة الدعاء الذي يجاب؟ ومتى يجاب؟ وكيف يجاب؟ وهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله دخل الجنة) هذا نص مجمل، لكن هناك نصوص مفسرة لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومبينة للوازم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهذه اللوازم ضرورية.

ووردت نصوص: أن من فعل كذا قبلت صلاته، من فعل كذا قبل صيامه، لكن للصيام ضوابط ووقت معين وشروط وواجبات، وكذلك للصلاة شروط وواجبات لا بد منها، فكذلك الدعاء ورد في نصوص مجملة: أن الله يستجيب الداعي إذا دعاه، لكن هناك نصوص أخرى مفصلة تضع للدعاء المقبول المجاب شروطا، وتوضح أن هناك موانع قد تمنع إجابة الدعاء.

هذه قاعدة ينبغي أن يترسمها طالب العلم دائما في كل ما يتعلق بقضايا الشرع العامة، والنصوص المجملة التي هي عبارة عن قواعد، وهذه النصوص مربوطة بالنصوص الأخرى، ولا بد من ضبطها بالأوامر والنواهي والشروط والواجبات، ولا بد من فهم الموانع أو المفسدات التي تتعلق بالأمر إن كان عبادة، أو تتعلق بالخبر إن كان عقيدة، لا بد من الرجوع في كل نص عام إلى ما يقيده ويفسره، ومن ذلك الدعاء، ورد للدعاء إجابة، لكن للإجابة شروط ولها موانع، ينبغي فهم هذه الشروط وتحقيقها، وفهم الموانع والابتعاد عنها.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٨٦/٤

قال رحمه الله تعالى: [الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين المسئول، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر؟ قال: الله أكثر) فقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة، المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، **ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة** في الظاهر من هذا الباب، وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه، وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرا لحسنته، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار، وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات و." (١)

"ما جاء في القرآن أو الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [إذا عرف ذلك فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به تعالى **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد.

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه؛ لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة، يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته].

ولذلك لا يمكن أن يقر عاقل بأن نفسر اللحم بأنه ليس المقصود به حقيقة اللحم المعروف، نعم لحم الطير في الجنة أعظم وأرقى وألذ من لحم الطير في الدنيا، لكن هو لحم، فلا يجوز تأويله، وكذلك لا يجوز تأويل الخمر أو اللبن بمعنى آخر، فهو لبن حقيقي، وخمر حقيقي، ولحم حقيقي، وماء حقيقي، لكن من حيث الكيفية يختلف عما في الدنيا، فهو أعظم وألذ

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٩٦

وأرقى وأفضل بدرجات لا تتناهى مما في الدنيا.
إذا: اجتمعت هذه المعاني في الحقائق العامة واختلفت في الكيفيات، فكذلك من باب أولى أسماء الله عز وجل، فهي كمال، والله له الكمال المطلق فيها، فلا يجوز تأويلها، كما لا نؤول جميع أخبار الغيب، وأول الغيب وأعظمه ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته.." (١)

"دحض شبهة النصارى وغيرهم في استدلالهم بمثل (إنا) و (نحن) على تعدد الآلهة

قال رحمه الله تعالى: [ومن هداه الله فرق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه، وعلم ما بينهما من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف، وهؤلاء لا يضلون بالمتشابه من الكلام؛ لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق.
وهذا كما أن لفظ (إنا) و (نحن) وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد الذي له شركاء في الفعل، ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد، وله أعوان تابعون له، لا شركاء له، فإذا تمسك النصراني بقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر:٩] ونحوه على تعدد الآلهة، كان المحكم كقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة:١٦٣] ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا يزيل ما هناك من الاشتباه، وكان ما ذكره من صيغة الجمع مبينا لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات، وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم].
هذا منهج ضروري في الاستدلال، إذ إن كل الفرق التي ضلت عن منهج السلف إلى الافتراق، سواء فرق الغلو أو فرق التقصير، كلها تخل بهذا المنهج، أعني: منهج أخذ تفسير النصوص بعضها ببعض، سواء في الغيبيات: أسماء الله وصفاته، أمور القدر، أمور الآخرة، أمور الوعد والوعيد، أو فيما يتعلق بالأحكام، مع أن أصول العقيدة كلها، العلمية والعملية لا تستقيم ولا يستقيم الاعتقاد فيها حتى يؤخذ بشمولية النصوص، وأن تفسر النصوص بعضها ببعض، ويرد بعضها إلى بعض، وهذا المنهج النصراني الذي زعم أن دليله على التثليث: أن الله عز وجل عبر عن نفسه بـ (نحن)، أي: أنه يدل على جماعة، وعليه فهم ثلاثة! فيرد عليه: بأن الله عز وجل عبر عن نفسه بلفظ المفرد، وعليه فيرد هذا بهذا، وهذه قاعدة عظيمة يحتاجها طلاب العلم اليوم أكثر من أي وقت مضى؛ لأن الخلط فيها الآن أصبح من أكبر أسباب جهل عقيدة السلف، والتنكر لها من ناحية، ومن أكبر أسباب انجذاب كثير من شبابنا اليوم إلى مسالك الافتراق والهوى القديمة والحديثة، فتجده يستدل بنص بين فيما يظهر له، كآية أو حديث على عقيدة أو موقف أو مبدأ أو اتجاه، لكن يجهل أو يتجاهل ما يفسر هذا النص أو يقيده أو يبينه، فيتجاهل تفسيرات السلف الشمولية لهذه النصوص، ولذلك كثيرا ما أقرر فأقول: يجب أن نفرق بين صورتين على سبيل المثال: بين إنسان طالب علم إلى الآن ما استوعب إلا القليل، أو ما عرف إلا القليل من النصوص، وبين إمام راسخ كالإمام أحمد الذي قيل عنه: إنه يحفظ ألف ألف سند، أي: مليونا، ففرق بين هذا وذاك، وفرق بين من يحفظ مليون سند وبين من صح عنده ما يزيد على ثلاثين ألفا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفرق بين هذا الذي صح عنده ما يزيد على ثلاثين ألف حديث وبين إنسان حافظ لبعض الصحاح أو بعض الأسانيد.

---
(١) شرح التدمرية – ناصر العقل، ناصر العقل ٣/١٣

ومن هنا ندرك أهمية وفضل الرسوخ في العلم على نهج السلف، وإلا قد يكون هناك إنسان راسخ في العلم لكنه صاحب هوى يعميه عن الأخذ بمنهج الاستدلال، وقد يوجد من المنتسبين للفرق من عنده عمق ورسوخ في بعض العلوم الشرعية، لكنه ابتلي بالمنهج المنحرف في الاستدلال، فلا ينفعه علمه، بل يضره، نسأل الله العافية.." (١)

"قاعدتان مهمتان في التعامل مع نصوص الوعيد

يجب أن تجمع النصوص الشرعية في باب الوعيد في مكان واحد فباب الوعيد فيه قاعدتان مهمتان لابد من الاهتمام بها: القاعدة الأولى: هي جمعها في مكان واحد، وفهم النصوص بعضها على ضوء بعض، وألا ينفرد الإنسان بنص ويبني عليه حكما شرعيا ويلغي بقية النصوص؛ فإن قبول هذا الدليل ليس بأولى من قبول ما ألغاه، وهذه قاعدة من القواعد الشرعية، فإن الجمع بين الدليلين أولى من إلغاء أحدهما؛ لأن مصدر الدليلين هو الله سبحانه وتعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم.
القاعدة الثانية: أن **ألفاظ الوعد والوعيد لها** شروط وموانع، يعني: لا تتحقق إلا بوجود شروطها وانتفاء موانع الوعد والوعيد، فليس كل إنسان حصل منه هذا الفعل فإنه يطبق عليه ما ورد في الحديث، فمثلا: لو أن إنسانا وجد إنسانا يغتاب آخر فقال: هذا لا يدخل الجنة، وسيكون من أهل النار، وطبق عليه الحديث وحكم عليه أنه من أهل النار، نقول: لا يا أخي لا تستعجل، ربما يكون هناك مانع من الموانع، ربما يكون عنده حسنات تكفر هذه المعصية؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود:١١٤]، وربما تكون عنده توبة صادقة، وربما يشفع له النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أو يشفع له الشافعون، هناك موانع تسمى عند العلماء: موانع إنفاذ الوعيد، وكما أن هناك شروطا يجب أن تكون في المكلف حتى يقع عليه هذا الوعيد، فكذلك الحال في الوعد، فليس كل وعد يحقق، فلو أن شخصا قال: لقد دعوت الله أن يدخلني الجنة، والله عز وجل يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة:١٨٦]، فسأدخل الجنة قطعا، وحكم بهذا، وجزم بأنه من أهل الجنة بهذه الطريقة، نقول: هذه الطريقة خاطئة في فهم نصوص الوعد، فإن الدعاء وما يترتب عليه من الوعود الشرعية لابد من وجود شروط فيه، فليس كل دعاء مقبولا، وربما يظن الإنسان أن الشروط توافرت ولم تتوافر في الحقيقة؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧]، ولهذا قال ابن عمر: لو أنني علمت أن صلاة واحدة تقبلت مني لتمنيت الموت بعدها؛ لأن الله يقول: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧].
فينبغي معرفة هاتين القاعدتين في باب الوعد والوعيد؛ فإن كثيرا من الناس لا يفقهها ولا يفهمها على أصولها الصحيحة.." (٢)

"فالرسول، صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى كونه دعا إلى إخلاص الدين لله، وقاتل الناس حتى يشهدوا بكلمة الإخلاص، فإنه، صلى الله عليه وسلم، كان يدعو إلى جميع الأخلاق الفاضلة، جملة وتفصيلا، وينهى عن ضدها، جملة وتفصيلا.

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٤/١٥

(٢) أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٩/٧

وكما اهتم، صلى الله عليه وسلم، بإصلاح الدين، كان يعمل على إصلاح دنيا الناس، إنما كان ذلك كله في مرتبة دون الاهتمام بأمر التوحيد وإخلاص الدين لله وحده، وهذا ما يجهله أو يتجاهله المنازع في هذه المسألة.

٣ – إذ تأملنا القرآن الكريم، المنزل على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رحمة للعالمين ومنهاجا للمسلمين إلى يوم الدين، وجدنا أن أغلبه في تقرير العقيدة وتقرير أصولها، وتحرير العبادة والطاعة لله وحده لا شريك له، واتباع رسوله، صلى الله عليه وسلم.

فإن أول شيء نزل به القرآن، وأمر الله رسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يفعله هو أن يكبر الله تعالى ويعظمه وحده، وأن ينذر الناس من الشرك، وأن يتطهر من الآثام والذنوب وغيرها، ويهجر ما هم عليه من عبادة الأصنام، ويصبر على ذلك كله، قال الله تعالى:

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر [المدثر: ١ – ٧].

ثم استمر القرآن الكريم، يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر العهد المكي، لتثبيت العقيدة وتقريرها، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده، واتباع رسوله، صلى الله عليه وسلم.

لذلك نجد أن أغلب آيات القرآن الكريم في العقيدة: إما بصريح العبارة، وإما بالإشارة، حيث إن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الإلوهية وإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات وأصول الإيمان والإسلام، وأمور الغيب والقدر خيره وشره، واليوم الآخر، والجنة وأهلها ونعيمها، والنار وأهلها وعذابها، (الوعد والوعيد)، وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور.

وقد ذكر العلماء أن القرآن: ثلث أحكام، وثلث أخبار، وثلث توحيد. وهذا ما فسروا به قول النبي، صلى الله عليه وسلم: ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)) (١).

فإن قل هو الله أحد [الإخلاص: ١] اشتملت على أعظم التوحيد والتنزيه لله تعالى.

وآيات الأحكام لا تخلو من ذكر للعقيدة وأصول الدين، وذلك من خلال ذكر أسماء الله وصفاته، وطاعته وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم وذكر حكم التشريع ... ونحو ذلك.

وكذلك آيات الأخبار والقصص أغلبها في الإيمان والاعتقاد، وذلك من خلال أخبار المغيبات والوعيد واليوم الآخر، ونحو ذلك.

وبهذا يتحقق القول: بأن القرآن الكريم، هو الهادي إلى التي هي أقوم إلى يوم القيامة، وغالب آياته في تقرير العقيدة والدعوة إليها والدفاع عنها والجهاد في سبيلها. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل – ص: ٢٤

---

(١) رواه مسلم (٨١٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [١]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧/١

"٤ – أن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه (١).
وقد نظم بعضهم هذه المراتب بقوله:
علم كتابة مولانا مشيئته ... كذاك خلق وإيجاد وتكوين
الأصل الرابع: باب الوعد والوعيد:
توسط أهل السنة والجماعة في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.
فالوعيدية يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد، ومنهم الخوارج الذين يرون أن فاعل الكبيرة من المسلمين كالزاني وشارب الخمر كافر مخلد في النار.
والمرجئة غلبوا نصوص الرجاء على نصوص الوعيد، فقالوا: إن الإيمان هو التصديق القلبي، وأن الأعمال ليست من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، فالعاصي كالزاني وشارب الخمر لا يستحق دخول النار، وإيمانه كإيمان أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –.
أما أهل السنة والجماعة فيرون أن المسلم إذا ارتكب معصية من الكبائر لا يخرج من الإسلام، بل هو مسلم ناقص الإيمان، ما دام لم يرتكب شيئا من المكفرات، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه حتى يطهره من ذنوبه ثم يدخله الجنة، ولا يخلد في النار إلا من كفر بالله تعالى أو أشرك به.
فالإيمان عند أهل السنة: قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية (٢).
الأصل الخامس: باب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:
توسط أهل السنة والجماعة في هذا الباب بين الشيعة وبين الخوارج.
فالشيعة – ومنهم الرافضة – غلوا في حق آل البيت كعلي بن أبي طالب وأولاده – رضي الله عنهم – فادعوا أن عليا – رضي الله عنه – معصوم، وأنه يعلم الغيب، وأنه أفضل من أبي بكر وعمر، ومن غلاتهم من يدعي إلوهيته.
والخوارج جفوا في حق علي رضي الله عنه فكفروه، وكفروا معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – وكفروا كل من لم يكن على طريقتهم.
كما أن الروافض جفوا في حق أكثر الصحابة، فسبوهم، وقالوا: إنهم كفار، وأنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أبو بكر وعمر عند بعضهم كانا كافرين، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ونفرا قليلا، قالوا: إنهم من أولياء آل البيت، كما أنهم يشتمون أمهات المؤمنين، وأفاضل الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر علانية، لكنهم قد يترضون عنهم ويظهرون موالاتهم لهم تقربا إلى أهل السنة ومخادعة لهم، لأن من عقائدهم عقيدة التقية، فيظهرون لأهل السنة خلاف ما يبطنون (٣).
أما أهل السنة والجماعة فيحبون جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويترضون عنهم، ويرون أنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه، ويمسكون عما حصل بينهم من التنازع، ويرون أنهم مجتهدون مأجورون، للمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجر واحد على اجتهاده، ويرون أن أفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين–، ويحبون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويرون أن لهم حقين، حق الإسلام، وحق القرابة

من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيوالونهم، ويترضون عنهم (٤). تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله الجبرين– ص ٢٠

---

(١) ((ينظر منهاج السنة)) (٣/ ٥ – ٢٧٦)، ((شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل)) (١/ ٩١ – ١٧٩)، ((شرح الطحاوية)) (٣١٧ – ٣٦٤)، ((معارج القبول)) (٣/ ٩١٧ – ٩٤٠).

(٢) ((الكواكب الدرية)) (١٩٢ – ١٩٤).

(٣) قاله ابن تيمية كما في ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/ ٤٧٧ – ٤٧٩).

(٤) ((منهاج السنة)) الأجزاء (٤ – ٨).." [١]

"ودلالته صلى الله عليه وسلم للأمة في شأن اعتقادها أهم أعماله، وأولاها بالإيضاح والإفهام بلسان عربي مبين، والجزم واقع بأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فهموها على وجهها الذي يفهمه العربي، بغير تكلف ولا تمحل في صرف ظواهرها، ومن كان باللسان العربي أعرف ففهمه لنصوص الوحي أرسخ، وقد قال عمر رضي الله عنه: (يا أيها الناس، عليكم بديوان شعركم في الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم) (١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: لم يكن في الصحابة من تأول شيئا من نصوصه – أي نصوص الوحي – على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت ... (٢).

وفي إنكار التأويل الكلامي ومناهج الفلاسفة ومن تأثر بهم من المتكلمين، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل – ولو كان مستكرها – ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم، وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف (٣).

ويقول ابن تيمية رحمه الله مبينا خطورة التأويل: فأصل خراب الدين والدنيا، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل، وليس هذا مختصا بدين الإسلام فقط؛ بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد (٤).

ففي لزوم الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودفع التأويل المتعسف بغير دليل موافقة لنصوص الكتاب والسنة لفظا ومعنى، مع بعد عن التكلف في الدين، والقول على الله بغير علم، والافتراء على رسوله الأمين، فضلا عن ما في ذلك من مصلحة سد باب الخروج على العقيدة ببدعة محدثة، وسد باب الخروج على الشريعة، والاجتراء على الحرمات، والتهاون بالطاعات والوقوع في المنكرات، بصرف ألفاظ الوعد والوعيد عن حقيقتها وظاهرها، ودعوى أن كل ذلك غير مراد.

(وهذه القاعدة تفيد بطلان مذهب المفوضة في الصفات، الذين يفوضون معاني النصوص إلى الله، مدعين أن هذا هو

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/ ٥٨

مذهب السلف، وقد علم براءة مذهب السلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل، وإنما فوضوا العلم بكيفيتها لا العلم بمعانيها) (٥).

قال ابن تيمية رحمه الله: إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه (٦).

بل كان قول أهل العلم: من الله البيان، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

---

(١) انظر ((تفسير القرطبي)) (١٠/ ١١١) و ((الموافقات)) للشاطبي (٢/ ٨٨).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٥٢).

(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/ ٢٦٧).

(٤) ((أعلام الموقعين)) لابن قيم الجوزية (٤/ ٢١٦).

(٥) ((القواعد المثلى)) للشيخ ابن عثيمين (ص٣٥).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٨٥).." [١]

"المسألة الثانية: أقوال السلف في المحكم والمتشابه

بيان أقوال السلف المأثورة كما حكاها ابن جرير الطبري رحمه الله بعد تحرير المراد بـ (المحكم) و (المتشابه).

أولا – تعلقهما بالنسخ:

المنسوخ أمران:

(أ) إلقاء الشيطان المشار إليه في قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم [الحج: ٥٢].

(ب) النص الشرعي المتقدم، المرفوع حكمه بنص شرعي متأخر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (.. ولهذا قال طائفة من المفسرين المتقدمين: المحكم هو الناسخ، والمتشابه المنسوخ. أرادوا والله أعلم قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم، والنسخ هنا: رفع ما ألقاه الشيطان، لا رفع ما شرعه الله، وقد أشرت إلى وجه ذلك فيما بعد وهو أن الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة، ومقابل المنسوخ أخرى، والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح، كتخصيص العام، وتقييد المطلق. فإن هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين، ويدخل في المجمل، فإنه متشابه، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد، وكذلك ما رفع حكمه، فإن في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن. ولهذا كانوا يقولون: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟ فإذا عرف الناسخ عرف المحكم. وعلى

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧٨/١

هذا فيصح أن يقال: المحكم والمنسوخ، كما يقال: المحكم والمتشابه) (١).

فهذا وجه النسخ بالإحكام والتشابه، فالنسخ لما يلقي الشيطان هو (الإحكام العام) الذي بمعنى الإتقان، المقتضي لنفي ما ليس منه عنه. والنسخ بتخصيص، أو تقييد، أو تفصيل لعام، أو مطلق، أو مجمل هو (الإحكام الخاص) المقتضي للفصل بين الشيئين المشتبهين من وجه، المختلفين من وجه آخر.

ثانيا – تعلقهما بالحلال والحرام، وبالأخبار والقصص والأمثال:

الإحكام متعلق بالأمر والنهي، لأنه فعل أو ترك ليس إلا. والتشابه متعلق بالأخبار، والوعد، والوعيد، والقصص، لأنه اعتقاد يتصور فيه الزيغ والانحراف. قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ولهذا في الآثار: (العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه)، لأن المقصود في الخبر الإيمان، وذلك لأن المخبر به **من الوعد والوعيد فيه** من التشابه ما ذكرناه، بخلاف الأمر والنهي، ولهذا قال بعض العلماء: المتشابه: الأمثال، والوعد والوعيد، والمحكم الأمر والنهي، فإنه متميز غير مشتبه بغيره، فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع، وأمور نتركها لا بد أن نتصورها) (٢).

وعبارة ابن جرير رحمه الله في حكاية القول الرابع تدل على هذا المعنى، فإنه قال: (المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن، وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم، ففصله بيان ذلك لمحمد وأمته) (٣)، فهذا الفصل الذي بينه الله لمحمد وأمته هو (الإحكام الخاص) المزيل لـ (التشابه الخاص) الواقع في قصص الأمم ورسلهم. ثم قال: (والمتشابه: هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني) (٤)، وذكر أثرا طويلا عن ابن زيد رحمه الله قال في آخره: (من يرد الله به البلاء والضلالة يقول: ما شأن هذا لا يكون هكذا، وما شأن هذا لا يكون هكذا؟) (٥).

---

(١) ((الإكليل في المتشابه والتأويل)) (ص: ٥).

(٢) ((الإكليل في المتشابه والتأويل)) (ص: ١٣).

(٣) ((جامع البيان)) (٣/ ١٧٤).

(٤) ((جامع البيان)) (٣/ ١٧٤).

(٥) ((جامع البيان)) (٣/ ١٧٤).." [1]

"٣ – امتناع تضمنه ما للأمة به حاجة، ثم لا يتمكنون من علمه.

٤ – إمكان تضمنه لما للأمة به حاجة وإن كان لها غنى عن بعض معانيه.

٥ – المتشابه الذي استأثر الله به هو الأمور الغيبية كالعلم بالمقدار، والوقت، والكيف ونحوه.

٦ – المحكم نوعان: ما له معنى واحد، سماعه بيانه. وما يحتمل عدة معان لكن تعيين المعنى المراد متحقق ببيان الله أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٧٥

٧ - امتناع جهل علماء الأمة ببيان الله وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد تضمنت هذه الحقائق القضاء المبرم على أصل مذهب التفويض ولوازمه، والحمد لله.

ومن الجدير بالذكر، أن شيخ المفسرين، الطبري رحمه الله لم يشر من قريب ولا من بعيد، مع كثرة سياقاته للآثار، أن أحدا قال: إن من المتشابه أسماء الله وصفاته. وغاية ما في الأمر أن المتشابه هو ما يتعلق بأمور الآخرة، وفناء الدنيا ليس غير، وأن اتباع المتشابه هو محاولة اليهود معرفة مدته صلى الله عليه وسلم، ومدة أمته، وفناء الدنيا .. الخ من الحروف المقطعة (١). أما أمر صفات الله تعالى فلم يكن واردا لديه أصلا، وإنما أقحمت في المتشابه لدى المتأخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فصل – وأما إدخال أسماء الله وصفاته، أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم. فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولون ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم، فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال: إن هذا من المتشابه، وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره، أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة. قالوا في أحاديث الصفات: (تمر كما جاءت). ونهوا عن تأويلات الجهمية، وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص على ما دلت عليه. ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية منها، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك.

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، إما المتشابه، وإما الكتاب كله، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه، كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة، وهذا الوجه قوي إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران أنهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنا) و (نحن) ونحو ذلك، ويؤيده أيضا أنه قد ثبت في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين، وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد أولى. فإن نفي التشابه بين الله وبين خلقه أعظم من نفي التشابه بين موعود الجنة وموجود الدنيا) (٢).

فأبطل الشيخ – رحمه الله – إدخال أسماء الله وصفاته في المتشابه، أو اعتقاد أنه هو المتشابه بأمرين:

الأول: براءة السلف قاطبة من هذا الاعتقاد، بل الثابت المنقول عنهم هو إثبات المعاني.

---

(١) ((جامع البيان)) (٣/ ١٨٠).

(٢) ((الإكليل في المتشابه والتأويل)) (ص: ٢٥ - ٢٦، ٣٦ - ٣٧).." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٧٨/٢

"فالتأويل الثاني: هو تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، أو تعرف علته أو دليله. وهذا التأويل الثالث: هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة – رضي الله عنها: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن)) (١) تعني قوله تعالى: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا [النصر: ٣]. وقول سفيان بن عيينة: (السنة هي تأويل الأمر والنهي)، فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام: خبر وأمر. ولهذا يقول أبو عبيد وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة، كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء (٢) ، لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونفس ما نهى عنه، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع (أبقراط) و (سيبويه) ونحوهما من مقاصدهم ما لا يعلم بمجرد اللغة. ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تأويل الخبر).

وقد تضمن هذا السياق تقرير الحقائق التالية:

١ – بيان معاني التأويل المستعملة وهي:

(أ) صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن به، وهو اصطلاح المتأخرين.

(ب) التفسير، وهو اصطلاح المفسرين.

(ج) الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهو عين ما يوجد في الخارج، وهو المعنى المراد في النصوص الشرعية.

٢ – تأويل كل كلام بحسبه:

(أ) تأويل الخبر: عين المخبر به إذا وقع.

(ب) تأويل الأمر، نفس الفعل المأمور به.

٣ – التأويل المتعلق بالأمر والنهي لا بد من معرفته وإدراك حقيقته لأنه مناط التكليف، بخلاف تأويل الخبر فلا سبيل إلى إدراك حقيقته إلا بوقوعه وتحققه.

وبعد هذا التأصيل يصل شيخ الإسلام رحمه الله إلى علاقة التأويل بصفات الرب – تعالى –، فيتابع قائلا: (وإذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بمالها من حقائق الصفات. وتأويل ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد هو** نفسه ما يكون من الوعد والوعيد) (٣). فإذا كان التأويل – بمعنى الحقيقة – متعلقا بذات الباري جل وعلا، فلا سبيل لأحد إلى العلم به سواه سبحانه. وإذا كان التأويل متعلقا بأمر مستقبلي كالوعد والوعيد، فالعلم به حاصل بتحقق وقوعه لمن شاء الله أن يعلمه.

أما التأويل – بمعنى التفسير وفهم المعنى ومقصود الخطاب – فهو ممكن في كل ما أخبر الله به مما يتعلق بذاته المقدسة أو الأمور الغيبية أو غير ذلك. قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا حدود هذا الإمكان: (.. ولهذا ما يجيء في الحديث: نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة، تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما، ولبنا، وعسلا، وماء وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله، ولا حقيقته كحقيقته. والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها

ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، ومع العلم بالفارق المميز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد) (٤). مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد بن عبدالرحمن القاضي - ص ٣١٣

---

(١) رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) ((غريب الحديث)) (٢/ ١١٧ - ١١٨).

(٣) ((الرسالة التدمرية)) (ص: ٩٦).

(٤) ((الرسالة التدمرية)) (ص: ٩٦ - ٩٧).." [1]

"المبحث الخامس: عبادة الملائكة

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [التحريم: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقا من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا بداخلين **في الوعد والوعيد** (١).

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقا، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠]. وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨].

مكانة الملائكة:

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة - بنات الله - دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بالخدمة، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون ...

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٨٣/٢

يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا [مريم: ٦٤])) (٢).

نماذج من عبادتهم:

الملائكة عباد الله، مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة. وسنورد – هنا – بعض العبادات التي حدثنا الله، أو رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم يقومون بها.

١ – التسبيح: الملائكة يذكرون الله تعالى، وأعظم ذكره التسبيح، يسبحه تعالى حملة عرشه: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم [غافر: ٧]، كما يسبحه عموم ملائكته: والملائكة يسبحون بحمد ربهم [الشورى: ٥].

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع، لا في الليل، ولا في النهار: يسبحون الليل والنهار لا يفترون [الأنبياء: ٢٠].

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون [الصافات: ١٦٥ – ١٦٦].

---

(١) ((لوامع الأنوار البهية)) (٢/ ٤٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢١٨).." (١)

"– يوم الوعيد:

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد [ق: ٢٠]. وسمي يوم الوعيد لأن الله (أوعد به الكفار، قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب في الآخرة، وخصص الوعيد مع كون اليوم هو **يوم الوعد والوعيد جميعا** لتهويله) (١). الحياة الآخرة لغالب عواجي – ١/ ٤٥

وقد جمع الغزالي ثم القرطبي – أسماء يوم القيامة – فبلغت نحو الثمانين اسما فمنها يوم الجمع، ويوم الفزع الأكبر، ويوم التناد، ويوم الوعيد، ويوم الحسرة، ويوم التلاق، ويوم المآب، ويوم الفصل، ويوم العرض على الله، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ومنها: يوم عظيم، ويوم عسير، ويوم مشهود، ويوم عبوس قمطرير، ومنها: يوم تبلى السرائر، ومنها: يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، ويوم يدعون إلى نار جهنم، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ويوم لا ينطقون، ويوم لا ينفع مال ولا بنون، ويوم لا يكتمون الله حديثا، ويوم لا مرد له من الله، ويوم لا بيع فيه ولا خلال، ويوم لا ريب فيه، فإذا ضمت هذه إلى ما ذكر في الأصل كانت أكثر من ثلاثين اسما معظمها ورد في القرآن بلفظه وسائر الأسماء المشار إليها أخذت بطريق الاشتقاق بما ورد منصوصا كيوم الصدر من قوله: يومئذ يصدر الناس أشتاتا [الزلزلة:٦] ويوم الجدال من قوله: يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها [النحل:١١١] ، ولو تتبع مثل هذا من القرآن زاد على ما ذكر والله أعلم فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – بتصرف– ١١/ ٣٩٥

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٨٩

وبعد أن ذكر القرطبي كثيرا من أسماء يوم القيامة – التي هي على صيغة جمل – ذكر أن أسماء يوم القيامة قد تتبعها بعض العلماء، منهم ابن نجاح في (سبل الخيرات)، وأبو حامد الغزالي في غير موضع من كتبه ك (الإحياء) (٢) وغيره، والقتبي في كتاب (عيون الأخبار)، ثم قال: (ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا حسب الأحوال الكائنة فيه، من الازدحام، والتضايق، واختلاف الأقدام، والخزي، والهوان، والذل، والافتقار، والصغار، والانكسار، ويوم الميقات، والمرصاد، إلى غير ذلك من الأسماء) (٣). الحياة الآخرة لغالب عواجي – ١/ ٤٥

---

(١) ((فتح القدير)) (٥/ ٧٦).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) (٤/ ٥١٦).

(٣) ((التذكرة)) (ص: ٢٣٢)، ((كتاب تكملة شرح الصدور)) (ص: ٩).." [(١)]

"وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات (من) القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين [الزمر:٧١]. وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا. فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة. فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة. وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب [سبأ:٣] الآيات. وقال تعالى:: ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين [يونس:٥٣]. وقال تعالى:: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير [التغابن:٧]. وأخبر عن اقترابها، فقال: اقتربت الساعة وانشق القمر [القمر:١]. اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون [الأنبياء:١]، سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا [المعارج:١ – ٧]. وذم المكذبين بالمعاد، فقال: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها [الأنعام:٣١]. ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد [الشورى:١٨]. بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون [النمل:٦٦]. وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا إلى أن قال: وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين [النمل:٣٨ – ٣٩]. إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون [غافر:٥٩]. ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزآؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا [الإسراء:٩٧ – ٩٩].." [(٢)]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠٢/٤

(٢) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٢٤/٤

"الأصل الثالث

ما ذكره العلماء- رحمهم الله- من طريقة أهل البدع في تلقي النصوص والسنة الشريفة (الوحي) سواء كانوا من الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، أو من المرجئة على تنوع مراتبهم وأصنافهم، فهم لا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد؛ بل إنهم – في استدلالهم، ينفردون فيهما بما يؤيد مذاهبهم.

أ- فالوعيدية يستدلون بنصوص الوعيد، ويهملون نصوص الوعد، أو لا يجمعونها مع نصوص الوعيد في التلقي والاستدلال.

ب- وكذلك المرجئة يعولون على نصوص الوعد، دون اعتبار للنصوص الواردة في الوعيد، وجمعها في التلقي والاستدلال مع نصوص الوعد. فكلاهما آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

أما أهل السنة والجماعة فآمنوا بالكتاب كله، وعولوا على النصوص جميعها، فنظروا إلى نصوص الوعيد مع نصوص الوعد، فلم يضطربوا ولم يفرقوا بين المتماثلات وإنما كانوا الأمة الوسط، وأسعد الفريقين بالمذهب الحق. مسألة الإيمان لعلي بن عبد العزيز الشبل – ص١٨." (١)

"وقال يحيي بن **معاذ: الوعد والوعيد حق**، فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله، والوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا، فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم (١).

وعندما نتحدث عن الواجب تجاه نصوص الوعد والوعيد، فهو الإيمان بجميع تلك النصوص، والتسليم لها، وإجلالها وتعظيمها، فنؤمن بالله تعالى، وما جاء عن الله، على مراد الله تعالى، ونؤمن برسول الله، وما جاء عن الرسول، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن تيمية: لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد، وقد قال الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا [النساء:١٠].

وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا [النساء:٢٩ – ٣٠]، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة، والعبد عليه أن يصدق بهذا وهذا ... (٢).

ويقول أيضا: ينبغي للمسلم أن يقدر كلام الله ورسوله، فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب، ونكفر ببعض، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس، فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول، فكذلك النص الآخر الذي تأوله، فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول بكلامه (٣).

وقد التزم سلف الأمة بهذا التسليم والتعظيم لنصوص الوعد والوعيد؛ فهذا رجل يقول للزهري: يا أبا بكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لطم الخدود)) (٤)، ((وليس منا من لم يوقر كبيرنا)) (٥) وما أشبه هذا الحديث؟

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٦٩

فأطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم (٦).

ولما ذكر عبدالله بن المبارك حديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) (٧)؛ فقال فيه قائل: ما هذا؟ على معنى الإنكار، فغضب ابن المبارك وقال: يمنعنا هؤلاء الأنان – أي: كثيرو التشكي والكلام – أن نحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكلما جهلنا معنى حديث تركناه! لا بل نرويه كما سمعنا ونلزم الجهل أنفسنا (٨).

يقول إسماعيل الأصبهاني: أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله، وفي مسائل القدر، والرؤية، وأصل الإيمان والشفاعة، والحوض، وإخراج الموحدين المذنبين من النار، وفي صفة الجنة والنار، وفي الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد ... (٩).

---

(١) انظر: ((الحجة في بيان المحجة)) (٢/ ٧٤).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٨/ ٢٧٠).

(٣) ((الإيمان)) (ص٣٣، ٣٤) باختصار.

(٤) رواه البخاري (١٢٩٤). من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي (١٩١٩). من حديث أنس بن مالك. وقال فيه: هذا حديث غريب، ورواه أحمد (٢/ ٢٠٧) (٦٩٣٥). من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. والحديث صححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٢١٩٦).

(٦) ((السنة)) للخلال (٣/ ٥٧٩).

(٧) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (١/ ٥٠٤ – ٥٠٥).

(٩) ((الحجة في بيان المحجة)) (٢/ ٢١٧).." [١]

"– وإذا تقرر وجوب الإيمان بالوعد والوعيد، ومنه الإيمان بالجنة والنار ... فإن ما يناقض هذا الإيمان له عدة صور وأمثلة؛ فمنها: **إنكار الوعد والوعيد –** ومنه: إنكار الجنة والنار –، والقول **بأن الوعد والوعيد تخييل** للحقائق لكي ينتفع به الجمهور ... كما يقول به ملاحدة الفلاسفة. ومن صور هذا الإنكار والاستهزاء، ما يدعيه ملاحدة المتصوفة أن الجنة أو النار معان باطنة يقصد بها نعيم الأرواح أو تألمها فقط ... أو ما يزعمه بعضهم أن أهل النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة ... ، ومن صور هذا الكفر: السخرية بالوعد والوعيد والاستهزاء بهما ... إلى غير ذلك من الأمثلة (١).

فمن أمثلة هذه النواقض: **إنكار الوعد والوعيد والاستهزاء** بهما، ووجه كونه ناقضا عدة أمور منها ما يلي:

أ– أن الإيمان **بنصوص الوعد والوعيد يتضمن** الإقرار بها وتصديقها، وإجلالها وإكرامها، وهذا الإنكار يناقض هذا الإيمان، فإنكار الجنة والنار – مثلا – يناقض تصديق القلب، كما يناقض قول اللسان، والاستهزاء بنصوص الوعد الوعيد – ومنها:

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٧

نصوص الجنة والنار – يناقض هذا الإجلال والتعظيم؛ لأنه يناقض عمل القلب الذي يوجب توقير وتعظيم نصوص الوعد والوعيد.

ب- أن هذا الإنكار أو الاستهزاء **بنصوص الوعد والوعيد تكذيب** للقرآن الكريم، حيث فرض الله تعالى الإقرار بآياته، وتصديقها، وعدم اتخاذها هزوا، وأيضا فإن الله تعالى قد حكم بالكفر على من جحد آياته، كما توعده بالعذاب المهين، وأخبر تعالى بأنه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله تعالى، وأنهم لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة ...

قال تعالى: فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون [الأنعام:١٥٧].

وقال سبحانه: إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين [الأعراف:٤٠].

وقال تعالى: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين [الحج:٥٧].

وقال عز وجل: وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين [الجاثية:٩]

وقد سمى الله تعالى الاستهزاء بآياته كفرا فقال: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم [التوبة ٦٥ – ٦٦].

جـ- أن إنكار **نصوص الوعد والوعيد وصرفها** عن ظاهرها، أو الاستهزاء بها يتضمن طعنا في الأنبياء عليهم السلام، وتنقصا لهم، وأنهم ربما كذبوا لمصلحة الجمهور كما يزعم ملاحدة الفلاسفة، مع أن الأنبياء عليهم السلام صادقون مصدقون، قد بلغوا البلاغ المبين، وأقاموا الحجة على الناس، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، وأكمل الخلق علما وعملا، حيث اختصهم الله تعالى بوحيه واصطفاهم من بين سائر الناس.

وإن الطعن في الأنبياء كفر وردة عن الإسلام بل إن الطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر، وجماع الضلالات كما قرره ابن تيمية.

---

(١) انظر لتفصيل ذلك: ((الشفا)) لعياض (٢/ ١٠٦٨)، ((فتاوى ابن تيمية)) (٤/ ٣١٤)، (١٣/ ٢٧٩)، (١٤/ ١٦١)، (١٦/ ٢٤٢)، و ((الدرء)) (١/ ٨، ٩، ١٠٤)، (٥/ ٤، ٢٤١)، (١٠/ ٢٧٠)، ((الصفدية)) (١/ ٢٤٥).." (١)

"يقول ابن تيمية عن هؤلاء الفلاسفة – في هذا الشأن –: فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع بها الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين، منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون إن من الفلاسفة من علمها،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/٥

وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية، ومنهم من يقول بل الرسول علمها، لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يخبر بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ... (١).

كما يذكر ابن تيمية أن في هذا الإنكار نسبة للرسول إلى التلبيس وعدم البيان، بل إلى كتمان الحق وإضلال الخلق، بل إلى التكلم بكلام لا يعرف حقه من باطله، ولهذا كان حقيقة أمرهم الإعراض عن الكتاب والرسول ... (٢)

إضافة إلى ذلك، فإن هذا الإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد، هو تعطيل للشرائع وإبطال للأوامر والنواهي، وتلاعب بالنصوص الشرعية، وتشكيك فيها.

د- أن هذا الإنكار أو الاستهزاء مخالف للإجماع، وتكذيب له، فقد أجمعوا على **إثبات الوعد والوعيد والتصديق** به، وأجمعوا أيضا على تكفير منكره أو المستهزئ به، كما سنذكره الآن.

يقول ابن عبد البر: وأما الإقرار بالجنة والنار فواجب مجتمع عليه، ألا ترى أن ذلك مما يكتب في صدور الوصايا مع الشهادة بالتوحيد، وبالنبي صلى الله عليه وسلم (٣).

ويقول القاضي عياض: وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادعى في ذلك مصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع، كالمتفلسفين وبعض الباطنية، وغلاة المتصوفة، وأصحاب الإباحة؛ فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الإخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة، والجنة والنار، وليس منها شيء على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به (٤).

ويقول أيضا:- وكذلك من أنكر الجنة، أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة، والنار، والحشر، والنشر، والثواب، والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية، ومعان باطنة (٥).

ويقول ابن حزم: وأن البعث حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، داران مخلوقتان مخلدتان، هما ومن فيهما بلا نهاية، يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام (٦).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ٣١، ٣٢) باختصار.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ٢٤١).

(٣) ((التمهيد)) (١٢/ ١٩٠، ١٩١).

(٤) ((الشفا)) (٢/ ١٠٦٨).

(٥) ((الشفا)) (٢/ ١٠٧٧).

(٦) ((الدرة)) (ص٢٠٧).." [1]

"ويقول أيضا: وأن كل ما في القرآن من أمور الجنة من أكل وشرب وجماع، والحور العين، والولدان المخلدين، ولباس وعذاب في النار بالزقوم والحميم، والأغلال وغير ذلك فكله حق ... فمن خالف شيئا من هذا فقد خرج عن الإسلام، لخلافه القرآن والسنن والإجماع (١).

ويحكي ابن حزم الإجماع قائلا: وأن الجنة حق، وأنها دار نعيم أبدا لا تفنى، ولا يفنى أهلها بلا نهاية، وأنها أعدت للمسلمين والنبيين المتقدمين، وأتباعهم على حقيقة، كما أتوا به قبل أن ينسخ الله أديانهم بدين الإسلام.

وأن النار حق، وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا بلا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام ... (٢).

ويقول البقاعي: اعلم أنه ثبت بالدلائل العقلية والسمعية وإجماع المسلمين أن قول الله حق، وخبره صدق، ذلك واجب له لذاته سبحانه وتعالى، ومن أنكر أن خبر الله حق، أو أن وعده ووعيده صدق فهو كافر بإجماع المسلمين (٣).

ومما قاله الشوكاني في هذه المسألة: علماء الملة الإسلامية مجمعون على ذلك (يعني على إثبات المعاد الجسماني، وإثبات اللذات الجسمانية والنفسانية في الجنة ...)، لا يخالف منهم فيه مخالف، ونصوص القرآن من فاتحته إلى خاتمته مصرحة بإثبات المعاد الجسماني، وإثبات تنعم الأجسام فيه بالمطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك، أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من تلك الأنواع المذكورة فيه، وهكذا النصوص النبوية المحمدية مصرحة بذلك تصريحا يفهمه كل عاقل، بحيث لو جمع ما ورد في ذلك منها لجاء مؤلفا بسيطا (٤).

- والآن نسوق جملة من أقوال أهل العلم في تكفير منكر الوعد أو الوعيد، أو المستهزئ بهما ...

فذكر ابن نجيم كفر من أنكر الجنة أو النار أو الحساب، كما يكفر من **أنكر الوعد والوعيد** (٥).

وجاء في (الفتاوى البزازية): أو أنكر وعدا أو وعيدا يكفر، إذا كان الجزاء ثابتا بالقطع (٦).

ويقول محمد بن إسماعيل الرشيد: واعلم أن من أنكر القيامة، أو الجنة، أو النار، أو الصراط، أو الحساب، أو الصحائف المكتوبة فيها أعمال العباد كفر ... (٧).

وكفر أبو حامد الغزالي من زعم أن الجنة لذة روحية، وأن النار شقاء نفسي ... ثم قال: والذي نختاره ونقطع به أنه لا يجوز التوقف في تكفير من يعتقد شيئا من ذلك؛ لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع، والجميع كلمات القرآن من أولها إلى آخرها، فوصف الجنة والنار لم يتفق ذكره مرة واحدة أو مرتين، ولا جرى بطريق كناية أو توسع وتجوز، بل بألفاظ صريحة لا يتمارى فيها ولا يستراب (٨).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٧

وقال الشربيني: ويكفر إن أنكر الجنة، أو النار، أو الحساب، أو الثواب، أو العقاب، أو أقر بها لكن قال: المراد بها غير معانيها (٩).

ويقول ابن تيمية: وقد يقول حذاق هؤلاء من الإسماعيلية والقرامطة، وقوم يتصوفون، أو يتكلمون وهم غالية المرجئة: إن الوعيد الذي جاءت به الكتب الإلهية إنما هو تخويف للناس لتنزجر عما نهيت عنه من غير أن يكون له حقيقة ... وهؤلاء هم الكفار برسل الله وكتبه واليوم الآخر، المنكرون لأمره، ونهيه، ووعده ووعيده (١٠).

وذكر البهوتي أن ما مما يوجب الردة: السخرية بالوعد، أو الوعيد (١١). نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمد بن علي العبداللطيف —ص: ٢٣١

---

(١) ((الدرة)) (ص٢٢١) بتصرف يسير.

(٢) ((مراتب الإجماع)) (ص١٧٣)، وانظر: (ص١٧٦).

(٣) ((تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)) (ص١٥٩).

(٤) ((إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع)) (ص١٩)، مع العلم أن للشوكاني كتابا مستقلا بعنوان ((المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة)) وهو غير مطبوع. انظر: ((الشوكاني مفسرا)) لمحمد الغماري (ص٩٥).

(٥) انظر: ((البحر الرائق)) (٥/ ١٢٩، ١٣٢).

(٦) ((البحر الرائق)) (٣/ ٣٢٣).

(٧) ((تهذيب ألفاظ الكفر)) (ص٥٣)، وانظر: ((شرح الفقه الأكبر)) لملا علي قاري (ص٢٩٧).

(٨) ((فضائح الباطنية)) (ص١٥٣).

(٩) ((مغنى المحتاج)) (٤/ ١٣٦). وانظر: ((حاشيتا قليوبي وعميرة)) (٤/ ١٧٥)، و ((الإعلام)) لابن حجر الهيتمي (ص٣٥٧، ٣٧٤).

(١٠) ((مجموع الفتاوى)) (١٩/ ١٥٠).

(١١) انظر: ((كشاف القناع)) (٦/ ١٧٠).." [(١)]

"النجوى السر بين الاثنين أو الجماعة، تقول ناجيت فلانا ونجا، وهم يتناجون، ونجوت فلانا أنجوه نجوى أي أناجيه، فنجوت مشتقة من نجوت الشيء أنجوه: أي أخلصته وأفردته، والنجوة من الأرض المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله. فالنجوى المسارة (١).

وقال جماعة من المفسرين: إن النجوى كلام الجماعة المنفردة أو الاثنين سواء كان ذلك سرا أو جهرا (٢).

وقيل النجوى: الإسرار في التدبير (٣).

معنى الآية: لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال الخير (٤).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/٧

وقال القشيري: أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره، ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه، والفتوة أن يكون سعيك لغيرك، وأما المعروف فكل حسن في الشرع معروف، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله وزلفى عنده، وإعلاء التواصي بالطاعة، ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضى بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية إلى ربهم وأصلح بين الناس بصدقه في حاله، فإن لسان فعله أبلغ في الوعظ من لسان نطقه (٥).

فالله سبحانه وتعالى بين أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس إلا ما كان فيه الحث على الصدقة وفعل المعروف والإصلاح بين الناس.

٣ – قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم [التوبة: ٧١].

قال أبو السعود في قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومالا إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلا وآجلا (٦).

وقيل: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف (٧).

وأما قوله: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [التوبة: ٧١] أي يأمرون بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، وينهون عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك (٨).

فالآية تفيد أن المؤمنين جميعا من رجال ونساء ينطلقون من قاعدة واحدة، وهي أنهم يأمرون بالأمور الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وينهون عن كل ما خالف الشرع من العقائد الفاسدة والأعمال السيئة والأخلاق الرديئة، ومن هذا شأنه أولئك سيرحمهم الله [التوبة: ٧١] يدخلهم الله في رحمته ويشملهم بإحسانه (٩).

وقال الزمخشري في تفسيره: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي **تؤكد الوعد والوعيد** (١٠).

إذا فمن هذه صفته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإن الله سبحانه وتعالى يدخله في رحمته، وذلك فضل منه وتكرم وإحسان وليس من باب الوجوب فالله – سبحانه وتعالى– لا يجب عليه شيء ولو عامل عباده بعدله لم ينج منهم أحد.

---

(١) انظر: ((الصحاح)) الجوهري (٦/ ٢٥٠١، ٢٥٠٣).

(٢) ((فتح القدير)) الشوكاني (٢/ ٥١٤، ٥١٥)

(٣) ((تفسير البغوي)) (١/ ٤٧٩).

(٤) ((روح المعاني)) الألوسي (٥/ ٤٠٣).

(٥) ((لطائف الإشارات)) القشيري (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

(٦) ((تفسير أبي السعود)) (٤/ ٨٢).

(٧) ((الجامع لأحكام القرآن)) القرطبي م٣، ٤ (٤/ ٢٠٣).

(٨) ((الجامع لأحكام القرآن)) القرطبي م٣، ٤ (٤/ ٢٠٣).
(٩) ((تيسير الكريم الرحمن)) عبد الرحمن السعدي (٣/ ٢٦٤)
(١٠) ((تفسير الكشاف)) م١، ٢ (٢/ ٢٠٣).." (١)

"من يتهم أهل السنة اليوم بالإرجاء أو التكفير

كذلك يمكن أن يقاس على هذا ما يناسبه أو ما يقابله، فمن أطلق على أئمة أهل السنة وعلمائهم وطلاب العلم منهم بأنهم مكفرة فهو مرجئ، وهذا كثير في عصرنا هذا، والعكس كذلك من أطلق على بعض علماء المسلمين الذين يقولون بقول من أقوال السلف في الإيمان أو في الأحكام والأسماء بأنهم مرجئة ففي الغالب أن عنده نزعة تكفير ولا أقول: دائما، ولذلك كثر ذلك الآن عند الذين عندهم شيء من الغلو ونزعة التكفير وإن لم يكونوا خوارج، فتجدهم يطلقون على بعض أقوال أهل السنة بأنها إرجاء، ويطلقون على كثير من علمائنا المعاصرين وطلاب العلم بأنهم مرجئة، وهذه أيضا كثرت فيجب التنبه لها؛ لأن أقوال السلف في مسائل الإيمان وفي الأسماء والأحكام فيها تفاوت في الحقيقة، وبعضها قد يكون قريبا من قول المرجئة لكن لا يعني أن من قال بها فهو مرجئ، وبعضها قريب من قول المكفرة لكن لا يعني أن من قال بها فهو مكفر.

فأقوال أهل السنة والجماعة تتفاوت لكن لا تصل إلى القول بالتكفير المحض ولا القول بالإرجاء المحض ولا حتى إرجاء الفقهاء، لكن هناك توافق في بعض فتاوى السلف وأقوالهم مع بعض أقوال المرجئة، بل أقول إن كثيرا من السلف تتوافق فتاواهم مع كثير من أقوال المرجئة في مسألة الأسماء والأحكام، والعكس كذلك يوجد كثير من السلف تتوافق فتاواهم مع بعض أقوال الذين عندهم شيء من التشدد، لكن ليس من كل وجه، فهم لا يوافقونهم على لوازم الحكم، ولا يوافقونهم على أحكام المعين، إنما في الأحكام العامة.

فالسلف في تفاصيل الأسماء والأحكام ليس بينهم اتفاق، إنما اتفاقهم في أصول مسائل الإيمان وحده وحقيقته، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان، والاستثناء في الإيمان أيضا في الجملة، وإن كان بعضهم يرى أنه واجب وبعضهم يرى أنه جائز، وبعضهم يرى أنه مكروه، ومع ذلك كلهم يقولون بمشروعية الاستثناء في الإيمان، وكذلك ما يتعلق بمجملات الأسماء والأحكام، مثل حد الكافر والمنافق والفاسق والفاجر لكن عند التفاصيل وعند التطبيق على المعين، وعند بعض الأحكام التي تستنبط من النصوص بين الوعد والوعيد، نجد أن السلف منهم من يميل إلى تغليب الوعد ومنهم من يميل إلى تغليب الوعيد، ولا يخرجون إلى مذهب المرجئة ولا إلى مذهب الخوارج، فيكون هناك مسافة معينة في الخلاف بين أهل السنة، فمن لم يخرج عن نطاق هذه المسافة فلا يجوز وصفه بمرجئ ولا بمكفر.

وليت واحدا ينبري لهذه المسألة يقعد فيها حتى يسهم في إصلاح ذات البين الحاصلة الآن بين كثير من طلاب العلم من أهل السنة والجماعة، لأن الأمر إذا لم يعالج قد يصل إلى حد الفرقة، نسأل الله السلامة.." (٢)

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٣٨/٨

(٢) التعليق على شرح السنة للبربهاري - ناصر العقل، ناصر العقل ١٠/١٩

"لا طريق إلى الله إلا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومن الإيمان به: الإيمان بأنه الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، فالحلال: ما أحله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحرام: ما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والدين: ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريق إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان].

فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث مبلغا عن الله جميع ما أمر الله عز وجل به لجميع الإنس والجن، فليس لأحد أن يخرج عن تحليل وتحريم هذه الشريعة التي جاء بها؛ لأن كثيرا من أهل الزندقة والنفاق -ممن يعتقدون أن هناك طائفة لهم أن يرتكبوا المنكرات والمحرمات وأن يتركوا الواجبات- يزعم أن لهم طريقا آخر مع الله عز وجل، ويزعم أن هذا الأمر هو للعامة أي: التحليل والتحريم، وأما الخاصة فلا يلزمهم ذلك، وأن هذه العبادات والتحليلات والتحريمات إنما هي لمن لم يصل بعد، وأما من وصل فلا تلزمه والعياذ بالله، فهذا كله من الكفر الناقل عن الملة، وهؤلاء غالبا يحتجون بقصة موسى والخضر؛ فإن الخضر لم يكن ملزما باتباع شريعة موسى صلى الله عليه وسلم، وأعلمه الله بأشياء من علوم الغيب، وأن الخضر شرفه الله بوحي مباشر له، أو شريعة بلغها له نبي من الأنبياء في زمنه، فقتل الغلام، وإصلاح الجدار بلا مقابل، وخرق السفينة، لا يمكن أن يبنى عليه مع وجود شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أي حال من الأحوال، بمعنى: أنه لا يجوز لأحد أن يدعي أنه قد علم ما أخفاه الله عز وجل عن غيره من العباد، وبناء على ذلك يجوز له أن يرتكب المحرمات الظاهرة بزعم أنها في الباطن ليست حراما، أو أن هناك أسبابا تجعل هذه المحرمات له حلال، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين الله وبين خلقه.

فهذه الفرق القائلة بذلك هي فرق خارجة من الملة؛ لأنهم يقرون أن الله حرم هذا الشيء، وأوجب هذه العبادة، ثم يفترون على الله الكذب، وأنه جعلهم خارجين عن هذا التكليف، ولذا فمن أركان الإيمان: الإيمان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من يبلغ الأوامر والنواهي لنا عن الله، ويبلغنا الأخبار والوعد والوعيد، فلو أن إنسانا رأى نفسه خارجا عن هذا كان كافرا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما خلق الله تعالى للخلق ورزقه إياهم وإجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار فهذا لله وحده يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا واسطة الرسل].

فبعضهم يقولون: إن من الإيمان به الإيمان بأنه الواسطة، أي: أنه ينفع الناس ويضرهم على سبيل الشفاعة، وأنه يدعى من دون الله ويستنصر به على الأعداء، ويطلب منه الإغاثة والمدد، وهذا الكلام شرك بالله، فإن الله هو الذي خلق الخلق وهو الذي يرزقهم ويجيب دعائهم، ويهدي قلوبهم وينصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار لله وحده لا شريك له، وليس معنى وساطة الرسل الدخول في هذا، بل وساطة الرسل إنما هي في إبلاغ التحليل والتحريم، وفي تبليغ

الوعد والوعيد، والأوامر والأخبار، فالأخبار فيما يتعلق بأمور الاعتقاد كأمور الغيب، والأوامر والنواهي في التحليل والتحريم.." (١)

"ما يحاسب عليه الإنسان من الأفعال

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره).

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيت).

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وفعل نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء:١٦٥].

ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن:١٦].

وقال تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ [غافر:١٧]، فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجازى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره].

هذا المقطع هو ثمرة الكلام عن القدر، وفيه تفصيل المسألة التي أشرت إليها سابقا، وهي مسألة الدائرة التي يحاسب عليها الإنسان في أمور المقادير والأفعال، وذلك أن مقادير العباد وأفعالهم على درجتين: الدرجة الأولى: غيبية لا دخل للإنسان فيها، لا من حيث العلم بها تفصيلا وبكيفياتها، ولا من حيث الجزاء والتكليف ونحو ذلك مما يتعلق بالمكلفين.

فهذه الدرجة ينبغي أن لا يعلق بها الإنسان أفعاله لا من حيث فعل الخير والشر، ولا من حيث المصير والجزاء.

والدائرة الثانية هي محط النظر والتكليف، وهي التي ينبغي أن يتأملها الإنسان، ويتأمل نصيبه فيها، وما يجب عليه وما لا يجب أن يفعله.

أما الدائرة الأولى فهي أن الله عز وجل علم كل شيء، وكذلك أن الله كتب كل شيء، هذا أمر يجب أن يعلم ولا نتطلع إلى أكثر من العلم به جملة، فلا نتطلع إلى الكيفيات، ولا ننشئ على ذلك الأسئلة ولا الإيرادات، وليس لذلك علاقة مباشرة بتكليف العباد.

كذلك كون الله عز وجل هدى من شاء من عباده وأضل من شاء، وكون الله عز وجل كتب على كل إنسان أموره المتعلقة به من حيث عمره وأجله ورزقه وعمله على جهة التفصيل، كل ذلك يجب الإيمان به ولا نتطلع إلى أكثر من ذلك، وليعلم أن هذه الأمور لا ينبني على الإيمان بها إلا مجرد التسليم لله عز وجل، ومعرفة حكمته وعظمته وجلاله سبحانه، والاستدلال على عظيم أسمائه وصفاته وأفعاله.

وأيضا لا يتطلب من الإنسان أكثر من أن يخضع لله عز وجل ويسلم التسليم المطلق؛ لأنها أمور قدرت وانتهت من ناحية، والناحية الثانية منها محجوبة، الإنسان لا يعرف تفاصيلها أو مصير الأفراد فيها.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ١٣/١

أما الدائرة الثانية فهي التي فيها التكليف وقامت بها الحجة، وهي: أولا: كون الله عز وجل أعطى المكلفين عقولا يميزون فيها بين الخير والشر جملة، وبين الهدى والضلال جملة، وبين الحسن والقبيح جملة.
ثانيا: أن الله عز وجل أقام الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتبيين الشرائع التي فيها الأوامر والنواهي والحلال والحرام، وفيها كيف يعبد الله الإنسان، وفيها الوعد والوعيد، ثم بعد ذلك الله عز وجل حينما بين ذلك كله أقدر الإنسان على فعل الخير وأمره به، ووعده عليه وعدا حسنا، وأقدره على فعل الشر ونهاه عنه وتوعده عليه.
والدائرة الأخيرة: أن كل عاقل يدرك هذه الأمور ويعرف أنه يستطيع أن يفعل الخير، ويستطيع أن يفعل الشر، فلذلك قال الله عز وجل: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ [الإنسان:٣].
وكذلك بين الله عز وجل: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف:٢٩]، بمعنى المشيئة التي تتعلق بأفعال العباد، لا المشيئة التي تتعدى إلى أفعال الله عز وجل.
وبناء على هذا فإن الإنسان إذا فكر في هذه الدائرة تفكير المتأمل المتعظ الباحث عن الحق، فإنه لا بد أن يهتدي، لكن إذا فكر في الدائرة الأولى وهي دائرة الغيب بأكثر مما ورد في النصوص؛ فإنه في الغالب لا يصل إلى نتيجة إلا مزيدا من الشكوك والأوهام، والأمور التي قد لا يتخلص منها.
فعلى هذا فإن على المسلم أن يفرق بين الدرجتين أو بين المرحلتين، أعني بين المسألة الغيبية التي مبناها على التسليم ولا نزيد عما جاء فيها من النصوص، والدرجة الثانية وهي مناط التأمل والتفكير والتدبر، ومحاولة الوصول إلى طريق السلامة، فإنه لا محيد للإنسان، الذي يريد النجاة أن يفكر في أن الله عز وجل أرسل الرسل، فيبحث عن الحكمة في ذلك، وعن الفائدة في ذلك، وأن الله أنزل الكتب، وبين الشرائع، وأحل الحلال وحرم الحرام، وأعطى الإنسان القدرة وهداه النجدين، وأن مصيره مرتبط بإرادته في هذه الأمور وبفعله، فلذلك أي إنسان لا يستطيع أن يختار الطريق المستقيم، إما لزوال." (١)
"الاعتدال والوسطية
ومن سمات أهل السنة والجماعة الاعتدال والوسطية في كل شيء، ولذلك فإن أهل السنة والجماعة دائما في أصول الدين وسط بين طرفين: طرف أهل الغلو وطرف أهل التساهل والإعراض في سائر أمور الدين؛ في أركان الإيمان وفي أركان الإسلام وفي مسائل النظر إلى الغيبيات وفي الأحكام على العباد، وفي تطبيق الشرع والعمل به، وفي العبادات.
فمثلا: في الوعد والوعيد: هم وسط بين المرجئة الذين لا يضعون أي اعتبار للوعيد، وبين الخوارج الذين لا يضعون أي اعتبار للوعد، فالخوارج يأخذون بنصوص الوعيد على أشد محاملها، والمرجئة يأخذون بنصوص الوعد على أشد محاملها، فأهل السنة بين هذا وذاك، يؤمنون بالوعيد وأنه صدق وحق، ويؤمنون بالوعد ويردون هذا إلى هذا؛ لأن نصوص الشرع لابد أن تتكامل، لاسيما أن نصوص الوعيد كثير منها ما يقصد به الزجر، وله استثناءات، وله نصوص أخرى تفسره، فعلى هذا فأهل السنة في جميع أمور الدين الاعتقادية والقولية والعملية هم وسط، وهم منهج الاعتدال.
حتى في الأحداث المعاصرة نجد مواقف أهل الاعتدال، مثل: مشايخنا الكبار، والعلماء، والدعاة الذين استقاموا على السنة،

(١) شرح لمعة الاعتقاد - ناصر العقل، ناصر العقل ١٧/٤

نجد أن منهجهم هو منهج الاعتدال إزاء طائفتين من الأمة، طائفة الغلو الذين سلكوا مسالك التكفير والفساد في الأرض والتفجيرات، وطائفة الإعراض والتساهل الذين تميعوا في الدين وأضاعوا حقائق الدين والولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم وسط بين هذا وذاك.." (١)

"من أصول العبادة المحبة

المحبة، ومعناها أن محبة التعظيم والتقديس لا تكون إلا لله عز وجل، فالواجب على العباد أن يحبوا الله سبحانه، وتمتلئ قلوبهم بمحبة الله تعظيما وإجلالا وتقديسا وتأليها وانجذابا إلى الله عز وجل، وأن يكون الله عز وجل أحب إلى العبد من كل شيء، محبة التقديس والتعظيم والكمال.

ثم لا بد بعد ذلك من الركنين الأساسيين، وهما: الرجاء من جانب والخوف من جانب آخر، وهما لا يفترقان، بل لا بد أن تعلق كل منهما بالمحبة؛ ولذلك شبه بعض أهل العلم العبادة بالطير، فالمحبة رأسه، والرجاء جناحه الأيمن، والخوف جناحه الأيسر، ولا يمكن أن يطير الطير إلا بهذه الكيانات الثلاث، فعلى هذا لا بد أن يتعلق قلب المسلم برجاء الله، وأن يكون راجيا لله عز وجل، لا يتطرق إليه اليأس، والرجاء لا بد أن تقترن به الأسباب.

وكذلك الخوف لا بد أن يكون الإنسان خائفا من الله، فيجمع بين المحبة والرجاء والخوف، ويوازن بينها، فلا يطغى جانب على جانب، وعلى هذا فإن من لوازم المحبة والرجاء والخوف العمل بشرع الله عز وجل؛ لأن مسألة المحبة إذا لم ينبثق عنها رجاء وخوف ثم عمل؛ تصبح مجرد دعوى، والله عز وجل قال على لسان نبيه: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١]، فلا بد من الاتباع، والاتباع يجمع **بين الوعد والوعيد والخوف** والرجاء والعمل بالأحكام.

فالمسلم لا بد أن يجمع بين هذه الأصول الثلاثة: أن يكون محبا لله، ثم راجيا لثواب الله، ويعمل بالأسباب، وخائفا من عقاب الله ويدرأ هذا العقاب باجتناب النواهي، فيعمل بالأوامر رجاء فضل الله، وينتهي عن النواهي خوفا من الله، ومع ذلك كله لا بد أن يحب الله، وأن يعظم الله في المحبة، وأن يحب ما يحبه الله، ويحب من يحبهم الله.

وهذه الأمور إذا ضعف فيها جانب اختل الإيمان، وإذا فقد جانب فقد يفقد الإيمان كله، فالنقص في هذه الأصول الثلاثة أو في أحدها نقص في الإيمان، مع أنه يلزم من وجود بعضها وجود البعض الآخر، بمعنى أن من اكتملت محبته لله؛ اكتمل رجاؤه وخوفه، والعكس كذلك؛ ولذلك فإن من نقص أو اختل عنده أصل من هذه الأصول نقص إيمانه واختل إيمانه، وقد يفقد الإيمان بالكلية.

وقوله: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق)، معنى ذلك: أنه يوجد من المتفلسفة وبعض المتعبدة الجهال الذين ينتسبون للإسلام، من يزعم أنه يكفيهم التعلق القلبي بالله، وأن الإنسان إذا وصل إلى هذه الدرجة فإنه يستغني عن العمل بالشرع، ولا يعول على الرجاء ولا على الخوف، ويزعم أنه بالمحبة حقق كمال العبادة وكمال المطلوب، وهذا خلاف قطعيات النصوص، والله عز وجل طلب من عباده أن يرجوه ويخافوه، وجعل ذلك هو أصل الدين والعبادة.

وأيضا قد يترتب على هذه النزعة الاستهانة بشرع الله، فالذين زعموا أنهم يعبدون الله بالمحبة وتعلق القلوب بالله بالتقديس

---

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٢٠/١

فحسب، سواء كان هذا عن طريق التفكر، أو عن طريق الرياضة القلبية أو الرياضة العقلية، أو تحت أي شعار من الشعارات التي عليها عباد الأمم وكثير من الفلاسفة؛ كل ذلك ضلال، مهما كانت المسالك المؤدية إليه؛ لأنه لا يمكن أن تكتمل المحبة إلا بتعلق القلب برجاء الله والعمل بأسباب الرجاء، وتعلق القلب بالخوف من الله والعمل بأسباب ذلك.

فعلى هذا فإن من عبد الله بالحب وحده تزندق، لأنه وقع في الاستهتار في الدين، وأقرب عبارة في عصرنا لمفهوم التزندق: الاستهتار، وهو اللامبالاة، لا يعمل بالأوامر ولا ينتهي عن النواهي، ويزعم أنه وصل إلى درجة فوق مستوى أن يلتزم الشرع. وهناك مقولة خطيرة قال بها بعض العباد، ومن خلالها انغرست هذه المناهج الباطلة عند بعض الطرق الصوفية، وهي قول القائل: اللهم إني لا أعبدك طمعا في جنتك ولا خوفا من نارك، ونحن نعبد الله رجاء وخوفا، نعبد الله محبة له سبحانه، لكن نجمع مع ذلك رجاء الثواب والنعيم، وعلى رأس الثواب الجنة كما يلزم من محبتنا لله عز وجل الخوف من ناره ومن عقابه، نسأل الله أن يعيذنا من النار؛ فعلى هذا لا بد للمسلم أن يجمع بين هذه الأصول.." (١)

"فعجزوا عن ذلك كله، لا عشر سور ولا سورة ولا عشر آيات ولا حديث ما يطلق عليه أنه حديث، ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم ماذا؟ مع أنهم فحول اللغة، وفرسان الفصاحة، وأهل البلاغة، وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه، مع شدة معاندتهم لرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به، وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا يطيقون، فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية، والغيوب المستقبلة، والأحكام الواقعة، **ونبأ الوعد والوعيد والترغيب** والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين. أدركوا ذلك واستيقنوا ولكن العناد والمكابرة جعلتهم يرمون القرآن بما مر، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين، وعلموا أنه الحق وإنما رموه بالإثم والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك، إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢] فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قوله عز وجل: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾ [الفرقان: ٣٣].

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى:

يحفظ بالقلب وباللسان ... (... يتلى كما يسمع بالآذان

كذا بالابصار إليه ينظر ... (... وبالأيادي خطه يسطر

وكل ذي مخلوقة حقيقه ... (... دون كلام بارئ الخليقة

جلت صفات ربنا الرحمن ... (... عن وصفها بالخلق والحدثان

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٦/٦

فالصوت والألحان صوت القاري ... لكنما المتلو قول الباري

ما قاله لا يقبل التبديلا ... (... كلا ولا أصدق منه قيلا." (١)

"شرح الوصية الكبرى لابن تيمية [٤]

إن أهل الإسلام وسط بين أهل الملل الأخرى، وأهل السنة في هذه الملة وسط بين بقية الفرق، فهم في باب الأسماء والصفات وسط بين المعطلة والمشبهة، وفي باب القدر وسط بين القدرية والجبرية، وفي **باب الوعد والوعيد وسط** بين الوعيدية والمرجئة، وفي باب الصحابة وسط بين الرافضة والنواصب.." (٢)

"وسطية أهل السنة **في الوعد والوعيد والأسماء** والأحكام بين الوعيدية والمرجئة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من الإيمان، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته].

أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية والمرجئة، فكما أنهم وسط في باب الصفات بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وفي باب خلق الله وأمره وسط بين القدرية وبين الجبرية، فهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية والمرجئة.

والأسماء المراد بها هنا تسمية الإنسان كافرا أو مؤمنا أو فاسقا.

وأما الأحكام فالمراد بها الحكم على مرتكب المعاصي كالزنا، فهل يحكم عليه بأنه في النار أو في الجنة؟ والوعيدية هم الخوارج والمعتزلة، وسموا وعيدية لأنهم يقولون بوجوب إنفاذ الوعيد على الله، والخوارج والمعتزلة يرون أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يبقى معه شيء من الإيمان، فإذا زنى المسلم كفر عند الخوارج، فيخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والعاق لوالديه يكفر عند الخوارج، ومن أكل الرشوة كفر، فكل من ارتكب كبيرة فهو كافر في الدنيا، وفي الآخرة مخلد في النار، فهذا مذهب الخوارج، وهو تكفير المسلمين بالمعاصي.

وأما المعتزلة فقالوا: مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

فالزاني عند المعتزلة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر.

وإذا كان كذلك فأين يكون؟ قالوا: يكون في منزلة بين المنزلتين: بين الإيمان وبين الكفر، فهو لا مؤمن ولا كافر.

فاتفقت الطائفتان على أنه في الآخرة مخلد في النار، وأما في الدنيا فهم مختلفون، فالخوارج يقولون: خرج من الإيمان ودخل

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٣/١٢

(٢) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١/٤

في الكفر، والمعتزلة يقولون: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، بل يكون في منزلة بين المنزلتين.
والخوارج يقولون: نسميه كافرا، والمعتزلة يقولون: نسميه فاسقا فهو لا مؤمن ولا كافر، فهذا هو مذهب الوعيدية.
وقد أبطلوا النصوص التي فيها الشفاعة للعصاة وأنهم يخرجون من النار مع أنها متواترة، فأبطلوها كلها وأنكروها، وقد رد عليهم أهل السنة وبدعوهم وضللوهم؛ وبينوا أنه قد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يشفع لأهل الكبائر، وأنهم يخرجون من النار، وهؤلاء قالوا: لا توجد شفاعة، بل العاصي كالكافر مخلد في النار.
وأبطلوا النصوص التي فيها أن العصاة يخرجون من النار.
وقابلهم المرجئة فقالوا: إذا فعل الكبائر لا يتأثر إيمانه، بل هو مؤمن كامل الإيمان، وإيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، وإيمان الفاسق السكير كإيمان أبي بكر وعمر عندهم سواء بسواء.
والمرجئة طائفتان: الأولى: الغلاة، وهم الذين يقولون: إن الإيمان لا يتأثر بالمعاصي، فالمؤمن كامل الإيمان، ولا تضره معصية حتى لو ارتكب جميع نواقض الإسلام، وما دام أنه قد عرف ربه بقلبه فهو مؤمن ولو فعل جميع نواقض الإسلام، ولو سب الله أو سب الرسول وقتل الأنبياء وهدم المساجد وفعل جميع المنكرات فلا يكفر، ولا يؤثر هذا في إيمانه حتى يجهل ربه بقلبه، وهو مؤمن كامل الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة لا يعذب.
هذا هو مذهب المرجئة الغلاة ورئيسهم الجهم بن صفوان.
الطائفة الثانية: مرجئة الفقهاء، وهم طائفة من أهل السنة، وهم أبو حنيفة وأصحابه وأهل الكوفة، يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، والناس يتساوون في الإيمان، والتفاضل بينهم إنما هو في الأعمال.
فعندهم أن الناس يتساوون في الإيمان، لكن الأعمال مطلوبة، ولا يقولون كالمرجئة، بل يقولون: الأعمال مطلوبة، والعاصي يستحق الوعيد ويقام عليه الحد، وهو متوعد في الآخرة بالنار.
فعندهم أن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان، وتفاضل الناس في الأعمال لا في الإيمان.
فهؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء.
وأهل السنة وسط بين المرجئة وبين الوعيدية، فلا يقولون بقول الخوارج: إن العاصي يكفر ويخلد في النار، ولا يقولون بقول المرجئة: إن المؤمن لا تضره المعصية.
بل يقولون: إن العاصي ضعيف الإيمان، ولكنه لا يخرج من الإيمان، ولا يكفر بمعصيته إلا إذا مات على الكفر.
فالزاني ضعيف الإيمان، والمرابي ضعيف الإيمان، لكن إذا دخلا النار فإنهما لا يخلدان ما دام أن معهما شيئا من الإيمان، ولا يخلد في النار إلا الكفرة، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.
فهم يقولون: إن الزاني والسارق وشارب الخمر والعاق لوالديه وقاطع الرحم ضعيفو الإيمان، فلا يحكمون لهم بالإيمان مطلقا ولا ينفونه عنهم مطلقا، بل لابد عندهم من القيد في النفي والإثبات.
ففي الإثبات يقول أهل السنة في العاصي: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو ضعيف الإيمان، أو فاسق بكبيرته إن كان ارتكب كبيرة، وفي النفي يقولون: ليس بصادق الإيمان، وليس بمؤمن حقا، ولا تقل: ليس مؤمنا مطلقا فتوافق الخوارج.
وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فقد يعفى عنه، وقد يعذب، وقد يشفع له فلا يدخل النار.

وقد يدخل النار أهل الكبائر ولكن يعذبون على حسب ذنوبهم ويخرجون بشفاعة الشافعين، فنبينا صلى الله عليه وسلم يشفع، وسائر الأنبياء يشفعون، والملائكة تشفع، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته، فإذا خرجوا تكامل خروج عصاة الموحدين فتطبق النار على الكفرة بجميع أصنافهم، فلا يخرجون منها أبد الآباد.

هذا هو معنى قول المصنف رحمه الله: [وهم -أي: أهل السنة والجماعة- في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية -أي: الخوارج والمعتزلة- الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة].

فهم وسط بين الوعيدية وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، وإيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، ولا يوجد تفاضل بينهم.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الفساق معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الكامل الذي يستحقون به الجنة، بل يستحق الفاسق دخول النار إذا مات على البدع، أو على السرقة، أو على الخمر من غير توبة، لكن قد يعفو الله عنه، وقد يعذبه ثم يخرج إلى الجنة، بخلاف المؤمن المطيع فإنه بإيمانه يستحق دخول الجنة ابتداء.

وعندهم أن العصاة والفساق لا يخلدون في النار إذا دخلوا فيها خلافا للخوارج والمعتزلة، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وهي الحبة الصغيرة.

والمعاصي لا تقضي على الإيمان ولو كثرت، فلابد من أن يبقى شيء من الإيمان حتى ولو مات عاصيا، فلا يزول إيمانه إلا إذا وجد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر.

وأما إذا سلم الإنسان من الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الأكبر فلا بد من أن يبقى معه شيء من الإيمان ولو كثرت المعاصي، حتى إنه يخرج من النار بمثقال حبة من إيمان، وبمثقال خردلة من إيمان.

وقد ادخر النبي صلى الله عليه وسلم شفاعته لأهل الكبائر من أمته، فأهل الكبائر يشفع لهم النبي أربع مرات، ويشفع لهم بقية الأنبياء، ويشفع لهم الملائكة، ويشفع لهم المؤمنون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته.." (١)

"شبهة الملاحدة من القرامطة والإسماعيلية والنصيرية وغيرهم في دين الرسل والرد عليهم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وربما احتج بعضهم بقوله تعالى: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ [الزمر:١٦].

فيقال لهذا: التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف، فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف، لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له كما يوهم الصبي الصغير، ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين؛ لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف.

وهذا شبيه بما تقول الملاحدة المتفلسفة والقرامطة ونحوهم: من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن، وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة، وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا، إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريق].

---

(١) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/٥

يعني: هؤلاء الملاحدة الذين ينكرون العذاب ويقولون: ليس هناك عذاب ولا نار، بعضهم يحتج بقوله تعالى: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ [الزمر:١٦]، قالوا: النصوص التي فيها العذاب هي للتخويف فقط، وإلا ليس هناك نار ولا عذاب، فالمؤلف رحمه الله أجاب عليهم وقال: إن قوله: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ [الزمر:١٦] يعني: الله يخوف عباده بشيء له حقيقة؛ لأنه لا يسمى تخويفا إلا إذا كان له حقيقة، ولهذا يقول: (فيقال لهذا: التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف) وهو النار يخوف بها (يمكن وقوعه بالمخوف، فإذا لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف)؛ لأنه إذا لم يكن هناك نار فليس هناك تخويف، وإنما هو إيهام الخائفين بما لا حقيقة له كما يوهم الصبي الصغير، ويقال له: إذا فعلت كذا حصل لك كذا وكذا، وهو إيهام، ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين، إنما يحصل التخويف للصبيان الصغار الأطفال، أما العقلاء المميزون فلا يخوفون بالأشياء التي لا حقيقة لها؛ لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف.

يقول المؤلف: (وهذا شبيه بما تقول الملاحدة المتفلسفة والقرامطة) الملاحدة أقسام: ملاحدة المتفلسفة، وملاحدة القرامطة، وملاحدة الصوفية، وهؤلاء الذين يقولون: إن العذاب تخويف لا حقيقة له يشبه قول الملاحدة المتفلسفة والقرامطة الذين يقولون: الرسل يسوسون الناس، ويقولون: النبي رجل عبقري عنده ذكاء وعنده كذا ويسوس الناس، ويخبرهم أن هناك جنة ونارا وملائكة، وهذا لا حقيقة له، وإنما هي أمثال مضروبة تناسب العوام، وإلا فليس هناك جنة ولا نار، وليس هناك أمر ولا نهي ولا حلال ولا حرام عند هؤلاء الملاحدة والعياذ بالله.

ويقول بعضهم: إن هذه من سياسة النبي، وهو رجل عبقري، يسوس الناس ويخوفهم بأن هناك عذابا ونارا وجنة؛ حتى يتعايش الناس بسلام، وحتى لا يعتدي أحد على أحد، ولهذا قال بعض الملاحدة: إن النبي فيلسوف العامة، وأما الفيلسوف فهو نبي الخاصة، ولهذا قال بعضهم: أنا لا أريد النبوة، أي فهو يريد شيئا أعلى من النبوة وهي الفلسفة، ويقول: الفلسفة نبوة الخاصة، وأما النبي فهو يسوس العامة، وفرق بين سياسة الخاص وسياسة العام، فالفلاسفة جعلوا أنفسهم أعلى من الأنبياء نعوذ بالله، وكفر هؤلاء فوق كفر الذين قالوا: ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ [الأنعام:١٢٤].

فهؤلاء الملاحدة يقولون: الرسل خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن، وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة، وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له، لكن من أجل مصلحتهم في الدنيا؛ لأنه لا يمكن تقويمهم ولا إصلاحهم إلا بالكذب، ويقولون: الأنبياء كذبوا على الناس لمصلحتهم، ويقولون: هناك فرق بين من يكذب لك ومن يكذب عليك، فالأنبياء كذبوا للناس لا على الناس، كذبوا لمصلحة الناس، ولم يكذبوا عليهم؛ لأنه لو لم يكذبوا لهم لصار بينهم نزاع وقتل واختلت أمورهم، وقد يبغي بعضهم على بعض، فإذا كذبوا لهم قالوا: هناك جنة وهناك نار وهناك قصاص صلحت أحوالهم واستقاموا، هكذا يقولون! نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهذا القول مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل؛ فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك، وإذا علمو زالت محافظتهم على الأمر والنهي، كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم، فإن البارع منهم في العلم والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي، وتباح له المحظورات،

وتسقط عنه الواجبات، فتظهر أضغانهم، وتنكشف أسرارهم، ويعرف عموم الناس حقيقة دينهم الباطن؛ حتى سموهم باطنية؛ لإبطانهم خلاف ما يظهرون، فلو كان والعياذ بالله دين الرسل كذلك لكان خواصه قد عرفوه، وأظهروا باطنه، وكان عند أهل المعرفة والتحقيق من جنس دين الباطنية.

ومن المعلوم بالاضطرار أن الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا أعلم الناس بباطن الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهره، وأخبر الناس بمقاصده ومراداته، كانوا أعظم الأمة لزوما لطاعة أمره سرا وعلانية، ومحافظة على ذلك إلى الموت، وكل من كان منهم إليه أقرب، وبه أخص، وبباطنه أعلم، كـ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانا أعظمهم لزوما لطاعته سرا وعلانية، ومحافظة على أداء الواجب، واجتناب المحرم باطنا وظاهرا].

يعني: أن قول هؤلاء الملاحدة: إنه ليس هناك جنة ولا نار وإنما هو تخويف، وكذلك قول ملاحدة الفلاسفة والقرامطة: إن الرسل جاءوا بالإخبار عن الجنة والنار من باب استصلاح الناس، وإلا فليس هناك جنة ولا نار، هذا القول مع أنه معلوم الفساد بالضرورة في دين الرسل، لو كان الأمر كما يزعمون لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك، و (لو) حرف امتناع لامتناع، وهذا هو الشرط التقديري، والشرط التقديري لا يمكن حصوله، ولا يمكن القول به، مثل قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر:٦٥] والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الشرك، فهذا من باب التقدير.

والمعنى: لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء أن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما لبس على الناس لأجل مصلحتهم وليس هناك جنة ولا نار، لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون الحقيقة، وخواص الرسل هم الملازمون للرسل، فلو كان الأمر كما يقولون وأن الرسل إنما كذبوا على الناس، لكان خواصهم الملازمون لهم مثل خواص النبي صلى الله عليه وسلم كـ أبي بكر وعمر وغيرهما يعلمون الحقيقة، ويعلمون الباطن، وإذا علموا بذلك ما تعبدوا ولا عملوا أعمالا صالحة، ولفعلوا المنكرات؛ لأنهم يعلمون حقيقة من لازموه، وهذا من أبطل الباطل، فإن خواص الأنبياء هم أعظم الناس محافظة على أوامر الله وأوامر رسله وأنبيائه.

ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (لو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل يعلمون ذلك، وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي) يعني: لما امتثلوا الأمر ولا اجتنبوا النهي؛ لأنهم يعلمون الحقيقة، (كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة)، فحالهم حال سيئ؛ لأنهم يعتقدون في الباطن الإلحاد والزندقة، ولذلك لا يلتزمون بالشرائع، ومن هؤلاء الإسماعيلية والنصيرية، فهم يدعون أن الله حل في علي.

يقول: (فإن البارع منهم في العلم والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي) أي: البارع من هؤلاء الملاحدة الإسماعيلية والنصيرية لا يمتثل الأوامر ولا النواهي، وتباح له جميع المحرمات، وتسقط عنه الواجبات، وتظهر أضغانهم، وتنكشف أسرارهم، ويعرف عموم الناس حقيقة دينهم الباطن حتى سموهم باطنية؛ لأن الباطنية يقولون: ليس هناك صلاة ولا صيام ولا زكاة، ويقولون: الصلاة لها ظاهر ولها باطن؛ ظاهرها الصلوات الخمس التي يصليها المسلمون، وهؤلاء يسمونهم عامة، والباطن عندهم خمسة أسماء: علي وفاطمة وحسن وحسين ومحسن خمسه أسماء تعدها.

والصيام عندهم له باطن وله ظاهر، ظاهره صوم المسلمين شهر رمضان ويسمونهم عامة، والباطن كتمان أسرار المشايخ.

والحج عندهم له ظاهر وله باطن، الحج الظاهر هو الحج إلى بيت الله الحرام، والباطن زيارة قبور مشايخهم.

هؤلاء هم الملاحدة يقول: (فلو كان والعياذ بالله دين الرسل كذلك لكان خواصه قد عرفوه وأظهروا باطنه، وكان عند أهل المعرفة والتحقيق من جنس دين الباطنية، ومن المعلوم بالاضطرار أن الصحابة الذين لازموا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أعلم بباطن الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهره، وأخبر الناس بمقاصده ومراداته، وكانوا أعظم لزوما في طاعة أمره سرا وعلانية، ومحافظة على ذلك إلى الموت، وكل من كان منهم إليه أقرب وبه أخص وبباطنه أعلم كـ أبي بكر وعمر كانوا أعظم الناس لزوما للطاعة سرا وعلانية، ومحافظة على أداء الواجب واجتناب المحرم باطنا وظاهرا، فدل هذا على كذب ما يقوله هؤلاء وأنهم ملاحدة).." (١)

"الفرق بين الوعد والوعيد في كلام العرب

[قال الأصمعي: كنا عند أبي عمرو بن العلاء فجاء عمرو بن عبيد فقال: يا أبا عمرو! يخلف الله وعده؟ -يعني: هل يمكن أن يخلف الله وعده؟ - قال: لا، قال: أرأيت من وعده الله على عمل عقابا؟] ولم يقل: أريت من توعده، وهناك فرق بين الوعد والوعيد، فالوعد لا يخلفه الله، وأما الوعيد فتحت مشيئة الله، فإذا توعد الله عبدا على فعل بعقاب فإما أن ينفذ فيه عقابه أو يعفو عنه، ونحن نقول: إن مرتكب الكبيرة يوم القيامة إذا لم يتب ولم يقم عليه الحد؛ أنه في مشيئة الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فهناك فرق بين الوعد والوعيد، والله لا يخلف الميعاد، أي: لا يخلف الوعد؛ لأن وعده لا يتخلف، وإنما إذا أوعد أو توعد الله عبدا على فعل شر فهو في مشيئته إن شاء أوقعه به، وإن شاء عفا وأصلح سبحانه وتعالى.

فهنا عمرو بن عبيد يقول لـ أبي عمر بن العلاء: هل يمكن أن يخلف الله وعده؟ قال: مستحيل؛ لأن الله قال: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران:٩].

قال له: [أرأيت لو أن الله وعد على عمل عقابا، وهذا الكلام لا يجوز والأصل أن يقول: أرأيت لو أن الله توعد، فأتي عمرو بن عبيد من الخلط واللبس لديه بين الوعد والوعيد، ولذلك قال له: أرأيت من وعده الله على عمل عقابا أليس هو منجزه له؟ فقال له أبو عمر: يا أبا عثمان من العجمة أتيت -أي: هذا ليس من كلام العرب، وهذا في اللغة لا يستقيم- لا يعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا ثم لا تفي به، بل تعده فضلا وكرما، إنما العار أن تعد خيرا ثم لا تفي به].

يريد أن يقول له: إنه جاء في كلام العرب أن الواحد إذا وعد خيرا وفى به، ولو تخلف عن الوفاء بالخير والفضل والكرم لكان هذا عارا في حق الآدمي، فما بالك بالله عز وجل؟! ولله المثل الأعلى، ومن وعد من الخلق شرا فعفا عنه عد ذلك من الكرم، ولا يقال: إنه أخلف الوعد، وهذا كما تقول لابنك: لو لم تذاكر لأضربنك، فلو لم يذاكر ولم تضربه فلن يقول لك: يا من وعدتني وأخلفت! يا من لست قادرا على تنفيذ قولك! بل يعد هذا من كرم أبيه وسماحته، ثم هو بعد ذلك يحاول أن يجتهد في أن يفي بما يرضي والده.

[فقال عمرو بن عبيد لـ أبي عمر بن العلاء: أهذا في كلام العرب؟ -يعني: الفرق بين الوعد والوعيد، وأن الوعد لا يتخلف والوعيد يتخلف موجود في لغة العرب؟ - قال: نعم، قال: أين هو؟ قال قول الشاعر: وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/١٨

إيعادي ومنجز موعدي] فقوله: (وإني وإن أوعدته) أي: توعدته، (أو وعدته) أي: في الخير والفضل، (لمخلف إيعادي) يعني: سوف أتوعده وأخلف هذا الوعيد، (ومنجز موعدي) أي: منفذ وعدي؛ فهذا الفرق **بين الوعد والوعيد موجود** في كلام العرب، فالوعيد يتخلف أحيانا حسب المشيئة، وأما الوعد فلا يتخلف، وهذا فضل من الله وكرم.." (١)

"وجوب الإخلاص لله

الواجب على الإنسان أن يكون عبدا لله، وأن يخلص العبادة لله جل وعلا، وألا يكون قلبه وعمله مفرقا بين معبودات شتى، والله لا يقبل من العباد إلا أن يعبدوه وحده، وكل القرآن في هذا المعنى كما ذكر ابن القيم؛ لأن القرآن لا يخلو إما أن يكون في أوصاف الله حتى يدعو ذلك إلى تعظيمه وتوقيره، ويدخل في أوصافه أفعاله تعالى وتقدس، أو يكون الأمر صراحة أن نخلص له العبادة، كقوله: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ [الزمر:٢]، ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا﴾ [التوبة:٣١] في آيات كثيرة، فهذا واضح جدا، أو يكون في الأوامر والنواهي التي هي من حقوق هذا التوحيد، مثل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وفعل الخيرات كلها، وهذا كله من مكملات التوحيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله)، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، (إلا بحقها) يعني: بحق (لا إله إلا الله)، فالذي -مثلا- يمتنع عن الصلاة لم يؤد حقها، ولم يقم بحقها، وهكذا إذا امتنع من الواجبات الواجبة عليه لم يؤد حقها؛ لأنه أخل بها.

أو يكون القرآن في الجزاء وما أعد الله جل وعلا لأهل التوحيد في الجنة، وما وعدهم به من النصر والتأييد في الدنيا، أو يذكر عقاب من خالف هذا التوحيد وتركه، فيذكر عقاب من ترك التوحيد وخالفه وعقابه في الدنيا أو في الآخرة، ويدخل في هذا قصص الأمم، وقصص الأنبياء، ويدخل فيه الوعد والوعيد.

إذا القرآن كله في التوحيد كما قال ابن القيم رحمه الله، وعلى هذا التفسير إذا تأمل الإنسان كتاب الله جل وعلا وجده لا يخرج عن ذلك.." (٢)

"مخير، أي: له اختيار ومشيئة؛ فيقوم ويقعد ويتكلم بمشيئة، فهذا حق.

وإن أردت أنه مخير، أي: أن له مشيئة وقدرة لا ترتبط بمشيئة الله، فهذا باطل، قال تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أو أراد أن له الحرية المطلقة في أفعاله؛ فهو مخير بين الفعل والترك، كما يفهمه بعض الغالطين من قوله تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فإن هذا ليس تخييرا؛ بل هذا أسلوب تهديد ووعيد شديد، ولذا قال تعالى بعدها: (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها).

وهكذا قول القائل هل العبد مسير؟ نقول: إذا كنت تريد أنه مسير، أي: أنه لا اختيار له ولا مشيئة فهذا باطل، وهذا هو الجبر. وإن أردت أنه مسير، أي: أن أفعاله تسير على وفق قدر الله ومشيئته، وأنه ميسر لما خلق له، كما جاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «اعملوا فكل ميسر» (١). فهذا حق.

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٢/٦٠

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٣

والخلاصة: أن الكلمتين لم تردا في النصوص ولا يصح إطلاقهما نفيا ولا إثباتا لما فيهما من احتمال الحق والباطل (٢).

وقوله: (وبين الأمن والإياس).

دين الإسلام وسط في باب الوعد والوعيد، بين الأمن والإياس، والله قد وصف عباده وأولياءه بالخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ [السجدة: ١٦] فالوسطية ما دلت عليه هذه

---

(١) تقدم تخريجه في ص ١٦٣.

(٢) انظر ص ١٦٥.." [1]

"موقف السلف من ابن مسرة (٣١٩ هـ)

بيان زندقته:

- جاء في تاريخ ابن الفرضي: اتهم بالزندقة فخرج فارا وتردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح (١) مذهبه، فانقبض من كان له إدراك وعلم وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته، وكان يقول بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد ويحرف التأويل في كثير من القرآن ... وقال عنه ابن حارث: الناس في ابن مسرة فرقتان: فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه **في الوعد والوعيد وبخروجه** عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم. (٢)

" التعليق:

ما ذكره ابن الفرضي، يدل على محاربة الأندلس للباطنية الزنادقة الذين يعيثون في الأرض فسادا، وهكذا ينبغي أن يكون العلماء في كل زمان ومكان، وقول ابن الحارث: إن أهل الأندلس كانوا على مذهب التسليم والتقليد، فيقصد بذلك أنهم كانوا على مذهب السلف، وما طرأ من ذلك

---

(١) في المطبوع: فتح، وهو تصحيف.

(٢) تاريخ ابن الفرضي (٢/ ٤١ - ٤٢).." [2]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٤١٦

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧٢/٥

"تعظيمه، ولقد كان رفضه ما لا ينفعه في الآخرة والأولى واشتغاله بأحكام الشريعة أحرى وأولى. (١)

التعليق:

انظر رحمك الله إلى هذا الإمام كيف صور حالة المبتدع الأخلاقية والنفسية، وما ثمن العلم الذي يحمله وما ثمن العلم الذي يجهله. علم يقود إلى الشرك والعياذ بالله، وجهل بالضروريات من أمور الدين. ومع هذه الفضائح، صاحبه يفتخر به على الأقران وكان الأولى به الخجل والتحسر والندم. وعلم لو مضى فيه قليلا من العمر لنور الله بصيرته فعرف به ربه ودينه والله المستعان.

– قال أبو بكر: ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه؛ لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين، تعالى عن مقالات الملحدين، والإخبار عن صفات الجنة والنار، وما أعد الله تعالى فيهما للمتقين والفجار، وما خلق الله في الأرضين والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات، وذكر الملائكة المقربين، ونعت الصافين والمسبحين. وفي الحديث قصص الأنبياء، وأخبار الزهاد والأولياء، ومواعظ البلغاء، وكلام الفقهاء، وسير ملوك العرب

---

(١) شرف أصحاب الحديث (٣ – ٥).." (١)

"– وقال: وأما من جزم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة؛ فهذا لا نعرفه قولا لأحد. وبعده قول من يقول: ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لا حقيقة له، وهذا من أقوال الملاحدة والكفار. وربما احتج بعضهم بقوله: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ (١) فيقال لهذا: التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف، فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه امتنع التخويف، لكن يكون حاصله إيهام الخائفين بما لا حقيقة له، كما توهم الصبي الصغير. ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخوف للعقلاء المميزين، لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف، وهذا شبيه بما تقول "الملاحدة" المتفلسفة والقرامطة ونحوهم: من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم خاطبوا الناس بإظهار أمور **من الوعد والوعيد لا** حقيقة لها في الباطن، وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة، وما أظهروه لهم **من الوعد والوعيد وإن** كان لا حقيقة له، فإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا، إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة. و"هذا القول" مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل؛ فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك، وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي، كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم، فإن البارع منهم في العلم والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي، وتباح له المحظورات، وتسقط عنه الواجبات، فتظهر أضغانهم، فتنكشف

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٠٥/٦

(١) الزمر الآية (١٦).." [١]

"رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار)

وأقول وبالله المستعان:

أولا: قد جاءت الأخبار كتابا وسنة بأبدية النار وعذابها كما تقدم فلا داعي لإعادة وما تشبث به ابن القيم رحمه الله في خلاف ذلك مردود بل باطل كما يأتي شرحه من المؤلف رحمه الله تعالى

ثانيا: ما ذكره: أن مذهب أهل السنة كلهم جواز إخلاف الله لوعيده لا أعلمه بهذا الإطلاق وقد بحث شيخ الإسلام الخلاف المعروف ين المرجئة والمعتزلة في الوعد والوعيد في مناسبات شتى فلم يذكر هذا (١) بل صرح بخلافه في بعض المواطن فإنه بعد أن ذكر حديث الشفاعة وغيره في دخول بعض الموحدين النار وخروجهم منها قال: (١٦ / ١٩٦) :

(وفيه رد على من يقول: (يجوز أن لا يدخل الله من أهل التوحيد أحدا النار) كما يقوله طائفة من المرجئة والشيعة ...)

فإذا لم يجز هذا الإخلاف في حق الموحدين فكيف يجوز الإخلاف الأكبر الذي هو في حق المشركين؟

ثالثا: (ولم يقل في موضع واحد: لا يخلف وعيده)

فأقول: قد فاته - عفا الله عنا وعنه - قوله تعالى في (ق: ٢٧ - ٢٩) ﴿قال قرينة ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد. قال لا تختصموا لذي وقد قدمت إليكم بالوعيد. ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقبه (١٤ / ٤٩٨) :

(وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضا وأن وعيده لا يبدل وهذا مما

(١) انظر (فهرس مجموع الفتاوى) (أحكام عصاة الموحدين - الوعد والعيد) (١ / ١٣٧ - ١٣٨)." [٢]

"وبعد فإنه لا أحد أبي القول بأنه مأمور منهي في وقته من غير مجيء أمر في هذا الوقت وكذلك الوعد والوعيد فيصير بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو للحال مأمورا منهيا ما ينكر أن يكون للحال كائنا بالتكوين في الأزل وكذلك الله سبحانه يوصف بكل كائن أنه عالم به كائنا وإن كان يوصف من قبل بعلمه والكون والحدث كله على الكائن دونه وبالله التوفيق

على أن معنى التكوين وإن كان لا يبلغه فهم البشر لأمكن الأداء بأيسر قول يحتمله من القول ب كن كل شيء على ما علم أنه يكون فيكون به مكونا كل شيء على ما عليه كونه في وقت كونه من غير تكرار وفيه يدخل الأمر كله والنهى والوعد والوعيد ويصير إخبارا عن كائن وعما يكون على اختلاف أحوال الكائنات بأوقاتها وأمكنتها أبدا لكن وسع الخلق

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧١/٨

(٢) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار عبد الرزاق الصنعاني ص/٤٣

لا يحتمل درك التكوين الذي لا يشغل ولا يتعب ولا قوة إلا بالله

وهذا باب لو استقصى فيه لشغل عن بلوغ النهاية عن المقصود ونرجو أن يكون فيما أشرنا إليه مقنع لذى اللب والفهم

مسألة

آراء الكعبي في صفات الذات وصفات الفعل والرد عليها

ونذكر بعض ما ذكر الكعبي لتعلموا مبلغه في معرفة الله والعلم به فيكون في ذلك الإحاطة بمبلغ مذهب الإعتزال إذ هو عندهم إمام أهل الأرض ولا قوة إلا بالله." (١)

"اليوم السابع فيه التمام والعلو إذ خلق لهم كل شيء وهم لعبادة الله ولحق بهم الجن بقوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ لكن المقصود البشر إذ تسخير ما ذكرت كله لهم ثم بما يرجع إلى منافعهم والله الموفق

قال أبو منصور رحمه الله وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشباه فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وثبت ذلك في العقل ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا وإحتماله أيضا ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق ونؤمن بما اراد الله به وكذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك يجب نفى الشبه عنه والإيمان بما أراده من غير تحقيق على شيء دون شيء والله الموفق

الأصل في هذا أن الأمر يضيق على السامع بما يقدره من المفهوم عن الخلق في الوجود وإذ لزم القول في الله بالتعالى عن الأشباه ذاتا وفعلا لم يجز أن يفهم من الإضافة إليه المفهوم من غيره في الوجود مع ما كان الوقوف على المعنى يصرف إليه الكلام في الخلق بما هو علمه به قبل سمع ذلك الكلام والله سبحانه عرف قبل سمع ذلك الكلام على غير الذي عرف عليه الخلق لم يجز صرف التأويل إلى ما فهمه من الخلق إذ سببه العلم المتقدم منه على إحتمال ذلك المعنى معنى قد يفهم من الشاهد من على ومن العرش ومن الإستواء معان مختلفة لم يجز صرف ذلك إلى أوحش وجه وثمة لأحسن ذلك مساغ مع ما كان الله يمتحن بالوقوف في أشياء كما جاء من نعوت الوعد والوعيد وما." (٢)

"يكن له تركه ولاغير الذي فعله إذ غيره يحط رتبته ويسفهه فثبت بما فعل النفع وهو غيره عندهم وهذه صفة الحاجة في عرف العقول ولا قوة إلا بالله

ثم القول بالأمر والنهى والترغيب والترهيب مع ما يقدم منه الكافي من ذلك الذي ذكره الحسين أن الله خلق خلقا مذللا بالتأديب عارفا بالنفع والضر مستدلا بالذي شهد من الحجة على الذي غاب لم يجز أن لا يفرض المعرفة ولا يحضر عليه الجهل فيكون فيه إباحة الكذب وكل ذميم مع ما كان لمن خلقه نعم عليه في الخلقة وشكر النعمة لازم في العقل فاستداه ثم الوعد والوعيد في الترغيب بتعظيمه والترحيب عن الإستخفاف به ثم إذ كرمه بفنون كل الكرم فعلى ذلك ثوابه لا أمد

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/٤٩

(٢) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/٧٤

له وإذ كان الكفر غاية في العصيان فكذلك عقوبته وأيضا أن الإيمان تصديق بما لا نهاية له ولا نفاذ والكفر تكذيب بما لا نهاية له ولا نفاذ فعلى ذلك جزاؤهما ولهذا يجوز العفو عما دون الكفر لأنه ليس بجحد لما لا نهاية له ولا قوة إلا بالله

قال أبو منصور رحمه الله ودليل الأمر عندنا والنهى معرفة الآمر والناهي إذ خص الله البشر من بين البهائم في تعرف ذلك لم يحتمل إهمالهم عن ذلك كما لا يحتمل شيء مما فيه النفع إهماله عنه وبما في العقل حسن كل حسن وقبح كل قبيح ثم في الفعل يقبح فعل القبيح ويحسن فعل الحسن فلزم الأمر والنهى لما كان ما به الأمر والنهى ولأن الله خلق خلقا يدل على وحدانيته وحكمته فلم يجز إخلاء الخلق عن معرفة ذلك فيصير خلقه عبثا ولما في رفع الكلفة زوال الخلقة إذ حصلت للفناء وكل بان شيئا للنقض لا غير فهو عابث غير حكيم **ثم الوعد والوعيد للترغيب** والترهيب إذ لولا ذلك يذهب نفع الإئتمار وضرر العصيان ولم يكن لمن خلق في فعلهم نفع فإذا لم يكن للمؤتمر نفع ولا للعاصي ضرر يبطل معنى الأمر والنهى إذ ليس لنفع الآمر والناهي فلذلك **لزم الوعد والوعيد في** الحكمة مع ما في الأمر والنهى." (١)

"مجاهدة النفس وحملها على ما يكرهه الطبع والذي يكرهه تنفر عنه النفس فلا يجد الممتحن على قهره وصرفه إلى ما يريده ويؤمر به سبيلا إلا **إحضار الوعد والوعيد حتى** إذا رأى ذلك سهل عليه ترك الملاذ وهان عليه تحمل المؤن العظام وبعد فإن البشر خلق خلقا قبح عليه فعل الذي لا يقصده به نفع العواقب أو لاتتقي به ضرر العواقب فلا بد أن يجعل لأعماله ذلك وذلك **حق الوعد والوعيد ولولا** ذلك لكان يستوى عواقب العدو والولي وعلى ما تفاوتا هما بحيث الإختيار والإيثار يجب تفاوت عواقبهما وبالله التوفيق

وقد أمكن أن نجعل الثواب كله فضلا إذ قد سبق من الله من النعم ما استحق الشكر عليه بعامة ما احتمل الوسع فيكون الثواب فضلا من الله ثم كذلك المضاعفة في ذلك كقوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ فذكر في السيئة ما توجبه الحكمة من الجزاء وضاعف في الثواب على ما تحتمله الأفضال إذ ذلك أصله ولا قوة إلا بالله

فهذا فيما احتمله عقولنا مما يلزم الأمر والنهى ومع ما كان فيما جاء بهما الرسل عن الله دليل كاف يلزم القول بعظم الحكمة لهما لو قصرت عقولنا عن الوقوف على ذلك مع ما في العقل إذا ترك استعماله كسائر الجوارح لم يحتمل تعطيلها عن المنافع التي هي سببها فمثله العقل مع ما كان الذي ذكرت في سائر الجوارح هو حق الفعل أيضا وإشارته ولا قوة إلا بالله." (٢)

"ووضع كل شيء موضعه وأن الله تعالى إذ لم يخلق لحاجات نفسه وإنما خلق بذاته إنه خالق ليكون الخلق الذي ركب فيهم العقول وجعلهم أهل المعرفة بالنعم والبلايا يمتحنون بوضع كل شيء موضعه والقيام بالشكر لما أنعم عليهم بأن جعل لهم جميع الخلائق على اختلاف جواهرهم أدله وعبرا ومحنة وإبتلاء بمعاداه جواهر وموالاة أخرى وليعرفوا كيفية الإتقاء ووجه الحذر وما فيه الرعب ووجوه المبادرة في ذلك للعواقب المحمودة في العقول وإبقاء لمكروهة فيها بما عاينوا من مختلف الجواهر والأحوال في حق الترغيب والترحيب **ليكون الوعد والوعيد مقدرا** عن الحس والعيان إذ ذلك طريق المعارف وبه

---

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/١٠٠

(٢) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/١٠١

يوصل إلى درك النهايات ولا قوة إلا بالله

ولو جاز إنكار الشيء لا من شيء بما لا يتصور في الوهم لجاز لكل مؤوف الحاسة إنكار ما يدرك بها إذ هو غير مدرك إنكار كل غائب لم يبلغه الحاسة وفي ذلك نفض المجوسية وغيرهم إذ هم جميعا اتبعوا أوائلهم ثم التصور في الوهم تقديره مما تقع عليه الحاسة إذا ارتفعت فتصور حال وقوع الحاسة في وهمه أو يقدر مثله في الوهم ثم الله سبحانه لم يعرف من طريق الحواس ولا له مثال في المعروف بطل التقدير به ثم الأصل أن التصور في الوهم هو علم الحس أو في علم الحس دليل لزوم العلم بما لم يحس ولأن يعرف إذ كل ذي حس جاهل بمائية الحس وكيفيته فلزم ذلك في كل حس هو كذلك." (١)

"ثم من أنكر الأمر والنهي والوعد والوعيد لم يحصل لإنشاء حكمة وإنما حصل منه على الإنشاء ثم الإفناء ثم معلوم أن كل من ذلك عاقبة فعله ليس بحكيم فدلت حكمة صانع العالم بما جعل فيه من الأدلة على وحدانيته وعظيم سلطانه على أنه حكيم والله الموفق

مع ما كان الله سبحانه إذ هو غنى بذاته حكيم في فعله خلق الخلق للبقاء إلى قدرة جعلها لهم ثم لم يجعل البقاء إلا بالأغذية وقد حبب إليهم البقاء ودوام الحياة فلو لم يجعل عليهم الأمر والنهي لبادر كل إلى ما يطمع فيه من البقاء ودوام الحياة مع ما له فيه من اللذة والشهوة ثم يفعل أقرانه بذلك الشيء نحو فعله فيحدث بينهم التنازع والتجاذب ويحملهم ذلك على التدافع وفي ذلك خوف الفناء بما به جعل البقاء فلزم جعل الحرمات والحل والأمر والنهي بما فيه **من الوعد والوعيد ليعلم** كل ما له مما ليس له فيسلم من كل عداوة وتبقى له روحه ومن أنكر الأمر والنهي والمحنة ذهب إلى معنى المحنة في الشاهد إنما هو لظهور ما خفى وتجلى ما استتر والأمر والنهي لمنفعه ينالها الآمر والناهي أو مكروه يدفعه فإذا كان الله غنيا بذاته عليما بالسرائر والخفيات ذهب معنى المحنة والأمر والنهي

قال الفقيه رحمه الله نقول وبالله التوفيق إن كان أمره ونهيه ومحنته على ما يذكر فإن فعله لذلك لمكروه يدفع أو محبوب يجلب أو عيب عنه يتخلى والله سبحانه أنشأ العالم لا للذي يذكر فمثله الأمر والنهي والمحنة مع ما كان ذلك التقدير إنما هو فعل المحتاجين مما يعلو درجاتهم وتجل أقدارهم ولو فعلوا غير ذلك كان عليهم في فعل ذلك ضرر عاجل وشر آجل فأما من هو حكيم بذاته غنى فهو لا يفعل لنفع ولا لدفع الضرر فمثله الأمر والنهي مع ما." (٢)

"بينا من إختلاف الممتحنين في الغنا والحكمة لم يجز تقدير أحدهما بالآخر ولا يحتمل حكيم يفعل الشر لحكمه الربوبية فتكلفه الذي ذكر خطأ

وبعد فإنه إذ جعل الخلق قسمين ضارا ونافعا وجعل كل جوهر محتملا للألم واللذة لم يحتمل أن يجعلهم كذلك إلا لعواقب يحذرهم بها ويرغبهم فيها من الوعيد بالشدائد والوعد بالملاذ وبذلك تتم الرغبة والرهبة والله الموفق

وبعد فإذ خلق الخلق وجعل البعض منافعا لبعض وإن لم يكن له في ذلك نفع لغناه وكذلك المضار فمثله يأمر وينهى بمنافع بعض ببعض وإتقاء المضار مع ما يأمر بما ينفعهم كما خلقهم وجعل لهم ذلك وينهى عما يضرهم والله الموفق

---

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/١٧٥

(٢) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/١٧٧

وأيضا إن في الحكمة الأمر والنهى إن الله خلق البشر في أحسن تقويم وسخر لهم جميع ما على وجه الأرض وبركاتها وبركات السماء من غير أن سبق منهم ما خرج ذلك مخرج المكافأة أو مخرج حق قضاه فلا يجوز في العقل إسداء مثل هذه النعم إلى ما لا يعرفها لما فيه تضييع وظلم النعم فلزمهم به معرفة المنعم ليعلموا من يستحق المحبة ويستوجب الشكر وفي ذلك لزوم المحنة ووصل **بذلك الوعد والوعيد ليتم** الرغبة والرهبة وبالله التوفيق

وبعد فإنه قد حسن في العقول الصدق والعدل وقبح فيها الجور والكذب فجعل الفريق الأول عظيما في القلوب كريما والثاني حقيرا مهينا فيصير العقول آمرة بكسب ما يعلى شرف من رزق منها وناهية عما فيه هو أن صاحبها فيجب الأمر والنهى بضرورة العقل ثم الثواب ليتم الكرامة لمن اختار سبلها والقيام بوفائها والعقاب لمن آثر هواه على إشارة العقل." (١)

"فلو جاز صرف مثله مما طريق العلم به الحس وإبطاله نحو العلم لجميع العالم مثله وذلك مهجور فمثله قول أهل الجبر وهذا قول يغنى الحكاية عن الإطناب فيه لما ليس له كثير اتباع ولما ليس لهذا القول معنى تكلم عليه صاحبه إذ هو ينفى عن نفسه حقيقة كل قول وفعل وإذا انتفى بطل القول وبه يناظر ويحاج فزال الذي به يكون الحجاج واضمحل

ومن الناس من عارضهم عند ظنهم وقوع التشابه بالعلم والوجود والكون وغير ذلك وذلك لازم لو كان ثمة عقل يحتمل الإدراك ولكنهم قوم أنكروا علم الضروريات وما هو في حد العيان فلا معنى لمناظرتهم ولا قوة إلا بالله

ومنهم من حقق الأفعال للخلق ونفى عنهم التدبير فيها وأزال عنهم قدرة خلقها وصير مشيئتهم فيها كبعض ما تتمنى به الأنفس أن يكون حقائق الأشياء خارجة منها واحتجوا في ذلك بالأمر والنهى **ثم الوعد والوعيد ومحال** رجوع مثله إلى ما للآمر والناهي حقيقته أو عليه وعنده وله وعده على ما ذكرنا وتلوا ذلك آيات الأمر والنهى وذكر العقل ثم آيات الجزاء وهي بينه بحمد الله لمن قرأ القرآن ثم هو قد سوعد على ذلك بما بينا في فساد قول المجبرة وقالوا في الإضافة إلى الله إنها تخرج على وجهين سوى حقيقة الفعل أحدهما بالسبب الذي كان منهم الأفعال مع الأمر بالخيرات والتخلية في الشرور وقد تضاف الأفعال إلى من له الأسباب وإن لم يكن حقيقتها له ولا قوة إلا بالله والثاني أن الأضافة إليه عند المحنة بما له بها حال التصديق والتكذيب كما أضيف إلى القرآن زادهم إيمانا ورجسا وإلى الدعاء أنه زادهم نفورا وإلى القوم أن أنسوهم ذكر الله وإلى الأصنام أن أهلكن كثيرا من الناس بما عبدوا كانت أفعال." (٢)

"هو الذي هو مختار فيه حتى يذكر معه الجهات فمثله في الخلق والتعذيب وغير ذلك ولا قوة إلا بالله

واحتج بالوعد والوعيد بذلك وإذ ثبت الأمر والنهى وبان إغفاله في تقديره وظهر تمويهه فكذلك **شأن الوعد والوعيد ولا** قوة إلا بالله

ثم زعم الكعبي أنه محال أن يكون ذلك في الحقيقة فعلا لي خلقا لله

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهذا لجهله للمحال وقد بينا بعض ذلك ثم زعم أن ذا يوجب الشركة المعقولة إذ محال إنفراد كل بجزء وإن وإن كان لا يتجزى ثم عارض نفسه بقول الخصم أن ذلك يوجب فيما كانت الجهة واحدة فأما فيما اختلفت

---

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/١٧٨

(٢) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/٢٢٧

فلا يعارض بملك ورث بعضه واشترى بعضه ثم عورض بملك لي ولعبد لي فأطنب في جواب ذلك
ونحن نقول وبالله التوفيق من تأمل الذي ذكر وله أدنى فهم ولا يكابر عقله علم سفهه وإن شاء استدل بالذي قدم من الميراث ليعلم جهله بالشركة الحاضرة فيكون ذلك عذرا في الجهل بما كان طريقه الإستدلال إذ خفى عليه حق العيان لكن هذا سؤال لم يزل المعتزلة تظن أن ذلك يوجب ذلك وإن كانوا لا يستحقون الجواب في ذلك فإنا ننزع به عليهم فإنهم قصدوا بالقول قول من يقول خلق الشيء هو ذلك ولا يوجد شيء واحد لاثنين في الشاهد لكل كله ولهذا الوجه أنكر أن يكون فعل واحد لاثنين فإذا لم يوجد له مثال يعلم أنه يوجب الإشتراك أو لا فقولهم يوجب ظن وخيال ثم الأصل أن الفعل نفسه يجعلونه لله ملكا وكذلك للعبد وكذلك كل ملك لأحد فهو لله ملك وللعبد كذلك ولم يوجب ذلك شركا بينهما في ملك الأفعال والأعيان فكيف فيما نحن فيه شركاء ثم يضاف إلى الله الإطعام والكسوة والرزق وذلك بعينه يضاف إلى الخلق ولا يوجب شركا فمثله الذي نحن فيه مع ما بينا جهات الفعل بم لم يقل الفعل نفسه من تلك الجهات مشترك إذ كل جهة تحيط بالكل." (١)

"الصحابة ذم القدرية والمرجئة والخوارج المارقة وقد ذكرهم على رضى الله عنه في خطبته المعروفة بالزهراء وبرىء فيها من اهل الاديموات وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم عليه السلام لم يرد بالفرق المذمومة التي أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على اصول الدين لان المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين أحدهما قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون والثاني قول من يرى في كل فرع تصويب واحد من المتخلفين فيه وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطىء فيه وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في ابواب العدل والتوحيد أو **في الوعد والوعيد أو** في بابى القدر والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر أو في باب الهداية والضلالة أو في باب الإرادة والمشيئة أو في باب الروية والإدراك أو في باب صفات." (٢)

"عز وجل في نفوسهم الإيمان كما قال تعالى ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ فهؤلاء آمنوا به عليه السلام بلا تكليف

(قال أبو محمد) ويلزم أهل هذه المقالة أن جميع أهل الأرض كفار لا ألأقل وقد قال بعضهم أنهم مستدلون

(قال أبو محمد) وهذه مجاهرة هو يدري أنه فيها كاذب وكل من سمعه يدري أنه فيها كاذب لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدري ما معنى الاستدلال فكيف أن يستعمله

(قال أبو محمد) ويلزم من قال بهذه المقالة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدري أنه مستدل وأن لا يطأ إلا زوجة يدري أنها مستدلة ويلزم أن يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التي تزوج في تلك المدة وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أمه إلا أن يكونوا مستدلين وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل

---

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي ص/٢٤٠

(٢) الفرق بين الفرق عَبْد القَاهر البَغْدادي ص/٦

المغيرية المنصورة في ذبح كل من أمكنهم وقتله وأن يستحلوا أموال أهل الأرض بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لأن جهاد الكفار فرض وهذا كله أن التزموا طرد أصولهم وكفروا أنفسهم وأن لم يقولوا بذلك تناقضوا وفصح أن كل من اعتقد الإسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن أهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول أو نشأة أو عن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضا فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في أقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم فلا بد من إقرارهم بأن مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وأنتم عندهم أيضا مخطئون فإن قالوا إن الأدلة امتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فإنهم يدعون أن أدلتهم على صواب قولهم وخطأ قولكم ولا فرق ما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا فما نراكم حصلتم من استدلا لكم إلا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق فإن قالوا لنا فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطئ وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطئ وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذي قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل أو لم يستدل ومن يسر للباطن الذي قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطئ أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذي قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الوعد والوعيد

(قال أبو محمد) اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال." [1]

"من سرق خمسة دراهم أو قيمتها فهو فاسق منسلخ من الإسلام مخلد أبدا في النيران إلا أن يتوب وقال بشر بن المعتمر أن من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا إثم عليه ولا وعيد فإن سرق عشرة دراهم خرج عن الإسلام ووجب عليه الخلود إلا أن يتوب وقال النظام إن سرق مأتي درهم غير حبة فلا إثم عليه ولا وعيد وإن سرق مأتي درهم خرج عن الإسلام ولزمه الخلود إلا أن يتوب وقال أبو بكر أحمد بن علي بن أحور بن الأخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم إليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبد الله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المذكور أحد قواد الفراعنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول أحمد المذكور أن من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا أبدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه إلا أنه ندم أثر فعله له فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب أبدا وهكذا أبدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره

(قال أبو محمد) هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعي أن القول بإنفاذ الوعد والوعيد وما على أديم الأرض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ أبي الهذيل أن الحجة لا تقوم في الأخبار إلا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا وقال صالح تلميذ النظام أن من رأى رؤيا أنه

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٣٦/٤

بالهند أو أنه قتل أو أنه أي شيء رأى فإنه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سبع وقال النظام الألوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا تعرف الأجسام بالأخبار أصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئي إنسانا أو غير إنسان فإن الناظر إليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسم فإن المخبر أيضا أخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا أبدا

(قال أبو محمد) وهذه قصة لولا أننا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتبهم عنه ما عرفناه على ذي مسكة من عقل فألزمه خصومه على هذا أن قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام في نار جهنم وأن قطعا من فرعون وإبليس وأبي لهب وأبي جهل في الجنة وكان يزعم أنه لا سكون في شيء من العالم أصلا وأن كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك وكان معمر يزعم أنه لا حركة في شيء من العالم وإن كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول أن الأمة إذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ إلى إمام يسوسها ويدبرها وإن عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الإمام وكان أبو الهذيل يقول أن الإنسان لا يفعل شيئا في حال استطاعته وإنما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فألزمه خصومه أن الإنسان إنما يفعل إذا لم يكن مستطيعا وأما إذا كان مستطيعا فلا وإن الميت يفعل كل فعل في العالم

(قال أبو محمد) وحماقاتهم أكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئة

(قال أبو محمد) غلاة المرجئية طائفتان أحدهما الطائفة القائلة بأن الإيمان قول باللسان وإن." (١)

"تكفير أبي الهذيل وكذا الجبائي وذكرا في تصنيفهما أن قوله يؤدي إلى قول الدهرية

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء قال وإذا دخل ذلك الوقت فنى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده إلى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى أن يوصل تلك الثمرة إلى يده ولا على أن يقدر العبد على أن يوصل يده إليها وأهل الجنة كلهم يبقون همودا جمودا ساكنين لا يقدرون على حركة ولا على نطق وينقطع عذاب أهل النار في ذلك الوقت وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ويهدم **فائدة الوعد والوعيد ولئن** قصد بعض أصحابه أن يستر عليه هذه الفضيحة ويخفي هذه البدعة لم يمكنه لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب الحجج وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقها بهذه المقالة إلى تمهيد الحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بإرتكابهم هذه البدعة

ومن فضائحه قوله بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال ليس في الدنيا زنديق ولا دهري إلا وهو قطب الله تعالى في كثير من الأشياء ولم يكن له قصد التقرب إلى الله عز وجل لأنه لا يعذبه

ومن فضائحه بأن علم الباري هو هو وقدرته هي هو ولو كان كما قاله لم يكن عالما ولا قادرا ولكن علمه قدرته وقدرته

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٤/١٥٤

علمه وكان لا يتحقق الفرق بينهما اذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة

ومن فضائحه قوله في أن كلام الله تعالى ما هو إلا عرض لا في محل ولو جاز هذا لجاز أن يكون سائر الاعراض لا في محل ولكن مالا محل له لا يكون متكلما به لا هو ولا غيره ولا يمكنه أن يقول إن فاعل الكلام هو المتكلم به لأن كلام أهل الجنة وأهل النار وجميع أفعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة فلا يمكنه أن يقول أنه." (١)

"الجماعة والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة

ومنه قوله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء فتبين أن الذين فارقوا دينهم أو فرقوا دينهم هم ليسوا على طريق الحق، وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم كما وصفناه من اختلافهم فبان به أنهم مفارقون للدين وأهل السنة والجماعة متمسكون به بعروة الإسلام وحبل الدين مجتمعون في أصولهم غير متفرقين فكانوا هم أهل النجاة دون من خالفهم في هذه الصفة

الفصل الثالث من فصول المفاخر لأهل الإسلام وبيان فضائل أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم

اعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الإجتهادات إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى والسهم الأوفر

أما العلوم فأولها الرقي في مدارج الفضل والأدب هو ترجمان جميع العلوم ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدنيا والآخرة إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفة الأدب وجملة الأئمة في النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام كانوا من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث والرأي ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض

١٨٨

- والخوارج والقدرية مثل أبي عمرو بن العلاء الذي قال له عمرو بن عبيد القدري قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد والله تعالى يصدق وعده ووعيده فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فقال أبو عمرو فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا وعد عفا وإذا وعد وفى وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال

(وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي)

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد وبعد من بدعهم بعيد مثل الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش والزجاج والمبرد وأبي حاتم." (٢)

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين الأسْفَرايِيني، أبو المظفر ص/٧٠

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين الأسْفَرايِيني، أبو المظفر ص/١٨٧

"والخوارج والقدرية مثل أبي عمرو بن العلاء الذي قال له عمرو بن عبيد القدري قد ورد من الله **تعالى الوعد والوعيد والله** تعالى يصدق وعده ووعيده فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فقال أبو عمرو فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا أوعد عفا وإذا وعد وفى وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال

(وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي)

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد وبعد من بدعهم بعيد مثل الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش والزجاج والمبرد وأبي حاتم." (١)

"بعض العقلاء: كل ما هو معقول، ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال؛ فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع.

وأما التوحيد فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وقال أهل العدل: إن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله؛ لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد.

وأما العدل فعلى مذهب أهل السنة أن الله تعالى عدل في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في ملكه وملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فالعدل: وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده، فلا يتصور منه جور في الحكم وظلم في التصرف، وعلى مذهب أهل الاعتزال: العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة؛ وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

وأما الوعد والوعيد فقد قال أهل **السنة: الوعد والوعيد كلامه** الأزلي، وعد على ما أمر، وأوعد على ما نهى، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل.

وقال أهل العدل: لا كلام في الأزل، وإنما أمر ونهي، ووعد وأوعد بكلام محدث، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك.

وأما السمع والعقل؛ فقد قال أهل السنة: الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل. فالعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعرف، أي لا يوجد المعرفة، بل يوجب.." (٢)

"في بطن أمه" وفي روايته انشقاق القمر، وفي تشبيهه الجن بالزط. وقد أنكر الجن رأسا، إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الثانية عشرة: قوله في المفكر قبل ورود السمع إنه إذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين الأسْفَرايِيني، أبو المظفر ص/١٨٨

(٢) الملل والنحل الشهرستاني ٤٢/١

بالنظر والاستدلال. وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من أفعال. وقال: لابد من خاطرين، أحدهما يأمر بالإقدام، والآخر بالكف ليصح الاختيار.

الثالثة عشرة: قد تكلم في مسائل الوعد والوعيد، وزعم أن من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعدا، فحينئذ يفسق، وكذلك في سائر نصب الزكاة. وقال في المعاد إن الفضل على الأطفال كالفضل على البهائم.

ووافقه الأسواري[1] في جميع ما ذهب إليه، وزاد عليه بأن قال إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على ما علم أنه لا يفعله، ولا على ما أخبر أنه لا يفعله، مع أن الإنسان قادر على ذلك، لأن قدرة العبد صالحة للضدين، ومن المعلوم أن أحد الضدين واقع في المعلوم أنه سيوجد دون الثاني. والخطاب لا ينقطع عن أبي لهب وإن أخبر الرب تعالى بأنه سيصلى نارا ذات لهب.

ووافقه أبو جعفر الإسكافي[2] وأصحابه من المعتزلة، وزاد عليه بأن قال: إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء، وإنما يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين.

---

١ توفي علي الأسواري سنة ٢٤٠هـ.

٢ توفي الإسكافي سنة ٢٤٠هـ. قال عبد القاهر البغدادي ص١٠٢ "زعم أن الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين. ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء. فخرج عن قول النظام بأنه لا يقدر على الظلم والكذب. وخرج عن قول من قال من أسلافه إنه يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لعلمه بقبحهما، وغناه عنهما، وجعل بين القولين منزلة فزعم أنه إنما يقدر على ظلم من لا عقل له، ولا يقدر على ظلم العقلاء: وأكفره أسلافه في ذلك، وأكفرهم هو في خلافه. =." (١)

"وأثبت أن السمع والبصر للباري تعالى صفتان أزليتان؛ هما إدراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود. وأثبت اليدين، والوجه صفات خبرية. فيقول: ورد بذلك السمع فيجب الإقرار به كما ورد، وصغوه[1] إلى طريقة السلف من ترك التعرض للتأويل. وله قول أيضا في جواز التأويل.

ومذهبه في الوعد والوعيد، والأسماء، والأحكام، والسمع، والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه.

قال: الإيمان هو التصديق بالجنان. وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك.

وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" وإما أن يعذبه بمقدار جرمه، ثم يدخله الجنة برحمته. ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار، لما ورد به السمع بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. قال: ولو

---

(١) الملل والنحل الشهرستاني ٥٨/١

تاب فلا أقول بأنه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل، إذ هو الموجب، فلا يجب عليه شيء. بلى ورد السمع بقبول توبة التائبين، وإجابة دعوة المضطرين، وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفا. ولو أدخلهم النار لم يكن جورا، إذا الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف. أو وضع الشيء في غير موضعه. وهو المالك المطلق؛ فلا يتصور منه ظلم. ولا ينسب إليه جور.

قال: والواجبات كلها سمعية، والعقل لا يوجب شيئا، ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، قال الله تعالى: ﴿وما كنا

---

١ صغوه: ميله.." (١)

"٩٠- فصل

استدل القدري بدامغه بخبر لا يعرف سنده عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يظن أنه حجة له وهو حجة لنا، وهو أنه قال: "روي أن عليا - رضي الله عنه - لما سأله الشيخ الشامي عن مسيره إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال علي - رضي الله عنه -: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قطعنا واديا ولا علونا أكمة وتلة إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله١، أحتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا. فقال: علي عليه السلام: بل أيها الشيخ قد عظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كانا مسيرنا، فقال علي - رضي الله عنه -: لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب **وسقط الوعد والوعيد والأمر** والنهي من الله ولما كانت تأتي من الله محمدة لمحسن ولا مذمة لمسيء، ولما كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، والمسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمن. إن الله أمر تخييرا، ونهى تحذيرا، وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكرها، ولم يرسل الرسل هزلا، ولم ينزل القرآن عبثا، ولم يخلق السموات والأرض وعجائب الأمور باطلا، فويل للذين كفروا، فقال الشيخ: ما القضاء والقدر اللذان ما وطئا إلا بهما؟ فقال علي - رضي الله عنه - الأمر من الله والحكم، فنهض الشيخ وهو مسرور"٢.

---

١ في النسختين (عندي) ولا معنى لها وما أثبت من المنية والأمل لابن المرتضى.

٢ ذكر في نهج البلاغة ٤/١٧ طرف من هذا عند قوله: "لعلك ظننت..." إلى قوله: "ولم يخلق السموات والأرض وعجائب الأمور باطلا" مع اختلاف في بعض الألفاظ وذكرها بطولها ابن المرتضى في المنية والأمل. انظره ضمن كتاب فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٤٠، كما ذكرها صاحب كتب مستدرك على نهج البلاغة لمؤلفه: الهادي كاشف الغطا ص ٥٥، وعزاه في

---

(١) الملل والنحل الشهرستاني ١/١٠١

كنز العمال ٣٤٤/١ إلى ابن عساكر عن محمد بن زكريا العلائي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة، وقال: "والعلائي وشيخه كذابان".." (١)

"وعن ثابت بن أبي الهذيل١ قال: "سألت علي بن الحسين٢ عن أصحاب الجمل، فقال: مؤمنون وليسوا بكفار"٣.

ويدل على ما قلناه أن من وعد الله ثوابا على عمل عمله بفضل من الله ونعمة ولا يوصف الله بأنه يخلف وعده لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ٤، ومن أوعده عذابا على ذنب أذنبه فإن الوعيد حق له وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود، وربنا موصوف بالجود والكرم، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحظنا عليه ومدح فاعله. قال الله تعالى: ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ ٥، وقال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ ٦، قال ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ ٧، وأخبر عن نفسه بالعفو فقال ﴿ويعفو عن السيئات﴾ ٨.

وروي أن عمرو بن عبيد٩ كان يقول بالوعيد، فناظر أبا عمرو بن العلاء١٠، فاحتج عمرو بن عبيد بأن إخلاف الوعيد قبيح وذم عند أهل اللسان وأنشد لأعرابي يمدح رجلا:

أن أبا ثابت لمجتمع الرأي ... شريف الآباء والنسب

لا يخلف الوعد والوعيد ... ولا يبيت من داره١١ على قرب

---

١ لم أجد له ترجمة.

٢ هكذا في النسختين وعند اللالكائي (أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين) .

٣ أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ١٠٧٨/٦.

٤ آل عمران آية (٩) والرعد (٣١) .

٥ البقرة آية (١٠٩) .

٦ البقرة آية (٢٣٧) .

٧ آل عمران آية (١٣٤) .

٨ الشورى آية (٢٥) .

٩ عمرو بن عبيد بن باب التميمي مولاهم المعتزلي المشهور كان داعية إلى بدعته مع أنه كان عابدا، توفي سنة (١٤٣هـ) . التقريب (٢٦١) .

١٠ أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني النحوي القاري، ثقة من علماء العربية. توفي سنة (١٥٤هـ) . التقريب ص (٤١٩) .

١١ هكذا في النسختين وعند اللالكائي (من ثارة) .." (٢)

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار العمراني ٥٠٢/٢

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار العمراني ٦٧٦/٣

"يتخيلونها مثالب في حقهم فيهلكون ويهلكون من حيث لا يشعرون

فلنذكر الآن ما نذكر منها لكونهم يستعملون ذكرها لتحصيل أغراض لهم فاسدة ثم نعطف على ما بقي منها فيما بعد إن شاء الله تعالى

فمنها قصة داوود عليه السلام مع زوج أوريا وقصة سليمان عليه السلام مع زوجة جرادة وما كان من قصة الجسد والكرسي وقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في الهم والمراودة وقصة نبينا عليه الصلاة والسلام مع زيد بن حارثة وزينب بنت جحش بن أمية فيتأولونها تأويل من حل من عنقه ربقة الشريعة ويئس من رحمة الله ثم ينسبون بعض هذه الأقوال إلى كبار الصحابة والتابعين ليموهوا بها على العوام لئلا يردوها عليهم ويقدحوا فيها ثم تراهم يترددون في نقل تلك الخرافات بالتكرار على أوجه مختلفة تورعا في نقل الرواية تورع الكلب الذي يرفع رجله عند البول وفمه في أعماق الجيفة ثم قد قيض الله لتلك الحكايات في هذا الوقت المنكوب شرذمة من المقلدة المنتمين إلى الإرادة والقصاص المدعين في غرائب العلم وبواطن المعاني المنتمين إلى الوعظ والتذكير فتراهم ينتقلون من المزابل إلى المنابر فيطرحون الكلام في وظائف التوحيد **ومزعجات الوعد والوعيد وأقسام** أهل الدارين في الدرجات والدركات ويخوضون في أحوال الأنبياء عليهم السلام ويتمندلون بأعراضهم على رؤوس العوام والطغام ولا مشفق على دين." (١)

"حتى لا يفوت ابن آدم عمل من أعمال الملائكة مع ما جاء في الأخبار من الحض عليها **وتعظيم الوعد والوعيد على** فعلها وتركها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله

وأيضا فإن فروض الصلاة أكثر من سائر الأعمال كما سيأتي إن شاء الله تعالى عند تعداد فروضها وقد قال عليه السلام (إن الله يقول ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه) فما كانت الطاعة أكثر فروضا كانت أفضل

وأما ظهور نبينا عليه السلام وتقدمه في ذلك المحل فلا تحويه الرقوم ولا تحيط به ثاقبات الفهوم لكنا نقتصر منه على بعض ما تضمنه إكرام الله تعالى له في امر الصلاة والله المستعان وهو ينقسم أربعة عشر قسما

أحدها أنه كان وافدا على الله تعالى وضيف الكريم كريم فأتحفه بهذه التحفة التي هي أم الطاعات ورأس المعاملات كما تقدم

الثاني أن فرضها خمسين وفي معلومه تعالى نسخ تسعة أعشارها ليظهر جاهه عند الملأ الأعلى في السؤال والإجابة فلو فرض الخمسة في أول وهلة لم يظهر ذلك الجاه كما لو قدرت كريما وفد على ملك عظيم فأحسن له كما ينبغي لسعة مملكته ثم أمره أن يلزم قومه خمسين وظيفة ثم قبل شفاعته في أكثرها أترى كان يخفى على وزراء ذلك الملك وحاشيته مكان هذا الوافد عليه الثالث أنه لم يحطها عنه جملة بل نجمها عليه تسع مرات وذلك ليؤكد." (٢)

"(قال القاضي أبو بكر (١) – رحمه الله –: وأما مسائل الوعد والوعيد،

= وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى (٢٩/ ٤١ – ٤٢): (لازم قول الإنسان نوعان:

---

(١) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ابن خمير السبتي ص/٢٥

(٢) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ابن خمير السبتي ص/١٥٣

أحدهما: لازم قوله الحق، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإن لازم الحق حق، ويجوز أن يضاف إليه إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره، وكثير مما يضيفه الناس إلى مذاهب الأئمة من هذا الباب.

الثاني: لازم قوله الذي ليس بحق، فهذا لا يجب التزامه، إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض، وقد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين، ثم إن عرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره له، فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول لو ظهر له فساده لم يلتزمه؛ لكونه قد قال ما يلزمه، وهو لا يشعر بفساد ذلك القول، ولا يلزمه.

وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب؛ هل هو مذهب أم ليس بمذهب؟ هو أجود من إطلاق إحداهما، فما كان من اللوازم يرضاه القائل بعد وضوحه له فهو قوله، وما لا يرضاه فليس قوله وإن كان متناقضا).

وقال – رحمه الله – أيضا في الفتاوى (٢٠/ ٢١٧): (ولو كان لازم المذهب مذهبا للزم تكفير كل من قال عن الاستواء، أو غيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة ...).

وقال ابن الوزير في العواصم والقواصم (٤/ ٣٦٨): (إن التكفير باللازم ومآل المذهب، رأي محض، لم يرد به السمع لا تواترا ولا إجماعا).

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله – في توضيح الكافية الشافية (ص ١٥٥ – ١٥٦): (فالصواب والتحقيق الذي يدل عليه الدليل أن لازم المذهب الذي لم يصرح به صاحبه، ولم يشر إليه، ولم يلتزمه، ليس مذهبا؛ لأن القائل غير معصوم، وعلم المخلوق مهما بلغ فإنه قاصر، فبأي برهان نلزم القائل بما لم يلتزمه، ونقوله ما لم يقله).

وعليه فلازم القول ليس بقول إلا إذا التزمه، ولا يجوز التكفير باللازم ولا بالمآل بإطلاق.

(١) هو القاضي أبو بكر ابن الباقلاني.

انظر: نسيم الرياض للخفاجي (٤/ ٥٣١).." [1]

"المحكمات منها فإنهن ﴿أم الكتاب﴾ كما قال سبحانه

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه شيئا برأيه تبارك الله رب العالمين نقله القاضي أبو علاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد عن أبي يوسف عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من قوله

فائدة قال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ في كتابه العظيم (أصول الدين) ما يلي

المسألة العاشرة في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام

أول متكلمي أهل السنة من الصحابة علي بن أبي طالب لمناظرته الخوارج في **مسائل الوعد والوعيد ومناظرته** القدرية في القدر والقضاء والمشيئة والاستطاعة ثم عبد الله ابن عمر في كلامه على القدرية وبراءته منهم ومن زعيمهم المعروف بمعبد

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/٣٧٠

الجهمي وادعت القدرية أن عليا كان منهم وزعموا أن زعيمهم واصل بن عطاء المعتزلي أخذ مذهبه من محمد وعبد الله ابني علي رضي الله عنه وهذا من بهتهم ومن العجائب أن يكون ابنا علي قد علما واصلا رد شهادة علي وطلحة والشك في عدالة علي أفتراهما علماه إبطال شفاعة علي شفاعة صهر المصطفى صلى الله عليه وسلم

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة في الرد على القدرية ثم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وله كتاب في الرد على القدرية من القرآن ثم الحسن البصري وقد ادعته القدرية فكيف يصح لها هذه الدعوى مع رسالته إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدرية ومع طرده واصلا عن مجلسه عند إظهاره بدعته ثم الشعبي وكان من أشد الناس على القدرية ثم الزهري وهو الذي أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية

ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب في الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الغلاة من الروافض وهو الذي قال أرادت المعتزلة أن توحد ربها فألحدت وأرادت التعديل فنسبت البخل إلى ربها." (١)

"الحق في مسألة أصولية أو فروعية فإنما هو لتفريطه فيما يجب عليه لا لعجزه

وهذا القول هو المشهور عن القدرية والمعتزلة وهو قول طائفة من أهل الكلام غير هؤلاء والقول الثاني في أصل المسألة أن المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق وقد يعجز عن ذلك

لكن إن عجز عن ذلك فقد يعاقبه الله وقد لا يعاقبه وهذا قول الجهمية والأشعرية وكثير من الفقهاء أتباع المذاهب الأربعة والقول الثالث في هذا الأصل أنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأمورا أو فعل محظورا

وهذا قول الفقهاء والأئمة وهو القول المعروف عن سلف الأمة وقول جمهور المسلمين

وهذا القول يجمع الصواب من القولين

الأصل الثاني قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والأصل الذي عليه السلف والجمهور أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها فالوجوب مشروط بالقدرة والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع حكم الناس **في الوعد والوعيد والثواب** والعقاب وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب فإذا كان هذا الحكم في المجتهدين وهذا الحكم في المذنبين حكما عاما في جميع الأمة فكيف في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان المتأخرون من المجتهدين والمذنبين يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذكر من الأسباب فكيف بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

ونحن نبسط هذا وننبه بالأدنى على الأعلى فنقول كلام الذام للخلفاء ولغيرهم من الصحابة من رافضي وغيره هو من باب

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ابن جماعة، بدر الدين ص/٢١

الكلام في الأعراض وفيه حق لله تعالى لما يتعلق به من الولاية والعداوة والحب والبغض وفيه حق للآدميين أيضا ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة مثل الملوك المختلفين على الملك والعلماء والمشايخ المختلفين." (١)

"إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية.

ثانيا: المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي:

١. التوحيد، ٢. العدل، ٣. الوعد والوعيد، ٤. المنزلة بين المنزلتين، ٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطا من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة.

فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم، فوافقوهم في إنكار الصفات، فزعموا أن ذات الله لا تقوم بها صفة ولا فعل، كما سيأتي تفصيله. وقالوا بإنكار رؤية الله يوم القيامة وقالوا إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك.

كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول، واعتقاد، وعمل، لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه زال كله.

وبناء على ذلك شاركوهم في مسألة مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة وإن قالوا بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، لكنهم." (٢)

"﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ أي ويشهدهم مما ركبه فيهم من العقل الذى يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب وكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع **وفهم الوعد والوعيد والثواب** والعقاب صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من العقل وأراه من الآيات والدلائل على حدوثه وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه وإذا لم يجز ذلك فلا بد له من خالق هو غيره ليس كمثله وليس من مخلوق يبلغ هذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم إلا إذا حز به أمر يفزع إلى الله عز وجل حين يرفع رأسه إلى السماء ويشير إليها بإصبعه علما منه بأن خالقه تعالى فوقه وإذا كان العقل الذى منه الفهم والإفهام مؤديا إلى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد أخذ عليه العهد والميثاق وجائز أن يقال له قد أقر وأذعن وأسلم كما قال الله عز وجل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها

قال واحتجوا بقوله رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه وقوله عز وجل إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ثم قال تعالى وحلمها الإنسان الأمانة ها هنا عهد وميثاق فامتناع السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة لأجل خلوها من العقل الذى يكون به الفهم والإفهام وحمل الإنسان إياها لمكان العقل فيه قال وللعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله

ضمن القنان الفقعس بثباتها ... ان القنان لفقعس لا يأتلى

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال الذهبي، شمس الدين ص/٣٢١

(٢) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ٥٠/١

والفنان جبل فذكر أنه قد ضمن لفقعس وضمانه لها أنهم كانوا إذا حزبهم أمر من هزيمة أو خوف لجأوا إليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كأرجاف الجولان هلل ربه ... وجوران منها خاشع متضائل

وأرجاف الجولان جبالها وجوران الأرض التي إلى جانبها وقال هذا القائل إن في قوله تعالى ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا﴾." (١)

"أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد» . فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» . فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس. وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب» ، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصا، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] (الزمر: ٦٥) ، وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر، كما جاء في رواية. وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: أن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم - كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟ ! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟ ! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب. فانظر إلى هذا الاستدلال، لأنه بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول،." (٢)

"تعالى حكاية عنه: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد - يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم - ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر: ٣٩] إلى قوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر: ٤٦] . وقال موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة: ٧٣] .

وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [الزمر: ٧١] .

وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا. فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة. فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة.

---

(١) الروح ابن القيم ص/١٦٥

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١٦٣/١

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ [يونس: ٥٣] . وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن: ٧] .. " (١)

"المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره. وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. **ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة** في الظاهر -: من هذا الباب. وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرا لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك - فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.." (٢)

"[الجبرية وأصل قولهم]

والجبرية: أصل قولهم من الجهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. وقد تسمى الجبرية " قدرية " لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين. وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر! !

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن: منها ما روى أبو داود في سننه، من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» . وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٥٩١/٢

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٦٨٣/٢

سائرها. ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين! !

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر." (١)

"فيها من القرآن الكريم، ثم بيان مراتب التأويل وعالم المثال، وتأثير السحر في الرؤية، والجواب الجملي في ذلك.

ثم بين معارضات بذكر تأويلات بعيدة قبلها الأصحاب، ولم يقطعوا بكذب ما أولت به مع ركتها وانحطاطها عن رتبة الصواب عند النظار من العلماء، ثم ذكر الأحاديث التي عينها المعترض، وقطع بكذبها، والجواب عنها بورود مثلها أو نحوها في القرآن ومثل تأويلها في تأويل المعتزلة للقرآن، وجملتها ستة أحاديث الأول: الحديث الذي فيه ذكر مجيء الله تعالى يوم القيامة، والثاني: فيه ذكر الكشف عن الساق ووضع القدم والضحك وتأويل ذلك، الثالث: حديث جرير في الرؤية، الرابع: محاجة آدم وموسى، الخامس: قصة موسى مع ملك الموت، السادس: خروج الموحدين من النار. والجواب عن ذلك مطولا مجردا، وذكر فيه فوائد أصولية وقرآنية وحديثية قدر نصف المجلد المذكور، وذكر -رحمه الله- أن أحاديث الرجاء بلغت قدر أربع مائة حديث وثمانين حديثا وذكر كثيرا من آيات الوعد والوعيد، وختم ذلك بقدر ثلاثين حديثا في الوعيد بعد ذكر نيف وعشرين آية من القرآن الكريم. أعاد الله علينا من بركته وفضله العميم ثم إنه رحمه الله تعالى ختم كتابه بهذه الأبيات:

جمعت كتابي راجيا لقبوله ... من الله فالمرجو منه قريب

رجوت بنصر المصطفي وحديثه ... تكفر لي يوم الحساب ذنوب

ومن يتشفع بالحبيب محمد ... إلى الله في أمر فليس يخيب

فيا حافظي علم الحديث لي اشفعوا ... إلى الله فالرب الكريم يجيب

لعل كتابي أن يكون مذكرا ... لكم بالدعا للعبد حين يغيب

ولا سيما بعد الممات عسى به ... يبل غليل أو يكفر حوب." (٢)

"في الإنكار عليه الطريقة العسرى، كأنما اغتصب أموالكم قسرا، أو ادعى نظير معجزة الإسرا.

التنبيه الرابع عشر: أنكم أوجبتم على كل مكلف -من حر وعبد وذكر وأنثى، وبليد وفطين، وقاريء وأمي- أن يعرف الله، وصفاته، وسائر مسائل الاعتقاد المعروفة بالدليل الصحيح المحرر معناه في علم الكلام من غير تقليد للمتكلمين في ذلك الدليل، وإن لم يعرف عبارتهم بعد أن عرف معناها. ولسنا ننكر إيجاب المعرفة لله -تعالى- فنحن نقول به، ولكن نكرر عليك أنك اعتقدت أن معرفة تلك الأدلة متسهلة على العامة، والنساء والإماء والعبيد، والفلاحين، وجميع أهل البلادة والغباوة، وقطعت أن ذلك غير متعذر عليهم.

وأما معرفة محمد بن إبراهيم لمسائل يسيرة فروعية؛ فلم يمكنك القطع بأنها متعسرة، بل شككت أنها متعذرة أو متعسرة، مع أن تلك المسائل التي لم يرخص لأحد التقليد فيها، هي (١) محارات الأذكياء، ومواقف الفطناء، ومداحض الأقدام،

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٧٩٧/٢

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٩٧/١

ومهاوي الأفهام، وفيها مسائل الوعد والوعيد، والولاء والبراء والأسماء والإمامات، وهذه هي سمعيات محضة، ولا يسلم الخائض فيها من التقليد ما لم يعرف ما يتعلق بها من العربية، وعدم المعارض والمخصص، وفي الولاء والبراء والإمامات.

ولا بد مع ذلك من معرفة عدم النسخ، وذلك لا يصح إلا بعد البحث الكثير. فما بال هذا أمكن جميع المكلفين، ولم يتعذر عليهم، وأما محمد بن إبراهيم، فتعذر عليه ما هو أهون من هذا مع اشتغاله بالعلم منذ عرف يمينه من شماله.

---

(١) في ب: وهي.." [1]

"محمدا رسول الله، وأن الله عالم قادر، ويعدد سائر الصفات الذاتية والمقتضاة، وأنه يستحقها لذاته لا لمعنى، ويذكر جميع ما يتعلق باعتقاده من **مسائل الوعد والوعيد والإمامة** والولاء والبراء (١) ثم يذكر محافظته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال ذلك من الواجبات مما يطول تعداده، ثم يذكر اجتنابه للمقبحات فيقول: إنه لا يقتل النفس المحرمة، ولا يستحله، ولا يزني، ولا يلوط، ولا يشرب كثير الخمر ولا قليلها، ولا يسرق، ولا يقذف، ولا يشهد الزور، ولا يغصب أموال الناس، ولا يربي، ولا يفر من الزحف، ولا يأكل الربا، ولا أموال اليتامى، ولا يعق والديه، ولا يكذب على الله، ولا على رسوله، ولا على أحد، ولا يكتم الشهادة بلا عذر، ولا يطفف في المكيال، ولا يبخس الميزان، ولا يؤخر الصلاة عن وقتها لغير عذر، ولا يضرب مسلما بغير حق، ولا يبغض أمير المؤمنين -عليه السلام- ولا أحدا من العترة، ولا يسب الصحابة، ولا يبغضهم، ولا يأخذ الرشوة، ولا يسعى إلى السلطان، ولا يحرق الحيوان، ولا يتخذه غرضا، ولا يقع في أهل العلم، وحملة القرآن، ولا يلعب بالنرد، ولا بالحمام، ولا يكشف عورته في الحمام، ولا يتساهل في أكل الشبهات والحرام، ولا يسخر، ولا يسحر، ولا ينم، ولا يخاصم بالباطل، ولا يتكبر من قول الحق، ولا يرائي، ولا يعجب بعمله، ولا يضحك في الصلاة، ولا يبول ويتغوط مستقبل القبلة ولا مستدبرها، ولا يشرب المثلث، ولا يفعل شيئا من المختلف فيه وهو يعتقد تحريمه، ولا يباشر الأجنبية بغير جماع، ولا يجامع زوجته في الحيض والنفاس -وإن كانت امرأة (٢): أنها لا تمتنع من زوجها بغير عذر، ولا تسافر من غير

---

(١) في ب: والبراءة.

(٢) أي: المعدلة كما في هامش (أ).." [2]

"وأما صدق الوعد والوعيد، فإنه مما لا يعرف إلا بالعقل، وفرق بين ما لا يعرف بالعقل وبين ما لا يعرف إلا به.

قلت: هل تريد أن بينهما فرقا (١) يسوغ الكذب في أنا ننسب إليهم القول بما لم يقولوه، فهذا ممنوع، أو تريد أن بينهما فرقا يسوغ لهم أن يلزموه ذلك، فمسلم، ولا يضر تسليمه، لأن كلامه فيما يدل على صدق المتدين منهم، وفيما لا يدل على ذلك من اعتقادهم، وليس كلامنا فيما يلزمهم مما لا تأثير له في ظن صدقهم أو كذبهم.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١/٢٧١

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١/٣٦٦

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن السيد لما نسب إليهم ما لم يقولوه، وعرف أن مذهبهم المنع منه بالدليل السمعي، وأن ذلك لا يخفى، حاول أن يبطل كون ذلك مذهبهم فلا أدري كيف طمع في الاستدلال على بطلان ما ثبوته معلوم بالضرورة، وما هو إلا كما ورد في الحديث " حبك الشيء يعمي ويصم " (٢) وقد استدل السيد -أيده الله- على بطلان كون ذلك مذهبهم بأنهم لا يعلمون من شاء الله أن يغفر له لقوله تعالى: ﴿يغفر لمن

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): فرق والمثبت من (ش).

(٢) حديث ضعيف، أخرجه من حديث أبي الدرداء أحمد ٥/ ١٤٩ و٦/ ٤٥٠، وأبو داود (٤١٣٠)، والبخاري في "تاريخه" ٣/ ١٧١، ويعقوب الفسوي في " تاريخه " ٢/ ٣٢٨، والقضاعي في " مسند الشهاب " (٢١٩)، والطبراني في " مسند الشاميين " (١٤٥٤) و (١٤٦٨) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبيه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. وهذا سند ضعيف. أبو بكر -وهو ابن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي- ضعيف كان قد سرق بيته، فاختلط.

وقال الحافظ العراقي في ما نقله عنه المناوي في " فيض القدير ": إسناده ضعيف، وقال الزركشي: روي من طرق في كل منها مقال، وقال المصنف كأصله: الوقف أشبه.

وفي الباب عن أبي برزة الأسلمي عند الخرائطي في " اعتلال القلوب " وعن عبد الله بن أنيس، عند ابن عساكر في " تاريخه ".." (١)

"ومنها حديث عثمان عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ".

رواه مسلم والنسائي (١)، وفي " تلخيص " (٢) ابن حجر أنه من " المستدرك " رواه البخاري ومسلم.

وفي " مسند " أحمد (٣) من حديث عنه - صلى الله عليه وسلم - " الإسلام علانية، والإيمان في القلب ".

ومثله حديث عمر الذي في " صحيح " مسلم في تفسير الإسلام والإيمان والإحسان (٤)، فيجب ذكر ما يعارض هذه، وبيان مناقضة ذلك المعارض، والقطع بتعذر الجمع بدليل قاطع.

وثانيهما: أن المرجئة يقولون: إن المؤمن العاصي لا يعذب قطعا، وهما يجوزان أن يعذب، وأن يعفى عنه، ورواية السيد عنهما تقتضي (٥) ذلك، وقد روى " الرصاص " (٦) في " خلاصته " -وهي (٧) مدرسكم- حديثا نصا أن الإرجاء هو القول بأن الإيمان قول بلا عمل، وكذا نص على ذلك محمد بن نشوان،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦)، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (١١١٤) و (١١١٥) وابن حبان في " صحيحه " بتحقيقنا (٢٠٢)، وابن منده (٣٣)، والحاكم ١/ ٧٢.

(٢) ٢/ ١٠٣ وقد نسبه الحاكم في " المستدرك " ١/ ٧٢ إلى البخاري ومسلم، وقد غلط في ذلك، فإن البخاري لم

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢٨٧/٢

يخرجه.

(٣) ٣/ ١٣٤ - ١٣٥ من حديث أنس. وأخرجه البزار (٢٠)، وأبو يعلى (٢٩٢٣). وإسناده ضعيف لضعف علي بن مسعدة أحد رواته.

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) في (ب): والسيد روى عنهما ما يقتضي.

(٦) هو أحمد بن محمد الرصاص، تقدمت ترجمته ١/ ٢٨٧، وكتابه الذي يشير إليه المصنف هو " الخلاصة النافعة بالأدلة القاطعة في فوائد التابعة " رتبه على أربعة أبواب: الأول في وجوب النظر وما يتعلق به، والثاني في التوحيد وقسمه، ومسائله، والثالث في العدل، والرابع في الوعد والوعيد وما يتبعهما. انظر " فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء " ص ١٥٨ و١٥٩.

(٧) في (ب): في.." [1]

"من المكاره، لأن وصف العزة يستحيل أن تتخلف عنه آثاره، وفيه أن مقام الحب غير مبتذل ولا رخيص، وقد تقدم ما وقع لأهله، مثل عزم الخليل على ذبح ولده، وبراءة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى كل خليل من خلته. وفي البخاري من حديث أبي هريرة: " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، ويصره الذي يبصر به " الحديث (١).

وقد آنس الله وحشة القاصرين حيث قرن العزيز بالغفور، والغفار بالرحيم، والوهاب في آيات كثيرة، وهذه نكتة نفيسة جدا.

وثانيهما: أن المقصود الأول من تمييز الخبيث من الطيب في تمحيص المؤمنين هو الخير الحاصل للطيب لا الشر الحاصل للخبيث لقوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك: ٢] ولم يقل: أيكم أقبح (٢) عملا.

ومن أحسن ما يحتج به على هذا بعد ما ذكرناه من كتاب الله تعالى قوله في سورة النحل: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا﴾ [النحل: ٣٠] إلى آخر الآيات في الوعد والوعيد والمشيئة.

وأصرح من ذلك كله قصة الخضر وموسى لتأويل الشر فيها بأنه المقصود به الخير نصا صريحا، وبيان أن ذلك هو تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

ومن أحسن ما يستدل (٣) به على ذلك قوله تعالى: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (٣٢) ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾ [الفرقان: ٣٢ - ٣٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وأبو نعيم ١/ ٤، والبيهقي في " الزهد الكبير " (٦٩٠)، والبغوي (١٢٤٨).

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٥/٢٥٤

(٢) في (أ): " أحسن "، وكتب فوقها: " أخبث ".

(٣) في (ش): احتج.." [1]

"إحداهما (١) معلومة، والثانية مجهولة، ويجد التفرقة بينهما في أن إحداهما (١) مقدورة، والثانية غير مقدورة.

قال الشهرستاني في الجواب مع اختصار بعضه: ما ذكرتموه من التفرقة بين الحركتين، إما الوجدان فمسلم، ولكن ما قلتم من أنها راجعة إلى أن إحداهما (٢) موجودة بالقدرة الحادثة فغير مسلم، وأحال إلى ما تقدم من البيان، ثم عطف بنحو ما تقدم.

إلى أن قال: فالوجود من حيث هو وجود (٣) إما خير محض، وإلا لا خير ولا شر انتسب (٤) إلى الله سبحانه إيجادا وإبداعا (٥) وخلقا، والكسب المنقسم إلى الخير والشر منتسب إلى العبد فعلا واكتسابا، وليس ذلك مخلوقا بين خالقين، بل مقدور بين قادرين من جهتين مختلفتين، أو مقدورين متمايزين، ولا يضاف إلى أحد القادرين ما يضاف إلى الثاني.

إلى أن قال: المسلك الثاني لهم في إثبات الفعل للعبد (٦) ايجادا قولهم: التكليف متوجه إلى العبد بافعل، أولا تفعل، فلم يخل الحال من أحد أمرين: إما أن لا يتحقق من العبد فعل أصلا، فيكون التكليف سفها وعبثا، ومع كونه سفها يكون متناقضا، فإن تقديره: افعل يا من لا يفعل.

وأيضا فإن التكليف طلب، والطلب يستدعي مطلوبا ممكنا من المطلوب منه، وإذا (٧) لم يتصور منه فعل بطل الطلب.

وأيضا فإن الوعد والوعيد مقرون بالتكليف، والجزاء مقدر (٨) على الفعل

---

(١) في (أ): أحدهما، وهو خطأ.

(٢) في (أ): أحدهما، وهو خطأ.

(٣) في (ش): فالوجود ممن هو موجودا، وهو خطأ.

(٤) في (ش): ينسب.

(٥) في (ش): ابتداعا.

(٦) " للعبد " سقطت من (ش).

(٧) في (ش): وإن.

(٨) في (ش): مقدور.." [2]

"والترك، فلو لم يحصل من العبد فعل ولم يتصور ذلك بطل الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، فيكون التقدير: افعل وأنت لا تفعل، ثم إن فعلت ولم تفعل فيكون لك الثواب أو العقاب على ما لم تفعل، وهذا خروج عن قضايا الحس، فضلا عن قضايا العقول، حتى لا يبقى فرق بين خطاب الإنسان العاقل، وبين خطاب الحمار، فلا فصل بين أمر التسخير

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١٣٢/٦

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٦١/٧

والتعجيز، وبين أمر التكليف والطلب.
قالوا: ودع التكليف الشرعي، أليس المتعارف منا، والمعهود بيننا مخاطبة بعضنا بعضا بالأمر والنهي، وإحالة الخير والشر على المختار، وطلب الفعل الحسن، والتحذير عن الفعل القبيح، ثم ترتب المجازاة على ذلك.
فمن أنكر هذا فقد خرج عن حد العقل خروج عناد، فلا يناظر إلا بالفعل كمناظرة السوفسطائية (١) فيشتم ويلطم، فإن غضب من الشتم وتألم من اللطم، وتحرك للدفع والمقابلة (٢) فقد عرف بأنه رأى من الفاعل شيئا يوجب الجزاء والمكافأة، وإلا فما له غضب منه، وأحال الفعل عليه.
والجواب من وجهين: أحدهما: الإلزامات على مذهبهم، والثاني: التحقيق على مذهبنا.
الأول: نقول: عينوا لنا ما المكلف به، فإن القول بأن التكليف متوجه على العبد ليس يغني في تقدير أثر القدرة الحادثة وتعيينه.
فإن قلتم: المكلف به هو الوجود من حيث هو وجود، لا من حيث كونه قبيحا وحسنا، ومن المعلوم أن المطلوب بالتكليف (٣) مختلف الجهة، فمنه: واجب مطلوب فعله، ومنه: حرام مطلوب تركه.
وإن قلتم: المكلف به هو جهة الوجود، وهو الذي يستحق المدح والذم

---

(١) في (أ): السوفصطائية.
(٢) في (ش): والمقاتلة.
(٣) في (ش): أن المكلف به.." (١)

"يعفي جماعة مخصوصين منهم، ولا يأخذ منهم شيئا، ما اعتقد أن كلامه (١) متناقض ولا جهل أنه أراد بالرعية من عدا أولئك المخصوصين، وهذا معلوم للمميز من الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، فلا نطول بذكره، فلولا كثرة التعنت والتسرع إلى تكذيب رواة الآثار النبوية، لما ذكر هذا، ولا خفي مثله، والله أعلم.
وقد يخص (٢) بالعموم بالقرينة، وهو كثير، خصوصا في كلام أهل التفسير، ولذلك قال موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون﴾ [القصص: ٣٣]، بعد أن قال الله سبحانه له: ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ [القصص: ٣١]، وذلك أنه عليه السلام فهم من قرينة الحال، وسبب الآية أنه من الآمنين مما خاف منه بخصوصه، حيث رأى العصا تهتز كأنها جان، ولو فهم العموم في الدنيا والآخرة من كل شيء (٣) ما خاف القتل من قوم (٤) فرعون.
الفصل الثاني: في ذكر شيء من وجوه التأويل التي يمكن حمل **أحاديث الوعد والوعيد وآياتهما** عند ظهور الاختلاف، فمن ذلك أنه لا مانع من القول بأن بعض تلك الأحاديث ناسخ وبعضها منسوخ، وكذلك الآيات الكريمة، وهذا التأويل مشهور الصحة في كتب الأصول الفقهية، وفي كتب الأحاديث الصحيحة القوية، وفي شروح الأحاديث النبوية.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٧/٦٢

أما كتب الأصول الفقهية، فممن نص عليه واختاره واحتج عليه على ما يأتي فيه (٥) من التفصيل: الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان عليه السلام في كتابه " صفوة الاختيار "، وحكاه عن الشيخ أبي عبد الله والقاضي وجماعة من الفقهاء، واختار عليه السلام جواز ذلك إلا فيما لا يجوز أن يتغير

---

(١) في (ف): " هذا ".

(٢) في (ش): " خص ".

(٣) عبارة: " من كل شيء " ساقطة من (ف).

(٤) " قوم " ساقطة من (ش).

(٥) " فيه " ساقطة من (ف).." [1]

"مختلف فيه، وممن وثقه ابن معين، وكان شيخ الشافعي، وكان فقيها عابدا، يصوم الدهر.

فهذه خمسة أسانيد.

وله شاهد عن ابن مسعود من طريق أبي رجاء الكلبي، لم يعرفه الهيثمي (١).

هذا مع العلم الضروري أن هذه الآية الشريفة: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] متأخرة، فإنها في النساء بالضرورة، و" النساء " مدنية وفاقا.

وهذه الآية كافية في المقصود كما سيأتي في الكلام على معناها والرد على من أولها، وإنما القصد هنا ذكر الحجة بالنظر إلى التاريخ المتأخر، لا سوى، ولكن هذه الأحاديث زادت ذلك بيانا، ولا شك أن السنة النبوية مشتملة على بيان كتاب الله، لقوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤]، وليس في كتاب الله من الصلاة إلا الأمر بإقامتها، وجاءت السنة النبوية بأعدادها وفرائضها وشرائطها وأوقاتها، وتحريمها على الحائض حتى ينقطع دمها وتطهر، وتحريمها على الجنب والمحدث حتى يتطهر الطهر المشروع، وكذلك فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الزكاة والصوم والحج ونصاب السرقة، وقيد إطلاق الله في المواريث، فاستثنى الكافر والعبد وقاتل العمد ونحو ذلك (٢)، والأمة مقرة لتفسيره، حتى جاءت المبتدعة إلى الوعد والوعيد، فعزلوا الرسول عن تفسيره وتفصيله، وخالفوا في ذلك المعقول والمنقول كما يتضح لك إن شاء الله تعالى.

---

(١) " المجمع " ١٠/ ١٩٤. قلت: وليس كما قال، فقد وثقه يحيى بن معين في " تاريخه " ص ٧٠٥. ونقل توثيقه عنه ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٩/ ٣٧٠، والدولابي في " الكنى " ١/ ١٧٤.

(٢) في (ف): " ونحوه ".." [2]

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٣٩٠/٨

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٣٩٦/٨

"وقلة تواليفهم الحافلة عندي فبالوقوف على ما أذكره مع ذلك يعلم تواتر ذلك.

وقد مر منها إلى الآن واحد وثلاثون حديثا عن تسعة عشر صحابيا، وستأتي زيادة كثيرة على هذا مفرقة في غضون الكلام، وأختم الكلام بالتنبيه على ما لم يتقدم، وعلى عدة ما تقدم، ثم بالتخويف من الله تعالى، وبيان أن الرجاء هو حسن ظن، وأن من جعل القطع موضع الظن خرج إلى التألي على الله تعالى، وكان اعتقاده من جنس قول اليهود ﴿سيغفر لنا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وقد نقم الله تعالى ذلك عليهم، ومن أين الأمان والله تعالى يقول: ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ [المعارج: ٢٨]، وهو في الصالحة المثنى عليهم في كتاب الله، وفي آية: ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقد أجمعت الأمة المرجئة والوعيدية أن الخواتم مجهولة، وإن قدرنا صلاح الحال مع بعد ذلك، والله المستعان.

ولكني رأيت قبل ذلك أن أورد شبه المخالفين وجوابها على الإنصاف بحسب علمي واجتهادي.

فأقول: إن قيل لا شك في ورود القرآن والسنة بذلك ولكنه معارض بثلاثة أمور:

أحدها: عمومات الوعيد.

وثانيها: الوعيد الخاص ببعض الكبائر كآية القتل وأحاديثه.

وثالثها: البيان الخاص في قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء: ٣١]، فإن الخصوم يزعمون أن هذه أبين آية وأخصها، ورجحوا تأويل الوعد بترجيح الخوف، أو مصلحة الزجر خوف المفسدة في الرجاء.

والجواب من وجهين: جملي وتفصيلي:

أما الجملي: فهو أنه وقع تعارض في الوعد والوعيد في بعض المواضع." (١)

"فيهن فاعتبر هذا وزن أقوالهم، فإنه لا فرق بين تأويلهم لقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ [النساء: ٦٩] وبين تأويل الجميع لقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾ [الجن: ٢٣]، وذلك لأن الطاعة والمعصية تصدق على المرة الواحدة، فمن أطاع مرة واحدة، وعصى مرة؛ فقد تناوله الوعد والوعيد ووجب الوقف في حاله، حتى يتبين مراد الله فيه من غير هاتين الآيتين. وكذلك قوله تعالى في الحرز: ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ مخصوص بالإجماع على أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - شفيع مشفع، وأن ذلك تفسير المقام المحمود الذي وعده في كتابه، وإن اختلفوا لمن تكون شفاعته، وكذلك نفي الشفيع مخصوص مع الإجماع، كقوله (١) تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ [مريم: ٨٦ - ٨٧]، وبما تواتر في السنة النبوية، فما الفرق بين تخصيص وتخصيص؟ وكيف يكون التخصيص تكذيبا مع مثل هذا؟ وعند أهل السنة أن ذلك التعارض المتوهم قد تبين بقوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]، وقوله: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ١١٦]، مع ما عضد هذه الآيات وأمثالها من البيان النبوي

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٩/١٥

المعتاد مثله في كل عمومات القرآن، وأنواع الشرائع والتكاليف، وعند الوعيدية أن ذلك قد تبين بقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١]، وسيأتي الكلام عليها، وإيضاح أنها في بيان حكم المجتنبين للكبائر، وآيات أهل السنة وأحاديثهم في بيان حكم المرتكبين للكبائر، وتقسيمهم إلى مشرك وغيره، فهو أبين كما يتضح إن شاء الله تعالى.

وأما الأمر الثاني: وهو المعارضة بالوعيد الخاص ببعض الكبائر بخصوصه، فلا نسلم صحة شيء من ذلك بخصوصه ورد في المؤمنين

---

(١) في (ف): " بقوله ".." (١)

"المعتزلة ألا يقولوا بها متى التزموا قاعدتهم في أن العمومات الخبرية **في الوعد والوعيد لا** يجوز تخصيصها بالآحاد، وإنه لا يجوز التخصيص للاعتقاد وقد تقدم بطلانه، وسيأتي أيضا والرد على المرجئة في كل كتاب من كتب الحديث الصحاح، وبذلك ابتدأ البخاري " صحيحه " ونصره شراح كتب الحديث، وقد تطابق على تزييف قولهم أهل الحديث وأهل الكلام وجميع طوائف الإسلام، وانقرضوا فلم نعاصر منهم أحدا بحمد الله، ولذلك لم نطول بالرد عليهم، كما لم نطول في الرد على الخوارج، ومن قال: إن العاصي المتعمد منافق ونحوهم، لظهور بطلانها، وانقراض أهلها، وعدم معاصرة من يجادل عليها ويذب عنها، ولكن ينبغي لمن يسمع بقول المرجئة ممن أنكره أو قبله، أن لا يغفل عن قولهم: إن الكبيرة قد تكون سببا للكفر عند الموت، " وكان - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ من تخبط الشيطان عند الموت " (١) خاصة إذا قاربها الاستحقاق أو الأمان كقوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله﴾ [الروم: ١٠]، وقد جود التعبير عن هذا المعنى الغزالي في كتاب التوبة من " إحياء علوم الدين " فليطالع هنالك، وما أوقع قوله (٢) فيه: وقول العاصي للمطيع: إني مؤمن وأنت مؤمن، كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر: إني شجرة وأنت شجرة، فتقول شجرة الصنوبر بلسان الحال: ستعرفين اغترارك بشمول الاسم، إذا عصفت رياح الخريف، فعند ذلك تنقلع أصولك، وتتناثر أوراقك، وينكشف غرورك، بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبات الأشجار، وهو أمر يظهر عند الخاتمة. وإنما تقطعت نياط قلوب العارفين خوفا من الفوت، ودواعي (٣) الموت، ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها غير الأقلين، فالعاصي إذا كان لا

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٧، وأبو داود (١٥٥٢) و (١٥٥٣)، والنسائي ٨/ ٢٨٢ - ٢٨٣ و٢٨٣، والطبراني ١٩/ (٣٨١)، والحاكم ١/ ٥٣١، من حديث أبي اليسر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٩/٢٠

(٢) ٤/ ٨.

(٣) في الأصول: " دواهي "، والمثبت من " إحياء علوم الدين ".." (١)

"عنها كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعنى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره

ومنه قول ابن عيينة السنة هي تأويل الأمر والنهي فان نفس الفعل المأمور به هو تأويل الامر به ونفس الموجود المخبر به هو تأويل الخبر وبهذا يقول أبو عبيدة وغيره والفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم اتباع بقراط وسيبويه من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته بخلاف الخبر

إذ عرفت ذلك فتأويل ما أخبر به الله عن ذاته المقدسة بما لها من الأسماء والصفات هو حقيقة ذاته المقدسة وتأويل ما أخبر به الله **من الوعد والوعيد هو** نفس الثواب والعقاب وليس شيء منه مثل المسميات بأسمائه في الدنيا فكيف بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته ولكن الأخبار عن الغائب لا يفهم إن لم تعبر عنه الاسماء المعلوم معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع الفارق المميز وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد في صفة الجنة كيف بالذات المقدسة إلى قوله ومما يوضح ذلك كله أن الله تعالى وصف القرآن كله بأنه محكم و بأنه متشابه وفي آية أن بعضه محكم وبعضه متشابه فالأحكام الذي يعمه هو الاتقان وهو تمييز الصدق من الكذب في اخباره والغي من الرشاد في أوامره والتشابه الذي يعمه هو ضد الاختلاف المنفى عنه في قوله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ وهو الاختلاف المذكور في قوله ﴿إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك﴾ فالتشابه به هنا تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فالاحكام العام في معنى التشابه العام بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص فانهما متنافيان فالتشابه الخاص مشابهة." (٢)

"الشيء لغيره من وجه ومخالفته من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس إنه هو أو هو مثله وليس كذلك والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر يعني على من عرف ذلك الفصل وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما

ثم من الناس من لا يهتدي إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبها عليه ومنهم من يهتدي له فيكون محكما في حقه فالتشابه حينئذ يكون من الامور الاضافية فاذا تمسك النصراني بقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ ونحوه على تعدد الآلهة كان المحكم كقوله تعالى ﴿وإلهكم إله واحد﴾ ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا يزيل ما هنالك من الاشتباه اه

وقد ترك الامام والشيخ وجها آخر من المتشابه الذين يحتاج إلى التأويل مما لا يعلمه إلا الله على الصحيح وذلك وجه الحكم المعينة فيما لا تعرف العقول وجه حسنه مثل خلق أهل النار وترجيح عذابهم على العفو عنهم مع سبق العلم وسعة الرحمة

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٩/ ٤٠

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٨٩

وكمال القدرة على كل شيء

والدليل على أن الحكمة خفية فيه تسمى تأويلا له ما ذكره تعالى في قصة موسى والخضر فان قوله ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ صريح في ذلك وهذا مراد في الآية لأن الله وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغائهم تأويله وذمهم بذلك وهم لا يبتغون علم العاقبة عاقبة الخبر **عن الوعد والوعيد وما** يؤول اليه على ما فسره الشيخ فهم الجنة والنار والقيامة وذات الرب سبحانه كما يبغيها طالب العيان إنما يستقبحون شيئا من الظواهر بعقولهم يتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها وكل منهم يتفرد بمعنى من غير حجة صحيحة إلا مجرد الاحتمال وربما خالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع فتأولوه وربما استلزم الوقوع في أعظم مما فروا منه

والذي وضح لي في هذا وضوحا لا ريب فيه بحسن توفيق الله أمور." (١)

"المثل الأعلى وكيف تجعل أفعال أحكم الحاكمين أنقص رتبة في خلوها عن الحكمة وأبعد عنها من مرتبة أفعال الصبيان والمجانين والساهين

وإنما قلنا أنهم جعلوها أنقص في ذلك لوجهين أحدهما أنهم قطعوا بخلوها كلها عن كل حكمة وداع وسبب ومنعوا أن تكون أفعاله كلها أرجح من أضدادها إلا في الاقوال فأوجبوا الصدق في أقوال الله تعالى ومنعوا ضده وهو الكذب ولزمهم بذلك الموافقة على ثبوت مثل ذلك في الافعال إذ لم يفرقوا بين الأفعال والأقوال بحجة بينة ولكن خافوا من تجويز الكذب على الله صريح الكفر وإنما الاقوال نوع من الأعمال

وقد أجمعت الامة على دخول الاقوال والاعمال **في الوعد والوعيد على** الاعمال وفي الصحيح أن أفضل العلم شهادة أن لا إله إلا الله وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة أنه لا تردد في دخول الاقوال في حديث (الأعمال بالنيات) وأمثال ذلك كثيرة جدا هذا في اللغة والنص والاجماع وأما العقل فلا ريب في تساويهما في ذلك فما بالهم أوجبوا صيانة الاقوال الربانية عن النقائص وأما في الأفعال الربانية فحكموا بأنه تعالى لو عكس الحكم في جميع أوامره العادلة المصلحة الحكيمة في شرائعه وأحكامه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة أو عذب الأنبياء والأولياء وأهانهم وأخزاهم بذنوب غيرهم ثم أدخل أعداءه وأعداءهم الجنة بحسناتهم واكرامهم وعظمهم ما كان هذا الحال عليه بأبعد عن حكمته ومحامدة في العقل والسمع مما هو فاعله سبحانه وتعالى مما تمدح به وسماه حقا وعدلا وحكمة وصوابا وتمدح لذلك بأنه لا معقب لحكمه ولا مبدل لكلماته وبأنه إذا بدل آية مكان آية لا يبدلها إلا بما هو خير منها أو مثلها فزعموا أن التسوية بين أحكامه وأضدادها هو مقتضى العقول والشرائع لكن الشرائع وردت بالخبر عن وقوع أحد الجائزين المتماثلين في الحكمة مثل تماثلهما في القدرة بل المتماثلين في القدرة بلا حكمة عندهم إلا الصدق في الخبر فواجب وحده فانا لله إن كانت ذهبت العقول فأين الحياء من الله تعالى وكتبه ورسله والمسلمين

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٩٠

ومن العجب ظنهم أن هذا كله جائز عليه في أفعاله عقلا ولا يجوز في أقواله عقلا أدنى نقص ولا لغب وهو كما قالوا في الأقوال لكن الصواب." (١)

"ولأنه أشرف وأبرك وأصح وأنجي وأولي وأحري وأعلي وأهدي بالاجماع

فان قبل تجويز بعض ما يستقبح في عقول العقلاء لحكمة لا يعلمونها يستلزم تجويز بعثة الكذابين والكذب والخلف في الوعد والوعيد ونحو ذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله تعالي

قلنا هذا ممنوع لوجهين الوجه الاول أن تقبيح العقول ينقسم إلى قسمين ضروري وظني ونحن ما جوزنا أن يصدر من الله تعالى كل قبيح على الاطلاق لحكمة خفية إنما جوزنا ذلك في القسم الذي التقبيح فيه ظني يقع في مثله الاختلاف بين الجاهل والعالم وبين العالم والاعلم ولا شك أن اختيار الكذب وبعثه الكذابين بالمعجزات والخلف في الوعد بالخير ممن هو على كل شيء قدير وبكل غيب عليم وترجيحه على الصدق وبعثة الصادقين مع أن قدرته عليهما على السواء قبيح قبحا ضروريا قبحا أشد القبح في عقول العقلاء أما أن لم يجوز في ذلك خير فظاهر وأما أن جوز فيه شيء من الخير فلا شك أن الصدق وبعثة الصادقين أكثر خيرا ودفعا للفساد والمفاسد وجلبا للصلاح والمصالح وتجويز خلاف ذلك يؤدي إلى أن لا يوثق لله تعالى بكلام ولا لأحد من رسله الكرام في دين ولا دنيا ولا جد ولا هزل ولا حلال ولا حرام ولا وعد ولا وعيد ولا عهد ولا عقد ولا أعظم فسادا مما يؤدي إلى هذا بحيث أن كثيرا من السفهاء والظلمة والمفسدين لا يرضون لنفوسهم بمثل ذلك

الوجه الثاني إن الذي يحسن حينئذ لبعض القبائح لبعض العقلاء إنما هو الاضطرار إلى عدم الخلاص من أحد قبيحين فيختار حينئذ الأهون منهما قبحا كما قيل حنانيك بعض الشر أهون من بعض مثاله من لم يستطع حقن دم معصوم أو مسلم مظلوم إلا بكذب أو خلف وعد أو نحو ذلك حسن منه دفع الشر الأعظم بالشر الأقل ومثل هذا لا يتصور في حق الرب جل جلاله لما ثبت من أنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وأما الخلف في الوعيد فليس هو في مرتبة القبيح الضروري لشهرة الخلاف فيه بين العقلاء وصحة تسميته في اللغة عفوا لا خلفا كما قال كعب بن زهير في قصيدته المعروفة." (٢)

"وللاحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث ولأن الأنبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم وأما قصة قوم يونس فتأتي في مسألة الوعيد

فان قيل إنما يحسن الخلف في الوعيد منا للجهل بالغيب مع نية الصدق فاما عالم الغيب فلو أخلف لم يصح ارادة الصدق عند الوعيد لعلمه بالعاقبة فلو أخلف كان كذبا قبيحا وهذا السؤال قوي إلا أن قوة التباسه بالانشاء هو الذي غرهم فالأولى ترك تجويز ذلك ولسنا نحتاج في هذه المسألة إلى تجويزه لا سيما وهذا الكتاب مبني على الأسلم والأحوط فقس ذلك على هذه القاعدة ولا تعدها فمن نهج السلامة نال السلامة وكثيرا ما يلتبس التخصيص بالخلف على من بعد عن تأمل السمع

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/١٨٤

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٢٤

فأفرق بينهما فهو واضح

والكلام في هذه المسألة طويل وموضعه **مسألة الوعد والوعيد وهو** يأتي في آخر هذا المختصر إن شاء الله تعالى ومع ما قدمته من وقوع الشرط في الوعيد لا يحتاج إلى هذا ولا يمكن تقبيح العفو من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين عن أحد من الموحدين والحمد لله رب العالمين لكنه لا سبيل إلى الأمان لأنه وسيلة إلى الفساد والطغيان والله أحكم من أن يؤمن المفسدين من تبوء الجزاء في الآخرة كما لم يسمح لهم الحدود في الدنيا بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار لحفظ الأموال ومصلحة الخلق في ذلك وهو الحكيم العليم الحميد المجيد الفعال لما يريد

وبهذا السؤال وجوابه تعلم سبب الخلاف في دوام العذاب فمن توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذي هو قوله تعالى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ على عمومات الوعيد بالخلود ومن ذهب إلى أنه من المرجوحات الظنية المستندة إلى مجرد الاستبعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها على ما تكرر أن ما لم يتأولوه فتأويله بدعة ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور وسيأتي في موضعه الوجه في أنه أحوط الأقوال والله سبحانه أعلم." (١)

"تعالى لا يريد الشر لكونه شرا وانه عدل حكيم فيما أمر ونهى وما علمنا وما جهلنا كما مضى في مسألة حكيم فيجب أن يبنى العام على الخاص في هذه الآيات كما يبني في **آيات الوعد والوعيد ألا** ترى أنه قال فيها ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ثم فسر من يعذبه بالمشركين ونحوهم ومن يغفر له بالمؤمنين فلم يجز بعد تفسيره أن تخلى المشيئة مطلقة حتى تخاف العذاب على الانبياء ونرجو الرضوان لمن مات مشركا وكذلك في آيات الضلال والهدى الخاص الزائد على الفطرة لما بينها الله تعالى وبين أن هذا الهدى الخاص مثل الثواب يختص أهل الخير بالوعد الحق ومن شاء الله من غيرهم بمحض الرحمة والفضل وان الضلال يختص بمن يستحقه من الأشرار وجب أن يحكم بأن الله تعالى لا يضل المهتدين ولا يضل أحدا إلا الفاسقين كما دل عليه في كتابه المبين والعمل على هذا من قواعد علماء الاسلام المعلومة

وأما كراهة القبائح فعلى ظاهرها وأما ارادتها ومحبتها فلم يرد به سمع منصوص جلي ولا قرآن ولا سنة ولا متواتر ولا آحاد فلا تعارض هنا ألبتة بل جاء في كتاب الله تعالى أن الله لا يريد ظلما للعباد وفي آية أخرى للعالمين وإن كان أظهر التفسيرين أن المعنى لا يريد سبحانه ظلما منه لهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وذلك مثل تمدحه جل جلاله بأنه ليس بظلام للعبيد وقد أوضحت وجهه في العواصم في البحث العاشر من هذه المسألة لكنه يقال أنه تعالى إنما نفي أرادته ظلم العباد لقبح الظلم وقبح ارادته لا لكونه محالا في قدرته لأنه لا معنى للتمدح بترك المحال في القدرة لان المحال لا تنبغي ارادته وصحته وبكل حال فقواعد أهل السنة تقتضي الايمان بهاتين الآيتين وقول من يقول أن الله يريد الظلم الواقع وسائر القبائح يخالف مفهومهما فيتعين تركه احتياطا ومحاذرة من مخالفة مفهوم كتاب الله تعالى الذي لم يعارضه منطوق صريح في العقائد التي لا ضرورة بنا إلى النص فيها على ما لم ينصه الله تعالى ورسوله وسيأتي أن من ادعى أن المعاصي مراده إنما أطلق ذلك مجازا على ما سيأتي من نصوص الأشعرية عليه

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٢٧

والحاصل في الجمع وجوه الوجه الاول دعوى عدم التعارض الموجب للجمع على وجه دقيق وإنما هو من قبيل العام والخاص وهو جلي لا يسمى متشابها لوضوحه." (١)

"قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ليعبدني العابدون منهم على أحد التفاسير كما قررته بشواهده في العواصم

يوضح ذلك حديث الخليل عليه السلام وفيه نهيه عن الدعاء على من رآه يعصي الله وفيه ان الله تعالى قال له إن قصر عبدي مني إحدى ثلاث إما أن يتوب إلي فأتوب عليه أو يستغفرني فأغفر له أو أخرج من صلبه من يعبدني رواه الطبراني ثم الهيثمي في مجمع الزوائد وهذه الاشارة مع الفطرة تكفي بحسب هذا المختصر إن شاء الله تعالى وتقدمت بقية المباحث في المسألة الأولى في إثبات حكمة الله تعالى

المسألة السابعة **في الوعد والوعيد والاسماء** الدينية وليس في هذه المسألة تكفير ولا تفسيق باتفاق الفريقين فيما علمت إلا ما يأتي ذكره في إحدى صورتين لا يقع فيهما أحد من أهل العلم والخير وهما التكذيب بعد التواتر وتجويز الخلف على الله تعالى في الوعد بالخير لأن الفريقين متفقون على وجوب صدق الله تعالى وإنما اختلفوا عند تعارض بعض السمع في كيفية الجمع بين المتعارضات والترجيح لبعضها على بعض فيما يصح فيه الترجيح أو الوقف عند عدم التمكن من الجمع والترجيح وقد صح بعض الاختلاف بين الملائكة عليهم السلام كما دل عليه قوله تعالى ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون﴾ كما تقدم شواهده في مسألة اثبات الحكمة وورد في الحديث الصحيح اختلاف الملائكة في هذه المسألة بعينها وذلك حيث اختلفوا في حكم النادم المهاجر بعد قتل مائة نفس حتى جاءهم ملك فحكم بينهم فكانت الاصابة لملائكة الرحمة ولله الحمد والمنة والحديث طويل رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ولا يصح تأثيم أحد منهم بالاجماع لأن الذين أرادوا عذابه إنما اشتد غضبهم لله تعالى والذين أرادوا نجاته إنما رجوا له سعة رحمة الله تعالى فكذلك علماء الاسلام في هذه المسألة إنما خاف بعضهم من مفاسد الامان وخاف بعضهم من مفاسد القنوط ومن مفسدة تكذيب البشرى ومفسدة ثقة الانسان بنفسه وحوله وقوته وعلمه ونحو ذلك ومن نظر بعين التحقيق وجد القول الحق الوارد في السنة خاليا من جميع هذه المفاسد." (٢)

"ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله مبين لكتاب الله عز وجل أمين على تأويله وأن المرجع في بيان كتاب الله تعالى إلى السنة الصحيحة فليس في كتاب الله تعالى من تفاصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج وأمثالها إلا اليسير ولا شك أن الاستثناء **من الوعد والوعيد وتخصيص** العمومات بالأدلة المتصلة والمنفصلة مقبول إما على جهة الجمع ولا شك في جوازه وصحته وحسنه والاجماع على ذلك وكثرة وقوعه من سلف الامة وخلفها بل لا شك في تقديمه في الرتبة والبداية بذلك قبل الترجيح فان تعذر الجمع فالترجيح فان وضح عمل به وإن لم يتضح وجب الوقف لقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ولذلك اخترت الوقف في حكم قاتل المؤمن بعد الانتصاف منه للمظلوم والقطع على أنه فاسق

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٣٨

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٤٦

ملعون واجب قتله والبراءة منه والقطع أن جزاءه جهنم خالدا فيها كما قال الله تعالى على ما أراد وإنما وقفت في محل التعارض الذي أوضحته في العواصم لا على حسب ما قيل في أن الله تعالى في هذه الآية هل بين جزاءه الذي له أن يفعله إن شاء أو بين جزاءه الذي تخير له في تنجيزه حين لم يبق إلا حقه بعد استيفاء حق المظلوم المقتول والله سبحانه أعلم

فمن رجح الجمع بين وعيد القاتل وبين قوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وسائر آيات الرجاء وأحاديثه قال بالاول ومن رجح وعيد القاتل في هذه الآية وفي الاحاديث المخصصة لقتل المؤمن بقطع الرجاء كما أوضحته في العواصم رجح وعيد القاتل ومن تعارضت عليه ولم ير في تنجيز الاعتقاد مصلحة ولا له موجبا ولا اليه ضرورة رجح الوقف والله عند لسان كل قائل ونيته

ولا شك في ترجيح النص الخاص على العموم وتقديمه وعليه عمل علماء الاسلام في أدلة الشريعة ومن لم يقدمه في بعض المواضع لم يمكنه الوفاء بذلك في كل موضع واضطر إلى التحكم والتلون من غير حجة بينة وقد أجمع من يعتد به من المسلمين على تخصيص الصغائر من آيات الوعيد العامة على جميع المعاصي متى كان أهل الصغائر من المسلمين ولم يلزم من ذلك خلف في آيات الوعيد ولا كذب ولا تكذيب لشيء منها فكذلك." (١)

"وأنس بن مالك وابن عمرو رواه الحاكم في المستدرك من حديث جعفر ابن محمد الصادق عن أبيه الباقر عن جابر وفي حديث ابن عمر حرب بن شريح وثقه جماعة وفيه خلاف يسير ينجبر بالشواهد وروى عنه نحو ذلك بغير لفظه من طريق النعمان بن قراد وهو ثقة رواهما الهيثمي في مجمعه ولفظ حديث النعمان أن شفاعتي ليست للمؤمنين المتقين لكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين وروى الهيثمي نحو ذلك عن أم سلمة وعبد الله ابن بسر وأبي أمامة ومنهم من روى أن الله يفدي كل مسلم بكافر كما رواه مسلم من حديث أبي موسى بأسانيد على شرط الجماعة

ومن ذلك ما ورد فيمن كان آخر كلامه لا أله إلا الله وقد تقصاها الحافظ ابن حجر في تلخيصه في كتاب الجنائز ثم ما ورد في الرجاء لأهل الأمراض والفقر والمصائب وفي موت الاولاد والاصفياء وفي هذا النوع وحده عن ثمانية عشر صحابيا ثم ما جاء في فضائل الايمان والاسلام والوضوء والصلوات والصدقة والصلة والجهاد والشهادة والاذكار وسائر الاعمال الصالحة مع ما شهد لذلك من سعة رحمة الله تعالى المنصوصة في الكتاب والسنة وأنها الموجبة دخول الجنة لا العمل في أربعة عشر حديثا ويشهد لها أن الله تعالى سمى الجنة فضله في غير آية وأن المائة الرحمة أعدت ليوم القيامة في عشرة أحاديث ويشهد لها قوله تعالى ﴿كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ وما دل على جواز ورود ذلك من آيات القرآن الكريم وهي أنواع كثيرة

منها قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وهي أبين آية **في الوعد والوعيد وقد** جودت الكلام عليها في العواصم بحمد الله تعالى." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٤٧

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٥١

"الشيطان على أخيكم أما أنه يحب الله ورسوله رواه البخاري وكذلك حديث ضمضم عن أبي هريرة في المتآخيين المجتهد في العبادة والمسرف على نفسه كما تقدم في المسألة السابعة بل يدل عليه في حق أهل الاسلام قوله تعالى ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ فجعل الايمان بالله وحده غاية ينقطع عندها وجوب العداوة والبغضاء ومنه استئذانه صلى الله عليه وسلم وآله في زيارة قبري والديه وزيارته لهما وشفاعة إبراهيم لأبيه فان الباعث على تخصيصهم بذلك هو الحب للرحامة ومنه ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ لشدة شفقته ورفقه ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وآله اني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ثم نطقنا بعد ورجونا رواه في مجمع الزوائد في موضعين من خمس طرق أحدها صحيح وله شاهد عن ابن مسعود بل أحاديث الشفاعة المتواترة تشهد له والله أعلم

فيه وفي آية الممتحنة فائدة نفيسة هي أن ذلك آخر الامرين إن روى ما يعارض هذه الأدلة وقد ذكرت في العواصم أدلة كثيرة على تأخر ذلك في أول **مسألة الوعد والوعيد وهي** مفيدة جدا ثم وجدته قد ذكره النووي وقواه في شرح مسلم ويعضده ما نص عليه من العفو عمن فر يوم أحد ومن حديث أهل الافك إلا الذي تولى كبره منهم لأنه عبد الله بن أبي بن سلول وهو منافق ومنه حديث مسطح ونزول الآية فيه ومنه تحريم المشاحنة والمهاجرة بل جعلها كالشرك في منع المغفرة للمتهاجرين حتى يصطلحا كما صح ذلك من حديث أبي هريرة وله شواهد كثير عن أبي بكر وعوف بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاذ وأبي ثعلبة وأسامة وابن مسعود وجابر ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد في شحناء الرجل على أخيه والاخ يطلق على المسلم لقوله تعالى ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾ إلى قوله ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ فسمى الباغي أخا ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في المحدود." (١)

"روايتها وقد ذكرت منها كثيرا في آخر العواصم في أحاديث الرجاء ولولا خوف الاطالة لذكرتها هنا وكذلك ما جاء في من آمن بالله ورسله كقوله تعالى في الجنة ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ ونظائرها مما ذكرته في العواصم ومثل قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ ومثل أحاديث الشفاعة وقد تقدمت الاشارة إلى تواتر معنى ذلك في **مسألة الوعد والوعيد في** هذا المختصر وبسطتها في العواصم فقاربت خمسمائة حديث مع ما في القرآن العظيم مما يغني عنها لو لم ترد

ويشهد لها بعد ورودها على ما قدرته في العواصم في الكلام على قوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فهم الصحابة للبشرى فيها وفرحهم بها وإقرار المتأولين لها برواية ذلك عنهم وذلك يدل على عدم تأويلها ومنهم علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وقد جودت الكلام عليها هنالك بحمد الله وحسن هدايته وتوفيقه

ومن ذلك ما جاء فيمن أقام الاركان الخمسة ونحو هذه الأمور وهي أنواع كثيرة جدا معناها متواتر ضروري معارض لما يفهم منه تكفير المبتدعة من هذه الأمور ومن أقبح التكفير ما كان منه مستند إلى وجه ينكره المخالف من أهل المذهب مثل

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٧٤

تكفير أبي الحسين وأصحابه بنفي علم الغيب وهم ينكرونه وتكفير الاشعرية بالجبر الخالص الذي هو قول الجهمية الجبرية وهم ينكرونه والله تعالى يقول ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾

ومن العجب أن الخصوم من البهاشمة وغيرهم لم يساعدوا على تكفير النصارى الذي قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومن قال بقولهم مع نص القرآن على كفرهم إلا بشرط أن يعتقدوا ذلك مع القول وعارضوا هذه الآية الظاهرة بعموم مفهوم قوله ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ كما سيأتي بيانه وضعفه مع وضوح الآية الكريمة في الكفر بالقول عضدها حديثان." (١)

"فصل في الفسق

وهو أقسام باعتبار العرف الاول والآخر واسم الفاعل واسم الفعل وباعتبار التصريح والتأويل

فاما العرف الأول في اسم الفاعل فانه يدل ان الفاسق من الكفار من لا حياء ولا مروءة ولا عهد ولا عقد له كما فسره بذلك الزمخشري في بعض الآيات الدالة على ذلك فان الله تعالى يقول في الكفار من اليهود وغيرهم ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ وفي بعض الآيات ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ كما أوضحته في الاول من العواصم مبسوطا بسطا شافيا زائدا على ما يعتاد في ذلك من البسط

وأما باعتبار اسم الفعل ففيه قوله تعالى ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر في أحاديث كثيرة متفق على صحتها

وأما العرف المتأخر فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر والفاسق يختص بمرتكبها وعند المعتزلة لا يسمي كافرا ولا مؤمنا ولا مسلما وعند أهل الحديث والاشعرية لا يسمى كافرا وأما اسم الاسلام فان اعتبرنا تمامه وكماله لم نسمه مؤمنا ولا مسلما وان اعتبرنا أقله سميناه مؤمنا ومسلما الا ان تسميته مسلما اعتبارا بالاقل من مراتب الاسلام هو العرف الاكثر بخلاف تسميته مؤمنا وفي ذلك من الآيات والأحاديث ما لا يحتمله هذا المختصر وقد استوفيت الكلام فيه في **مسألة الوعد والوعيد في** آخر العواصم." (٢)

"كتاب وافق اسمه مسماه وصدق لفظه ومعناه وكذلك دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ورضي الله عنهم وأرضاهم وتعظيمهم وتكريمهم واحترامهم وتوقيرهم ورفع منزلتهم والاحتجاج باجماعهم والاستنان بآثارهم واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من انهم خير أمة أخرجت للناس وفيهم يقول الله تعالى ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ الآية

وفي تعظيم حق أهل البيت يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستة لعنتهم لعنهم الله وذكرهم الي أن قال والمستحل من عترتي لما حرم الله تعالى رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

وفي تعظيم حق الصحابة رضي الله عنهم يقول صلى الله عليه وسلم (اذا سمعتم من يلعن أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم)

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٧٩

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٤٠٧

رواه الترمذي

وكذلك يجب حب المؤمنين علمائهم وعامتهم ونصيحتهم واكرامهم لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه وقد تقدم في **مسألة الوعد والوعيد فوائد** تعلق بحكم الخالطين من المسلمين وخصوص المؤمنين والتحذير من مشاحنتهم واضمار الغل لهم والمحافظة على ذلك والتواصي به على مقتضى ما وصف الله تعالى به المؤمنين من التواصي بالحق والصبر والمرحمة جعلنا الله من العاملين بذلك وهو الهادي لا اله الا هو نعم المولى ونعم النصير له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل

والاولى لكل حازم أن يشترط في كل ما يعتقده من المشكلات المختلف فيها ان يكون موافقا لما هو الحق عند الله تعالى وأن لا يكون فيه مخالفة لشيء من كتب الله تعالى ولا لما جاءت به رسل الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام وان كان الوقف حيث يجوز أحزم وأسلم فان العصمة مرتفعة والثقة بالفهم أو الانصاف غير مفيد للعلم الضروري بالسلامة من ذلك." (١)

"الأخبار الإلهية لأنه يعاين ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام **من الوعد والوعيد وأعني** من المحتضرين ولهذا يكره موت الفجاءة وقتل الغفلة

فأما موت الفجاءة فحده أن يخرج النفس الداخل ولا يدخل النفس الخارج

فهذا موت الفجاءة وهذا غير المحتضر

وكذلك قتل الغفلة بضرب عنقه من ورائه وهو لا يشعر فيقبض على ما كان عليه من إيمان وكفر

أقول أولا إن هذه الدعوى تناقض قوله إن من حقت عليه كلمة العذاب الأخروي لا يؤمن حتى يرى العذاب الأخروي

وثانيا حده موت الفجاءة بما يخرج فيه النفس الداخل ولا يدخل الخارج غير صحيح لأن كل موت الفجاءة فهوهكذا ولا يمكن موت يدخل فيه النفس الخارج ولا يخرج الداخل وثالثا إن ما قاله من موت الفجاءة وقتل الغفلة في غاية القلة فكيف بقوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾

وكون بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين على ما جاء في الحديث الصحيح." (٢)

"وهو مذكور في الإرشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي، فلا يقدح مخالفة ما في الإرشاد وبقية كتبه التي وصلت إلى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الإرشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسألة.

قال الكوراني: وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين بن القيم في الباب السابع عشر منه، ولفظه: اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطرابا عظيما، واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا، وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري في شرح الإرشاد، ثم ساق عن تلميذ إمام الحرمين شارح الإرشاد، هذا الأنصاري

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٤١٧

(٢) نعمة الذريعة في نصرة الشريعة إبراهيم الحَلَبي ص/٢١٠

- كلاما فيه أن إمام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية، وانفرد به عن الأصحاب، ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الإرشاد المذكور: قلت: الذي قاله الإمام في النظامية أقرب إلى الحق مما قاله الأشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما، ونحن نذكر كلامه بلفظه، قال - يعني إمام الحرمين: قد تقرر عند كل حاظ بعقله، مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد أن الرب - سبحانه وتعالى - مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم إليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها، وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من التوصل إلى امتثال الأمر، والانكفاف عن مواقع الزجر، ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام، ولا حاجة إلى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به، ومن نظر في كليات الشرائع، وما فيها من الاستحثاث، والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود، والعقوبات، ثم تلفت على الوعد والوعيد، وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الأنباء، وقول الله لهم: لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل، وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، وأحاط بذلك كله، ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده." (١)

"أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ ١.

فالآية من أولها إلى آخرها تنادي بتكذيب هذا المعترض الذي يفسر كتاب الله برأيه.

(وجواب رابع) : وهو أن يقال: إذا جوزت أن يكون المراد بقوله -تبارك وتعالى-: ﴿إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ ٢ أن يكون المعنى أي: أرادوا الاقتتال، أو قوله: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ ٣ أي: أرادوا البغي؛ جاز أن يقال ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "من بدل دينه فاقتلوه" ٤، فيكون معنى الحديث عندكم: من أراد تبديل دينه وهم بذلك - وإن لم يتكلم ويعمل- فاقتلوه.

وهذا لا يقوله من يفهم ما يقول؛ وذلك لأن ما في القلوب من الإرادات والنيات لا يعلمه إلا الله، وجاز أن يكون معنى قوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ ٥ أي: يرد قتله وإن لم يقتله، وجازه -أيضا- ذلك في جميع **آيات الوعد والوعيد كقوله** تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا﴾ ٦ أي: يرد أن يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده، وإن لم يفعل ذلك، فإن طردت ما قلت لزمك أن تقول ذلك في جميع ما شابهها في **آيات الوعد والوعيد والأمر** والنهي.

حكاية مكذوبة

وأما الحكاية التي ذكرها أن معاوية رضي الله عنه أظهر لأهل الشام، أن عليا لا يصلي، حتى حاج بذلك بعض أهل الشام هاشم بن عتبة رضي الله عنه فهي من أظهر الكذب والبهتان عند من له أدنى معرفة بهذا الشأن، وقد ذكرنا بالنقول المتواترة أن أهل الشام إنما قاتلوا عليا ومن معه للطلب بدم عثمان -رضي الله عنه-؛ لأن قتلة عثمان كانوا رؤوس جيش علي، ولا يحكي مثل هذه الحكاية إلا من لا يستحي من الكذب.

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٣١٥/١

١ سورة الحجرات آية: ١٠.

٢ سورة الحجرات آية: ٩.

٣ سورة الحجرات آية: ٩.

٤ البخاري: الجهاد والسير (٣٠١٧) ، والترمذي: الحدود (١٤٥٨) ، والنسائي: تحريم الدم (٤٠٥٩، ٤٠٦٠، ٤٠٦١، ٤٠٦٢، ٤٠٦٤، ٤٠٦٥) ، وأبو داود: الحدود (٤٣٥١) ، وابن ماجه: الحدود (٢٥٣٥) ، وأحمد (٢١٧/١، ٢٨٢/١، ٣٢٢/١) .

٥ سورة النساء آية: ٩٣.

٦ سورة النساء آية: ١٤.." [١]

"ولا شرب ولا غسل ولا دهن ولا نكاح بل الصالحون باقون فيه ويستلذون من نور الله تعالى يريدون بذلك أن تلك الأنفس تستلذ بما تعقل من الباري بما تستلذ سائر طبقات الملائكة بما عقلوا من وجوده سبحانه فالسعادة والغاية القصوى هي الوصول إلى هذا الملأ الأعلى والحصول في هذا الحد هو بقاء النفس كما وصفنا إلى ما لا نهاية له ببقاء الباري جل اسمه وهذا هو الخير العظيم الذي لا خير يقاس به ولا لذة يمثل بها وكيف تمثل الدائم بما لا نهاية له بالشيء المنقطع وهو قوله تعالى في نص التوراة لكي يطيب لك في العالم الذي كله طيب ويطيل أيامك في العالم الذي كله طائل والشقاوة الكاملة هو انقطاع النفس وتلفها وأن لا تحصل باقية وهو القطع المذكور في التوراة كما بين وقال انقطاعا ينقطع من هذا العالم وينقطع من العالم المستقبل فكل من أخلد إلى اللذات الجسمانية ونبذ الحق وآثر الباطل انقطع من ذلك البقاء والعلو وبقي مادة منقطعة فقط وقد قال النبي أشعيا إن العالم المستقبل ليس يدرك بالحواس وهو قوله لا عين تقدر تراه

وأما الوعد والوعيد المذكور في التوراة في لذات هذا العالم فتأويله ما أصف لك وذلك أنه يقول لك إن امتثلت هذه الشرائع نعينك على امتثالها والكمال فيها ونقطع عنك العلائق كلها لأن الإنسان لا يمكنه العبادة لا مريض ولا جائع ولا عاطش ولا في فتنة فوعد بزوال هذه كلها وإنهم يصحون ويتذهنون حتى يكمل لهم المعرفة ويلتحقون بالعالم المستقبل فليس غاية التوراة إلا أن تخصب الأرض وتطول الأعمار وتصح الأجسام وإنما يعان على امتثالها بهذه الأشياء كلها وكذلك إن تعدوا كان عقابهم أن تحدث عليهم تلك العوائق كلها حتى لا يمكن أن يعملوا صالحة فإذا تأملت هذا التأمل العجيب تجده كأنه يقول إن فعلت بعض هذه الشرائع بمحبة وفرض نعينك عليها كلها بأن نزيل عنك العوائق والموانع وإن ضيعت منها بعضها استخفافا نجلب عليك موانع تمنعك من جميعها حتى لا يحصل لك كلام ولا بقاء انتهى." [٢]

(١) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص/٢٠٩

(٢) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات الشوكاني ص/١٧

"متشابها مثاني﴾ أي: يثني فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام، ﴿تقشعر﴾ أي: تضطرب وتشمئز١ ﴿منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ ٢ يعني إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ٣

روي عن العباس بن عبد المطلب٤٥ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا اقشعر جلد العبد المؤمن٦ من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها "٧ وفي رواية: " حرمه الله على النار "٨

---

١ في"ع"تمايز.

٢ سورة الزمر، الآية: ٢٣.

٣ سورة الأنفال، الآية: ٢.

٤ في"ع"و"ش": (ابن عبد المطلب) .

٥ هو: عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو الفضل القرشي المكي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه وهاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين واختلف في وفاته ما بين ٣٢ هـ إلى ٣٤ هـ. انظر ترجمته في:"تهذيب التهذيب": (٥/ ١٢٢) ،"الإصابة": (٥/ ٣٢٨- ٣٢٩) ،"أسد الغابة": (٣/ ٦٠- ٦٣) .

٦ كلمة: (المؤمن) من"الأصل"، وقد سقطت في بقية النسخ.

٧"معجم الطبراني الكبير": (ح ٥٨٧٩) ، وقد ذكره في"كنز العمال": (٣/ ١٤١- ١٤٢) محالا عليه."تاريخ بغداد"للخطيب: (٤/ ٥٦) ، البزار"مجمع الزوائد": (١٠/ ٣١٠) ،"تفسير البغوي": (٤/ ٧٦) .

٨"تفسير البغوي": (٤/ ٧٧) . .." (١)

"ليس من المتواتر فلا يطعن فى إيمانه عدم التصديق به والأصل فى جميع ذلك أن من أنكر شيئا وهو يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم حدث به أو قرره فقد طعن فى صدق الرسالة وكذب بها ويلحق به من أهمل العلم بما تواتر وعلم أنه من الدين بالضرورة وهو فى الكتاب وقليل من السنة فى العمل

من اعتقد بالكتاب العزيز وبما فيه من الشرائع العملية وعسر عليه فهم أخبار الغيب على ما هى عليه فى ظاهر القول وذهب بعقله إلى تأويلها بحقائق يقوم له الدليل عليها مع الاعتقاد بحياة بعد الموت وثواب وعقاب على الأعمال والعقائد بحيث لا ينقص تأويله شيئا من **قيمة الوعد والوعيد ولا** ينقص شيئا من بناء الشريعة فى التكليف كان مؤمنا حقا وإن كان لا يصلح اتخاذه قدوة فى تأويله فإن الشرائع الإلهية قد نظر فيها إلى ما تبلغه طاقة العامة لا إلى ما تشتهيه عقول الخاصة والأصل فى ذلك أن الإيمان هو اليقين فى الاعتقاد بالله ورسله واليوم الآخر بلاقيد فى ذلك إلا احترام ما جاء به على ألسنة الرسل

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/٤٠٦

بقيت علينا مسألتان وضعتا من هذا العلم فى مكان من الاهتمام وما هما منه إلا حيث يكون غيرهما مما أجملنا القول فيه الأولى جواز رؤية الله تعالى فى الآخرة والأخرى جواز وقوع الكرامات وخوارق العادات من غير الأنبياء من الأولياء والصديقين أما الأولى فقد اشتد فيها النزاع ثم انتهى إلى وفاق بين المنزهين لا مجال معه للتنازع فإن القائلين بجواز الرؤية من أهل التنزيه متفقون على أن الرؤية لا تكون على المعهود من رؤية البصر المعروفة لنا فى مجرى العادة بل هى رؤية لا كيف فيها ولا تحديد ومثلها لا يكون إلا يبصر يختص الله به أهل الدار الآخرة أو تتغير فيه خاصته المعهودة فى الحياة الدنيا وهو مالا يمكننا معرفته وإن كنا نصدق بوقوعه متى صح الخبر والمنكرون لجوازها لم ينكروا انكشافا يساويها فسواء كان ذلك بالبصر الغير المعهود أو بحاسة أخرى فهو فى المعنى يرجع إلى قول خصومهم ولكن منى الإسلام بقوم يحبون الخلاف والله فوق ما يظنون وأما الثانية فأنكر جواز وقوع الكرامات أبو إسحاق الاسفرايني من." (١)

"والنهي فان نفس الفعل المأمور به هو تأويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر والكلام خبر وأمر ولهذا يقول أبو عبيد وغيره الفقهاء اعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الأمر والنهي لا (بد) من معرفته بخلاف تأويل الخبر اذا عرف ذلك فتأويل ما اخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله تعالى به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون **من الوعد والوعيد ولهذا** ما يجيء في الحديث يعمل بمحكمة ويؤمن بمتشابهه لأن ما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الاخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أفي الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته فاسماء الله تعالى وصفاته أولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم تشابه ان لا يكون لأجلها الخالق مثل ولا حقيقته كحقيقته والاخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما في الشاهوفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب." (٢)

""ومن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة" ولم يقل: "كان أسعد الناس بشفاعتي " بل قال: "أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه". فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الأعمال وإن كان صالحا، كسؤال الوسيلة للرسول، فكيف بما لم يأمر به من الأعمال بل نهى عنه، فذاك لا ينال به خيرا لا في الدنيا ولا في الآخرة، مثل غلو النصارى في المسيح، فإنه يضرهم ولا ينفعهم، ونظير هذا في الصحيح عنه أنه قال: "إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء

---

(١) التوحيد لمحمد عبده محمد عبده ص/١٠٥

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ١٤/٢

الله من مات لا يشرك بالله شيئا"١.

وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد، فبحسب توحيد العبد لربه وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها، وهو سبحانه **علق الوعد والوعيد والثواب** والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته، فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة، ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي رزقهم، وهو الذي يدفع عنهم المكاره، وهو الذي يقصدونه في النوائب، قال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ ٢. وقال تعالى: ﴿قل من يكلأكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ ٣ أي: بدلا عن الرحمن هذا أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ ٤ أي: لجعلنا بدلا منكم، كما قاله عامة المفسرين، ومنه قول الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربة ... مبردة باتت على طهيان

أي: بدلا من ماء زمزم، فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله، قال تعالى: ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن

---

١ أخرجه البخاري (٧٤٧٤) ومسلم (١٩٩) .

٢ سورة النحل: ٥٣.

٣ سورة الأنبياء: ٤٢.

٤ سورة الزخرف: ٦٠.." (١)

"في هذه الآية ونفى أحد أن يعلم معناه ١ وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عن عما دلت عليه ونصوص أحمد أجمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منه للبعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير ذلك، وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد مثل قوله: "من غشنا فليس منا" وأحاديث فضائل ومقصوده أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر، فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأن لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر، فاتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته. انتهى.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٢٠٦/١

فتأمل ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: فهذا اتفاق من

---

١ كذا ولعل أصله: أن يعلم معناه أحد.." (١)

"الكلام في الإيمان والكفر فمن قال: إن العبادة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص ولا يكفر مؤمنا بذنب، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجئا، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم.

وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام **في الوعد والوعيد والقدر**، فمن قال: القرآن ليس بمخلوق، وأثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي، ولو وافقهم في سائر مقالاتهم.. -وساق بقية ذلك إلى أن قال - ... وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمس من مثبت لها وناف، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علوا كبيرا، ونظير هذا التباين قول الجهمية أن العبد لا قدرة له أصلا، وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه. انتهى.

وقال القرطبي في شرح حديث "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ": هذا الشخص

....

الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق، ورده بالأوجه الفاسدة، والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسلف أمته، إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة." (٢)

"إن كانوا صادقين﴾ [الطور: ٣٣] وقال تعالى وتقدس: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ [هود: ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة، وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهجزه ورجزه، مع شدة معاندتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا يطيقون، كلام ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سمي له ولا كفو له وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة والأحكام الواقعة، **ونبأ الوعد والوعيد والترغيب** والترهيب والتهديد

---

(١) تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة سليمان بن سحمان ص/٣٣

(٢) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية فيصل المبارك ص/١٠٧

وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم: كاهن شاعر مجنون وغير ذلك، إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم، ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته؛ لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئا، ولما عدلوا إلى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء، ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين، وتبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين." (١)

"من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦] قيل إن المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان، ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضا فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت وكذا جاء في العرش إن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل عليه السلام عند موته كما في حديث الصور الطويل وقوله ولأجل هذا قال جهم إنها عدم إلخ يعني أن لجهم إلحادا في آيات الله جميعها، فكما ألحد في آيات الأسماء والصفات ألحد أيضا في **آيات الوعد والوعيد وجحد** وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضا بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتي إن شاء الله وقوله رحمه الله:

والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسادهم حفظت من الديدان إلخ

يشير إلى ما في السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي" قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال: "يقولون بليت" قال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" ١.

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لا

---

١ رواه أحمد ٤/ ٨ وأبو داود ١/ ٢٧٥/ ح١٠٤٧ في الصلاة باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة والنسائي ٣/ ٩١ و٩٢ في الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الجمعة، وابن ماجه ١/ ٣٤٥/ ح١٠٨٥ في إقامة الصلاة باب في فضل يوم الجمعة والدارمي ١/ ٣٦٩ في الصلاة باب في فضل الجمعة وابن حبان ٢/ ١٣٢ والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٠ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقد صححه الدارقطني والنووي.." (٢)

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢٨٣/١

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٧٩٢/٢

"قال: لا تبشرهم فيتكلوا " ١ (١) أخرجاه في الصحيحين (٢) .

---

(١) وفي رواية: " إني أخاف أن يتكلوا " أي يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة اعتمادا على ما يتبادر من ظاهر الحديث. وفي رواية: فأخبر بها معاذ عند موته تأثما أي تحرجا من الإثم. قال أبو المظفر: ((لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة. فأما الأكياس فإذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم)) .

قال المصنف: وفيه جواز كتمان العلم للمصلحة، والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. وسئل عن معنى هذا الحديث، ومعنى " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله " ٢ فقال: معنى حديث معاذ عند السلف على ظاهره، وهو من الأمور التي يقولون: أمروها كما جاءت، يعني نصوص الوعد والوعيد، وقوله: " لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله " على ظاهره، وهو أن الله لو يستوفي حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ ٣.

(٢) أي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة. والبخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد وغير ذلك. روى عن أحمد والحميدي وابن المديني وطبقتهم، وعنه مسلم والنسائي والترمذي وغيرهم، ولد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ.

ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح والعلل والوحدان وغير ذلك، روى عن أحمد وابن معين وابن أبي شيبة والبخاري وطبقتهم، وعنه الترمذي وخلق. ولد سنة ٢٠٤، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١ هـ.

---

١ البخاري: الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، ومسلم: الإيمان (٣٠) ، والترمذي: الإيمان (٢٦٤٣) ، وابن ماجه: الزهد (٤٢٩٦) ، وأحمد (٢٦٠/٣، ٢٢٨/٥، ٢٢٩/٥، ٢٣٠/٥، ٢٣٤/٥، ٢٣٦/٥، ٢٣٨/٥، ٢٤٢/٥) .

٢ البخاري: الإيمان (٤٨) ، ومسلم: الإيمان (٦٤) ، والترمذي: البر والصلة (١٩٨٣) والإيمان (٢٦٣٤، ٢٦٣٥) ، والنسائي: تحريم الدم (٤١٠٥، ٤١٠٦، ٤١٠٨، ٤١٠٩، ٤١١٠، ٤١١١، ٤١١٢، ٤١١٣) ، وابن ماجه: المقدمة (٦٩) والفتن (٣٩٣٩) ، وأحمد (٣٨٥/١، ٤١١/١، ٤١٧/١، ٤٣٣/١، ٤٣٩/١، ٤٤٦/١، ٤٥٤/١، ٤٦٠/١ (.

٣ سورة الزمر آية: ٣٥.." (١)

"موجودات الدنيا تشبه موجودات الآخرة

...

قوله:

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢٢

إذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة لنفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به تعالى **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد. ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا، وعسلا وخمرا ونحو ذلك. وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته. فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وأن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته. والإخبار عن الغائب لا يفهم أن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فنحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به: من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب وفسرنا ذلك.

وأما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالوا: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

وكذلك قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك قبله: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان" فبين أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.." (١)

"ش: يعني إذا عرف أننا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه وعرفت أنواع التأويل وأن منها ما يعلمه العباد وهو التفسير، ومنها مالا يعلمه إلا الله وهو الكيفيات وعرف انقسام الكلام إلى خبر وأمر، وأن تأويل الخبر هو عين وقوع المخبر ووجوده، وتأويل الأمر هو نفس فعل المأمور به.

إذا عرف ذلك كله فإن تأويل ما أخبر الله به عن نفسه هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وهي كنه ذاته وصفاته وتأويل ما أخبر الله به **عن الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من البعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار، فكيفية صفات الله هي التأويل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكذلك ما وعد به في الجنة يعلم العباد تفسيره.

وأما حقائقه على ما هي عليه فلا يمكن أن نعلمها نحن حتى تكون الساعة، ومن أجل أن من التأويل مالا يعلمه إلا الله، يتعين على المسلم أن يعمل بمحكم السنة ويؤمن بمتشابهها. فما جاء في القرآن الكريم أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجب العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، وفي نصوص القرآن والحديث ألفاظ ومعاني تشبه ما نعلمه في الدنيا، ولكن ليست الحقيقة هي نفس الحقيقة، كما أن هذه الحقيقة ليست مماثلة لتلك الحقيقة، بل بينهما قدر مشترك وقدر مميز، فأسماء الله وصفاته وأن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي، إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا في الدنيا، إلا أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة، ففي الآخرة لبن وعسل وخمر وأنهار من ماء، وفيها سرر مرفوعة وأكواب

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ١/ ٢٠٠

موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، فبينهما اتفاق في الاسم وفي المعنى الكلي المشترك، بواسطته عرفنا معاني ما خوطبنا به، فإن الإخبار عن الغائب لا يفهم أن لم يعبر عنه." (١)

"النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره زعما منهم أنه إذا أوعد عبيده فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، كما يغلون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدخلون تحت ستار ذلك الخروج على الأئمة، بينما الجهمية المرجئة لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر فلا يجزمون بثواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وبذلك يضعف جانب إثباتهم للأمر والنهي والجزاء على الأعمال، غير أن المعتزلة وأن عظموا جانب الأمر والنهي فهم مكذبون بقدر الله السابق ومعتقدون بأن العبد يخلق فعل نفسه، ومن هذه الجهة فهم مشركون في الربوبية، وإنكارهم للقدر وغلوهم **في الوعد والوعيد وإن** كان باطلا إلا أنه خير من إثبات القدر مع الغلو فيه، وحينئذ فأهل الكلام وأرباب التصوف المجبرة شر من المعتزلة ونحوهم كالشيعة القدرية فإن هؤلاء يعظمون الأمر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا أنهم إذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقا متناولا لكل شيء لزم من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته، وقد غلطوا في ذلك. أما أهل الكلام والتصوف، فأثبتوا القدر وآمنوا بأن الله رب كل شيء ومليكه وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء، وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد وأفرطوا حتى أفضى بهم ذلك إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ والقدرية يشبهون المجوس، وهؤلاء المتصوفة المجبرة يشبهون المشركين فأولئك القدرية وإن كانوا يشبهون المجوس من حيث أنهم أثبتوا فاعلا غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين والمشركون شر من المجوس فإن المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين، وذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم وطعامهم، وأما المشركون فاتفقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم. أما إقرارهم على الجزية فجمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون بها وإن أقرت المجوس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من." (٢)

"وقد ثبت في الصحيح أنها تعدل ثلث القرآن (١) .

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال؛ أقربها [ما نقله شيخ الإسلام عن أبي العباس] (٢) ، وحاصله (*) أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذبين لهم، وأحوال الوعد والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالا؛ صح أن يقال: إنها تعدل ثلث القرآن.

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ١/٢٠١

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٢/٨٦

وأما كيف اشتملت هذا السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول:

إن قوله تعالى: ﴿الله أحد﴾ دلت على نفي الشريك من كل وجه: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال؛ كما دلت على تفرده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء، ولهذا لا يطلق لفظ ﴿أحد﴾

---

(١) ((البخاري)) في التوحيد، (باب: ما جاء في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته إلى التوحيد) قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن)) .

(٢) في طبعة الجامعة الإسلامية: [ما نقله شيخ الإسلام أبو العباس] . والصواب ما هو مثبت هنا، وكذا في طبعة ((الإفتاء)) ، وأبو العباس هو أبو العباس بن سريج.

انظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٠٣/١٧) .

Qنص عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية التي ذكر المؤلف أن هذا حاصلها: " قد قيل فيه – أي في توجيه كون سورة " قل هو الله أحد " تعدل ثلث القرآن – وجوه أحسنها والله أعلم الجواب منقول عن الإمام أبي العباس بن سريج عن أبي الوليد القرشي أنه سأل أبا العباس بن سريج عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: " قل هو الله أحد " تعدل ثلث القرآن؟ ! فقال: معناه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام، ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات ". أهـ إسماعيل الأنصاري. [ص ٦٣]." (١)

"ولا بكسبه ولا بتجاربه أي أنه تعالى يمنحه قوة ما في مقدوره ما يكون سببا في بلوغه الى الخير ..

قال تعالى: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ (سورة الحجرات)، والله عليم بمن يصلح لهذا الفضل، ومن لا يصلح له ...

أما الخذلان فهو أن يترك العبد لاجتهاده وما منحه من المواهب العامة، فلا يمنحه شيئا من العناية التي يمنحها ممن كتب لهم التوفيق، والله سبحانه لا يظلم العبد بذلك شيئا.

هذا والتقوى والصدق والتوكل على الله تعالى مع إتخاذ الأسباب، والتعرض لنفحات الله تعالى من أعظم أسباب التوفيق قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ (سورة الطلاق).

كلمة جامعة:

أجاب سيدنا علي كرم الله وجهه حين سئل: أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال للسائل: "ويحك، لعلك

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/٨١

ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما، ولو كان كذلك لبطلا الثواب والعقاب **وسقط الوعد والوعيد** .. إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا، ولم يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يعصى مغلوبا، ولم يطيع مكرها، ولم يرسل الأنبياء لعبا، ولم ينزل الكتاب للناس عبثا، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار".." (١)

"المسلمون اليوم عن الحق معرضون، وفي الباطل يخوضون، ولصرح الاسلام ينقضون، وفي طريق الفساد يركضون وبالملاهي يفرحون.

أين الصالح من الفاسد في هذه المجتمعات والعابد من الفاسق، والطامع من الزاهد، أين المساجد من الملاهي ودور السينما، أين المعابد من بيوت الدعارة والحانات أين الصائم القائم المجاهد من الطامع الكاسي الراقد.

لهذا يجب إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق الدين الحنيف والأخلاق الإسلامية لأنها هي العنصر الفعال في إصلاح الشعوب والأمم في جميع الإتجاهات، وهي الزاد والمجد للوصول الى الغاية المنشودة، وفقدانها يجر حتما إلى الفشل والإندحار، ويدفع الأفراد والجماعات الى الهلاك والدمار، وضعف المسلمين الحالي سببه الإنحطاط الملقى عليهم الأخلاق الإسلامية تدعوا الى التعاون والتراحم، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

المؤمن يتحلى بكل فضيلة، وينفر من كل رذيلة، وتأباها له همة عالية، وآداب سامية، وآمال أعمال صالحة متوالية يحبها الله منه ويرضاها، المؤمن تمنعه ديانته عن إرتكاب الذنوب والمعاصي، وتحجزه مروءته عن العيوب. وليس من الدين أن توحدوا الله- أيها المسلمون- بألسنتكم وأنتم بدينه متساهلون، ولأحكامه مهملون، **وعن الوعد والوعيد ذاهلون** تحللون وتحرمون ما تشاؤون، وليس من الإيمان أن تتظاهروا بالخير فيما تقولون، وأنتم تنشرون الشر فيما تفعلون.

لو أصلح المسلمون ما بأنفسهم، واعتصموا بحبل الله جميعا كما أمروا وأصلحوا ذات بينهم لعادوا الى ما كانوا عليه من المجد والعظمة أيام تمسكهم بتعاليم دينهم، ولو أنهم احتكموا في خصوماتهم الى كتاب الله وسنة رسوله، وما استنبط العلماء للمسلمين في مهمات الحوادث لما اختلفوا، ولو أنهم نشروا العلم الديني، والإصلاح الحقيقي في أوطانهم لما اختلفوا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أيها المؤمنون أين ما وعدكم الله به من العزة؟؟ أتشكون في وعد الله؟ والله لا يخلف الميعاد، المسلم يعبد ربه بظاهره." (٢)

"٢- المنزلة بين المنزلتين.

٣- العدل.

٤- الوعد والوعيد.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه الأصول الخمسة يتفق عليها جميع طوائف المعتزلة على اختلاف بينهم بل لا يعتبر معتزليا من لم يؤمن بها على تفسيرهم

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/٢٣٦

(٢) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/٢٣٨

الفلسفي، ولو ادعى أنه منهم.

يقول الخياط وهو أحد زعمائهم في القرن الثالث: "وليس يستحق أحد اسم (الاعتزال) حتى يجمع القول بالأصول الخمسة، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي"١اهـ.

ومن تلك الأصول عندهم (التوحيد) حيث فسروه تفسيرا خاصا وفلسفيا، وبالغوا في تحليله - في زعمهم- وفي فلسفته إلى أقصى حد وصوروا للناس معنى التوحيد بأنه سلوب محض، يقشعر جسم المؤمن الذي يقدر الله حق قدره عند قراءتها أو سماعها وهي سلوب لا تتضمن أي مدح أو كمال كقولهم: ليس بجسم ولا بذي عرض، ولا طول٢، إلى آخر تلك السلوب التي أسرفوا فيه إسرافا.

ومن ثم نسب إليهم هذا التوحيد بهذا التفسير، وفي رأينا إنه ليس بتوحيد، بل هو شيء آخر غير التوحيد وإلا فلو بقي التوحيد في تصوره الصحيح وتفسيره الإسلامي السليم، الذي يتضمن النفي والإثبات والكمال المطلق لله، لما خصوا به لأنه بهذا المعنى معتقد كل مسلم، ولأنه معنى (لا إله إلا الله) بهذا المفهوم وهي كلمة التوحيد، هذا وإن الذي حمل القوم على هذا المعنى الفلسفي للتوحيد أنهم زعموا أن في القرآن آيات تتناقض في ظاهرها، إذ هناك آيات تدل على التنزيه مثل قوله تعالى:

---

١ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص: ٤٠، تحقيق عبد الكريم عثمان.

٢ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص: ٢١٦، تحقيق محي الدين عبد الحميد.." (١)

"النفاة آنفا. وهم أولئك الذين ينفون الصفات، ويدعون إثبات الأسماء. وهو إثبات لا قيمة له، لأن الأسماء عندهم لا تدل على معانيها، بل هي كالأعلام الجامدة، وكذلك الذين يفرقون بين ما جمع الله في كتابه أو فيما أوحى به إلى نبيه حيث يثبتون بعض الصفات ويؤولون بعضها تأويلا قد يؤدي إلى نفي حقيقة صفة من صفات الله. فهؤلاء ينالهم نصيبهم من الإلحاد وإن لم يبلغوا مبلغ الذين قبلهم من النفاة.

خامسها: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وهو يقابل إلحاد المعطلة الذي تحدثنا عنه آنفا: فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم الطرق، -كما يقول الإمام ابن القيم١- وهو أمر واضح فلا تتم السلامة من الإلحاد٢ إلا لمن نهج منهج السلف وعلماء الحديث بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يعطل ولا يشبه بل هو وسط بين الفريقين، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب التي تتفرق فيها الفرق -وهم بين التفريط والإفراط- مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ولهذا كله يعتبر منهج السلف الصالح سفينة نوح عليه السلام التي لا تكتب النجاة والسلامة إلا لركابها، وأما من تخلف عنها فله الغرق والهلاك ولا محالة.

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/١٤٢

---

١ راجع بدائع الفوائد للإمام ابن القيم ١٦٩/١.

٢ وكلمة الإلحاد لا تعني دائما الكفر، بل قد يكون الإلحاد كفرا، وقد يكون معصية ومخالفة، ولا يصل إلى درجة الكفر، ومثله الفسق، لأنه قد يكون معصية فقد لأنها خروج في الجملة، ويقد يكون كفرا، والله أعلم.." [1]

"وقال أبو عبيد: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن١.

ويمكن أن يعترض على الرأي القائل بأنها اللغات السبع: باختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح، وكلاهما قرشي، ولغتهما واحدة.

الرأي الثاني:

أنها سبعة من المعاني، أو الأحكام، أو طرائق التعبير التي جاءت في الكتاب العزيز.

والقائلون بهذا لهم عدة تفسيرات.

فمنهم من قال: هي، الحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والإخبار.

ومنهم من قال: هي: الناسخ، والمنسوخ، والخاص، والعام، والمجمل والمبين، والمفسر.

ومنهم من قال: هي: الأمر، والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والاستخبار، والزجر.

ومنهم من قال: هي: الوعد والوعيد، والمطلق والمقيد، والتفسير، والإعراب، والتأويل٢.

وقد يحتج لهذه الآراء بحديث ابن مسعود عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب، على سبعة أحرف: زجر وأمر،

---

١ النشر ج١ ص٧٥، وراجع الإبانة لمكي ص٧٢- ٧٣.

٢ النشر ج١ ص٧٥- ٧٦.." [2]

"- والوعيدية بالعكس؛ نظروا إلى نصوص الوعيد، فأخذوا بها، وغفلوا عن نصوص الوعد.

فلهذا اختل توازنهم لما نظروا من جانب واحد.

* وأهل السنة والجماعة أخذوا بهذا وهذا، وقالوا: نصوص الوعيد محكمة؛ فنأخذ بها، ونصوص الوعد محكمة؛ فنأخذ بها. فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة، وقالوا: فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار؛ لئلا نهدر نصوص الوعيد؛ غير مخلد فيها؛ لئلا نهدر نصوص الوعد.

فأخذوا بالدليلين ونظروا بالعينين.

* * *

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/٣٦٢

(٢) مدخل في علوم القراءات السيد رزق الطويل ص/١٣٧

عليه السلام الأصل الرابع: أسماء الإيمان والدين:

قال المؤلف: "وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة الجهمية".

الشرح:

* هذا في باب الأسماء والدين، وهو غير باب الأحكام الذي هو الوعد والوعيد؛ ففاعل الكبيرة ماذا نسميه؟! أمؤمن أم كافر؟!

* وأهل السنة وسط فيه بين طائفتين: الحرورية والمعتزلة من وجه، والمرجئة الجهمية من وجه:." (١)

"الكلام على المفاضلة بين محمد ويونس عليهما السلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما ما يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تفضلوني على يونس) وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا، فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيرا عظيما.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظا ومعنى، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) ، وفي رواية: (من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب) ، وهذا اللفظ يدل على العموم، أي: لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدا على يونس؛ وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه.

وقال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء:٨٧] .

فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام؛ إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء:٨٧] ، كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم قد قال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف:٢٣] .

وآخرهم وأفضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح من رواية علي بن أبي طالب وغيره بعد قوله: (وجهت وجهي) إلى آخره قال: (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، لا يغفر الذنوب إلا أنت) إلى آخر الحديث.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ [القصص:١٦] ، وأيضا فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ [القلم:٤٨] فنهي نبينا صلى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٧١/٢

الله عليه وسلم عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم؛ حيث قيل له: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف:٣٥] ، فقد يقول من يقول: أنا خير منه، وليس للأفضل أن يفتخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل؛ فإن الله لا يحب كل مختال فخور.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد) ، فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟! فلهذا قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) ، فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس.

وقوله: (من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب) فإنه لو قدر أنه كان أفضل فهذا الكلام يصير نقصا، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر:٦٥] ، وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره؛ إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ولهذا أتبعه بقوله: (ولا فخر) كما جاء في رواية، وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: إن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟ فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب، فانظر إلى هذا الاستدلال؛ لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله: (محيط بكل شيء وفوقه) إن شاء الله تعالى] .

في هذا الشرح الطويل رد على بعض علماء الأشاعرة، وهو الجويني، ذكروا أنه استدل بقوله في الحديث: (لا تفضلوني على يونس) استدل به على مسألة نفي العلو، أن الله ليس فوق عرشه وليس فوق عباده، وفسر ذلك بأن يونس في وسط البحر ومحمد فوق السموات السبع، وكلاهما بالنسبة إلى الله سواء، يعني: كلاهما في القرب منه سواء، فالذي في لجة البحر والذي فوق سبع سماوات كلاهما في القرب من الله سواء، استدل الجويني بهذا على أنه ليس الرب تعالى فوق العرش ولا فوق السموات، كقولهم: إن الله في كل مكان -تعالى الله عن قولهم-، ورد عليهم الشارح بما سبق، وبين أن هذه مقالة شنيعة من وجوه: أولا: أن الحديث لم يثبت بهذا اللفظ: (لا تفضلوني على يونس بن متى) ، وإنما الذي ثبت قوله: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) .

وسبب الحديث أنه قد يقول رجل: أنا خير من يونس، فيونس ذهب مغاضبا وظن ألن يقدر عليه، ويونس نبذ بالعراء وهو مذموم، ويونس التقمه الحوت، فأنا خير منه إذا ما فعلت هذه الأفعال، فقد يقول ذلك بعض الناس، فنهاهم وقال: لا تقولوا؛ فإن يونس نبي من أنبياء الله أجرى الله على يديه هذه الآيات وهذه المعجزات؛ حيث إنه التقمه الحوت ولم يمت في بطن الحوت، ولبث في بطنه مدة ولم يمت، وكذلك أمر الله الحوت أن ينبذه على ساحل البحر، وأنبت الله عليه شجرة من

يقطين، وأرسله إلى قومه وهم مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، فله فضائل، ولو أنه قد اعترف بالظلم، نقول: هذا الظلم لا ينقصه، بل نبينا عليه السلام قد اعترف بالظلم، وكذلك أبوه آدم قد اعترف بقوله: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا﴾ [الأعراف:٢٣] إلى آخره، فلا ينبغي أن يغتر بهذه اللفظة المنقولة عن هذا الرجل الذي هو الجويني، ذكروا أنه قال: في هذه الآية دليل على أن الله ليس فوق العرش في هذا الحديث، ولا أفسره حتى تجمعوا لي مالا، فجمعوا له أموالا وأعطوه إياها، فلما فسرها لهم هذا التفسير أعجبوا به غاية الإعجاب، وهو تفسير بعيد عن الصواب.." (١)

"قبول ما جاء في كلام المعتزلة من حق

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وبالجملة فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء وأنه يتكلم شيئا بعد شيء، فهو حق يجب قبوله، وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وإنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منها.

فإذا قالوا لنا فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث –بهذا المعنى– به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضا مع صريح العقل] .

يعني: أننا نقبل ما جاءوا به من الحق ونرد الباقي، فإذا قالوا: إن كلام الله تعالى صفة قائمة بذاته.

قلنا: هذا صحيح، ولكن قولهم: إنه معنى واحد، هذا لا نوافقهم عليه، وذلك لأن فيه ذكر الجنة وفيه ذكر النار، فعلى أنه معنى واحد لا يكون بين آية الوعد والوعيد فرق، وكذلك فيه ذكر العذاب وفيه ذكر الرحمة، وإذا كان معنى واحدا لم يكن بين هذه الآية وهذه الآية فرق.

فإذا لا يوافقون على قولهم: إنه معنى واحد، ولكن يوافقون على أنه قائم بذاته، كما أن سائر الصفات قائمة بالموصوف، فلا تعقل صفة إلا وهي قائمة بالموصوف، فالبياض لابد أن يكون قائما بشيء أبيض، ولا يوجد منفصلا، ولا ينتزع البياض من الثوب ويقبض عليه ويقال: هذا البياض انتزع، وكذلك الحمرة –مثلا– والسواد لابد أن تقوم بشيء يوصف بأنه أبيض أو أسود أو أحمر، فكذلك الصفات، فالسمع لابد أن يقوم بمن يسمع، والكلام لابد أن يقوم بمن يتكلم ولا يقوم بذاته.

فإذا الصفات نوافق في أنها قائمة بذاته، ولكن نرفض قولهم: إننا إذا قلنا إنه يتكلم وإنه يعلم ويقدر يكون ذلك سببا لكون الحوادث تقوم به.

وهذه أكبر شبهة يتشبثون بها، فيرمون أهل السنة بأنهم يقولون إن الحوادث تقوم بذات الله.

على معتقدهم أن الله تعالى قائم بذاته وبأفعاله، وأنه لا يحدث منه شيء بعد أن لم يكن، وهذا خطأ، بل الله تعالى يحدث ما يشاء، فيسمع ما يحدث بعد أن لم يكن حادثا، يسمع الأصوات التي حدثت بعد أن لم تحدث، ويرى الأشخاص الذين تجدد خلقهم بعد أن لم يكن متجددا.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٠/١٥

والرؤية جنسها قديم وهي حادثة، فيقال: بصر الله تعالى وصفته بأنه يرى قديم، ولكن هذا الإبصار حادث، ولا يلزم قيام الحوادث بذات الله.." (١)

"إيراد الأدلة القرآنية المتنوعة على البعث

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [الزمر:٧١] ، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها **ذكر الوعد والوعيد يذكر** فيها الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ [سبأ:٣] ، وقال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ [يونس:٥٣] ، وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن:٧] .

وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١] ، وقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء:١] ، ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع﴾ [المعارج:١-٢] ، إلى أن قال: ﴿إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا﴾ [المعارج:٦-٧] .

وذم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ [يونس:٤٥] ، ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ [الشورى:١٨] ، ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾ [النمل:٦٦] ، ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا﴾ [النحل:٣٨] ، إلى أن قال: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ [النحل:٣٩] ، وقال تعالى: ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ [غافر:٥٩] ، وقال تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾ [الإسراء:٩٧-٩٩] ، وقال تعالى: ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢] .

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال سؤال على التفصيل، فإنهم قالوا: أولا: ﴿أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ [الإسراء:٤٩] ، فيقال لهم في جواب هذا

Q إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب، فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٥/١٧

من ذلك، فإن قلتم: كنا خلقا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم، وبين إعادتكم خلقا جديدا؟ وللحجة تقدير آخر: وهو لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على أن يفنيكم، ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة، فما الذي يعجزه فيما دونها؟ ثم أخبر أنهم يسألون سؤالا بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾ [الإسراء:٥١] ، فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به تعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا بقوله: ﴿عسى أن يكون قريبا﴾ [الإسراء:٥١]] .

قد ذكرنا أن القرآن اشتمل على الأدلة الكثيرة في تقرير البعث والنشور، وفيه ذكر عظم قدرة القادر، وأنه لا يعجزه شيء، وأن الرسل أولهم وآخرهم كلهم بلغوا هذا البيان، الذي هو الخبر عن اليوم الآخر والبعث والجزاء في الدار الآخرة، وذكروا ما يكون بعد الموت، فقد اتفقت دعوة الرسل كلهم على ذلك.." (١)

"بيان السبب في أن الداعي قد لا يعطى شيئا أو يعطى غير ما سأل

قال المؤلف رحمه الله: [وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئا، أو يعطى غير ما سأل؟ وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة: أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) .

ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠] بالدعاء الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ [غافر:٦٠] يؤكد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: الله أكثر) ، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية من العدوان من عطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة،

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٥/٦٣

المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر من هذا الباب، وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، وكان غالطا، وكذا قد يدعو باضطرار عند القبر فيجاب فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما، والساعد ساعدا قويا، والمحل قابلا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

] هذه الأجوبة قد تقدمت الإشارة إلى بعضها، والسؤال هو: أن بعض الناس يدعو ويكرر الدعاء، ومع ذلك لا يستجاب دعاؤه، والله تعالى يقول ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠] .

؟! وقد يقال: لماذا لا يستجيب وقد وعد بالإجابة؟ وكذلك قوله: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة:١٨٦] ، فكيف لم تحصل الإجابة؟ ومن هذه الأجوبة التي ذكرها الشارح: القول بأن الإجابة أعم من الإعطاء، حيث إن الله: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠] وقال: ﴿أجيب دعوة الداع﴾ [البقرة:١٨٦] ، ولم يقل: أعطيه مطلبه، ولا أعطيه ما سأل، فالإجابة يدخل فيها الثواب، ويدخل فيها التلبية لطلبه أو نحو ذلك، أو السماع، أي أنه سمع دعوته سماع قبول وقبل دعوته، فيكون هناك فرق بين إعطائه سؤله وبين إجابة الدعوة، فالله ذكر إجابة الدعوة ولم يذكر إعطاء المسئول، فلا يكون هناك اعتراض على الآية.

وسمعنا الاستشهاد بحديث النزول الذي يقول الله فيه: (من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟) ، ويظهر هنا الفرق بين السؤال والدعاء، ففي السؤال قال: أعطيه، أما في الدعاء فقال: أجيبه، والآية ليس فيها إلا الدعاء: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠] ، فإذا أجابه بأن سمع دعاءه أو بأن قبل دعاءه صدق عليه أنه أجابه، فيقال: أنت ممن قبل الله دعاءك وإن لم يعطك سؤلك.

أما الجواب الثاني ففيه: أن الداعي لا يسلم من إحدى ثلاث: الحالة الأولى: أن يعطى سؤله في الدنيا.

الحالة الثانية: أن يدخر له في الآخرة.

الثالثة: أن يصرف عنه من الشر مثله.

فهو رابح بكل حال.

أما الجواب الثالث فهو: أن الدعاء قد يتخلف سبب الإجابة فيه؛ وذلك لأن الإجابة لها أسباب وموانع، فمثلا: كون

الإنسان مؤمنا صحيح الاعتقاد هذا يعتبر سببا من أسباب الإجابة، وكذلك الإلحاح في الدعاء، واستحضار القلب، واجتماع القلب واللسان على الدعاء، وكذلك الاضطرار، بأن يقع المرء في شدة وضرورة فيلجأ إلى ربه صادقا في دعائه أن يرزقه وأن يستره وأن ينصره، ومن ذلك أن يستعمل المرء أدعية مأثورة، وكذلك تحري أوقات الإجابة وأماكن الإجابة، فإذا اجتمعت فيه الأسباب أعطي سؤله.

فلو حصل ذلك لرجل فسمع به رجل آخر وقال: فلان أعطي سؤاله لما دعا بقوله مثلا: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، أو لما قال: اللهم ارزقني رزقا حسنا ويسر لي اليسرى وجنبني العسرى، وأنا دعوت ولكن لم يستجب لي، فأنا لا أزال في شدة، ولا أزال في جهد.

نقول: تخلف فيك سبب من أسباب الإجابة، فلو اجتمعت الأسباب فيك لاستجيب دعاؤك، ولكن العلة أنه تخلف سبب أو وجد مانع، فمثلا: قد يكون التقصير في شيء من الأعمال مانعا من الإجابة، وارتكاب شيء من السيئات والمخالفات يكون مانعا من الإجابة.

ثم ما مثل به الشارح رحمه الله بقوله: قد يوجد مثلا من إنسان دعاء عند قبر ولكنه دعا وهو مضطر، ودعا وهو صادق الرغبة فظن أن إجابته بسبب ذلك القبر، فسمعه الآخرون فقالوا: هذا القبر تستجاب عنده الدعوة، وهذا القبر يجيب من دعاه، وليس كذلك في الحقيقة، بل الأمر إنما حصل إما مصادفة، وإما بأمر سماوي، وإما بحاجة حصلت له، فالحاصل أن الإنسان عليه أن ينظر ويأتي بالأسباب التي تكون مؤثرة ومفيدة في إجابة الدعاء.

نحمد الله على ما أولى من النعم، ودفع من النقم، نحمد الله على طول الأعمار والتردد في الآثار، نحمد الله على ظهور فضله ونسأله سبحانه الإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته.." (١)

"عقيدة الرافضة في الصحابة ولازم قولهم فيهم

لم تزل عقيدة المسلمين أن الله سبحانه وتعالى فضل هؤلاء الصحابة، وذكر ميزتهم وذكر فضلهم، فقبلوا خبر الله تعالى، وقبلوا ما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا ميزة هؤلاء الصحابة، وفضلوهم؛ لأنهم الذين حملوا هذه الشريعة الإسلامية إلينا، فهم الذين بلغوا القرآن كلام الله، وهم الذين حفظوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوها لمن بعدهم، وعملوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) ، وعملوا بقوله: (بلغوا عني ولو آية) فإذا كانوا -كما تقول الرافضة- كفارا مرتدين فكيف يقبل خبرهم؟ وكيف يقبل تبليغهم؟ ومعنى كلام الرافضة أن دين الله مغير، وأن كلام الله مبدل، وأن شريعة الله غير محفوظة، وأن الله ما صدق في كلامه بقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩] ولم يحفظ دينه وكتابه، بل وكله إلى كفرة فجرة -في زعم أولئك الرافضة- غيروا فيه وكتموا وكذبوا، وزادوا ونقصوا وحرفوا، وقالوا ما يشتهونه، وولوا من يريدونه، وعزلوا من يبغضونه، هذا مقتضى قول هؤلاء الرافضة.

إذا: فينبني على قول الرافضة أن الله ما حفظ شريعته، وأن هذه الشريعة ليست هي الإسلام؛ لأن طعنهم في الصحابة ليس طعنا في ذواتهم خاصة بل هو طعن في الشريعة، وطعن في الإسلام، وطعن في الدين، وطعن في القرآن، وطعن في السنة،

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٨/٧٨

وطعن في الأحاديث النبوية، وطعن في الأحكام، وطعن في الأوامر والنواهي، وطعن في الوعد والوعيد، وطعن في الخبر والأمر، وطعن في كل ما جاء في هذه الشريعة، هذا لازم طعن هؤلاء الرافضة، لكن الله تعالى قيض هؤلاء الصحابة حتى حفظوا الشريعة وبلغوها، وقيض لهم تلامذة يتقبلون منهم، ويأخذون عنهم السنة، وقيض للتلامذة آخرين من تلامذتهم إلى أن حفظت الشريعة الإسلامية في الأقوال والأفعال، وصدق الله في حفظ شريعته من الضياع لتقوم الحجة على الآخرين كما قامت على الأولين، فإن الله تعالى له الحجة ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ [الأنعام:١٤٩] وليست الحجة لأحد من خلقه، فإذا كنت الحجة لله سبحانه؛ فإن كلامه لم يتغير، فيكون حجة علينا وحجة على آبائنا وعلى أبنائنا، وعلى الخلق كلهم إلى أن تقوم الساعة، ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة:١٩] ، ولئلا يقول الناس: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ [القصص:٤٧] .

فإذا: قد جاءهم الرسول، وقد بلغ الرسول الشريعة، وقد حفظت شريعته التي بلغها، وقد قيض الله له صحابة أتقياء أنقياء ليس فيهم طعن، اعترفت الأمة بفضلهم، ورأوا فضائلهم التي في القرآن والتي في السنة، وأقروها في شروحهم وفي كتبهم ومؤلفاتهم، فتجدون مؤلفات أهل السنة مليئة بذكر فضائلهم، فقد ألف الإمام أحمد كتابا مطبوعا في مجلدين سماه: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك في صحيح البخاري كتاب الفضائل، ذكر فيه فضائل الصحابة بدءا بالخلفاء الراشدين، وهكذا صنع مسلم رحمه الله في كتابه الصحيح، فجعل كتابا في فضائل الصحابة روى فيه فضائلهم بدءا بالخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، وهكذا أكثر المؤلفين ذكروا فضائلهم، ورووها بالأسانيد الصحيحة الثابتة التي لا مطعن فيها؛ اعترافا منهم بأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم هم أزكى هذه الأمة، وهم الذين حازوا هذه الفضائل، وهم الذين أجمعت الأمة على فضلهم، وأجمعت على تقديمهم، ومع تفاوتهم في الفضل، فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهكذا بقية الصحابة، ولم تزل الأمة تترضى عنهم كما رضي الله عنهم، والله تعالى ذكر الرضا عنهم في قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ [الفتح:١٨] ، وإذا رضي الله عنهم، فمتى علمتم -يا رافضة! - أنه سخط عليهم بعد الرضا؟ وكيف يسخط عليهم وقد رضي عنهم؟! يقول الله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾ [التوبة:١٠٠] أعدها لهم، وكذلك لمن اتبعهم بإحسان ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ ، ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ [التوبة:١١٧] ، فإذا تاب عليهم فكيف يعذبهم؟ فعلى المسلم أن يعرف فضلهم، وأن يعترف بفضائلهم، وأن يصدق ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يترضى عنهم ويحبهم، وينشر بين المسلمين فضائلهم، وأن يحذر من الرافضة الذين يطعنون فيهم ويكفرونهم، وينزلون عليهم الآيات التي جاءت في المنافقين، ويجعلونهم منافقين أو مرتدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك تعرف طريقة أهل السنة وطريقة الرافضة الذين سموا أنفسهم شيعة، ولعله يأتينا كلام أوسع من هذا على هؤلاء الصحابة في الشرح إن شاء الله.." (١)

"وسطية الإسلام بين المشبهة والمعطلة في صفات الله

دين الإسلام وسط في باب صفات الله تعالى بين المشبهة الممثلة الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه، وبين المعطلة

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٧/٨١

الذين نفوا صفات الله، وعطلوه من صفات الكمال.

فأهل السنة توسطوا، وهم الذين أثبتوا لله تعالى صفات الكمال، ونفوا عنه التشبيه والتمثيل بالمخلوقات، فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

وهم كذلك وسط في **باب الوعد والوعيد بين** الوعيدية والمرجئة.

فهناك الوعيدية الذين شددوا وحكموا بأن من عصى أدنى معصية فقد كفر، وحل ماله ودمه.

وآخرون قالوا: المعاصي لا تؤثر ولا تضر.

هؤلاء غلوا وهؤلاء نقصوا، والإسلام وسط جاء يحذر من الإصرار على المعاصي وكبائر الذنوب، والاستمرار على صغائرها، وجاء يأمر بترك التكفير والخروج على أئمة المسلمين، والخروج على عامتهم، بل جعلهم وسطا أي: صار أهل السنة وسطا بين هؤلاء وهؤلاء.." (١)

"١٦- يوم الوعيد: قال تعالى: (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) [ق: ٢٠] ، لأنه اليوم الذي أوعد به عباده. وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة.

١٧- يوم الآزفة: قال تعالى: (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [غافر: ١٨] ، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: (أزفت الآزفة -ليس لها من دون الله كاشفة) [النجم: ٥٧-٥٨] . والساعة قريبة جدا. وكل آت فهو قريب وإن بعد مداه. والساعة بعد ظهور علاماتها أكثر قربا.

١٨- يوم الجمع: قال تعالى: (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه) [الشورى: ٧] ، سميت بذلك، لأن الله يجمع فيه الناس جميعا، كما قال تعالى: (ذلك يوم مجموع له الناس) [هود: ١٠٣]
.

١٩- الحاقة: قال تعالى: (الحاقة - ما الحاقة) [الحاقة: ١-٢] ، سميت بذلك - كما يقول ابن كثير - لأن فيها **يتحقق الوعد والوعيد** (١) .

قال البخاري في صحيحه: " هي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور. الحقة والحاقة واحد ". وقال ابن حجر في شرحه لكلام البخاري: " هذا أخذه من كلام الفراء. قال في معاني القرآن. الحاقة: القيامة. سميت بذلك لأن فيها الثواب وحواق الأمور. ثم قال: الحقة والحاقة

---

(١) تفسير ابن كثير: (٧/٩٩) .." (٢)

"الفصل الثاني عبادة الملائكة

نظرة في طبيعة الملائكة:

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٠٠/٥

(٢) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٢٧

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [التحريم: ٦] .

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقا من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا بداخلين **في الوعد والوعيد** (١) .

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقا، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [النحل: ٥٠] . وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: (وهم من خشيته مشفقون) [الأنبياء: ٢٨] .

مكانة الملائكة:

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة – بنات الله – دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون – لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/٤٠٩.." (١)

"[أسماء الله أسماء حسنى لله غير مخلوقة]

(أسماء الله أسماء حسنى لله غير مخلوقة) * وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة (١)

---

(١) انظر قول المعتزلة في مقالات الإسلاميين (١ / ٢٥٢) ، والرد على بشر المريسي ص (٣٦٦) ، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢ / ٢٠٧: ٢١٤) ، والمعتزلة فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول؛ ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم: معتزلة، أو معتزلون.

وهذه الفرقة تعتد بالعقل، وتغلو فيه، وتقدمه على النقل، ولهذه الفرقة مدرستان رئيسيتان: إحداهما بالبصرة، ومن أشهر رجالها: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، والجاحظ.

والأخرى ببغداد، ومن أشهر رجالها: بشر بن المعتمر، وأبو موسى المردار، وثماحة بن أشرس، وأحمد بن أبي دؤاد.

وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهي: العدل، التوحيد، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف

---

(١) عالم الملائكة الأبرار سليمان الأشقر، عمر ص/٢٩

والنهي عن المنكر.
ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجمهور المسلمين، الفرق بين الفرق (ص ١١٧: ١٢٠) ، التبصير في أصول الدين ص (٣٧) ، الملل والنحل (١ / ٤٦: ٤٩) .." [1]

"يعبد فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله، والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر"١.

وقد ستروا تحت قولهم في التوحيد باطلا كثيرا، أما قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له؛ فليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلهين اثنين ونحو هذا، فإن هذا حق لا ريب فيه، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يشهد، ولا يرى منه شيء دون شيء، ولا يدرك منه شيء دون شيء، ولا يعلم منه شيء دون شيء، ولا يمكن أن يشار منه إلى شيء دون شيء، بحيث أنه ليس له في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها، يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم٢.

وأما قولهم واحد في صفاته لا شبيه له: فهذه الكلمة –كما يقول شيخ الإسلام – أقرب إلى الإسلام، لكن أجملوها فجعلوا نفي الصفات أو بعضها داخلا في نفي التشبيه٣.

وأما قولهم واحد في أفعاله لا شريك له: فهذا معنى صحيح، وهو حق، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم، حيث اعترفوا فيه بأن الله خالق كل شيء، ومربيه ومدبره –مع خلاف المعتزلة٤ في خلق أفعال العباد – ٥، ولكنهم جعلوا هذا النوع هو الغاية وأطالوا في تقريره وشرحه، مع أن المشركين كانوا يقرون به وهم مع ذلك مشركون، ومن

---

١ – التدمرية ص١٨٥ – ١٨٦، وانظر: درء التعارض ٢٢٦/١، ٣٧٧/٩، اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٥/٢.

٢ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٢٠٣/٥ – ٢٠٤، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٤/١ – ٤٧٥، التدمرية ص١٨٤ – ١٨٥، مجموع الفتاوى ٤٤٩/١٧ – ٤٥٠.

٣ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٢٠٤/٥، التدمرية ص١٨٢ – ١٨٣، الصواعق المرسلة ١١١١/٣.

٤ – المعتزلة ويلقبون بالقدرية، ويسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، ولعل الراجح في تسميتهم بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم واصل ابن عطاء حلقة الحسن البصري، وهم يقولون بالأصول الخمسة وهي: "التوحيد" وستروا تحته نفي الصفات والقول بخلق القرآن، و"العدل" وستروا تحته القول بخلق الإنسان لأفعاله، و"المنزلة بين المنزلتين" وستروا تحتها تكفير مرتكب الكبيرة، و"إنفاذ الوعد والوعيد" وستروا تحته تخليد مرتكب الكبيرة في النار، و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وستروا تحته وجوب الخروج على الإمام الجائر. انظر عن المعتزلة: الملل والنحل للشهرستاني٤٣/١ – ٤٤، المعتزلة وأصولهم الخمسة

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٣٧

لعواد المعتق.

٥ – انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٥/٢٠٧، التدمرية ص١٨٠ – ١٨١.." [(١)]

"عليها في معتقداتهم، وإذا ثبت هذا فلا بد من دخول الفاسق النار خالدا، ولا يجوز على الله تعالى أن يعفو عنه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأرى لزاما علي قبل أن أختم الكلام عن مذهب المعتزلة بشأن مرتكب الكبيرة أن أنبه هنا إلى أن الدكتور عبد الكريم عثمان قد ذكر في كتابه نظرية التكليف أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد وافق المعتزلة على رأيهم في وجوب **إنفاذ الوعد والوعيد وتخليد** مرتكب الكبيرة في النار.

وهذا الكلام فيه مكابرة للواقع ومخالفة للحقيقة الظاهرة الواضحة التي قد يكون الاستدلال عليها من العبث بمكان فموقف ابن تيمية ـ رحمه الله ـ واضح جلي لا غموض فيه ولا شبهة وهو من هو بالنسبة لمذهب السلف الصحيح فقد قرره ودافع عنه وانتصر له وهو المذهب الغني عن الإعادة والبيان ولم يقل أحد سوى الدكتور عبد الكريم عثمان أن ابن تيمية، قال بأنه يجب على الله إثابة المطيع، بل ابن تيمية يقول إن الله يثيب المطيع تفضلا منه ونحن لم نوجب ذلك عليه بل أوجبه سبحانه على نفسه. أما عقاب العصاة فإن الله أوعدهم بالعقاب ورحمته وسعت كل شيئ فقد يتخلف الوعيد بعفوه سبحانه أما إذا عاقب فإنه لا يخلد لأنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. هذا هو بعينه مذهب السلف، والقدح في ابن تيمية الذي نذر نفسه للدفاع عن الحق الذي يسنده الدليل، يعتبر قدحا في أهل الحق من السنة والجماعة وقد تقدم إيضاح مذهبهم في هذه المسألة.." [(٢)]

"الحنابلة، لكن البربهاري يلقانا بقوله وقول الأوزاعي وحماد بن زيد، وهم ـ على فضلهم ـ بشر يصح أن يقال فيهم فلان وفلان، وهذا تناقض، ولا بد من منهج يحمي من التناقض!!! ".

والجواب: أن أهل السنة لا يزهدون في كبائر الذنوب، وإنما الذين يزهدون فيها هم المرجئة، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فيأخذون بنصوص الوعد، ويهملون نصوص الوعيد، وأما أهل السنة فيأخذون **بنصوص الوعد والوعيد جميعا**، فلا يأخذون بنصوص الوعد فقط، كما فعلت المرجئة، ولا بنصوص الوعيد فقط كما فعلت الخوارج والمعتزلة، ويقولون عن مرتكب الكبيرة: مؤمن ناقص الإيمان، وليس كامل الإيمان كما قالت المرجئة، ولا خارجا من الإيمان كما قالت الخوارج والمعتزلة.

وأما ما جاء عن بعض السلف من التحذير من البدع، وبيان أنها أسوأ من المعاصي، فليس ذلك تزهيدا في المعاصي، بل لبيان التفاوت الكبير بين البدع والمعاصي، وإنما كانت البدع أشد خطرا من المعاصي؛ لأن المعاصي من أمراض الشهوات، والبدع من أمراض الشبهات، ولأن العاصي يشعر بأنه مذنب فيتوب من معصيته، وأما المبتدع فقد يستمر على بدعته حتى يموت عليها؛ لأنه يرى أنه على حق وهو على باطل، كما قال الله عز وجل: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٣٩

(٢) الإيمان بين السلف والمتكلمين أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/١٤٥

يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ ، وقد جاء في السنة وأقوال الصحابة ما يوضح ذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٥/١) : "رواه الطبراني وإسناده حسن"، وقد أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٠) ، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وغيره، وذكر أن رجاله رجال الشيخين إلا." (١)

"بالإسلام كما تسمى به غيرهم من المبتدعة، ولكنهم يتميزون عنهم بانتسابهم إلى السنة واتباع سلف الأمة، والإسلام يشمل أهل السنة وغيرهم من فرق الضلال التي لم تصل بدعهم إلى الكفر، لكنهم يمتازون عنهم بنسبتهم إلى السنة واتباع سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فيقال: مسلم سني، ومسلم بدعي.

. وأما زعمه أن أهل السنة يزهدون في كبائر الذنوب، فهذا كذب عليهم؛ لأنهم يحذرون منها، ويعتبرون من وقع فيها مؤمنا ناقص الإيمان، فلا يصفونه بالإيمان المطلق كما هو شأن المرجئة، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وذلك لتغليبهم جانب الوعد، ولا يسلبون عنه مطلق الإيمان كما هو شأن الخوارج والمعتزلة؛ وذلك لتغليبهم جانب الوعيد، فأهل السنة يعملون **بنصوص الوعد والوعيد معا**، ولا يهملون شيئا منها، ويقولون عن مرتكب الكبيرة: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه، وإن حصل له العذاب فإنه يخرج من النار، ولا يخلد في النار إلا الكفار الذين لا سبيل لهم إلى الخروج منها.

. وأما زعمه أن أهل السنة يغلون في علمائهم وكبارهم، فهذا من تهويله وحقده على أهل السنة، والغلو في العلماء والكبار هو ديدن أهل البدع، وخاصة الرافضة منهم، وأما أهل السنة فإن وجد من فرد أو أفراد مبالغة في أحد من علمائهم فلا يسوغ ذلك نسبة الغلو إلى أهل السنة عموما.

. وأما زعمه أن أهل السنة يفتون باغتيال المخالفين لهم في الرأي، فهذا من الكذب على أهل السنة؛ فإن علماءهم لا يفتون بقتل إلا من كان مستحقا للقتل، ولعل مراده في ذلك ما يتباكى عليه من قتل أئمة الضلال." (٢)

"ثانيا: أن الرافضة المتأخرين والمعاصرين جمعوا أخس المذاهب وأخطرها..

جمعوا مقالة القدرية في نفي القدر، والجهمية في نفي الصفات، وقولهم إن القرآن مخلوق، والصوفية – عند جملة من رؤساء مذهبهم – في ضلالة الوحدة والاتحاد، والسبئية في تأليه علي، والخوارج والوعيدية في تكفير المسلمين، والمرجئة في قولهم: إن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة.. بل ساروا في سبيل أهل الشرك في تعظيم القبور، والطواف حولها، بل ويصلون إليها مستدبرين القبلة، إلى غير ذلك مما هو عين مذهب المشركين (١) .

فهل يبقى بعد ذلك شك في أن هذه الطائفة ارتضت لنفسها مذهبا غير مذهب المسلمين؟! فهم إن شهدوا الشهادتين إلا أنهم نقضوا بنواقض كثيرة كما ترى.

لكن مما يجب مراعاته حسب منهج أهل السنة في التكفير "أن هذه الأقوال التي يقولونها والتي يعلم أنها مخالفة لما جاء

---

(١) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي عبد المحسن العباد ص/١٤٧

(٢) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي عبد المحسن العباد ص/١٦٥

الرسول صلى الله عليه وسلم هي كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي أيضا كفر.. لكن تكفير الواحد المعين من أهل القبلة والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير، وانتفاء موانعه؛ فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق ولا يحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له، ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، ومن هؤلاء من لا يكون بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك، فيطلق أن هذا القول كفر، ويكفر من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها دون غيره" (٢) .

---

(١) انظر تفصيل ذلك كله وإثبات أن الاثني عشرية تقول بهذه المذاهب، الباب الثاني من هذه الرسالة، وص: (١٠٦٩) وما بعدها

(٢) الفتاوى: ٢٨/٥٠٠-٥٠١، وانظر لتفصيل هذه المسألة: الفتاوى: ٤٦٦/١٢ وما بعدها، ٣٤٥/٢٣ وما بعدها."

(١)

"الله، لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها.

قال القرطبي في هذه الآية: دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال، لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان، وكذلك سائر الكبائر، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله، قال تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك) اهـ. وما ذكر من أن في الآية وصف مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية، وإن كان معلوما.] (١) .

وقال صاحب التتمة – رحمه الله –: [رد أهل السنة بهذه الآية – أي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) – وأمثالها على المعتزلة قولهم: إن المعصية تنافي الإيمان، لأن الله ناداهم بوصف الإيمان مع قوله: (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) فلم يخرجهم بضلالهم عن عموم إيمانهم، ويشهد لهذا أن الضلال هنا عن سواء السبيل لا مطلق السبيل] (٢) .

فصل: الكلام على الوعد والوعيد:

[قوله تعالى: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم تعجيل العذاب الذي يعدهم به طغيانا وعنادا.

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – ناصر القفاري ١٢٧٣/٣

(١) - ٦/١٦٢ - ١٦٣، النور / ٢٢.

(٢) - ٨/١٣٥، الممتحنة / ١.." [1]

"مسائل على الباب

- مسألة) ما هي شروط التكفير؟ (١)

١) ثبوت أن هذا القول أو الفعل أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة.

٢) ثبوت قيامه بالمكلف، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات:٦).

٣) بلوغ الحجة. (٢)

٤) انتفاء موانع التكفير في حقه.

ومن موانع التكفير: الإكراه (٣)، وعدم القصد؛ فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف. (٤) (٥)

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى - في معرض الكلام عن الخوارج والرافضة -: (وأما تكفيرهم وتخليدهم؛ ففيه أيضا للعلماء قولان مشهوران: وهما روايتان عن أحمد، والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم.

والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها - التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول - كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضا - وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع -؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه.

فإنا نطلق القول **بنصوص الوعد والوعيد والتكفير** والتفسيق؛ ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له، وقد بسطت هذه القاعدة في (قاعدة التكفير)، ولهذا لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بكفر الذي قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم ذروني في اليم؛ فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين - مع شكه في قدرة الله وإعادته-؛ ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه؛ ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك؛ فيطلق أن هذا القول كفر؛ ويكفر متى قامت عليه الحجة؛ دون غيره. والله أعلم). (٦)

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢/٥٢ /٣).

(٢) قال تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (النساء:١٦٥).

(٣) قال تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (النحل:١٠٦).

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ٤٨/١

(٤) قال تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما﴾ (الأحزاب:٥).

(٥) وفي البخاري (٤٥/ ٧) (قال علي: بقر حمزة خواصر شارفي، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة، فإذا حمزة قد ثمل؛ محمرة عيناه؛ ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيد لأبي؟! فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ثمل، فخرج وخرجنا معه). رواه البخاري – وهذا اللفظ منه معلق – وترجم عليه بـ: (باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره).

(٦) مجموع الفتاوى (٥٠٠/ ٢٨)." [1]

"فهذه الآيات تدل على أن كل مسلم يجب عليه أن ينفر، فجاءت آيات وأحاديث أخرى تخصص الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون نفقة الجهاد، والذي لم يستأذن أبويه، أو كان أبواه ضعيفين وهكذا: فالألفاظ التي في الكتاب والسنة التي لا يؤخذ ظاهرها بإطلاق، مثل العام المخصص، أو المطلق المقيد، أو المجمل المبين وهذا لا يكون إلا في الأحكام إلا أنه قد تشتبه بعض المعاني، فنحتاج إلى أن نجمع بين النصوص في غير الأحكام في أمور العقيدة كما يأتي، مثل: **أمور الوعد والوعيد وما** أشبه ذلك، لكن هذه ليست هي الأصل فيما نقوله هنا؛ بل تدخل في قسم المتشابه على قول بعض السلف. فالمقصود: أن نعرف أن بعض ألفاظ الكتاب والسنة يراد بها غير ظاهرها –كما سبق– أما أن يأتي لفظ من الكتاب والسنة ويغير معناه بالكلية إلى معنى آخر بعيد لمجرد قرينه عقلية كما يسميها أصحابها فلا. هذا هو التأويل الذي وقع فيه المتأخرون.

قال المصنف رحمه الله: [ليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلا] لأن التأويل له معان: منها حق ومنها باطل [ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التي يدل الكتاب والسنة على فسادها؛ وترك القول على الله بلا علم] ففي نفي شيء أثبته الله لنفسه، أو إثبات شيء لم يثبته الله لنفسه قول على الله تعالى بغير علم، وكفى بذلك إثما مبينا.

. بعض التأويلات الفاسدة." [2]

"والمتشابهات: مثل الوعد والوعيد، وما يؤمن به ولا يعمل به كثير من السلف كما في الدر المنثور، يعبرون عن أنفسهم وعن حالهم مع كتاب الله عز وجل. يقولون: نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهة، ونتدبر أمثاله وأقسامه فبعضهم يقول: إذا المحكم هو الحلال والحرام والأمر والنهي أي: ما نعمل به مثل: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومثل: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء [البقرة:٢٢٨] إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن [الطلاق:١] فكفارته إطعام عشرة مساكين [المائدة:٨٩] فهذه الآيات في الأحكام نعمل بها، وأيضا في الأوامر والنواهي كما في الآيات التي في سورة الإسراء كالنهي عن الإسراف والتبذير والكبر والحقد والغل وغيرها من النواهي، والمتشابه **مثل: الوعد والوعيد والأمثال**، وكثير من الناس لا يفهم ما هو المراد بأمثال القرآن، ولكنه يؤمن به ويقول: كل من عند ربنا [آل عمران:٧] وهذا قول أكثر السلف.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٣٢٣/١

(٢) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٩٠٤

وقال بعض السلف رحمهم الله: المحكم هو الذي لم ينسخ، والمتشابه: المنسوخ، وهذا في الحقيقة جزء من ذلك، لأن الإحكام قد يقابل النسخ، فمثلا سورة المائدة: قد روى الحاكم وصححه والنسائي أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: هذه السورة من آخر ما نزل، فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه، أو: فإنها محكمة، أي: أن سورة المائدة محكمة. فليس فيها حكم منسوخ لأنها آخر ما نزل. بخلاف السور الأخرى التي نزلت من قبل فقد يكون فيها آيات منسوخة.." (١)

"إذا: فالمحكم يأتي مقابل المنسوخ كما في أصول الفقه، ولكن إذا جاء المحكم مقابل المتشابه فمعناه الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا أو هو النص الواضح الجلي، والمتشابه: ما يلتبس معناه وما يخفى، وقوله: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه [آل عمران:٧] فهو ولا يريد الذين يتبعون المنسوخ بل الذين يتبعون ما تشابه منه **مثل: الوعد والوعيد والأمثال** والأقسام وأمثال ذلك مما قد يدق معناه ويخفى

ولهذا قال: ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وقد روي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لا يصح رفعه "إنهم الخوارج " هكذا فسرها المفسرون من السلف، وقد جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: لما قرأت هذه الآية قالت: "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم" وكأن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تشير إلى الخوارج "الحرورية " فهم مثلا يتبعون قوله تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون [المائدة:٤٤] فيجدون قاضي من قضاة المسلمين خالف أمر الله في مسألة فيقولون: هذا كافر، وآخر من المسلمين شرب الخمر فيقولون: هذا كافر؛ لأن معصية الله تعالى عندهم كفر ويستدلون بقوله تعالى: ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا [الأحزاب:٣٦] الضلال المبين هو الكفر كما في آيات أخرى.." (٢)

"فالله تعالى يذمهم بالجهل، ويعيب عليهم أنهم لا يعلمون هذا التأويل، وتأويله لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، وأولئك الذين يتبعون الفتنة ليسوا من الراسخين في العلم، ومن هنا يخرج قول ابن عباس -رضي الله عنه- لما قال: (أنا من الراسخين في العلم) فنافع بن الأزرق الذي أول كتاب الله، واستحل دماء المسلمين، لو رد هذه الآيات إلى الراسخين في العلم من **آيات الوعد والوعيد وغيرها** إلى أمثال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وقعت الفتنة، ولكنه ردها إلى عقله وهواه، فقال: هؤلاء كفار واستحل دمائهم وأموالهم.

فلذلك ذهب المصنف إلى أن الأرجح في الآية: أن يكون التأويل فيها بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الشيء إذا وقفنا على قوله: وما يعلم تأويله إلا الله ويكون الوقف على والراسخون في العلم إذا كان المقصود بالتأويل هو المتشابه الإضافي.

الوقف على "إلا الله " ارجح

لكننا نقول: ما ميزة الراسخين في العلم وبمقدور كل إنسان أن يقول: آمنا به كل من عند ربنا؟ نقول: إذا كان الراسخون

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٩١٩

(٢) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٩٢٠

في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به وبمعانيه وبحقائقه وهم لا يعلمونها، فأولى وأحرى بمن كان دونهم من الجهال والعوام والأتباع أن يتأسوا بهم، وهذا معنى عظيم في الآية.

فلا يتجرأ بعد ذلك مبتدع أو صاحب شبهة في التعدي والتقول على الله تعالى، وليقف حيث وقف القوم هذا هو الذي يقوي وجهة نظر القائلين بأن الوقف أولى.

وتعبير المصنف [المتشابه في نفسه الذي لا يمكن أن يعرفه أحد؛ لأنه في ذاته متشابه] كما إذا قلنا: إن حقائق اليوم الآخر لا يمكن أن يعرفها أحد، لأنها في ذاتها متشابه، أي: يدق معناها، ويصعب فهمها في ذاتها فلذلك نؤمن بها. هذا هو المتشابه في نفسه.." (١)

"وآخرهم وأفضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح من رواية علي بن أبي طالب وغيره بعد قوله: (وجهت وجهي) إلى آخره، (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، لا يغفر الذنوب إلا أنت) إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى عليه السلام: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم [القصص:١٦] وأيضا فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت [القلم:٤٨] فنهي نبينا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم، حيث قيل له: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [الأحقاف:٣٥] فقد يقول من يقول: (أنا خير منه) وليس للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل فإن الله لا يحب كل مختال فخور.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد) ، فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم، فلهذا قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) ، فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس.

وقوله: (من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب) ، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذبا، وهذا لا يقوله نبي كريم بل هو تقدير مطلق، أي من قال هذا فهو كاذب وإن كان لا يقوله نبي كما قال تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر:٦٥] وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من الشرك، **لكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال] اهـ.

الشرح:." (٢)

"[المسألة الخامسة] :

يدخل في الكلام على الكتب الكلام على القرآن، وعلى إعجاز القرآن، وعلى بحث هذه المسألة؛ لأن القرآن آية محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٩٢٣

(٢) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/١٦٩٠

وقد قدمنا لك تفصيل الكلام على إعجاز القرآن في درس مستقل (١) أظن عند قول الشيخ الطحاوي رحمه الله في أول الكلام (فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) إلى قوله (علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر. ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر) ، ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه، هذا من أعظم المسائل في هذا الباب.

إذا تبين ذلك فنقول:

الإيمان بأركان الإيمان الستة -إذا أخرجنا الإيمان بالقدر- فإن بعض أهل العلم يسميها أصول الدين الخمسة، وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القدر، والقدر جاء منفصلا في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنة.

هذه الأصول الخمسة تبع الإيمان بها أن أهل البدع أصلوا أصولا في مقابلة هذه الأصول الخمسة:

فجاء المعتزلة مع إيمانهم بجمل هذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولا خمسة لتميزهم عن غيرهم، وهذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وكتب فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة، ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرافضة.

الأصول الخمسة هذه هي:

١- أولا: التوحيد.

٢- والثاني: العدل.

٣- والثالث: الوعد والوعيد.

٤- والرابع: المنزلة بين المنزلتين.

٥- والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون معتقد المعتزلة في الغالب، فجعلوا لهم أصولا أربعة في مقابلة ذلك وهي:

١- التوحيد.

٢- والعدل.

٣- والنبوة.

٤- والإمامة.

يدخلون في هذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وهذه الجملة تحتاج إلى تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات.

المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو أركان الإيمان الستة أو الخمسة -يعني بخلاف الإيمان بالقدر- هذه جعل في مقابلتها أشياء وضعها أهل البدع للتعليم وللتميز ليعلموا على أساسها وليتميزوا عن غيرهم.

ولاشك أن الذي دل عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلى أن ابتدعت المعتزلة بدعتها هو أن أركان الإيمان ستة، ولا دخل لتلك المسائل التي ذكروها **من الوعد والوعيد والمنزلة** بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين.

في هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى.
ونقف عند قولنا (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين) .
فيه مسائل -ذكرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خيرا- وهي تحتاج منا إلى أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وهو ما في كل مسألة في الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثم مسألتان:
المسألة الأولى: تفاضل الإيمان بأجمعه بتفاضل الإيمان الأنبياء والمرسلين. هذه مسألة. (٢)
المسألة الثانية: أثر الإيمان بالمرسلين جميعا على الإيمان العام.
كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعا: تفاضل الإيمان بالكتب، والثانية أثر الإيمان بكتب الله - عز وجل - على الإيمان.
يمكن أنتم تستنتجونها وتبحثونها إن شاء الله تعالى. نكتفي بهذا القدر، نستودعكم الله.

---

(١) سبق ذكره (١٢٣)
(٢) - راجع الشريط ٢٣." [١]

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:
الأسئلة
س١رحمه الله ما توجيهكم لحديث البطاقة وحديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطيئة ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه مسلم (١) مع العلم أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة؟
جرحمه الله ما فهمت وجه الاستشكال؛ لكن لعله أنه فهم من العموم في حديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» فهم من العموم أن هذا يعارض كون صاحب الكبيرة تحت المشيئة إذا مات غير تائب.
وهذا غير وارد لأن النصوص يصدق بعضها بعضا، والآيات يفسر بعضها بعضا، والأحاديث يفسر بعضها بعضا، وكذلك الوعد لا ينافي الوعيد، فقوله «أتيتك بقرابها مغفرة» هذا وعد من الله - عز وجل - لمن حقق التوحيد لا يشرك بالله شيئا، وكون صاحب الكبيرة تحت المشيئة لا يعارض هذا الأصل؛ لأن هذا والوعد والوعيد يطلقان ويكونان على إطلاقهما، وكذلك يجتمعان في حق المعين، فيجتمع في حق المعين الوعد والوعيد، وهذا في حق مرتكب الكبيرة، ويدخل في عموم أهل الإيمان الذين وعدهم الله - عز وجل - بالجنة، كل مؤمن وعده الله - عز وجل - بالجنة، يدخل في المسلمين الذين جعل الله - عز وجل - لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في آية الأحزاب ﴿المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب:٣٥] ونحو ذلك.
فأهل السنة والجماعة في مثل هذه الأدلة التي فيها الوعد وفيها الوعيد، يعملون الوعد ويعملون الوعيد والوعد بشرطه والوعيد أيضا بشرطه، فلا منافاة ما بين الأدلة بل الأدلة يصدق بعضها بعضا.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٣٢٢

س٢/ رحمه الله ما الضابط في التفريق بين الفعل والصفة في صفات الله – عز وجل – وأفعاله؟

ج/ رحمه الله صفة الرب – جل جلاله – مشتملة على فعل له سبحانه وتعالى ومشتملة على ما هو لازم من غير الفعل؛ يعني أن صفات الرب – جل جلاله – منها ما هو صفة فعل ومنها ما هو صفة ذات، فليست كلها متعدية تعدي الأفعال.

فمثلا وجه الرب – جل جلاله – صفة وليس بفعل، اليدان للرب – جل جلاله – وصف له سبحانه وليستا باسم ولا فعل.

فإذا الفعل هو فعل يفعله الله – عز وجل – له أثره، فالصفات منها ما هو صفة فعل مثل الرحمة وهي صفة ذات لكن لها أثرها ومثل النزول وأشباهه والغضب الرضا، وهذا يتعلق بالمخلوق، فيفعله – عز وجل – ويتصف به سبحانه وتعالى.

وهناك القسم الآخر التي هي صفات الذات، صفات الذات كثيرة لا علاقة لها بالأفعال.

فإذا نقول: ليست كل صفة لله – عز وجل – فعلا، فقد تكون متعلقة بفعل أو لها فعل أو أثرها فيه فعل، وقد لا يكون ذلك، ولهذا لا يشتق من الصفة فعل مطلقا، كما أنه لا يشتق من الفعل صفة مطلقا، وذلك أن الأفعال أوسع في باب وصف الله – عز وجل – من الصفات، فقد يكون ثم فعل لله – عز وجل – ولا نشتق منه صفة؛ يعني لا نشتق من الحدث المستكن في الفعل صفة لله – عز وجل –.

مثلا الأفعال المنقسمة إلى محمود ومذموم مثل المكر ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ [الأنفال:٣٠] ، ومثل ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء:١٤٢] ، ومثل ﴿مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة:١٤-١٥] ، ونحو ذلك من الأسماء نشتق منها صفات مطلقا (٢) ، ونقول الفعل أطلق على الله – عز وجل – فنقول له صفة الاستهزاء، له صفة المخادع، له صفة المكر، وهكذا، بل تطلق هذه الصفات مقيدة لأن المكر والمخادعة والاستهزاء ليست كمالا في كل حال؛ بل قد تكون كمالا، وقد تكون نقصا، فتكون كمالا إذا كانت بحق، ومن آثار صفات الكمال الأخر، وتكون نقصا إذا كانت بباطل، وكانت من آثار صفات النقص في المخلوق.

فإذا باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وليس كل فعل نشتق منه صفة لله – عز وجل –، وليست كل صفة نشتق منها الفعل لله – عز وجل –؛ لأن الصفات منها ما هو صفة ذات ومنها ما هو صفة فعل.

نكتفي بهذا.

---

(١) مسلم (٢٦٨٧)

(٢) – لعل مراد الشيخ (ونحو ذلك من الأفعال لا نشتق منها صفات مطلقا)." (١)

"[المسألة الثالثة] :

في قوله (من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) هذه الجملة أو شبه الجملة لا مفهوم لها، فليس هذا الحكم خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو عام لهذه الأمة ولغيرها؛ لأنه:

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٤٣٩

- لم يدل دليل على تخصيص هذه الأمة بهذا الفضل.
- ولأن هذه ترجع إلى قاعدة الوعد والوعيد، وهما مما تشترك فيه الأمم لأن أصلها واحد، قال (وأهل الكبائر في النار لا يخلدون -أو يخلدون-) بشرط (إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين) .." (١)

"فليسوا فرقة واحدة لكن في تفسير الأصول الخمسة وفي أصولها، أصول التوحيد عندهم، أصول العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأصول يتفقون، لكن في التفاصيل يختلفون.

٣- الفرقة الثالثة: الجهمية:

والجهمية ينسبون إلى جهم بن صفوان الترمذي وكان عالما فقيها، ينسب إلى الحنفية في الفقه، ولكنه لشدة اعتنائه بالرأي كان يناظر ويكثر من المناظرة حتى ناظر طائفة من دهرية الهند، الدهرية بضم الدال ينسبون إلى القول بالدهر ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [الجاثية:٢٨] ، ينسب إلى الدهر، دهري بضم الدال على غير [اعتياد] كما قاله المرتضى في كتاب تاج العروس وقاله غيره.

المقصود ناظره قوم من الدهرية يقال لهم السنمية في الصفات لأنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلا ويريد أن يقنعهم بوجود الله، فجرى منه معهم مناظرة ذكرتها لكم في مكان آخر، فآل به الأمر، نتيجة المناظرة وتوابعها وما حصل -وقد ذكر أصل القصة البخاري في خلق أفعال العباد-، نتج عن ذلك أنه نفى الصفات وعطل الرب - عز وجل - من صفاته وآمن بالوجود المطلق.

فالجهمية في مسائل العقيدة يذهبون في الصفات إلى النفي، فينفون عن الله - عز وجل - كل الصفات، ويجعلون الصفة الواحدة الموجودة هي صفة الوجود المطلق، ويقولون بشرط الإطلاق.

وفي الأسماء يثبتون الأسماء كدلالات على الذات -أسماء أعلام- ويفسرونها بمخلوقات منفصلة، فيجعلون الكريم هو الذات التي حصل عنها إكرام فلان -يعني يفسرونها بالكرم الذي خلقه الله-، القوي بالقوة التي خلقها الله، العزيز بالعزة التي خلقها الله يعني في الإنسان، في المخلوق يعني من حيث هو، ويجعلون تفسير الأسماء في القرآن وفي السنة يفسرونها بمخلوقات منفصلة؛ لأنه لا دلالة للأسماء على صفة، لأنهم ينفون الصفات، وإنما يجعلونها دالة على علم لا تفسير لها من حيث العلمية لكن تفسيرها من حيث الصفة بأنها مخلوقات منفصلة.

لهذا قال بعض أهل العلم ينفون الأسماء والصفات، الجهمية ينفون الأسماء والصفات، وهذا صحيح باعتبار الحقيقة.

وطائفة يقولون لا، لا ينكرون الأسماء باعتبار أنهم يثبتون شيئا من الأسماء على طريقتهم لأن عندهم الأسماء دلالات على ذات بدون صفة في الاسم، وإنما هو مثل ما تقول مثلا (ماء سلسبيل) أو تقول في السيف حسام ومهند وسيف إلخ للدلالة على شيء واحد بدون صفة، أما صفة أنه يحكم فلا، أما صفة أنه صنع في الهند فلا، أما صفة أنه كذا فلا.

فهم يجعلونها من جهة الدلالة على الذات واحدة ومن جهة الدلالة على الصفات أنها لا تدل على صفة.

ولهذا في الآيات يفسرون الأسماء في الآيات بالمخلوقات المنفصلة، يعني أثر الصفة في المخلوق ويجعلونه مخلوقا.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٤٤٠

أما في الإيمان فالجهمية مرجئة، وهم أشد فرق الإرجاء لأنهم قالوا يكفي في الإيمان المعرفة فقط.
ففرعون عندهم مؤمن وإبليس عندهم مؤمن.
ولم يكفر فرعون عندهم بعدم الإيمان وإنما بمخالفة الأمر، وإبليس لم يكفر بعدم الإيمان؛ بل بمخالفة الأمر، وهكذا، وهذا القول مشهور عنهم في أنه يثبت الإيمان بالمعرفة.
وفي القدر هم جبرية يرون أن الإنسان في أفعاله هو كالريشة في مهب الريح لا اختيار له البتة، هو مجبر على كل شيء، وأنه يفعل به ولا يفعل شيئا.
وفي الغيبيات ينكرون كل ما لا يوافق العقل من أمور الغيب.
وفي الآخرة ينكرون دوام الجنة والنار.
يقولون الجنة لا تدوم والنار لا تدوم لأن دوام الجنة والنار ظلم، فتفنى الجنة وتفنى النار معا.
بخلاف المعتزلة فإنهم يقولون بفناء النار والجنة كدار نعيم وعذاب، لكن التلذذ والألم يبقى، فيستمر التلذذ ويستمر الألم ولا تستمر الدار.
فيه أقوال مختلفة نسأل الله – عز وجل – السلامة منها ومما جر إليها.
المقصود فيه مباحث ترجعون إليها في مواطنها.
٤– الفرقة الرابعة: الجبرية:
والجبرية مذهب منسوب إلى القول بالجبر.
والجبر هو أن الله أجبر الإنسان المكلف على أفعاله.
والجبرية قسمان:
– جبرية غلاة.
– وجبرية متوسطة أو غير غلاة.
@ أما الجبرية الغلاة فهم الجهمية وغلاة الصوفية الذين ينفون أصل الاختيار، ويقولون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح.
@ وأما الجبرية غير غلاة فهم الذين يثبتون الجبر باطنا والاختيار ظاهرا، يقولون:
هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر، هؤلاء الأشاعرة ومن نحا نحوهم.
وقد مر معنا البحث في هذه المسألة وأنهم اخترعوا لفظ الكسب وجعلوه مخرجا للعلاقة ما بين جبر الباطن واختيار الظاهر مما ابتدعوه وأحدثوه.
وذكرت لكم أن الكسب على ثلاثة إطلاقات:
فيه كسب عند أهل السنة وكسب عند الجبرية وكسب عند القدرية ترجعون له في مكانه.
٥– الفرقة الخامسة: القدرية:." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٧٥٢

"هذا باطل، الله تعالى في العلو فوق العرش، ومحمد -عليه الصلاة والسلام- في العلو، عرج به إلى العلو، إلى الله في العلو، ويونس في قعر البحار، فأين هذا من هذا؟ كيف يقال: إن قربهما واحد؟

وليس فيه نهي تفضيل محمد -عليه الصلاة والسلام- على يونس، وكيف يقال: إنه لا يفضل عليه ومحمد -عليه الصلاة والسلام- عرج الله به، عرج به إلى السماء، فهو مقرب معظم مبجل، ويونس ممتحن مؤدب مسجون في قعر البحار، فأين المعظم المقرب المبجل من الممتحن المؤدب؟

ولكن الحديث، صواب الحديث: (لا يقول أحدكم إني خير من يونس بن متى) وفي لفظ: (من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب) وذلك لأنه لا ينبغي للإنسان أن يفضل نفسه على يونس، حتى لو كان فاضلا، فكيف إذا كان مفضولا؟ فكيف على نبي كريم يفضل نفسه عليه؟

وهذا لا يقوله نبي، ومن قال إنه خير من يونس بن متى حتى ولو كان فاضل التقدير لكان قوله هذا يحط من مرتبته، ويكون ناقصا، وتكون مرتبته نازلة، فلا يكون أفضل منه، هذا لو قاله أحد، من قال ذلك فهو كاذب.

وهو من باب التقدير، وإن كان لا يقوله نبي كريم، يعني من قال هذا، لو قال هذا أحد فهو كاذب، وهذا من باب الشرط المقدر كقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الشرك، **ولكن الوعد والوعيد لبيان** مقادير الأعمال.

وسبب ذلك أن يونس -عليه الصلاة والسلام- لما ذهب مغاضبا والتقمه الحوت وهو مليم فسبح وقال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧) ﴾ يظن بعض الناس أنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه يونس، وأنه لا يحتاج إلى الندم؛ لأنه لم يذنب كما أذنب يونس.

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم نهاه الله عن التشبه بيونس قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وأمره بالتشبه بأولي العزم: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ .

فقد يظن بعض الناس أنه خير من يونس بن متى، وأنه لا يحتاج إلى هذا المقام، إلى مقام الاستغفار والتسبيح، وهذا باطل؛ لأن كل أحد يحتاج إلى أن يستغفر من ذنبه، وكل أحد ظالم لنفسه.

وقد أخبر الله عن الأنبياء كلهم، أولهم آدم، وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أخبر الله عن آدم أنه قال عن الأبوين: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) ﴾ موسى أخبر الله عنه ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ .

محمد -عليه الصلاة والسلام- وهو أشرف الخلق كما في حديث الاستفتاح: (وجهت وجهي) وقال: (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

فكل أحد يحتاج إلى ما احتاج إليه يونس فمن وقع في نفسه أنه خير من يونس بن متى فهو كاذب. نعم.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٧٠

"فهذه ثلاث آيات أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم فيها على البعث، وأخبر الله -سبحانه وتعالى- عن اقترابها بقوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر (١) ﴾ ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ﴾ ﴿سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) ﴾ إلى قوله: ﴿إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧) ﴾ وذم الله المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين (٤٥) ﴾ ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨) ﴾ ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٦٦) ﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا﴾ إلى أن قال: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين (٣٩) ﴾ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩) ﴾ ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٩٨) ﴾ .

وقد أخبر الله بأنه أرسل الرسل مبشرين، ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) ﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفرة الداخلين جهنم، أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها في الدنيا وفي الآخرة.

ومن شبه المنكرين للمعاد: الجهل بالله، وزعمهم عدم إعادة العظام والرفات خلقا جديدا، فقال تعالى: ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٤٩) ﴾ والله -سبحانه وتعالى- يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته، فإن شبه المنكرين للمعاد كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاط أجزاء بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز، ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص.

الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة إنما اقتضت دوام هذا النوع الإنساني، شيئا بعد شيء هكذا، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله، ثم يحييه بعد ذلك، فلا حكمة في ذلك. فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقدير الكمال، علم الرب -سبحانه- كما قال في جواب من قال: ﴿من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) ﴾ وقال: ﴿وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ﴾ وقال ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ .

الثاني: تقدير كمال قدرته كقوله: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ وقوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٤) ﴾ وقال: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) ﴾ ويجمع الله

-سبحانه- بين الأمرين كما في قوله: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (٨١) ﴾ .." (١)

"شرح العقيدة الواسطية [١٤]

أهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم، فأهل السنة وسط بين الغلو والجفاء، وبين الإفراط والتفريط، فهم وسط في باب الصفات بين المعطلة والممثلة، وفي **باب الوعد والوعيد بين** المرجئة والخوارج، وفي باب الصحابة بين الرافضة والخوارج وهكذا فأهل السنة وسط في جميع أمورهم وأحوالهم.." (٢)

"وسطية أهل السنة والجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد: قال المصنف رحمه الله تعالى: [وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية.

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج] .

هذا بقية ما ذكره المؤلف رحمه الله من المسائل التي مثل بها لوسطية أهل السنة والجماعة، وهي من مسائل العقيدة.

قال رحمه الله: (وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية) الوعيد تقدم تعريفه، وأنه الإخبار بإيقاع ما يسوء، ويقابله الوعد وهو: الإخبار بإيقاع ما يسر.

فقول المؤلف رحمه الله: (في باب وعيد الله) هل الخلاف الذي بين المرجئة وبين القدرية هو فقط في باب الوعيد؟ الجواب: لا، بل هو في باب الوعد والوعيد، وإنما اقتصر على أحد الأمرين اكتفاء بدلالته على الآخر، فالخلاف الذي توسط فيه أهل السنة والجماعة هو في باب الوعد والوعيد.." (٣)

"الطوائف التي ضلت في **باب الوعد والوعيد وموقف** أهل السنة من ذلك

باب الوعد والوعيد ضل فيه طائفتان: طائفة غلت في النفي، وطائفة غلت في الإثبات.

وأهل السنة والجماعة سلكوا طريقا وسطا بين هاتين الضلالتين، فسلموا من ضلالة الإرجاء، ومن ضلالة القدرية.

نصوص الوعد والوعيد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم جاءت عامة مطلقة، وهذه النصوص العامة المطلقة عطل عمومها المرجئة، فقالوا: إنها لا تعم أهل المعاصي، إنما هي في أشخاص معينين، هذا أحد ما حملوا نصوص الوعيد عليه، وقالوا أيضا: إن نصوص الوعيد إنما هي في الكفار، وليست في أهل الإسلام، فكل نص تضمن وعيدا فإنه ليس في أهل الإسلام، إنما هو في أهل الكفر، فخصوا عمومها، بل إن غلاة المرجئة عطلوا العموم بالكلية فقالوا: لا عموم لهذه النصوص.

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣١١

(٢) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ١/١٤

(٣) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٢/١٤

وقابلتهم طائفة أخرى وهم القدرية الوعيدية الذين قالوا: إن نصوص الوعيد يدخل فيها مرتكب الكبيرة، وهي متحققة الوقوع فيه، فكل من فعل كبيرة فإنه خارج عن دائرة الإيمان، وحكمه الخلود في النار، فقالوا بتخليد أهل التوحيد في النار وذلك فرع عن إخراجهم من الإيمان بالكلية، والبدع متسلسلة يأخذ بعضها برقاب بعض، فالبدعة التي كانت في الاسم انتقلت إلى الحكم، كما سيأتينا أنهم أيضا ضلوا في أسماء الإيمان والدين، وهذا الضلال في هذا الباب تبعه الضلال في باب الأحكام.

قوله: (وفي باب وعيد الله بين المرجئة والقدرية) البحث الآن هو في ضلالهم في الحكم، حيث حكم القدرية على أهل الإيمان بالتخليد في النار، وحكم المرجئة بأن نصوص الوعيد لا تتوجه لأهل الإسلام، ولا يدخل فيها أهل الإيمان، بل أهل الإيمان ليس لهم إلا الوعد، وأما الوعيد فهو في حق الكفار، أو أنه في شخص معين، وقالوا: يجوز ألا يعذب الله أحدا بالكلية، فتكون هذه النصوص مقصودها التهديد، وليس معناها مرادا، وإنما يقصد بها التهديد.

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: نصوص الوعيد عامة، ولكن الوعيد مقيد، وكذلك نصوص الوعد عامة، ولكنها مقيدة، فكما أننا نقيد نصوص الوعد بعدم الكفر، فكذلك نقيد نصوص الوعيد بعدم التوبة.

وبه نفهم أن لنصوص الوعد شروطا وموانع، فعمومها له شروط وموانع، وكذلك نصوص الوعيد لها شروط وموانع في تنزيلها على الأفراد، وهذه مسألة مهمة إلى الغاية؛ لأن الخطأ فيها كثير، والفهم فيها حسير عند كثير من الناس، فبعض الناس قد يظن أن إطلاق الوعد أو إطلاق الحكم في أمر معين يلزم منه انطباق هذا الحكم على كل من قام بهذا الفعل، وهذه مسألة خطيرة، وهي التي أوقعت أهل التكفير في التكفير، ولم يفهموا ما نقل عن السلف مثلا في تكفير من أنكر العلو؛ لأنه قد نقل عن السلف أنهم قالوا: من أنكر العلو فهو كافر، فهل الذين يقولون الآن من عوام المسلمين: إن الله في كل مكان، كفار بأعيانهم؟ الجواب: لا، لا نقول بذلك، وقد صرح شيخ الإسلام رحمه الله بهذا، ومثل بهذا المثال بعينه، فقال: إن من السلف من أطلق التكفير على بعض من قال بمقالات الجهمية كنفي العلو، ولكن لا يلزم من هذا أن يكون كل من قال بهذا القول فهو كافر؛ لأن التكفير لابد فيه من توافر الشروط وانتفاء الموانع، فلابد من قيام الحجة التي تنقطع بها المعذرة ممن قامت عليه.

فكذلك هنا نصوص الوعد مشروطة بعدم الكفر وهذا لا إشكال فيه، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى عن أعمال أهل الكفر الصالحة: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان:٢٣] ، والمقصود به: العمل الصالح، فلما لم يتوفر شرط الإيمان لم ينتفع به، فنصوص الوعد من موانع تحققها وجود الكفر، ومن شروط ثبوت فضلها لأهلها وجود الإيمان.

كذلك نصوص الوعد في كونها لمعين لابد من شرطين: الأول: الإخلاص.

الثاني: المتابعة.

ونصوص الوعد في تحقق الفضل لمعين يشترط لها الإخلاص، والمتابعة.

فمن تحقق فيه الإخلاص والمتابعة فإنه يثبت له الفضل.

ونصوص الوعيد -أيضا- مقيدة بتوافر الشروط وانتفاء الموانع، فلو أن الإنسان فعل فعلا مما توعد الله عليه بالنار فهل نحكم

بأنه من أهل النار؟ الجواب: لا؛ لأنه لابد من أن ننظر هل الشروط متوافرة؟ فإن وجدت الشروط، فهل الموانع منتفية؟ فإن انتفت الموانع وتوافرت الشروط ثبت الحكم على المعين، ولذلك الحكم على المعين يحتاج إلى نظر، فأهل السنة والجماعة أطلقوا العمومات في نصوص الوعد وفي نصوص الوعيد، وقالوا: يدخل فيها أهل الإيمان كغيرهم، ولكن تنزيلها على أهل الإيمان لابد فيه من توافر الشروط وانتفاء الموانع، والموانع كثيرة: منها: التوبة، فالتوبة من موانع نزول العقاب.

ومنها: الحسنات الماحية من موانع حصول العقاب.

ومنها: سابق الفضل والعفو من الله جل وعلا، وهذا أيضا من موانع حلول العقاب والوعيد.

المهم أن الموانع متعددة، ولذلك كان أهل السنة والجماعة وسطا بين هاتين الضلالتين، بين المرجئة الذين قالوا: لا يتوجه نص من نصوص الوعيد إلى أهل الإسلام، وبين القدرية الذين جعلوا نصوص الوعد حكما على الأفراد دون نظر إلى توافر الشروط وانتفاء الموانع، فجعلوا نصوص الوعيد في حق كل أحد، فكل من ارتكب كبيرة فإنه مخلد في النار، هذا من حيث الحكم.." (١)

"على كل حال الحديث بلغ، الحديث بلغ وأخبر به معاذ بعد نهيه -عليه الصلاة والسلام- عن هذا التبليغ، ((لا تبشرهم))، أفلا أبشرهم؟ قال: ((لا إذن يتكلوا)) ونصوص تحريم الكتمان أيضا قوية وقطعية بالكتاب والسنة.

الذي حصل أنه نهاهم في وقت التحديث ألا يبشرهم؛ لأن المقصود منه عرف من أدلة أخرى، والوعد على هذا المقصود قد يحمله بعض الناس على غير محمله، وقد لا يستحضر ما يقيده أو يخصصه ثم بعد ذلك يتكل فلا يعمل.

قد يقول قائل: إذا كان النهي عن التبشير بالنسبة للصحابة، فماذا عما بعدهم؟

على كل حال نصوص القرآن مملوء بنصوص الوعد، والسنة كذلك، وهي مملوءة بنصوص الوعيد، ولا يجوز للإنسان أن ينظر إلى طرف دون الآخر، بل لا بد من أن يكون نظره متوازنا بين نصوص الوعد والوعيد، ليكون على الاستقامة.

يقول: هل العمارة للسماوات حسية أم معنوية؟

لا، السماوات الذي بناها الله -جل وعلا-، فلا يتصور فيها إلا العمارة المعنوية، وهي عبادة الله -جل وعلا- بخلاف المساجد، المساجد الأصل فيها العمارة المعنوية ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ [(١٨) سورة التوبة]، لكن جاء الحث على عمارتها عمارة حسية، عمارة حسية: ((من بنى لله مسجدا بنى الله له به بيتا في الجنة))، هذه عمارة حسية، وإذا تعارضت العمارتان، يعني شخص مستعد يبني مساجد لكن ما هو مستعد يصلي، قلنا: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله﴾ [(١٨) سورة التوبة]، وقلنا أيضا كما قال الله عن قريش: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله﴾ [(١٩) سورة التوبة]، يعني إذا تعارضت العمارتان فالعمارة المعنوية هي الأصل، والعمارة الحسية لا قيمة لها، أما إذا وجدتا معا فخير على خير، ونور على نور.

طالب:. . . . .

في بعض الروايات. . . . . في بعض الروايات. . . . .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٣/١٤

أخونا هذا من المدينة مصرا جدا على لماذا لا يكون الدرس بعد الفجر مناسب وطويل جدا؟ وهذا أيضا: الدرس يكون بعد الفجر؟." [1]

"وفيه أربعة مباحث:

الأول: في بيان قول أهل التعطيل.

الثاني: في بيان قول أهل التشبيه والتمثيل.

والثالث: في بيان قول أهل سواء السبيل.

والرابع: في بيان وسطية قول أهل السنة في هذا الباب.

والفصل الثاني: في بيان وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وفيه مبثحان:

الأول: وسطيتهم في الأسماء والأحكام.

والثاني: في وسطيتهم في الوعد والوعيد.

الفصل الثالث: في وسطية أهل السنة في باب القدر، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: في معنى القدر.

الثاني: في نشأة الكلام في القدر ونزاع الناس فيه.

الثالث: في بيان وسطية أهل السنة فيه.

الفصل الرابع: في وسطيتهم في باب الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه: تمهيد: بينت فيه معنى الصحابي، ومنزلة الصحابة ومكانتهم في الكتاب والسنة وجعلت المبحث:

الأول: في بيان قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: في ذكر قول من جمع بين الغلو والجفاء.

والثالث: في ذكر قول أهل السنة والجماعة.

الفصل الخامس: في بيان وسطية أهل السنة في باب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم." [2]

"الفصل الثاني: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد

تمهيد:

الخلاف في هذا الباب قديم؛ فهو من أوائل ما حصل فيه النزاع بين الفرق المنتمية إلى الإسلام، وأول من أظهر الخلاف في ذلك وخالف جماعة المسلمين الخوارج، ثم قابلهم المرجئة، ثم خرجت المعتزلة وجاءوا في هذا بما لم يأت به أولئك، والجميع دائر بين إفراط، وتفريط.

ولما كان ديدن أهل السنة هو السنة هو التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والقول بما دلا

---

(١) شرح كتاب التوحيد – عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣/٤

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/١٠

عليه وأديا إليه؛ فقد جاء قولهم في هذا الباب وسطا بين إفراط الخوارج وأهل الاعتزال، وتفريط أهل الإرجاء.

ولبيان قول كل ومذهبه، جعلت هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: في بيان وسطية أهل السنة في الأسماء والأحكام.

المبحث الثاني: في بيان وسطيتهم في الوعد والوعيد.." (١)

"المبحث الثاني: في وسطيتهم في نصوص الوعد والوعيد

الوعد في اللغة: يكون بالخير والشر.

أما الوعيد: فلا يكون إلا بالشر١.

والمراد بالوعد: النصوص المتضمنة وعد الله لأهل طاعته بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم.

ويعرف أهل الكلام الوعد بأنه: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل٢.

وأما الوعيد: فالمراد به: النصوص التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال٣.

ويعرفه المتكلمون بأنه: كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى العير أو تفويت نفع عنه في المستقبل٤.

وإذا تقرر لدينا **معنى الوعد والوعيد والمراد** بهما؛ فاعلم أنه جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثير من الآيات والأحاديث التي تدل على وعد الله عز وجل للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء. ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك وتكفير السيئات وإبدالها حسنات ونحو ذلك.

فمن النصوص الواردة في ذلك قوله عز وجل: ﴿وعد الله المؤمنين

---

١ ابن فارس: مجمل اللغة ٤/ ٩٣١.

٢ انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ١٣٤.

٣ انظر: صالح الفوزان، العقيدة الواسطية ص١٢٦.

٤ انظر: شرح الأصول الخمسة ١٣٥.." (٢)

"جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ ١، ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حي يزني وهو مؤمن" ٢، وقوله: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" ٣.

الحاصل أن النصوص الواردة **في الوعد والوعيد كثيرة**، سواء في كتاب الله عز وجل، أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

تجاه هذه النصوص وما شابهها افتراق الناس في **باب الوعد والوعيد إلى** طرفين وواسطة:

طرف غلب نصوص الوعد، وأغفل نصوص الوعيد، وهم المرجئة الخالصة؛ فقالوا: كل ذنب سوا الشرك فهو مغفور واحتجوا

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٣٣٣

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٣٥٣

بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والطرف المقابل لهم وهم الخوارج والمعتزلة قالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يخلف أيا منهما، وهذه بعض نصوصهم في ذلك من كتبهم تنبئ عن مذهبهم، وتفتي بحقيقة قولهم:

يقول القاضي عبد الجبار في بيان مذهب المعتزلة في ذلك: "وأما علوم الوعد والوعيد؛ فهو أن يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب"٤.

ويقول أبو عمار عبد الكافي الإباضي في تقرير مذهب أهل نحلته من

---

١ سورة النساء آية ٩٣.

٢ جه: فتن، باب النهي عن النهبة ٢/ ١٢٩٨، ح ٣٩٣٦.

٣ خ: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله ١/ ١١٠، ح ٤٨.

٤ انظر: شرح الأصول الخمسة ١٣٥- ١٣٦.." [1]

"طوائف الخوارج ومن وافقهم: "واتفق جمهور من ذكرنا في صدر المقالة من الأمة على أن الله منجز وعده، ووعيد، ومصدقهما بتمام ذلك وإمضائه في جميع من وعده وتوعده، لا تبديل لكلمات الله، ولا تحويل لأمره. واستدل بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ١، ٢.

ولذلك قال هؤلاء: بخلود أصحاب الكبائر في النار؛ لأن الله توعدهم بها وعندهم أن الله لا يخلف الميعاد، وقد ذكرنا قولهم في أصحاب الكبائر وحكمهم فيهم في الدنيا والآخرة، وما بينهما من التمايز في المبحث الأول.

وهؤلاء قد ضلوا **في الوعد والوعيد جميعا**.

فأما ضلالهم في الوعيد فواضح؛ حيث جرهم قولهم به إلى إكفار أصحاب الكبائر أو إخراجهم من الإيمان عند المعتزلة إلى الفسق ووجوب أصحاب الكبائر أو إخراجهم من الإيمان عند المعتزلة إلى الفسق ووجوب إدخالهم النار وتخليدهم فيها، وقالوا: إنه لا يجوز أن يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، ويكفي أن قولهم هذا يناقض قول الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ؛ فمن أين لهم أنه سبحانه لا يشاء المغفرة لهم، مع كونهم ليسوا كفارا على مذهب المعتزلة، وليسوا مشركين على مذهب الإباضية، وطوائف من الخوارج، والنص إنما دل على عدم المغفرة للمشرك به سبحانه، والذين لا يغفر لهم هم الكافرون والمشركون.

وما ضلالهم في الوعد: فلإيجابهم ذلك على الله سبحانه بطريق الاستحقاق والعوض. يقول القاضي عبد الجبار: "أعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة؛ فلا بد أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله"٣.

ويقول الزمخشري -وهو أحد أقطاب المعتزلة- في تفسيره قوله تعالى:

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٣٥٥

١ سورة الرعد: آية ٣١.

٢ انظر: الموجز ضمن كتاب آراء الخوراج الكلامية، للدكتور عمار طالبي ٢/ ١٠٥.

٣ انظر: شرح الأصول الخمسة ٦١٤.." (١)

"﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ ١. قال: ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ : فقد وجب ثوابه عليه"٢.

قول أهل السنة "وهم الواسطية":

أما أهل السنة الذين يمثلون نقطة التوازن بين الطرفين؛ فإنهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد، فيجمعون بين الخوف والرجاء، لم يفرطوا في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، ولم يغلوا غلو الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد.

فكان قولهم في الوعيد أنه: "يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأنه يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد"٣.

وتقدم ذكر قولهم في حكم أصحاب الكبائر في المبحث السابق، وخلاصة قولهم أن كل من مات غير مشرك بالله فهو داخل تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه. وأنه إن عذبه لا يخلده في النار كالكفار٤.

وقالوا في الوعد: إن الله لا يخلف وعده، وإنه لا بد أن يثيب أهل الإيمان به وأهل طاعته بحكم وعده لهم بذلك، لا بحكم استحقاقهم عليه فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئا"٥.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة: "وأما الاستحقاق؛ فهم يقولون: إن العبد

١ سورة النساء آية ١٠٠.

٢ تفسير الكهف ١/ ٥٥٨.

٣ ابن تيمية، منهاج السنة ١/ ٤٦٦- ٤٦٧.

٤ انظر: ص٣٤٦ وما بعدها.

٥ عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولها الخمسة ص٢١٧، "ط. الأولى ١٤٠٩ هـ، نشر: دار العاصمة".." (٢)

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٣٥٦

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٣٥٧

في صفة العلو والفوقية ٣٢٧

في الرؤية ٣٢٩

- الفصل الثاني: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد

تمهيد ٣٣١

- المبحث الأول: في وسطيتهم في الأسماء والأحكام ٣٣٤

تعريف الإيمان ٣٣٤

عند الخوارج والمعتزلة وأهل السنة ٣٣٤

عند المرجئة ٣٣٥

الفرق بين قول الخوارج والمعتزلة وبين قول أهل السنة ٣٣٨

قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة ٣٣٩

أ- قول الخوارج ٣٣٩

ب- قول المعتزلة ٣٤١

قول طوائف المرجئة في ذلك ٣٤٤

قول أهل السنة والجماعة ٣٤٦

- المبحث الثاني: وسطيتهم في **نصوص الوعد والوعيد ٣٥٣**

- الفصل الثالث: وسطية أهل السنة في باب القدر ٣٥٩

- المبحث الأول: في معنى القدر وحكمه ٣٦١

أولا: معنى القدر ٣٦١

ثانيا: حكمه ومنزلته من الدين ٣٦٢

حقيقة القدر الذي يجب الإيمان به ٣٦٣

- المبحث الثاني: نشأة الكلام في القدر ونزاع الناس فيه ٣٦٧." (١)

"١٢. العذاب المهين: ذكر العزيز الحكيم جوانب من أحكام الشريعة في صدر سورة النساء، والمتمثلة في، بيان أموال اليتامى، وأحكام الأنكحة، وأحوال المواريث والوصايا ثم ذكر بعد ذلك: الوعد والوعيد، ترغيبا في الطاعة، وترهيبا في المعصية فقال سبحانه " تلك حدود الله " أي هذه أحكام الله قد بينها لكم، لتعرفوها، وتعملوا بها " ومن يطع الله ورسوله " في متابعة حدوده، والعمل بها كما أمره الله تعالى " يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم " (النساء، آية:١٣) فهذا هو الوعد.

أما الوعيد: " ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين " (النساء، آية:١٤) فكل من

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٥٢٣

اعتدى على حدود الله تعالى مكذبا أو جاحدا، أو مبدلا أو مبغضا فهو متوعد بهذا العذاب المهين، لكونه غير ما حكم الله به وضاد في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله، وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم (١).

هذه هي أهم الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله قال الشاعر:

والله ما خوفي الذنوب فإنها ... لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن ... تحكيم هذا الوحي والقرآن

---

(١) المصدر نفسه صـ٦٦٤.." [1]

"مسألة تكفير الكبائر بالحسنات الكبيرة

الحسنات الكبيرة كالحج والجهاد تكفر الكبيرة اطرادا والتوبة الخاصة تكفر الكبائر عروضا، وفي هذا الحديث: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) والحديث متفق عليه.

وكثير من المتأخرين يرون هذا في الصغائر، وهذا ليس بصحيح، ومن يحكي إجماع السلف على ذلك فقد غلط كما نبه على ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله.

نعم! السلف أجمعوا على أن لا يقال: إن الحسنات تطرد بتكفير الكبائر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ..

كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر) وهذا ليس مشكلا ودليلا على أن الصلاة لا تكفر الكبائر؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هنا التكفير المطرد، وهذا الحديث هو الذي أشكل على أكثر المتأخرين، وفسروا حديث: (من حج فلم يرفث ...) أنه في الصغائر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه ...) في الصغائر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لـ عمرو بن العاص: (الهجرة تهدم ما كان قبلها) في الصغائر، و: (الحج يهدم ما كان قبله) في الصغائر، بل الله يقول: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود:١١٤]، يقولون: في الصغائر.

من أين هذا؟

ومن زعم أن هذا إجماع السلف فقد غلط، إنما السلف أجمعوا على أن التكفير المطرد يكون بالتوبة، وأما التكفير العارض فيكون بأسباب كثيرة، ومنها: الحسنات؛ كالصلاة والجهاد والحج

إلخ.

وأما قوله: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة

كفارة لما بينهما) فالشارع هنا يذكر التكفير المطرد؛ لأنه يقول: كفارة لما بينهما، هل قال: لبعضها، أو قال: لما قد يعرض؟

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/١٥٩

أو قد تكفر؟ إنما قال: (كفارة لما بينهما)، وهذا تكفير مطرد عام للصغائر ولا شك، لكن هل يمنع أن الصلاة تكفر كبيرة من الكبائر؟

لا يمنع ذلك، وليس في القرآن ولا السنة نفي ذلك، بل في الكتاب والسنة تقرير ذلك، كما في الصحيح عن عمرو بن العاص لما أتى يبايع الرسول صلى الله عليه وسلم بسط يده، قال عمرو: (فقبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟! قال: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قال: أن يغفر لي) فهل كان عمرو بن العاص يسأل عن مغفرة الصغائر أم كان يسأل عن تكفير الجرائر الكبرى؟ وهل كان في قاموس الجاهليين مسألة الصغائر والكبائر، وهل كان عمرو بن العاص يقتنع أن الإسلام يكفر الشرك والكبائر، ولم يبق إلا الصغائر لذا أراد أن يشترط تكفيرها؟!

لا.

بل قال عليه الصلاة والسلام: (يا عمرو! أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله) الإسلام هو التوحيد، لكنه قال بعد ذلك عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: (الهجرة تهدم ما كان قبلها، والحج يهدم ما كان قبله) هذا كلام على الحقيقة، ومن قال من المتأخرين: هذا طمأنة لنفس عمرو فهو مخطئ على الشارع، إذ كيف يكون طمأنة لنفس عمرو وهو لا حقيقة له؟ بل هو طمأنة لنفس عمرو مع كونه على الحقيقة.

أما المتأخرون في الغالب فإنهم يشتغلون بفرضيات نظرية لا وجود لها في الخارج، فلو حقق الحج أركان الإسلام بصدق ظاهرا وباطنا هل هو من أصحاب الكبائر؟ لا.

يستحيل أن يوجد مثل هذا في الواقع، فالنبي صلى الله عليه وسلم تكلم عن قراءة الخوارج، وقال: (يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، مع أنه قال: (وقراءتهم خير من قراءتكم) أي: من جهة الأحوال الظاهرة التي قد يراها الناس، وقال: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم)، ومع ذلك فإن الأعظم والأضبط في الإيمان وتحقيقه هم الصحابة رضي الله عنهم، فصلاة الصحابة وصيامهم وقراءتهم هي المحققة والمؤثرة، فقضية الاعتبار بالظواهر تتمثل في أهل البدع، فهو يحسن الصلاة، أو الحج، إلا أنه يأتي الكبائر.

فالتحقيق تحقيق في الظاهر وتحقيق في الباطن، وتحقيق الباطن معناه ثبوت أمرين:

الأمر الأول: متابعة السنة، وصاحب البدعة ليس على سنة في كثير من أفعاله.

الأمر الثاني: الإخلاص لله، وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك:٢]، أي: يكون خالصا صوابا، ظاهرا وباطنا، ولذلك يقول الله في القرآن: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت:٤٥]؛ لأن من حققها نهته.

فهذه المعاني يجب أن تفقه في القرآن، لأن القرآن يصدق بعضه بعضا، والسنة كذلك، وكل حديث نطق به الرسول فهو على ظاهره، لكن يحتاج إلى قدر من التأمل والاعتبار، وأما فرض ظهور التعارض كثيرا في كلام الرسول كما هو دارج على ألسنة كثير من المتأخرين فلا.

والأصل في هذا: أن من أشكل عليه بعض الأحاديث فعليه الرجوع إلى المجتهدين فيسأل عنها، أما أن تصنف أحاديث كثيرة، ويقال: ظاهرها التعارض كأحاديث الوعد والوعيد.

فهذه من بدع المبتدعين، فالأحاديث ليس ظاهرها التعارض لا ظاهرا ولا باطنا، ولذلك تجد نوعا من الأحاديث سماها أئمة السنة من المتقدمين: هذا ظاهره التعارض، نعم! قد تشكل على بعض المجتهدين، فيكون ظاهر الأحاديث عنده هو فقط، لكن أن تقرر للمسلمين أن أحاديث كذا وكذا ظاهرها التعارض، وأن كل مسلم يفترض أن يؤمن بهذه الحقيقة، هذا غير صحيح، الأصل أنه لا يوجد تعارض بين حديث وحديث أو آية وحديث، لكن من عرض له هذا التعارض فلا يجعل هذا سنة في الأحاديث.." (١)

"(ومن أعاظم المكفرات) المخرجة عن ملة الإسلام (إنكار ثابت المغيبات) من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: إنكار المغيبات الثابتة بالأدلة الشرعية القطعية (ك) إنكار (الجن والملائك الكرام و) إنكار (البعث بالأرواح والأجسام) معا.

ومن نواقض الإيمان (جحد) أي إنكار (نصوص الوعد والوعيد) الثابتة (أو صرف معناها عن) المعنى (المقصود) بها في الكتاب والسنة، إلى معان أخرى باطلة؛ وكذلك (إنكار معلوم بالاضطرار) أي: دون حاجة إلى نظر واجتهاد (من دين بارئ الدنى) جمع دنيا (الجبار) سبحانه وتعالى.

فهاهنا مجموعة من نواقض الإيمان، أتكلم عليها على وجه الإيجاز، فأقول:

إنكار المغيبات:

عرف الراغب الأصبهاني الغيب بأنه: "ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعرف بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد" (١) .

ولا شك أن الإيمان بالغيب أصل من أصول الإيمان، بل هو الفيصل الحقيقي بين المؤمن الحق الثابت الراسخ، وبين الآخر الذي تزعزعه أعاصير الشبهات، وتعصف به رياح الشهوات.

ويشمل الإيمان بالغيب أمورا متعددة ثبتت بالقرآن والسنة مثل الإيمان بالملائكة والجن واليوم الآخر بما فيه من بعث ونشور، وصراط وميزان، وجنة ونار، وغير ذلك.

- الإيمان بالملائكة:

هذا أحد أركان الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل وغيره، ومعناه الإقرار الجازم بوجودهم إجمالا، والإيمان بمن ذكر منهم في الكتاب والسنة تفصيلا وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وخزنة الجنة والنار وغيرهم.

فمن أنكر وجود الملائكة كفر بلا تردد، لقوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ ، ولأن إنكارها تكذيب بخبر الله تعالى وخبر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ومخالفة للإجماع القطعي اليقيني الذي يكفر مخالفه.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٩/٩

(١) المفردات:." (١)

"قال القرطبي رحمه الله: " وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصح طعامهم، اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم" (١) . وقال ابن حزم رحمه الله: "فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال" (٢) .

وإنكار الجن من نواقض الإيمان العصرية التي ابتلي بها أهل "الحداثة والتغريب" والله حافظ دينه ولو كره المشركون.

— الإيمان بالبعث:

يدخل في ركن الإيمان باليوم الآخر — الذي هو أحد أركان الإيمان الستة — أشياء كثيرة مثل عذاب القبر ونعيمه، والبعث والنشور والعرض والحساب والصراط والميزان والجنة والنار وغير ذلك.

فنفي شيء من ذلك هو إنكار للقرآن ومتواتر السنة وإجماع الأمة، فهو إذن كفر بواح. وقد ذكرت في النظم مثالا واحدا يكفي للإشارة إلى ما سواه، وهو إنكار البعث بالأرواح والأجسام معا، وذلك متضمن لمكفرين اثنين هما: إنكار البعث مطلقا، وإنكار معاد الأجساد مع الإقرار بمعاد الأرواح. يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط. وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون: لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد. ... وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية ... ومثل المتفلسفة الصابئة ... وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم، أو منافق، هؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان ... " (٣)

جحد نصوص الوعد والوعيد:

(١) تفسير القرطبي: ٦/١٩.

(٢) الفصل: ١٧٩/٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣١٤/٤.." (٢)

"يشتمل القرآن الكريم على عدد كبير من نصوص الوعد والوعيد، فالوعد بالجنة والمغفرة والثواب، والوعيد بالنار والغضب والعقاب. ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل لا يخلف وعده تكرما منه عز وجل وتفضلا، فأهل التوحيد مآلهم إلى الجنة قطعا. قال تعالى: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ . أما الوعيد ففيه تفصيل، فالمشرك الذي يختم له بالشرك في النار، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ، وأما المؤمن العاصي ففي مشيئة الله، فقد يقع الوعيد في حقه وقد

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٢٠٢

(٢) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٢٠٤

يتخلف. (١)

وقد مضى سلف الأمة وعلماؤها وصالحوها على الإيمان **بنصوص الوعد والوعيد وأنها** حق، بما في ذلك الإيمان بالجنة والنار، إلى أن ظهر الفلاسفة فزعموا **بأن الوعد والوعيد تخييل** للحقائق موجه إلى عوام الناس، وظهر غلاة الصوفية فزعموا أن الجنة عبارة عن تنعم الأرواح، والنار عبارة عن تألمها. ووجد في هذا العصر من **ينكر الوعد والوعيد مطلقا**، أو يسخر بذلك ويظهر الاستهزاء به، أو من يسلك مسلك الباطنية في تأويل تلك النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة. وكل هذا كفر مناقض للإيمان بما جاء به الرسل، ونزلت به الكتب.

يقول القاضي عياض رحمه الله: " ... وكذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية، ومعان باطنة" (٢) .

إنكار معلوم من الدين بالضرورة:

---

(١) في مسألة إخلاف الوعيد، انظر اضواء البيان: ٧/٤٢٥.

(٢) الشفا: ٢/٦١٥.." [1]

"فلم يقولوا بذهاب بعض وبقاء بعض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان)) .اهـ (١) .

* الأصل الثاني:

ما ضمنه شرحه للأصفهانية حيث قال:

((وأصل هؤلاء أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم. بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها..)) اهـ (٢) .

وهذا هو معنى أن يجتمع في العبد: إيمان وكفر، وإسلام ونفاق، وسنة وبدعة، وطاعة ومعصية.. وهو الحق الذي دلت عليه نصوص الإيمان من الكتاب والسنة.

* الأصل الثالث:

ما ذكره العلماء- رحمهم الله- من طريقة أهل البدع في تلقي النصوص والشريفة ((الوحي)) سواء كانوا من الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، أو من المرجئة على تنوع مراتبهم وأصنافهم، فهم لا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد؛ بل إنهم – في استدلالهم، ينفردون فيهما بما يؤيد مذاهبهم.

أ-فالوعيدية يستدلون بنصوص الوعيد، ويهملون نصوص الوعد، أو لا يجمعونها مع نصوص الوعيد في التلقي والاستدلال.

ب-وكذلك المرجئة يعولون على نصوص الوعد، دون اعتبار للنصوص الواردة في الوعيد، وجمعها في التلقي والاستدلال مع

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٢٠٥

نصوص الوعد. فكلاهما آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

أما أهل السنة والجماعة فآمنوا بالكتاب كله، وعولوا على النصوص جميعها، فنظروا إلى نصوص الوعيد مع نصوص الوعد، فلم يضطربوا ولم يفرقوا بين المتماثلات وإنما كانوا الأمة الوسط، وأسعد الفريقين بالمذهب الحق.

* الأصل الرابع:

---

(١) انظره في المجموع (٧/٥١٠) ، وانظر ما بعده، وشرح حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) في المجموع (١٨/٢٧٠، ٢٧٦) ، والإيمان الكبير (٢٠٩-٢١١) ، والفرقان بين الحق والباطل في المجموع ١٣/٤٨-٥٠، وشرح الأصفهانية (١٤٣-١٤٤) ، والحديث مخرج في الصحيحين.

(٢) في شرح الأصفهانية (١٣٧-١٣٨) ، وانظر الفرقان بين الحق والباطل (١٣-٤٨) .." [١]

"((فصل: إذا تبين ذلك فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق **بها الوعد والوعيد في** الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة، والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان..)) .

وبنحو هذا ما لخصه الحافظ ابن رجب في شرحه لحديث جبرائيل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان حيث يقول: ((وهذه المسائل: أعني مسائل الأسماء والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جدا؛ فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار.

والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرج الخوارج عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأقوالهم.

ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

وقد صنف العلماء قديما وحديثا في هذه المسائل تصانيف متعددة..)) اهـ.

هذا طرف مهم من أهمية موضوع الكفر والإيمان، والتبصر فيهما وتعلم مسائلهما وإدراك ذلك إدراكا جيدا، مع الحذر الشديد من الانزلاق في مهاوي التكفير والتبديع والتفسيق، أو الحكم على المعين بكمال إيمان، أو جنة أو نار إلا من شهد له النص الشريف من الوحيين بذلك، فهذه قاعدة أصيلة من قواعد أهل السنة والجماعة؛ بل ومن أصول عقائدهم.

* * *

الكفر ومعناه:

---

(١) مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/١٠

بعد تبين أهمية معرفة الكفر وتأكده على المسلم الحريص على نجاته وسلامة دينه وعاقبته، اعلم– رحمك الله– أن الكفر له في أصل معناه عدة معان.." (١)

"بخلاف ما قرره الماتريدي، فقد دخلت عليه الفلسفة والكلام، ومن ثم دخلت عليه عقائد بدعية فلسفية، فالإمام الطحاوي محدث ثقة ثبت فيما يقرر وينقل احتوى على علوم أبي حنيفة وأصحابه، ولم تدخل عليه المذاهب الكلامية.

ثانيا ـ الحنفية من المعتزلة:

المشهور أن المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وقد تقدم أن اسمها يرجع إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل: إن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين. ولما اعتزل واصل مجلس الحسن البصري وانضم إليه عمرو بن عبيد وتبعهما أنصارهما قيل لهم معتزلة أو معتزلون ١ .

وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد وهو مرادف لإنكار الصفات ٢ والعدل وهو إنكار القدر **وإنفاذ الوعد والوعيد والأمر** بالمعروف والنهي عن المنكر والمنزلة بين المنزلتين.

وقد تسرب الاعتزال إلى الحنفية شيئا فشيئا حتى دخل الاعتزال إلى

---

١ انظر الفرق بين الفرق ص١٤؛ والملل والنحل ١/٣٠.

٢ لم تكن المعتزلة في بدء الأمر معطلة لجميع الصفات بل دخل عليهم التعطيل والقول بخلق القرآن من قبل جهم بن صفوان. قال الإمام أحمد فأضل بكلامه بشرا كثيرا وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية. انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٠٤؛ والفرق بين الفرق ص١٤، ١٥؛ والملل والنحل ١/٣٠؛ وصحيح مسلم ١/٣٦.." (٢)

"باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان: ٧] .

وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ [البقرة: ٢٧٠] .

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رحمه الله بين فيه نوعا من أنواع الشرك المنافي للتوحيد، وهو النذر لغير الله؛ ليحذر ويجتنب.

من الشرك: أي الأكبر.

النذر لغير الله: لأنه عبادة. وصرف العبادة لغير الله شرك. والنذر: مصدر نذر ينذر أوجب على نفسه شيئا لم يكن واجبا عليه شرعا تعظيما للمنذور له. وأصله في اللغة والإيجاب.

---

(١) مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/٤٢

(٢) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٦٢٥

يوفون بالنذر: يتممون ما أوجبوا على أنفسهم من الطاعات لله.

ما: شرطية، ويجوز أن تكون موصولة.

أنفقتم من نفقة: يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة.

أو نذرتم من نذر: يشمل كل نذر مقبول وغير مقبول.

فإن الله يعلمه: أي فيجازيكم عليه، ففيه معنى الوعد والوعيد.

المعنى الإجمالي للآيتين: أن الله يمدح الذين يتعبدون له بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات. كما أنه يخبر سبحانه أنه يعلم كل." (١)

"إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واجتناب ما نهى عنه فصارت محبته مستلزمة لمحبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (١) .

٨–بيان أنه لا تناقض بين أحاديث أن الشهادتين سبب لدخول الجنة، وأحاديث الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب، ونحو ذلك من أحاديث الوعد والوعيد:

ذكر ابن رجب رحمه الله أن أظهر الأقوال في ذلك (٢) أن المراد من الأحاديث الدالة على أن الشهادتين تدخل صاحبهما الجنة (٣) وأن (من صلى البردين دخل الجنة) (٤) ونحو ذلك أن هذه الأعمال سبب لدخول الجنة ومقتض لذلك، وكذا أحاديث الوعيد، التي مضمونها أن من فعل كذا من الأفعال دخل النار أو لم يدخل الجنة، فالمراد أن ذلك سبب مقتض لدخول

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) وكذا اختاره ابن تيمية رحمه الله في أكثر من موضع في الفتاوى منها على سبيل المثال ج ٦ ص:٤٢٦–٤٢٨.

(٣) سبق ذكر بعضها في الكلام على شروط لا إله إلا الله، وفي صحيح الجامع رقم ٦٣١٠: (من قال لا إله إلا الله، نفعته يوما من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه) . وقد أورده الشيخ رحمه الله في معارج القبول.

(٤) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، انظر الفتح ج٢ حديث ٥٧٤، شرح النووي على صحيح مسلم ج٥ ص: ١٣٥.." (٢)

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد صالح الفوزان ص/١٠٦

(٢) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٩٩

"مقتضيات الشهادتين ومن حقوق التوحيد أداء الفرائض، ولما قرر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوا صوابا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا بل يعاقب إذا أخل بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة، فالذي شرع عقوبة الدنيا هو الذي سيعاقب في الآخرة سبحانه وتعالى.

وختاما لهذا الموضوع نحب أن نثبت بالإضافة إلى ما سبق بقة الأقوال في أحاديث الوعد والوعيد، وملخص الأقوال في هذا الأمر أن أحاديث الوعد إما أن تكون وعدا بالجنة أو تحريما على النار، وكذلك أحاديث الوعيد إما أن تكون وعيدا بالنار أو تحريما على الجنة وفيما يلي بيان كل من هذه الأقسام بما يحصل به الجمع بين الأحاديث:

أولا: أحاديث الوعد: (أي الوعد بالجنة لمن أتى بالشهادتين أو فعل بعض الطاعات، أو تحريم النار عليه) .

أ-أحاديث الوعد بالجنة:

-وهذه تحمل على أن المراد أن يدخلها إذا فعل الأمر الممدوح المذكور في الحديث بعد أن يطهر من ذنوبه في النار.

ب-أحاديث التحريم على النار:

-وهذه تحمل على أن المراد تحريمه عليها بعد خروجه منها بعد تطهيره من الذنوب الأخرى أو بالشفاعة ثم اغتساله في نهر الحياة ودخوله الجنة فحينئذ يحرم على النار فلا تمسه أبدا.

-أو أن المراد تحريمه على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها وهي ماعدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها عصاة الموحدين ممن شاء الله عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه.." (١)

"والاستعاذة والاستعانه ... كذا استغاثة به سبحانه

والذبح والنذر وغير ذلك ... فافهم هديت أوضح المسالك

وصرف بعضها لغير الله ... شرك وذاك أقبح المناهي

عليه السلام

أسئلة:

١- بين أن توحيد الإثبات أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد مع ذكر بعض الأدلة؟

٢- هل كان المشركون يقرون لله بالربوبية؟ وما الدليل؟

٣- هل يمكن أن يوجد التوحيد الحق للربوبية دون توحيد الألوهية؟ وضح ما تقول بمثال.

٤- بين معنى توحيد الألوهية ومكانته وعلاقته بمعنى كلمة لا إله إلا الله؟

٥- بين ما يصح تقديره وما لا يصح بعد كلمة (إله) في قولنا "لا إله إلا الله"؟ واذكر معنى هذه الكلمة العظيمة، وفضلها، وشروطها!

٦- اذكر علامات محبة العبد لربه، مع الأدلة!

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/١٠٤

٧- لماذا كانت شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن أو لا تتم إلا بشهادة أن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟

٨- بين أنه لا تناقض بين أحاديث أن الشهادتين سبب لدخول الجنة وأحاديث الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب ونحو ذلك من أحاديث الوعد والوعيد!

٩- اذكر معنى العبادة، وشروطها (أو أركانها) ، وبعض أنواعها، وحكم من صرف شيئا منها لغير الله عز وجل!

١٠- اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على أن الدعاء عبادة!." [١]

"بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون - إلى قوله - ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ (١) .

الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، وهؤلاء الذين يأذن الله بالشفاعة فيهم لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه.

*المخالفون لأهل السنة في ذلك والرد عليهم:

قال ابن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد: (وأهل الجهل في هذا الفصل صنفان: صنف منهم من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة. والصنف الثاني الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه اللفظة على خلاف تأويلها) (٢) وقال أيضا: (وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أن محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا آمن بشيء من كتاب الله عز وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار. ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار.. لجاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا تؤولت على ظاهرها استحق الجنة من يعلم أن الله ربه وأن محمد - صلى الله عليه وسلم - نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه ولا آمن

---

(١) الأعراف: ٤٦: ٤٩.

(٢) سبق ذكر بعض أمثلة لهذه الأخبار والأقوال في تأويلها وبيان القول الجامع في ذلك كما ذهب إليه ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله وهو أن **أحاديث الوعد والوعيد مقيدة** بتحقيق شروط وانتفاء موانع. انظر ص: ٩٩-١٠٦.." [٢]

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/١٢٥

(٢) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٣٢٨

"وقارب، وكذا القول في فضائل الأعمال، من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصي، لذلك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار، لا إنه لا يدخل النار ولا موضعا منها وإن ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ الله تعالى أن يغفر له ما دون الشرك.

وفي هذا القدر كفاية لبيان أنه – صلى الله عليه وسلم – إنما أراد بذكر هذه الأعمال الصالحة بيان فضلها ولم يرد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان.

ثم لما انتهى ابن خزيمة رحمه الله من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم، شرع في بيان ما تشبث به الخوارج فقال (باب ذكر أخبار رويت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج، واحتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار محرم عليه الجنان. والفرقة الأخرى المرجئة، كفر بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلا منها بمعانيها) ثم قال رحمه الله تعالى: (معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين: أحدهما لا يدخل الجنة أي بعض الجنان إذ النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أعلم أنها جنان من جنة واسم واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة أولم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع لا أنه أراد شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة. والمعنى الثاني ما قد أعلمت أصحابي ما لا أحصي من مرة أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة (١) أي إلا أن يشاء

(١) سبق بيان القول الجامع في **أحاديث الوعد والوعيد الذي** يرد به على المرجئة والخوارج والمعتزلة وهو أنها مقيدة بتحقيق شروط وانتفاء موانع وهو ما ذهب إليه ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله، كما سبق ذكر الأقوال الأخرى للعلماء في أحاديث الوعد والوعيد. انظر ص ٩٩ – ١٠٦.." (١)

"تأويل صفات الله تعالى ووعده ووعيده

قال المصنف رحمه الله: [إذا عرف ذلك، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد].

هذا هو المعنى الثالث للتأويل، وأما إذا قيل: التفسير، فإن تأويل الصفات على معنى التفسير هو العلم بمعانيها، وتأويل الوعيد على المعنى الثاني هو العلم بمعناه، أما على المعنى الثالث فهو الحقائق المفارقة، وقد اختص الله تعالى بعلم كيفية صفاته، أو كيفية وماهية وعيده.." (٢)

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٣٣٠

(٢) شرح القواعد السبع من التدمرية يوسف الغفيص ١٣/١٨

"الشرط الثاني: الاتباع

الشرط الثاني: الاتباع، فمن كان من أولي الفقه ولكنه ليس من أهل الاتباع فإنه يختلط، وأحيانا تنغلق عليه النصوص، فلربما ألزم نفسه بفقه انتحله لنفسه؛ لأنه يرى أن هذا هو الاقتداء بقول الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإن خالف من خالف.

وهذا المزلق من أخص مزالق الانحراف.

فإنه -لا شك- أن الاعتبار بكلام الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، لكن يمتنع شرعا أن يكون ما يجب اعتباره من كلام الله ورسوله مخالفا لهدي الصحابة وهدي السلف رضي الله عنهم.

ولهذا نجد أن حماد بن أبي سليمان لما قصر في مسألة الاتباع، وتأمل بنفسه مسألة الإيمان، وجد أن الله في القرآن يقول: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:٢٧٧] ففرق بين الإيمان وبين العمل، فظن أن هذا يعني أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان.

قد يقول قائل: إن هذا ليس بحجة له؛ لأن هذا من باب عطف الخاص على العام.

أقول: هذا جواب معروف ذكره جماعة من علماء السنة، لكنه إن لم يكن ضعيفا فإنه ليس قاطعا في الحجة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية نفسه لا يستحسن هذا الجواب عند التحقيق، ويرى أن التحقيق في غيره، وسيأتي -إن شاء الله- الجواب المحقق عن هذا في مورده.

وإذا نظرت إلى كلام النبي عليه الصلاة والسلام وجدت مواضع لا يفهمها إلا أهل التحقيق من أولي الفقه والاتباع؛ ففي حديث جبريل يقول صلى الله عليه وسلم: (هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره).

لكنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه وفد عبد القيس -كما في حديث ابن عباس في الصحيحين وجاء من رواية أبي سعيد عند الإمام مسلم - قال: (آمركم بالإيمان بالله وحده، هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم).

فذكر لهم ما فسر به الإسلام في حديث جبريل، وهذا يدل أن جوابه صلى الله عليه وسلم يقع فيه هذا التنوع.

أيضا يقول صلى الله عليه وسلم -كما في حديث عثمان رضي الله عنه في الصحيح-: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

أيضا جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه، أنه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه برد أبيض، فأتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه، فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله -وفي لفظ: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله- إلا حرم الله عليه النار، قلت: يا رسول الله! وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر) وفي رواية: (وإن شرب الخمر).

وفي حديث محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك في الصحيحين لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دار عتبان وقد ضعف بصره واتخذ مكانا يصلي فيه، فطلب من الرسول أن يصلي فيه تبركا بأثره الحسي في حياته عليه الصلاة والسلام، فجاء النبي يصلي فيه ومعه معشر من الصحابة، والرسول في صلاته في بيت عتبان، قال: فوقعوا في مالك بن الدخشم، وهو رجل

طعن فيه بعض الصحابة بالنفاق، ثم برأه الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته لم يقل: إني أعرف الرجل، ولم يشر إلى حقيقة تختص بـ مالك بن الدخشم، وإنما قال: (أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطاله).

فذكر عليه الصلاة والسلام في سنته وعدا.

ولما ذكر الوعيد قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (لا يدخل الجنة قتات) وفي الصحيح: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) وفي الحديث في البخاري: (عبدي بادرني بنفسه -لما قتل نفسه- حرمت عليه الجنة) بل في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) وإن كان لفظ التأبيد ليس محفوظا على الصحيح.

في حديث سعد بن أبي وقاص في الصحيحين لما قال: (يا رسول الله! أعط فلانا فإنه مؤمن.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أو مسلم؟!) لا تقل: مؤمن: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات:١٤].

ومع ذلك يقول الله تعالى في من قتل عمدا: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ [البقرة:١٧٨].

ويقول الله تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢] ويدخل فيها الفاسق بإجماع المسلمين.

وقد ذكر الله المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فقال تعالى عنهم في سورة التوبة: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم﴾ [التوبة:٥٦] وفي سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ [الأحزاب:١٨] فأدخلهم في سورة الأحزاب بالإضافة وأخرجهم في سورة التوبة، لم يدخلهم في سورة الأحزاب فحسب؛ بل قال: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم﴾ [الأحزاب:١٨].

والمقصود: أن هذه السياقات الواردة **في الوعد والوعيد والأسماء** والأحكام وأسماء الإيمان والدين لابد من فقهها.

ومن التمس وجها واحدا، فإنه يقع إما في الإفراط إن أخذ بعض النصوص التي تقوده إلى الإفراط، كمن لم يعرف من كلام الله سبحانه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم في الوعيد إلا مثل قول الله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها﴾ [النساء:١٤] وقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [النساء:١٠] وما إلى ذلك من أحاديث الوعيد التي سبق الإشارة إلى شيء منها ..

فإنه يقع في الإفراط ولا بد؛ لأنه يرى أن هذه هي النصوص.

وكذلك: من لم يعرف إلا نصوص الوجه الآخر، فإنه يقع في التفريط في هذا الباب؛ وهذا الباب قد انضبط الجمع فيه، ودرئ الإفراط والتفريط في نتائجه المقولة في الآخرة من جهة الخلود في النار أو عدمه.

ولكن الذي يقع به وهم عند بعض المتأخرين وبعض المعاصرين هو في تقدير مسائل الكفر والتكفير وقيام الحجة وعدم قيام

الحجة، فإنه يقع نزاع في مسائل لم تنطق بها النصوص أصلا، كمسألة فهم الحجة هل يشترط؟ على قولين: القول الأول: أنه يشترط، والقول الثاني: أنه لا يشترط، وهذا كله من التكلف اللفظي.
والمعاني الشرعية -ولا سيما هذا المعاني الكبار- إنما تعتبر بحقائقها التي تجمع تحتها سائر النصوص التي قد تبدو لمن ليس له فقه أن ظاهرها التعارض.." (١)

"وفي باب وعيد الله: بين المرجئة (١) ، والوعيدية من القدرية وغيرهم.
وفي باب أسماء الإيمان والدين: بين الحرورية (٢) ، والمعتزلة (٣) ، وبين المرجئة والجهمية.
وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: بين الروافض (٤) ، والخوارج (٥) (٦) .

---

(١) المرجئة: من الرجاء أو من الإرجاء وهو التأخير، ذلك أن الإيمان عندهم هو الاعتقاد بالقلب دون الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، فهم يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وأجمعوا على أنه لا يدخل النار إلا الكفار فقط.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٢١٣/١ - ٢٣٤، التبصير في الدين للإسفراييني ص٩٧ - ٩٩، البرهان للسكسكي ص٣٣ - ٤٧، التنبيه والرد للملطي ص٥٧ - ٦١.
(٢) الحرورية: نسبة إلى حروراء بلد في العراق، وهم الخوارج، نسبوا إليها لتجمعهم فيها في بداية أمرهم، وسيأتي بعد قليل التعريف بالخوارج.
(٣) المعتزلة: سمو بذلك - على الصحيح - لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم فرق كثيرة.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٢٣٥/١، الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٠ - ٢١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٣٤، مذاهب الإسلاميين لبدوي ٣٧/١، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، والمعتزلة لزهدي جار الله، وانظر: من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، فضل المعتزلة وطبقات المعتزلة للبلخي والقاضي عبد الجبار والجشمي.
(٤) الرافضة: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضوا أكثر الصحابة وقيل في سبب تسميتهم بالرافضة أنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وأقواله في تفضيل الشيخين، وهم أردأ وأسوأ فرق الشيعة، ومن فروعهم مذهب الإمامية الاثنى عشرية.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٨٨/١ - ١٣٤، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص١٠٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٨٨ - ٢٨٩، الزينة للرازي الفاطمي ص٢٧٠ - ٢٧١.

---

(١) شرح الواسطية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٠/١

(٥) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حرب صفين، وصاروا فرقة لها أصولها التي منها: تكفير مرتكب الكبيرة، والتبري من علي وعثمان رضي الله عنهما والخروج على الإمام إذا خالف السنة وغير ذلك، وهم فرق كثيرة.

انظر: التنبيه والرد للملطي ٦٢ – ٨٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٦٤ – ٢٨٤، الخوارج لعامر النجار ص٣٧ – ١٣٥.

(٦) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٤١) .." [١]

"يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله، وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن١. تعني قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ [النصر: ٣] ، وقول سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي.

فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر، ولهذا يقول أبو عبيد وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة، كما ذكروا ذلك في تفسر اشتمال الصماء؛ لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونفس ما نهي عنه، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع أبقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهم ما لا يعلم بمجرد اللغة، ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته بخلاف تأويل الخبر.

إذا عرف ذلك؛ فتأويل ما أخبر به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد.

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه؛ لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة؛ تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله، ولا حقيقته كحقيقته.

فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ـ وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ـ أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في

---

١ متفق عليه: صحيح البخاري (٢/٢٩٩ برقم ٨١٧) وصحيح مسلم (٣/١٣١.١٣)." [٢]

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٥٠

(٢) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٦٦

"وبيان ذلك أن أهل السنة والجماعة وسط "في باب الوعد، والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار"١، و "يكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم"٢، و "بين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار"٣، و "**مسألة الوعد والوعيد من** أكبر مسائل العلم"٤. "فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين لا يخلدون في النار، بل يخرج منهم من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته"٥. "فأهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته منه، أو من غيره؛ وإما لمصائب كفرتها عنه، وإما لدعاء مستجاب منه، أو من غيره فيه؛ وإما لغير ذلك. والوعيدية من الخوارج، والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم"٦، "فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد، فقال الأولون: لا تتناول إلا مؤمنا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وقال الآخرون: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرا، وكل من القولين خطأ"٧.

"والتحقيق أن يقال: الكتاب، والسنة مشتملان على نصوص الوعد، والوعيد، وكل من النصوص يفسر الآخر، ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل

---

١ الجواب الصحيح (١/٧٤ – ٧٥) .

٢ مجموع الفتاوى (٣/٣٧٤) .

٣ الجواب الصحيح (١/٧٥) .

٤ مجموع الفتاوى (١١/٦٤٩) .

٥ المصدر السابق (٣/٣٧٥) بتصرف يسير، وانظر: (١٢/٤٧٩) .

٦ المصدر السابق (١٢/٤٨٠) ، وانظر أيضا: (١٢/٤٨٣ – ٤٨٤) .

٧ المصدر السابق (١٢/٤٨١) .." (١)

"ترجع له الفعل، ومشيئة واختيارا، وقدرة على الأفعال؛ كما قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء من الآية ٣٦] . والذي قام بالعبد هو فعله، وكسبه، وحركاته، وسكناته؛ فهو المصلي، القائم، القاعد حقيقة. والذي قام بالله عز وجل هو علمه، وقدرته، ومشيئته، وخلقه؛ كما أخبر عز وجل عن نفسه: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] ؛ فالله كما خلق العباد، يخلق أفعالهم، والعبد فاعل لفعله حقيقة، وقادر عليه بإقدار الله له، والخلق خلق الله؛ لأن العباد خلق له، وأفعال المخلوقين مخلوقة، ولأن الله خالق كل شيء، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد كونا وقدرا١.

وأهل السنة بوسطيتهم هذه يجمعون بين النصوص، ويؤلفون بينها٢.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/٩٧

٣- في نصوص الوعد والوعيد، فهم وسط بين الوعيدية والمرجئة:
"جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- كثير من الآيات والأحاديث التي تدل على وعد الله عز وجل للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيئات، وإبدالها حسنات، ونحو ذلك"٣. ومن هذه النصوص: قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] ، وقوله -صلى الله عليه وسلم- لأبي ذر الغفاري -رضي الله عنه: "ما من عبد قال: لاإله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" ٤. وهذه يقال لها: نصوص الوعد.

---

١ انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص٧٥. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٥٣٤. ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٤٥٩-٤٦٠، ٢/ ٢٩٨. وشفاء العليل لابن القيم ص٤٩٣.
٢ انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور باكريم ص٣٨١-٣٨٣.
٣ وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص٣٥٣.
٤ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.." [1]

"وجاء كذلك في الكتاب والسنة "آيات وأحاديث كثيرة، تتضمن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم، والخلود في النار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر، ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك"١.ومن هذه النصوص: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء: ٩٣] ، وقوله -صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" ٢. وهذه تسمى نصوص الوعيد.
والناس قد افترقوا في هذه النصوص إلى طرفين، ووسط.
فالمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، وقالوا: كل ذنب سوى الشرك فهو مغفور؛ فالإيمان لا تضر معه معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة٣.
وإنما ضلوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرجاء وحده، وإهمال جانب الخوف.
والوعيدية -من الخوارج والمعتزلة- أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وغلوا في نصوص الوعيد، وقالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يخلف أيا منهما٤.
وسبب ضلالهم في هذا الباب: عبادتهم الله بالخوف وحده، وإهمال جانب الرجاء.
وأهل السنة في هذا الباب وسط بين غلاة المرجئة، وبين الوعيدية -من الخوارج والمعتزلة-، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد؛ فيجمعون بين الخوف والرجاء، ولا يفرطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا يغلون غلو الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد، ويقولون في الوعيد: يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/٣٩

الكبائر من النار، فلا يخلد فيها أحدا من أهل

---

١ وسطية أهل السنة والجماعة للدكتور محمد باكريم ص٣٥٤.

٢ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله.

٣ انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور باكريم ص٣٥٥.

٤ انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص١٣٥-١٣٦. والموجز لعبد الكافي الأباضي -من الخوارج- ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية، للدكتور عمار طالبي ٢/ ١٠٥.." (١)

"١ . التوحيد.

٢ . العدل.

٣ . الوعد والوعيد.

٤ . المنزلة بين المنزلتين.

٥ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ . التوحيد: وخلاصته برأيهم، هو أن الله تعالى منزه عن الشبيه والمماثل (ليس كمثله شيء) ولا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه شيء مما يجري على الناس. وهذا حق ولكنهم بنوا عليه نتائج باطلة منها: استحالة رؤية الله تعالى لاقتضاء ذلك نفي الصفات، وأن الصفات ليست شيئا غير الذات، وإلا تعدد القدماء في نظرهم، لذلك يعدون من نفاة الصفات وبنوا على ذلك أيضا أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى لنفيهم عنه سبحانه صفة الكلام.

٢ . العدل: ومعناه برأيهم أن الله لا يخلق أفعال العباد، ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولي كل حسنة أمر بها، بريء من كل سيئة نهى عنها، لم يكلفهم ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه. وذلك لخلطهم بين إرادة الله تعالى الكونية (*) وإرادته الشرعية (*) .

٣ . الوعد والوعيد: ويعني أن يجازي الله المحسن إحسانا ويجازي المسيء سوءا، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة (*) إلا أن يتوب.

٤ . المنزلة بين المنزلتين: وتعني أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر هذا واصل بن عطاء شيخ المعتزلة.

٥ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد قرروا وجوب ذلك على المؤمنين نشرا لدعوة الإسلام وهداية للضالين وإرشادا للغاوين كل بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه وهكذا. ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق.

• ومن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل (*) كليا في الاستدلال لعقائدهم وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/٤٠

حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا فقالوا كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني:
" المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبيح (*) صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح ".." (١)

"[الأصل الرابع الإيمان بنصوص الوعد والوعيد]

الأصل الرابع

الإيمان بنصوص

الوعد والوعيد." (٢)

"ومن أصول عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة:

الإيمان بنصوص الوعد والوعيد، يؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت، ولا يتعرضون لها بالتأويل، ويحكمون نصوص الوعد والوعيد، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ [النساء: ٤٨] (١) .

ويعتقدون بأن عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بما يختم له؛ لكن من أظهر الكفر الأكبر حكم عليه به، وعومل معاملة الكفار. قال النبي- صلى الله عليه وسلم -: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة؛ فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار؛ فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة» (٢)

---

(١) سورة النساء: الآية، ٤٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم.." (٣)

"المطلب الرابع: الخوف والرجاء

امتدح الله من عباده من يجمع في عبادته له سبحانه بين الخوف والرجاء، بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ ١.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين هاتين العبادتين معلما بذلك عباده، كي لا يكون المؤمن من القانطين فيما لو اكتفى بالخوف، وترك الرجاء، وكي لا يكون من الآمنيين من مكر الله فيما لو اكتفى بالرجاء وترك الخوف من الله.

وقد أوضح الشيخ الأمين -رحمه الله- هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ ٢، فقال: "بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب، فجمع **بين الوعد والوعيد ليعظم** رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مجموعة من المؤلفين ٦٨/١

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ١٢٣/١

(٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ١٢٥/١

العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر. فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة. وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ ٣، وقوله: ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ ٤، وقوله جل وعلا:

---

١ سورة الإسراء الآية [٧٥]

٢ سورة الرعد الآية [٦]

٣ سورة الأنعام الآية [١٤٧]

٤ سورة الأنعام الآية [١٦٥]." (١)

"١ - كتابة الله تعالى لكل ما هوكائن في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٢- مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما يقع في هذا الوجود قد أراده الله قبل وقوعه.

٣- أن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه"١".

وقد نظم بعضهم هذه المراتب بقوله:

علم كتابة مولانا مشيئته ... كذاك خلق وإيجاد وتكوين

الأصل الرابع: باب الوعد والوعيد:

توسط أهل السنة والجماعة في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.

فالوعيدية يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد، ومنهم الخوارج الذين يرون أن فاعل الكبيرة من المسلمين كالزاني وشارب الخمر كافر مخلد في النار.

١- تنظر المراجع المذكورة في التعليق السابق، وينظر منهاج السنة ٣/٥-٢٧٦، شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/٩١-١٧٩، شرح الطحاوية ص٣١٧-٣٦٤، معارج القبول ٣/٩١٧-٩٤٠.." (٢)

"الإيمان المحبة لله والخضوع له والتصديق برسله، وأن معرفة ما جاءت به الرسل في الجملة من الإيمان، وليست المعرفة التفصيلية لذلك من الإيمان، وأن كل خصلة من خصال الإيمان ليست بإيمان ولا بعض إيمان ومجموعها إيمان.

ولم تخض هذه الفرقة في القدر والجبر كغيرها كما سيأتي، وخالفت فرقة " الغسانية " فرقة اليونسية بقولهم: إن الإيمان يزيد وينقص.

٢) بشر المريسي وهو زعيم فرقة (المريسية) الذين يسمون مرجئة بغداد، وقد جمع المريسي بين ضلالات عدة وبدع مختلفة،

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١/١٧٤

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٢٧

فكان يقول بأقوال المعتزلة، ما **عدا الوعد والوعيد فإنه** كان فيهما مرجئا على مذهب جهم بن صفوان، بيد أن المريسي اعتنق آراء جهم بن صفوان ولم يدركه، واحتج لها ودعا إليها ونافح عنها، وأثر بها على المأمون الخليفة العباسي فأضله أيما ضلال.

وأم البدع التي أخذها عن جهم ودعا إليها فهي:

١/ القول بخلق القرآن.." (١)

"٢/ القول بنفي صفات الباري، وصنف في ذلك كتابا سماه (كفر المشبهه) ، وقد رد عليه الإمام الدارمي بكتاب سماه (الرد على بشر المريسي) فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية.

٣/ القول بالجبر وأن الإنسان لا فعل له ولا استطاعة، ثم قيل إنه رجع عن هذا أو قال بالاستطاعة.

٤/ القول بأن الإيمان: التصديق بالقلب واللسان جميعا وإن سجد للصنم فليس بكافر، ولكن فعله دلالة على الكفر، ففارق جهم في هذه البدعة بجعل تصديق اللسان من الإيمان، كما فارق المعتزلة الذين يكفرون بالكبائر ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين، على أصلهم الباطل في الوعد والوعيد، وإن كان يعتبر شيخ المعتزلة في عصره، فهو يعتبر أيضا رأسا للجهمية في عصره، كذلك وراسا للمرجئة المريسية، فكم جمع هذا الرجل من شر، وكم حوى من بدع، نسأل الله العافية.

وكان من المرجئة في هذه الفترة من أطلق عليهم: المرجئة القدرية، إذ جمعوا بين القول بالإرجاء والقول بالقدر.

وقد قال بالإرجاء أو رمي به عدد من رواة الصحيحين، وإن كان قولهم بالإرجاء ليس كقول جهم بن صفوان، وإنما يتراوح قولهم بين تأخير العمل عن الإيمان وعدم اعتباره منه، ونفي زيادة الإيمان ونقصانه، مع التبري من الذنوب والنهي عنها، والقول بأنها سبب في عذاب الإنسان ودخوله النار ...." (٢)

"وأن الله لم يخلق أفعال العباد، وأن الإنسان خالق أفعاله.. وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يريده، إذ لو خلقه ثم عذب العباد لأجله يكون ذلك جورا والله عادل لا يجور.

٢- التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الباري - سبحانه وتعالى - تنزيها له - بزعمهم - وهذا من أهم أصولهم، فهم يصفون الله سبحانه بصفات السلوب، فيقولون: لا حي ولا سميع، ولا فوق العالم، ولا يقوم به علم ولا قدرة. وبناء على أصلهم هذا قالوا ببدعة خلق القرآن ونفي رؤية الله - سبحانه-.

٣- الوعد والوعيد: ويقصدون به إيجاب وقوع الثواب للمطيع، وإيجاب وقوع العقاب على مرتكب المعاصي، فلا يجوز على الله - بزعمهم - أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، ولا يجوز كذلك عفوه عن الكبيرة من غير توبة.

٤- المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل متلازم مع أصل الوعد والوعيد، فزعموا أن المسلم العاصي بارتكاب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فلا يسمى مؤمنا ولا يسمى كافرا، وإذا مات وهو مقيم على كبيرة، فهو من أهل النار خالدا فيها.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقصدوا به الخروج على الحاكم الفاسق الظالم، وحمل الناس على ما يؤمنون به

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها سعيد بن ناصر الغامدي ١/١٤٥

(٢) حقيقة البدعة وأحكامها سعيد بن ناصر الغامدي ١/١٤٦

بالحجة والبرهان، أو بالقوة والسلطان، كما فعلوا في محنة خلق القرآن.

هذه هي أهم أصولهم التي بنوا بدعهم الكلامية عليها، وأهم مسالك المعتزلة في الاستدلال على العقائد:." [1]

"ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهني (١) في نفيه القدر، ثم يتدرج البغدادي من عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز فزيد بن علي وكذلك الشعبي والزهري، ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد "الصادق" ويذكر أن له كتاب «الرد على القدرية» ، وكتاب «الرد على الخوارج» و «رسالة في الرد على الغلاة من الروافض») (٢) .

من هنا نقول أن السؤال عن نشأة مذهب أهل السنة كما يسأل عن نشأة سائر الفرق لا مكان له، لأن مذهبهم هو مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، لكن السؤال ينبغي أن يتوجه إلى "بداية التسمي بذلك الاسم". "لا نشأة المسمى" وهو المذهب وأهله، ومن الخطأ الخلط في ذلك.

إن الأصل في التسمي بأهل السنة هو ما ورد من النصوص التي تأمر باتباع السنة، ولزوم الجماعة، فالتسمية مأثورة في السنة وواردة في

= اعتمادا على ما قاله البغدادي على الرغم من أن كلام البغدادي لا يوحي بذلك، وما أدري كيف تجرأ النشار على هذا الحكم من غير بينة. وقد تابعه على هذا الخطأ د. جلال محمد موسى، حيث يقول: (ويرى أهل السنة أن سند مذهبهم إنما يعود إلى علي بن أبي طالب..) انظر: «نشأة الأشعرية» : ص ٢٠ وهو رأي غريب.. ويبدو أنهما أخذا كلام البغدادي على وجه غير سليم.

(١) معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري – قال الذهبي: (صدوق في نفسه ولكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم في القدر. ونهى الحسن الناس عن مجالسته وقال: هو ضال مضل) – قتله الحجاج صبرا لخروجه مع ابن الأشعث سنة ٨٠هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» : (٤/١٤١) ، البخاري في كتاب «الضعفاء الصغير» : ص ١١٠، الرازي: «الجرح والتعديل» : (٨/٢٨٠) .

(٢) «الفرق بين الفرق» : ص ٣٦٣.." [2]

"ويدخل تحت الإنشاء أو الطلب أنواع عديدة أشهرها: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

فإذا قلت: قم، أو لا تقم، أو هل أنت قائم، أو ليتك تقوم، أو يا قائم _ كان كلامك كله داخلا في باب الإنشاء؛ لأنه لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

بخلاف ما إذا قلت: جاء زيد، أو ما جاء؛ فذلك داخل في باب الخبر.

هذا وإن أشهر أنواع الإنشاء والطلب: الأمر والنهي.

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها سعيد بن ناصر الغامدي ١/١٥٦

(٢) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ناصر القفاري ١/٤٢

هذه نبذة ميسرة عن الخبر والإنشاء والطلب، وللتفصيل موضع آخر سيأتي.
وبعد هذا نأتي إلى التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان خبرا أو طلبا.
التأويل بمعنى الحقيقة إذا كان خبرا: تأويل الأخبار: هو حقيقتها، ونفس وجودها.
فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات.
وتأويل ما أخبر الله به **من الوعد والوعيد هو** نفس ما يكون من الوعد والوعيد.
وتأويل قيام الساعة، وما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب، والنكاح، هو الحقائق الموجودة أنفسها ١.
وتأويل رؤيا يوسف _عليه السلام_ هو وقوعها في الخارج، وتحققها، وهكذا ...

١_ انظر التدمرية ص٩٦، والفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية تحقيق د. عبد المحسن التويجري ص٢٩٠.." [1]

"والمعنى هنا أن الذين في قلوبهم زيغ، أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل، يصرفون المتشابه عن معناه الذي يوافق المحكم إلى ما يوافق أغراضهم وباطلهم، ولا يعلم تأويله الحق الذي يحمل عليه وتفسيره الصحيح إلا الله، والعلماء الثابتون في علمهم المتمكنون يرجعون المتشابه إلى المحكم، ويقولون: كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا، فلا يمكن أن يخالف بعضه بعضا.
فكلمة تأويله الأولى تعنى تحريف المعنى، ولهذا يأخذون من القرآن الكريم " المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم " (١) .
وكلمة تأويله الثانية تعنى التأويل الحق الذي يحمل عليه المتشابه، وهو المعنى الصحيح الذي لا يتعارض مع المحكم. وفى سورة النساء آية ٥٩: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أحسن تأويلا: أحسن عاقبة ومآلا.
وفى سورة الأعراف آية ٥٣: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ والتأويل هنا معناه: عاقبة أمره، وما يئول إليه ما أخبر به سبحانه وتعالى من الوعد والوعيد.

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٤٥، وانظره إلى ص ٣٤٧.." [2]

"الأصل الرابع: باب الوعد والوعيد:
توسط أهل السنة والجماعة في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٩
(٢) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٣٢٥

فالوعيدية يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد، ومنهم الخوارج الذين يرون أن فاعل الكبيرة من المسلمين كالزاني وشارب." (١)

"والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه، وفي باب الوعد والوعيد: بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار، وهم وسط في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين الغالي في بعضهم الذي يقول فيه بألهية أو نبوة أو عصمة، والجافي فيهم، الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهم خيار الأمة" (١) ، وبين أن كل طائفة من الطوائف من غير أهل السنة لا ينفردون بحق، بل كل من كان معه شيء من الحق ففي أهل السنة والجماعة من يقول به (٢) .

٦- وعند الحاجة إلى ذكر أقوال المخالفين، فلا بد من المذهب الصحيح المستنبط من الكتاب والسنة، أولا، وذكر أقوال المخالفين في ضمن ذلك، يقول في مقدمة كتاب "الإيمان":" ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي – صلى الله عليه وسلم –، مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء، بل نذكر من ذلك – في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله – ما يبين أن رد موارد النزاع إلى الله وإلى رسوله خير وأحسن تأويلا، وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة" (٣) .

وقد طبق هذا المنهج في كتابه هذا.

ب- منهجه في الأسماء والصفات:

لما كانت هذه المسألة من أعظم المسائل التي خاض فيها الناس واضطربت فيها أقوالهم، خاصة وأنها تتعلق بالله تعالى وما ينبغي له من صفات الكمال

---

(١) الجواب الصحيح (٨٠٦/١) ، وانظر: أيضا (٢٣٠/١-٢٣٥) ، وأيضا (٢٩٢/١-٢٩٣) ، وأيضا (٥٢/٢-٥٣) .

(٢) انظر: منهاج السنة (٤٤/٣) ، وانظر في بيان وسطية أهل السنة: الواسطية- مجموع الفتاوى (١٤١/٣) ، والوصية الكبرى-مجموع الفتاوى (٣٧٣/٣-٣٧٥) .

(٣) الإيمان (ص:١) .." (٢)

"٣-كما يذكر أن القرآن غير مخلوق ويرد على المعتزلة الذين يسميهم الضلال، ويذكر أدلتهم ويناقشها بالتفصيل (١) .

٤- كما يذكر **مسألة الوعد والوعيد ويرد** على المعتزلة ويذكر مذهب أهل السنة في ذلك ويورد أقوالهم وأقوال الخوارج في

---

(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/١٤

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢٧٢/١

مذهبهم في مرتكب الكبيرة (٢) ، ويناقش على ضوء ذلك مسألة الشفاعة وكيف أنكرها المعتزلة لقولهم بالوعيد على أهل الكبائر (٣) .

٥- مذهبه في الصفات الاختيارية:

يوافق المحاسبي ابن كلاب في نفي هذه الصفات، بناء على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، ونصوص المحاسبي في ذلك واضحة جدا:

أ- يقول عن القرآن وعظمته:"ومن عقل عن الله جل ذكره ما قال فقد استغني به عن كل شيء، وعز به من كل ذل، لا تتغير حلاوته، ولا تخلق جدته في قلوب المؤمنين به على كثرة الترداد والتكرار لتلاوته، لأن قائله دائم لا يتغير، ولا ينقص، ولا يحدث به الحوادث (٤) ، وهذا منطلق الكلابية في نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته.

ب- ويقول في مسألة علم الله:"والله جل ذكره لا تحدث فيه الحوادث، لأنا لم نجهل موت من مات أنه سيكون، وكذلك علمنا أن النهار سيكون صبيحة ليلتنا، ثم يكون فنعلم أنه قد كان من غير جهل منا تقدم أنه سيكون، فكيف بالقديم الأزلي الذي لا يكون موت ولا نهار ولا شيء من الأشياء إلا وهو يخلقه ونحن لا نخلق شيئا، وكذلك قوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين﴾ [الفتح: ٢٧] وقوله: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

(١) انظر: فهم القرآن (ص: ٣٦٣) وما بعدها.

(٢) انظر: نفس المصدر (ص: ٣٧٠) وما بعدها.

(٣) انظر: نفس المصدر (ص:٣٩٠) .

(٤) انظر: فهم القرآن (ص:٣٠٧) .." [1]

"وهذه المسألة الأخيرة هي مسألة تسلط الفلاسفة والقرامطة على المتكلمين وقد سبق توضيحها في المنهج العام (١) .

الأمر الرابع: أن الصفات ليست من المتشابه:

وهذا هو محك الخلاف ونتيجته، ولن أن الكلام في المحكم والمتشابه سلم من إقحام الصفات فيه وطلب تأويلها وتحريف نصوصا تذرعا بأنه من المتشابه، كما فعل أهل البدع والكلام - لبقي الخلاف فيه مثل غيره من مسائل علوم القرآن كأول ما نزل وآخر ما نزل، والمكي منه والمدني، وغيرها - قابلا لتعدد الآراء واختلافها.

ومع أن الكلام في الأمر الأول - المتعلق بمنع قول أن في القرآن ما لا سبيل لنا إلى العلم - شامل لموضوع الصفات، إلا أن شيخ الإسلام ناقش هذه المسألة - التي وقع فيها بعض الحنابلة أيضا - حيث أدخلوا أسماء الله وصفاته - أو بعض ذلك في المتشابه، وبعضهم أعتقد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله - وقد جاءت مناقشة شيخ الإسلام لمن توهم ذلك من المتكلمين وغيرهم من خلال وجهين:

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٤٦٣/١

أحدهما: مناقضة من قال: إن الصفات من المتشابه، وإنه لا يفهم معناه، يقول شيخ الإسلام: "نقول: أما الدليل على بطلان ذلك فإن ما أعلم عن أ؛ د من سلف الأمة ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفي أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: "تمر كما جاءت"، ونهوا عن تأويلات الجهمية - وردوها وأبطلوها - اتلي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه. ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل**

---

(١) (ص:٨٩١) وما بعدها.." (١)

"والسلف من الصحابة والتابعين كان اهتمامهم الأول والأخير منصبا على القرآن والحديث، فهل كانوا عندما يتلون القرآن ويعلمونه، ويروون السنة ويتناقلونها ويحدثون بها، يفرقون بين آية وآية، وحديث وحديث؟ ويقولون للناس: هذه آمنوا بألفاظها مجردة، وهذه لا مانع من فهم معانيها؟ ومعلوم أنه كان يتلقى ذلك عنهم أصناف الناس وطبقاتهم. إن المتواتر عنهم - - رضي الله عنه - أنهم لم يكونوا يفرقون بين نصوص الصفات وغيرها، بل كانوا يردون على المعطلة وأهل الكلام ما كانوا يخوضون فيه من ذلك، ولذلك قالوا: أمروها كما جاءت، وواضح أن قصدهم الرد على هؤلاء النفاة، ولو كان قصدهم التفويض الذي أراده المتأخرون النفاة لقالوا - موضحين - أمروا ألفاظها، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، ولو كان الأمر كذلك لكان نفي الكيف عنها مع مثل هذا القول لغو.

على أن شيخ الإسلام يشير في سياق مناقشته لهذه الدعوى إلى ناحية مهمة في منهج السلف وتعاملهم مع النصوص ربما غفل عنها من يتصدى لمثل هذا الموضوع - وهي تدل على ما حبا الله هذا الإمام من فهم قوي وبصر نافذ وإطلاع واسع - وذلك أنه ذكر أن عبارة: تمر كما جاءت، أو نحوها، قد قالها الإمام أحمد في غير أحاديث الصفات، وإذا ثبت هذا بطل احتجاج هؤلاء الذين يدعون أن قصد السلف من ثمل هذه العبارة: تفويض نصوص الصفات.

يقول شيخ الإسلام عن الإمام أحمد وغيره - بعد بيانه أنهم لم يقولوا بأن القرآن لا يفهم معناه، وإنما قالوا كلمات صحيحة، مثل: أمروها كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية: "ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر **نصوص الوعد والوعيد والفضائل** وغير ذلك. وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات: تمر كما جاءت (١) ،

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١١٤٠/٣

(١) انظر مثلا قوله عن الحرورية والمارقة لما سئل عنهم هل يكفرون أو يرى قتالهم؟ قال: "اعفني من هذا، وقل كما جاء فيهم في الحديث". مسائل الإمام أحمد لابن هاني (٢/١٥٨) ، رقم (١٨٨٤) .." (١)

"وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما، قد كان مرة في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له، فوثب إليه ابن عباس فقال: القرآن منه وفي رواية أخرى (القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود) .

الإيمان بالقدر وفهمه على الوجه الصحيح:

وفي الإيمان بالقدر الذي تنازع فيه المسلمون فيما بعد رأينا كيف كان أبو بكر - رضي الله عنه - مصيبا حين يقول: أقول برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان فهذا القول يدل على تأييده لحقيقة المسؤولية الأخلاقية ونفي الجبر، كما عزر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من ادعى أن سرقته كانت بقضاء الله، فلما سأله فقال:

قضى الله علي، فأمر بقطع يده وضربه أسواطا، فلما استفسروا من عمر عن سبب هذا التعزير (١) فأجاب: القطع للسرقة، والجلد لما كذب على الله. ولما قال محاصرو عثمان - رضي الله عنه - حين رموه: الله يرميك. قال: كذبتم لو رماني ما أخطأني.

وهناك توضيح أيضا على لسان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شارحا الفرق بين قضاء الله تعالى وأمره، قد سأله شيخ عند انصرافه من صفين أكان المسير بقضاء الله وقدره؟ فأجابه علي رضوان الله عليه: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة إلا بقضاء وقدر، ففهم الشيخ خطأ أن عليا يفسر ما حدث بالجبر لذلك أسرع علي فأفهمه معنى الإيمان بالقدر على حقيقته، وأنه لا يتنافى مع حرية إرادة الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، فقال له:

لعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن.. ثم أردف قائلا: (إن الله تعالى أمر تخييرا، ونهى تحذيرا، ولم يكلف مجبرا، ولا بعث الأنبياء عبثا) (٢) .

---

(١) التعزير: التأديب دون الحد.

(٢) القاضي عبد الجبار (فرق طبقات المعتزلة) ص ٢٤ ط دار المطوعات الجامعية بالإسكندرية تحقيق د. النشار وعصام الدين محمد علي.." (٢)

"وشرح ذلك يحتاج إلى مزيد من الإيضاح، نذكره فيما يلي:

منهج الصحابة في النظر والتدبر:

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١١٧٩/٣

(٢) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/١٦

لقد خاطب الإسلام العقل كما رأينا ودعا الإنسان إلى النظر في آثار مخلوقات الله تعالى، وقد مضى عصر الصحابة في الصدر الأول على هذا المنهج القرآني الواضح كان قدوتهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحده في النظر والسلوك، حيث عاشوا معه وشاهدوا التنزيل وسألوا واستفسروا عما يعن لهم من قضايا تحتاج إلى شرح وإيضاح.

وهكذا استمدوا من كتاب الله تعالى معرفة وحدانية الله تعالى، وإثبات صفاته، وعرفوا الأنبياء والرسل عليهم السلام وقصصهم مع أممهم، ووقفوا منه على أصل خلق آدم عليه السلام وعداوة إبليس له ولبنيه وعرفوا مكانة الملائكة وأدوارهم من بين مخلوقات الله تعالى، واستمدوا معلوماتهم عن اليوم الآخر وحساب الله تعالى وجنته وناره والقدر خيره وشره إلى ذلك من القضايا التي تشكل أركانا رئيسية وأصولا في الإيمان. وكلها جمعها القرآن الكريم – كما يرى الزركشي – في أقسام ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام. (فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير **ومنه الوعد والوعيد والجنة** والنار وتصفية الظاهر والباطن، والأحكام ومنها التكاليف كلها وتبيين النافع والضار والأمر والنهي والندب.

فالأول: (وإلهكم إله واحد) [البقرة، الآية: ١٦٣] فيه التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال، والثاني: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين [الذاريات، الآية: ٥٥] . والثالث: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) [المائدة، الآية: ٤٩] (١) .

وقد خط لهم القرآن الكريم الاستدلال بمخلوقات الله تعالى على وحدانيته سبحانه وعلمه وحكمته، فإنها جميعا تبرهن على أن لها صانعا حكيما خبيرا تام القدرة بالغ الحكمة، كما دعاهم إلى آثار الصنعة في أنفسهم أيضا (وفي أنفسكم أفلا تبصرون [الذاريات، الآية: ٢١] إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة

---

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧ ط الحلبي ١٩٥٧ م.." (١)

"أما سبق علم الله تعالى فإنه ليس حجة أيضا للمحتجين بالقدر على معاصيهم. قال تعالى: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) [البقرة، الآية: ١٤٣] .

وقال: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) [آل عمران، الآية: ١٤٢] .

وقوله: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) [محمد، الآية: ٣١] .

فروي عن ابن عباس في قوله: (إلا لنعلم) أي: (لنرى) وروي لنميز.

وكذلك قال عامة المفسرين: (إلا لنرى ونميز) وكذلك قال جماعة من أهل العلم، قالوا: لنعلمه موجودا واقعا بعد أن كان قد علم أنه سيكون. ولفظ بعضهم، قال: العلم على منزلتين – علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده. والحكم للعلم به بعد وجوده لأنه يوجب الثواب والعقاب.

قال: فمعنى قوله (لنعلم) أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون، لكن لم يكن المعلوم قد وجد (١) .

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/٢٣

(٣) الوعد والوعيد:

ويتصل الأصل الثالث بالوعد والوعيد ومضمونه كما يعبر عنه الشهرستاني أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، ولكن عقابه يكون أخف من عقاب الكفار (٢) .

وانسياق المعتزلة في هذا الأصل يتصل بدفاعهم عن الحرية الإنسانية واحتكامهم إلى العقل إذ أصبح الثواب والعقاب عندهم ينصب على أفعال الإنسان نفسها والتي يقتضيها العقل ومعنى هذا اعتقادهم أن إثابة المطيع ومعاقبة العاصي إن لم يتب – أمر محتوم أي: يجب على الله تعالى أن يفعله، فخلطوا بين الوعد والوعيد،

---

(١) ابن تيمية: الرد على المنطقيين ص ٤٤٦ ط لاهور ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٥٩.." [١]

"كذلك اكتفى علماء السنة والحديث وأتباعهم بالحديث النبوي حيث أوضح أصول الدين أفضل توضيح، وبينها أحسن بيان بحيث يغني عن الالتجاء إلى غيره مصدرا أو طريقا.

يقول الخطيب البغدادي في كتابه (شرف أصحاب الحديث) :

(ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين – صلى الله عليه وسلم –، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين. لوجد ذلك ما يغنيه عما سواه، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين، والإخبار عن صفات الجنة والنار، وما أعد الله تعالى فيهما للمتقين والفجار، وما خلق الله في الأرضين والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات، وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسبحين.

وفي الحديث قصص الأنبياء، وأخبار الزهاد والأولياء ومواعظ البلغاء وكلام الفقهاء وسير ملوك العرب والعجم، وأقاصيص المتقدمين من الأمم، وشرح مغازي الرسول – صلى الله عليه وسلم – وسراياه، وجمل أحكامه وقضاياه، وخطبه وعظاته وأعلامه ومعجزاته، وعدد أزواجه وأولاده وأصهاره وأصحابه، وذكر فضائلهم ومآثرهم، وشرح أخبارهم ومناقبهم، ومبلغ أعمارهم، وبيان أنسابهم (١) .

أما المنهج الكلامي المعتزلي، فكانت أبرز معالمه – فضلا عما تقدم من التزامهم بالأصول الخمسة – مخاصمة أهل الحديث والطعن في الأحاديث النبوية؟ إذ تحامل المعتزلة على المحدثين، واتخذوا من الجدل أساسا للطعن في النصوص، وأولوا المتشابه من آي القرآن الكريم تأويلا لم يقرهم أهل السلف عليه، وكانت مسألة الصفات الإلهية من أهم مسائل النزاع بينهما، حتى أصبحت علما مميزا بين الطائفتين أو بين المثبتين والنافين لها، يقول الشهرستاني: (اعلم أن جماعة كبيرة من

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/١٠١

=

أوغلي ط دار إحياء السنة النبوية – أنقرة ١٩٧٢ م.

(١) الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث ص ٦، ٧، ٨. تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي ط دار إحياء السنة النبوية – أنقرة ١٩٧٢ م.." [١]

"الإسلام وسلفه" (١).

فهل يريد الأشاعرة المعاصرون أن نجدد التحدي ونمدد المهلة أم يكفى أن نقول لهم ناصحين:

إنه لا نجاة لفرقة ولا لأحد في الابتداع، وإنما النجاة كل النجاة في التمسك والاتباع ...

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

من أهل القبلة لا من أهل السنة:

تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين وسبعين فرقة وأن حكم هذه الفرق الثنتين وسبعين هو:

١. الضلال والبدعة.

٢. الوعيد بالنار وعدم النجاة.

وهذا مثار جدل كبير ولغط كثير ممن يجهلون منصب أهل السنة والجماعة **في الوعد والوعيد إذ** ما يكادون يسمعون هذا حتى يرفعوا عقيرتهم بأننا ندخل الأشاعرة النار ونحكم عليهم بالخروج من الملة –عياذا بالله–.

---

(١) انظر المصدر السابق: ١٦٩، ٢١٧.." [٢]

"ونحن نقول إنه لا يصح تفسير ألفاظ أو إطلاقات مذهب السلف **في الوعد والوعيد إلا** من خلال أقوالهم هم وعلى الذين يجهلونه أن يستفصلوا قبل أن يتسرعوا بادعاء التكفير.

وهذا موجز لمذهب السلف في ألفاظ الوعيد ونصوصه:

١. فمن ألفاظ الوعيد "الضلال" وهو ليس مرادفا للكفر بإطلاق إلا عند من يجهلون أوضح بدهيات العقيدة، فإذا أطلق على أحد من القبلة فالمراد به المعصية في الاعتقادات كما أن لفظ "الفسق" يطلق على المعصية في الأعمال.

مع أن الضلال والفسق يطلقان على الكفر أيضا كما في قوله تعالى: ﴿ومن يشرك

بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ ، وقوله: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾.

لكن إذا كانت كلمة الكفر نفسها تطلق في الأحاديث ولا يراد بها الكفر الأكبر المخرج من الملة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"." [٣]

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/١٦٢

(٢) منهج الأشاعرة في العقيدة – تعقيب على مقالات الصابوني سفر الحوالي ٧٣/١

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة – تعقيب على مقالات الصابوني سفر الحوالي ٧٤/١

"مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة١١، وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظرا لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء.

من أشهر معتقداتهم:

١- إنكارهم لجميع الأسماء والصفات كما سيأتي تفصيله.

٢- إنهم في باب الإيمان مرجئة، يقولون: إن الإيمان يكفي فيه مجرد المعرفة القلبية، وهذا شر أقوال المرجئة.

٣- إنهم في باب القدر جبرية، ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله. ٤- ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة.

٥- يقولون: إن القرآن مخلوق.

٦- يقولون بفناء الجنة والنار.

إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية.

ثانيا: المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي:

١- التوحيد، ٢- العدل، ٣- الوعد والوعيد، ٤- المنزلة بين المنزلتين، ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطا من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة يين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج والرافضة.

---

١ مختصر تاريخ دمشق (٥٠١٦) ، والبداية (٣٥٠١٩) .." [1]

"٤- إنكارهم لميزان.

٥- قولهم بفناء الجنة والنار.

٥. الفصل الخامس: الحكم على الجهمية

الباب الثالث عشر: المعتزلة، وتشمل دراستهم الفصول الآتية:

١. الفصل الأول: نشأتهم.

٢. الفصل الثاني: أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات.

٣. الفصل الثالث: مشاهير المعتزلة.

٤. الفصل الرابع: ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالا.

٥. الفصل الخامس: الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها، والرد عليها. ويشمل:

١- التوحيد.

٢- العدل.

٣- الوعد والوعيد.

---

(١) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٨٦

٤- القول بالمنزلة بين المنزلتين.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباب الرابع عشر: " الأشاعرة أو السبعية " وتشمل دراستهم المطالبة الآتية:

١- ظهور الأشاعرة:." [1]

"بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر فإن القدرية إنما نسبوا إلي القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمي الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب وكما لا يجزم لمعين" (١) .

وقد قام أساس إرجاء الجهمية على موقفهم من حقيقة الإيمان وفي مبحث المرجئة دراسة حول المرجئة وموقفهم من الإيمان، وأنه المعرفة فقط وأنه كذلك لا يزيد ولا ينقص، ومن العمل وأنه لا صله له بالإيمان، ومن مرتكب الكبيرة،، وأن الذنوب لا تعلق لا بالإعتقاد وإنما هي تابعة للأعمال، وبالتالي فلا أثر لها على الإيمان الذي في القلب فهونوا المعاصي وشجعوا علي الركون إلي الكسل والخمول في العبادات.

ومع ذلك فهم يزعمون أن إيمان أي واحد منهم هو مثل إيمان جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، لا تفاقهم في المعرفة بالله التي بنى الجهميون عقيدتهم في الإيمان عليها، وهم أجهل الناس بمعرفته عز وجل إذ نفوا أسماءه الحسنى وصفاته العلا، إضافة إلي ما أحدثوه من الآراء والبدع الفاسدة.

وأما الجبر- بفتح الجيم وسكون الباء- فمعناه إسناد ما يفعله الشخص من أعمال إلي الله عز وجل، وأن العبد لا قدرة له البتة على الفعل، وإنما هو مجبور على فعله، وحركته في الفعل بمثابة حركة النباتات والجمادات، ومن

---

(١) شرح الطحاوية ص٥٩٢." [2]

"حيث جاء المعتزلة ونفخوا في رمادهم وصيروها جمرا من جديد، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية. فالجهمية أعم من المعتزلة فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا (١) .

٣. تسميتهم بالقدرية: بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر وإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لا عليهم، لأنهم لا يقولون بذلك، بل يقولون بان الناس هم الذين يقدرون أعمالهم. ولكن ابن قتيبة يرد عليهم ويرى أن نفي المعتزلة للقدر من الله تعالي وإضافته إلى أنفسهم يوجب أن يسموا قدرية، لأن مدعي الشيئ لنفسه أحق أن ينسب إليه (٢) ، وكان أول المتكلمين في القدر والمقررين له معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٢٧/١

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١١٤٦/٣

٤ . ومن أسمائهم الثنوية والمجوسية: وهم ينفرون من هذا الاسم، والذي حمل المخالفين لهم على تسميتهم به هو مذهب المعتزلة نفسه، الذي يقرر أن الخير من الله والشر من العبد، وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين: أحدهما للخير والآخر للشر.

٥ . الوعيدية: وهو ما اشتهروا به من قولهم **بإنفاذ الوعد والوعيد لا** محالة، وأن الله تعالى لا خلف في وعده ووعيده، فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت.

---

(١) أنظر: منهاج السنة ١/٣٤٤.

(٢) أنظر: تأويل مختلف الحديث ص ٩٨.." [١]

"الفصل الخامس

الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها، والرد عليها

الأصول الخمسة هي إجمالا:

١- التوحيد.

٢- العدل.

٣- الوعد والوعيد.

٤- القول بالمنزلة بين المنزلتين.

٥- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويذكر العلماء أنه لا يسمى الشخص معتزليا حتى يقول بهذه الأصول الخمسة.

أ - أما الأصل الأول وهو التوحيد: فإنهم يقصدون به البحث حول صفات الله عز وجل وما يجب لله تعالي وما لا يجب في حقه.

وقد حرص المعتزلة على إنكار صفات لله تعالى بحجة أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء وهو شرك على حد زعمهم، لأن إثبات الصفات يوحي بجعل كل صفة إلها، والمخرج من ذلك هو نفى الصفات وإرجاعها إلى ذات الباري تعالي فيقال: عالم بذاته قادر بذاته.. الخ، وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم.." [٢]

"رب العباد وخالقهم ومالكهم يتصرف فيهم كما يشاء فلا موجب عليه إلا ما أوجبه هو على نفسه تفضلا وكرما.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن يرسل الرسل وأن يعذر إلى الخلق فلا يعذب أحدا إلا على مخالفته لرسله قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (١) ، وقال تعالى: (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ (٢) ، وهذا من تفضله وكرمه على عباده ولطفه بهم، لا أن أحدا أوجبه عليه كما ترى المعتزلة.

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٣/١١٦٧

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٣/١١٧٨

٣- الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

١ - الوعد:

الوعد في مفهوم المعتزلة عرفه القاضي عبد الجبار بقوله:

"أما الوعد فهو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين ألا يكون كذلك، ألا ترى أنه كما يقال: أنه تعالى وعد المطيعين بالثواب، فقد يقال: وعدهم ... بالتفضل مع أنه غير مستحق، وكذلك يقال: فلان وعد فلانا بضيافة في وقت يتضيق عليه الصلاة مع أنه يكون قبيحا " (٣)

قال: " ولابد من استقبال الحال في الحدين (٤) جميعا، لأنه إن نفعه في الحال أو ضره مع القول لم يكن واعدا ولا متوعدا " (٥) .. إلى أن قال في بيان

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٣١.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٤.

(٤) الحدين يقصد بهما الوعد والوعيد.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٥.." [١]

"**علوم الوعد والوعيد في** مفهومهم: " وأما **علوم الوعد والوعيد فهو** أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب " (١) .

هذا هو مذهب المعتزلة، يوجبون على ربهم أن ينفذ وعده وأن يعطي العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده.

وقد أورد المعتزلة لتأييد مذهبهم هذا بعض النصوص التي فهموا منها وجوب إنفاذ الله وعده، وهي آيات من القرآن الكريم وبعض الشبه العقلية، منها قول الله عز وجل: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ (٢) .

وموضع الشاهد من الآية هو قوله تعالى: ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ ، حيث فسروا هذا الوقوع بمعني الوجوب، أي فقد وجب ثوابه على الله استحقاقا، لأن العمل في رأيهم من موجبات الثواب.

واستدلوا أيضا على ذلك من العقل بأن الله مادام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة فلابد أن يكون لها مقابل من الأجر، وإلا لكان ذلك ظلما، والله منزه عن الظلم، فلا يجوز على الله تعالي - في نظرهم - أن يوجب العمل ولا يوجب له جزاء.

والواقع أن ما استدلوا به من الآية والشبهة العقلية إنما بنوه على مسألة

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٣/١١٨٧

(١) المصدر السابق ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) سورة النساء: ١٠٠.." (١)

"وفى هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" والتحقيق أن يقال: إن الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط، لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة، لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين، فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، إلى أن قال: " فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة " (١) .

٤ - الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين

تدور هذه المسألة حول الحكم على مرتكب الكبيرة، حينما طلب إلى الحسن البصري أن يبين الحكم في صاحب الكبيرة، وما تلا ذلك من جواب واصل بن عطاء، ثم اشتداد الخلاف بعد ذلك واعتزال واصل وجماعته حلقة الحسن البصري.

وقد قدمنا أن قضية مرتكبي الذنوب كانت هي الحصيلة الحتمية عند المعتزلة لمواقف الفرق الأخرى من خوارج ومرجئة وأهل السنة أيضا، بسبب ما

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٤٨٣.." (٢)

"يشبهوه بالعدم والموات، وبين أهل التمثيل والتشبيه الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات.

ب- وفي باب الخلق والأمر، يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مختار فيما يعمله، ولا يقولون: إنه مجبور؛ لأن المجبور هو من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختارا لما يفعله، فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره.

وبذلك يكون أهل السنة والجماعة وسطا بين القدرية، الذين يكذبون بقدرة الله، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء؛ وبين الجبرية المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي، والثواب والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا:

﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ [الأنعام: ١٤٨] .

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١١٨٨/٣

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١١٩٤/٣

جـ- وفي أسماء الإيمان والدين وأحكام أهلها من الوعد والوعيد؛ يقف أهل السنة والجماعة موقفا وسطا حيث يؤمنون أن أهل الكبائر من المسلمين أو فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الكامل الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته. وبذلك يتوسطون بين الوعد والوعيد، ويؤمنون بالآيات كلها في هذا وذاك.

فهم -إذن- وسط بين الوعيدية، الذين غلبوا آيات الوعيد والتخويف، فحكموا على مرتكب الكبيرة بالخروج من الإيمان بالكلية كالخوارج، أو بالخروج من الإيمان." (١)

"فمثلا. وردت النصوص الشرعية في الوعد والوعيد. فنصوص الوعد تبعث في قلوب الخائفين والمذنبين الرجاء والأمل في التوبة والوعد بالمغفرة والرحمة لكل من أقبل على الله تائبا من ذنبه.

وفي المقابل نرى نصوص الوعيد تتوعد الكفار والمشركين وأهل الكبائر المصرين على ذنوبهم بأليم العذاب وشديد العقاب إذا لم يتوبوا ويؤمنوا. فإن تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تاب الله عليهم.

فهذه هي النظرة المتكاملة في **باب الوعد والوعيد ولكن** قصور الفهم يأتي من النظرة الجزئية إلى أحد الجانبين وإهمال الجانب الآخر والإعراض عنه، ومحاولة التأويل المتعسف للنصوص الشرعية.

كما وقع ذلك من الخوارج والمرجئة. فالخوارج غلبوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد، فحكموا بكفر مرتكب الكبيرة وتخليده في النار. وأما المرجئة فغلبوا نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد للعصاة فزعموا أنه لا تضر مع الإيمان معصية وعطلوا بذلك جزءا كبيرا من نصوص الشرع.

ومثلهم غلاة المتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم حين غلوا فيه حيث نظروا إلى جانب التعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم وأهملوا جانب التوحيد وسد الذريعة إلى الشرك، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشرع، دون جمع النصوص بعضها إلى بعض حتى تكتمل النظرة ويصح الحكم عليها. لكن الجهل بمقاصد الشريعة مع غلبة الهوى وعدم البصيرة هو الذي أوقع المبتدعة فيما وقعوا فيه.

يقول الشاطبي (١) .

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (. . . - ٧٩٠ هـ) فقيه. أصولي. لغوي. مفسر. . من تصانيفه عنوان التعريف بأسرار التكليف، والموافقات في أصول الأحكام، وعنوان الاتفاق في علم الاشتقاق وغيرها. انظر: معجم المؤلفين، ١ / ١١٨- ١١٩، والأعلام، ١ / ٧٥.." (٢)

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية عثمان جمعة ضميرية ص/١٥٨

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع عبد الرءوف محمد عثمان ص/١٤٨

"أخبر تعالى بأنه أنزل الكتاب الذي هو القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم من عنده بالحق الذي لا مرية فيه ولا شك.

وأما الآية الثالثة فهي قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ... ﴾ الآية فقد دلت على علو الله ـ تعالى ـ لأن التنزيل يكون من أعلى إلى أسفل كما تضمنت وصف القرآن المنزل من عنده ـ تعالى ـ بثلاثة صفات هي: كونه متشابها أي: يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ويصدق بعضه بعضا في المعنى ويماثله وكونه "مثاني" حيث ثنى الله فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام.

قال قتادة١ "ثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود"٢.

وكونه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم أي: تقشعر منه جلود الأبرار الذين يخشون ربهم لما يفهمون منه **من الوعد والوعيد والتخويف** والتهديد.

وأما الآية الرابعة فهي قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ... ﴾ الآية.

فقد بين تعالى بأنه أنزل كتابه على رسوله من عنده ـ تعالى ـ فالآية دلت على علوه ـ تعالى ـ كما دلت أيضا: أنه ـ تعالى ـ أنزل هذا الكتاب لجميع الخلق من الجن والإنس لينذرهم به، وأن من اهتدى منهم فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ومن ضل فإنما يعود وبال ضلاله عليه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بموكل على هدايتهم، وإنما هو نذير عليه البلاغ، وعلى الله الحساب.

وأما الآية الخامسة: وهي قوله تعالى: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ... ﴾ الآية.

فقد تضمنت أمرا من الله ـ جل وعلا ـ لجميع عباده بأن يتبعوا ما أمرهم به ـ تعالى ـ في كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وبذلك دليل على علوه ـ سبحانه ..

١- هو: قتادة بن دعامة السدوسي من أئمة التفسير، كان من أحفظ أهل البصرة. ولد سنة إحدى وستين، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائة هجرية. أنظر ترجمته في: "تذكرة الحفاظ" ١٢٢/١ وما بعدها، "اللباب في تهذيب الأنساب" ١٠٨/٢، التهذيب ٣٥١/٨.

٢- جامع البيان ٢١٠/٢٣.." (١)

". عز وجل ـ على كل مشرك متمن على الله الأماني الباطلة ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها﴾ بحيث قلت إنها ليست من عند الله، واستكبرت عن الإيمان بها وبذلك كنت في عداد الكافرين.

قال ابن جرير الطبري: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ يقول: "قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته إليك وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه **من الوعد والوعيد والتذكير** ﴿فكذبت﴾ بآياتي ﴿واستكبرت﴾ عن قبولها واتباعها" اهـ١.

فالآية دلت على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله ـ عز وجل ـ وحرمة الكفر بها والإعراض عن قبولها.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٣٠

وأما قوله ـ تعالى ـ ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ... ﴾ الآية ففيها تأنيب وتقريع لجميع أصناف الكفار الداخلين جهنم من خزنة جهنم بقولهم: ألم تأتكم رسل منكم ومن جنسكم تفهمون عنهم وتعرفون أمرهم ويتلون عليكم آيات ربكم وهي الكتب المنزلة على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم؟ فيقول الكافرون مجيبين لخزنة جهنم: إن الرسل جاؤوهم وبلغوهم وحي الله، ولكنهم كذبوهم وقالوا ما نزل الله من شيء فحقت عليهم كلمة العذاب وهي حكم الله عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل جهنم بسوء اختيارهم وشنيع فعلهم الذي فعلوه مع أنبيائهم فالسورة دلت دلالة قاطعة على وجوب الإيمان بكتب الله وتحريم تكذيبها ولا شك أن من كذب بكتب الله المنزلة على رسله وأنبيائه فإنه كافر بالله العظيم لأنه ـ تعالى ـ ربط الإيمان بالكتب بالإيمان به ـ سبحانه وتعالى ـ قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب﴾ ٢.

قال ابن كثير: "والكتاب" وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله. اهـ٣.

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/٢١.

٢- سورة البقرة آية: ١٧٧.

٣- تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٥.." [(١)]

"٣ ـ أنهم عند سماعهم كلام الله تلين جلودهم وقلوبهم إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به.

٤ ـ التصديق لما جاءهم من الحق.

قال مجاهد: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ قال: أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون: "هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا"١.

٥ ـ تقواهم لربهم ـ جل وعلا ـ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وفي مقدمة ذلك إخلاصهم العبادة لله وحده لا شريك له، فلم يشركوا بعبادة ربهم أحدا.

٦ ـ الصفة السادسة: أنهم طيبوا أعمالهم في الدنيا فلم يدنسوها بشرك ولا معصية، فطاب مأواهم في الدار الآخرة، وهو أنهم صاروا من سكان الجنة التي عرضها السموات والأرض ونجاهم الله من جهنم، وأمنهم من عذابها.

قال ابن كثير: عند قوله تعالى: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه **من الوعد والوعيد والتخويف** والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه:

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٤٥١

أحدها:

أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

الثاني:

أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم. كما قال تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ ٢ أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

١- تفسير القرآن العظيم ٩٣/٦.

٢- سورة الفرقان آية: ٧٣.." [1]

"يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما، والموحد يعبد إلها واحدا صمدا، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

وقال أيضا: "قلب المعطل متعلق بالعدم، فهو أحقر الحقير، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

ثانيا: وهم وسط في أفعال العباد بين الجبرية الغلاة الذين ينفون عن العبد الاختيار، ويجعلون أفعاله كحركات الأشجار، وبين القدرية النفاة الذين يجعلون العبد خالقا لفعله، وينفون تقدير الله عليه، فأهل السنة والجماعة يثبتون للعبد مشيئة واختيارا، بهما يستحق الثواب والعقاب، لكن لا يجعلونه مستقلا في ذلك، بل يجعلون مشيئته وإرادته تابعة لمشيئة الله وإرادته، كما قال الله عز وجل: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ، وهو سبحانه وتعالى خالق العباد وأفعال العباد، كما قال الله عز وجل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ .

ثالثا: وهم وسط في **باب الوعد والوعيد بين** المرجئة الذين غلبوا جانب الوعد وأهملوا جانب الوعيد، فقالوا: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والخوارج والمعتزلة الذين غلبوا جانب الوعيد وأهملوا جانب الوعد، فجعلوا مرتكب الكبيرة خارجا من الإيمان في الدنيا، خالدا مخلدا في النار في الآخرة، فأهل السنة والجماعة أعملوا نصوص الوعد ونصوص الوعيد معا، وجعلوا مرتكب الكبيرة ليس خارجا من الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة أمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وإذا عذبه فإنه لا يخلده في النار كما يخلد فيها الكفار، بل يخرج منها ويدخل الجنة.." [2]

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٦٧٧

(٢) قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني عبد المحسن العباد ص/٢٢

